بسم الله الرحمن الرحيم

أشعة من عظمة الإمام الحسين عليه السلام

سماحة آية الله العظمى الشيخ لطف الله الصافي الگلپايگاني قدس سره

سرشناسه	:	صافی، لطف الله
عنوان و نام پدیدآور	:	أشعة من عظمة الإمام الحسين/ لطف الله الصافي الگلپايگاني
مشخصات نشر	:	قم، مكتبة آية الله العظمى الصافي، وحدة النشر العالمية ١٤٤٤ق. = ١٤٠١.
مشخصات ظاهری	:	ص ٥٢٨
شابک	:	٣٠٠٠٠٠٠ ریال ٧ـ٦٦ـ٥١٠٥ـ٦٠٠ـ٩٧٨
وضعیت فهرست‌نویسی	:	فهرست‌نویسی قبلی
یادداشت	:	کتابنامه: ص. ٤٦٤ ـ ٤٦١
موضوع	:	حسین بن علی، امام سوم، ق٦١ ـ ٤
رده‌بندی کنگره	:	١٣٧٩ ٤ پ ٢ ص/ ٤/ BP٤١
رده‌بندی دیویی	:	٢٩٧/٩٥٣
شماره کتابشناسی ملّی	:	٤٣٤٢ـ٧٩م

دفتر تنظيم و نشر آثار حضرت آية الله العظمى الصافي الگلپايگاني

● اسم الكتاب:	أشعة من عظمة الإمام الحسين ■
● المؤلّف:	آية الله العظمى الشيخ لطف الله الصافي الگپايگانى ■
● الناشر:	دفتر تنظيم و نشر آثار آية الله العظمي الصافي الگلپايگاني مدّ ظلّه العالي ■
● الطبعة الأُولى:	ربيع الاوّل ١٤٤٤/ ١٤٠١ ■
● الكمّية:	٣٠٠٠ ■
● السعر:	٣٠٠٠٠٠ تومان ■
● رقم الإيداع الدولي:	٧ـ٦٦ـ٥١٠٥ـ٦٠٠ـ٩٧٨ ■
● موقع الإنترنتي:	www.saafi.net ■
● البريد الإلكتروني:	saafi@saafi.net ■
● البريد:	قم/ شارع انقلاب/ كوچه ٦ / پلاك ١٨١ ■
● هاتف:	٣٧٧٥٥٥٤٣ (٠٢٥) ■

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

يومُ الحسين عليه السلام

ما مِن حادثة من أحداث التاريخ ووقائعه المهمّة والمحزنة تشبه واقعة كربلاء الأليمة حيث تحيى ذكراها كلّ عام بجلال وعظمة وافرة، ويشترك في مراسمها كافّة الطبقات الاجتماعية، نساءاً ورجالاً، شبّاناً وشيوخاً وتعمَر مجالس شعائرها في المنازل والمساجد والمدارس والتكايا والحسينيّات والأسواق والشوارع والمحافل، ويتحدّث الخطباء عنها، ويكتب الكتّاب الكتب والمقالات، ويعجز

مرور الأزمنة وتكرار هذه المراسم عن أن يُدرِسَها ويُبليها أو أن يقلّل من اعتبارها وأهمّيّتها، بل على العكس، كلّما مرّت الدهور ازدادت عظمة وعمق هذه الواقعة الحزينة وتمّ استنباط معانٍ سامية وأهداف رفيعة لفلسفتها تتناسب مع كلّ عصر من العصور، وحينٍ من الأحيان.

إنَّ يوم الحسين عليه السلام، يومٌ يستحيل نسيانه على مرّ الأزمنة والدهور وحادثة عاشوراء انحنت لها قلوب أهل الإيمان وعشّاق الفضيلة والحقيقة، تعظيماً لمعناها، وعاشوراء مشعلٌ مُشِعٌّ كان ولازال في القرون وأطوار الدهر مصباح هداية العظماء وقادة الإصلاح ومُنجيهم من ظلمات الحَيرة والضياع.

إنَّ ما قام به الحسين عليه السلام لم يكن أمراً عابراً كحوادث التاريخ، بل كان عملاً جبّاراً لم يسبق له مثيل ونظير.

إنّ ما قام به أبو عبد الله الحسين عليه السلام أمرٌ إلهيٌّ اعتبره أهل عالم الجبروت وسكّان صوامع الملكوت والملأ الأعلى، أكبر تجلّيات الكمال في مقام الإنسانيّة، وإنَّ روّاد الفضيلة البشرية وأصحاب العقول الكاملة، وواصلي الحقائق العالية، والأنبياء أُولي العزم، والأولياء العظام، وشهداء طريق الإصلاح والهداية، اعتبروا ما قام به الإمام الحسين عليه السلام نموذجاً ممتازاً وفريداً لتجلّي قدرة الإرادة، وقوّة العزم والثبات وكمال الدين والصبر والإيثار والشجاعة، فخلوص الإيمان، الرجولة، الصراحة، الوفاء، علوّ الهمّة، الثبات، الاستقامة، ومقاومة الظلم والتعدّي

واضحة وجليّة في كلّ ملامح هذه الحادثة المؤلمة.

وعظمة المقاصد، وإباء النفس، واحتقار زخارف الدنيا والمادّيّات، واختيار الموت بعزٍّ وشرف على العيش بالذلّ والعار، لهي رتوشٌ ظاهرة في صورة كربلاء.

ولَشَرحُ هذه القصّة، شرحٌ لكمال روح الإنسان وتحقيرٌ لكلّ مظاهر المادّة ولذائذ الدنيا، وإدانة للشرك والكفر والظلم والجور.

وإنَّ تاريخ هذه الحادثة المؤثّرة في الأرواح هو تاريخ الفداء الفريد في سبيل المبادئ والعقيدة، واحترام لشرف وكرامة الحقّ، ومحاولة لتحرير وخلاص المجتمعات المحرومة.

ومن ثَمّ، فلا دهشة من تأثير صداها في كلّ العالم ووصول صوتها إلى الأسماع كوصول صوت الأذان أبديّاً خالداً، وبقاء وقعها في القلوب بعد مرور أكثر من ألفٍ وثلاثمائة عام عليها، والخطباء والكتّاب يقولون ويكتبون فيها، ولازالت الصلوات والتحيّات تُهدى إلى أُولئك الرجال الأفذاذ الّذين استقاموا في طريق الإيمان بالله وإجراء أحكامه، وفازوا بحسنى الشهادة وشربوا كأسها حتّى الثمالة.

إنّهم رجالٌ لم تلههم الدنيا ولم يُضعف عزمهم شبحُ الموت المهيب تحت وقع السيوف والرماح في ساحة مقاومة طغيان أهل الباطل وتخلّوا عن كلّ ما من شأنه إضعاف الإرادة والهمّة من الجاه والمقام، والذهب والفضّة والنساء والأولاد، فتملّكوا أعلى مراتب حرّية الروح وسموّها.

وفي المعسكر المقابل تجد شرذمةً من ضعاف النفوس، وحقراء الغايات، عبيد وهق الدنيا ولذائذها، من ذوي الضمائر الميّتة والأرواح الخبيثة الّذين لا يتوانون عن قتل الأخيار من عباد الله وتمزيق أجساد الأطفال والرضَّع بسهامهم المسمومة.

والغلبة في هذه المعركة وإن كانت بحسب المقاييس الدنيوية الظاهرية عند عامّة الناس هي لهذه الطائفة الشريرة من أعداء الدين، وإنَّ إيمان وعقيدة الحسين وأصحابه الّتي جعلتهم مظهراً للاستقامة والفداء المنقطع النظير، وإن لم تكن ذا قيمة بحسابات أهل الدنيا والمادّيّات وصحيح أنَّ نهاية هذه الحادثة كانت بانتهاء يوم عاشوراء من شهر محرّم سنة ٦١ الهجرة، إلّا أنّه في الواقع وبحساب تاريخ الفضيلة وكمالات الروح الإنسانية وبالقياسات القرآنية والإسلامية فإنَّ النصر الخالد كان من نصيب الحسين عليه السلام وأصحابه، ذلك أنَّ ميزان أصحاب الحقيقة لا يرى أنَّ قيمة الإنسان وحجمه منحصران في المنافع الفانية واللذائذ العابرة، وأنَّ ربح وخسارة وانتصار وانكسار الرجال العظام لا يكون بهذه المقاييس.

في ميزان الحقيقة، تكون قيمة واعتبار الأشخاص بمقدار قوّة إيمانهم وإرادتهم، وإنَّ الانتصار الحقيقي هو انتصار الباطن على الظاهر، وانتصار الروح على الجسد، والحقيقة على المجاز، وأنَّ النصر الواقعي هو الثبات في طريق المقاصد والأهداف السامية وتسخير عوامل ضعف الروح وتلاشي الإيمان وعدم التسليم لها.

نعم، كلّ الناس يموتون، وكم من الناس قد قضوا نحبهم في سبيل الدفاع عن العقيدة والإيمان والحقّ ولكنّهم مع ذلك لم يخلَّدوا كما خُلِّد شهداء كربلاء، ذلك أنّ حرّيّة واستقامة وإيثار وفضائل شهداء كربلاء لم تتجسّد في غيرهم، في سائر ميادين المواجهة بين الحقّ والباطل.

إنّهم أبطالٌ استقبلوا الموت والشهادة بكلّ عزم واستبشار وقد كان بمقدورهم حفظ أرواحهم بمجرَّد التنحّي عن ذلك الموقف الخطر الحادّ.

الحقُّ، أنّ هؤلاء لو كانوا قد تراجعوا عن وقفتهم تلك وخضعوا لهيمنة حبّ النفس والمال والمقام، واستسلموا لرهبة السيوف والموت، لكانوا قد أضرّوا بمقام الإنسانية والموازين الإسلامية السامية ضرراً يفوق حدَّ التصوّر.

إنَّ حادثة عاشوراء لم تكن تلك المعركة الّتي وقعت على أرض كربلاء، وإنّ المواجهة الّتي حصلت يوم عاشوراء بين أُولئك الأشخاص الّذين تقابلوا ليست هي المواجهة الحقيقية، وإنّما الحرب الحقيقية هي الحرب بين الحقّ والباطل، بين الإسلام والكفر، فلو أنَّ أهل الحقّ كانوا قد تراجعوا يومئذ، لم يكن لينتهي تراجعهم في ذلك اليوم وفي ذلك المكان الجغرافي، بل كانت آثاره السيّئة والخطرة ستظهر على مستقبل الإسلام وعلى الأجيال اللاحقة من المسلمين، إذ أنَّ مراقبي ساحة تلك المعركة الدامية لم ينحصروا في المعاصرين لها، وإنّما مراقبوا تلك المعركة هم كلّ الشعوب الإسلامية وكلّ الشرائح والطبقات المظلومة والمحرومة

على مرِّ الدهور والأزمنة، ومن هنا كـان عـلى الحسـين عليه السلام وأصـحابه أن يرسـموا صورة الاستقامة كاملة الرتوش، وقد فعلوا ذلـك بـأروع صـوره حتّـى حـيّروا العقول بصمودهم في ميدان الابتلاء، ومع أنَّ العدوّ اللئيم قام بتقطيع أجسادهم الطاهرة إرباً إرباً ولكنّه لم يستطع النيـل مـن ذرّةٍ مـن ذرّات أرواحهـم الطـاهرة وإرادتهم الحرّة ونيّاتهم الصادقة.

قَدْ غيَّرَ الطَّعْنُ مِنْهُمْ كُلَّ جَارِحَةٍ إِلَّا الْـمَكَارِمَ فِي أَمْنٍ مِـنَ الْغِـيَرِ

دواعي اهتمام الكتّاب والخطباء

إنَّ من أهمّ دواعي اهتمام الخطباء والكتّاب بحادثة كـربلاء هـو الأهمّيـة الدينيـة والمذهبية لهذه الواقعة، وقيمتها المعنوية والواقعية للإنسانية والمجتمع البشري عامّةً.

فكلُّ الدروس المستخلصـة مـن هـذه الواقعـة، سـاميةٌ ومربّيـة ومفيـدة وإنّ مدرسة عاشوراء مدرسة عامّة شـاملة تعـدُّ هاديـةً بدروسـها لأهـل كـلّ بقـاع الأرض، تدعو سكّان المدن والقرى والأرياف والبوادي وناطحـات السـحاب، إلى الفضائل والكمالات الإنسانية.

ومن البديهيّ أنَّ مثل هذه الأُطروحـة لا يمكـن أن يعتريهـا الـبِلي، وسـتبقى جديدةً جذّابةً ومحطَّ اهتمام الجميع.

ومن جهة الثواب الأُخروي وطبقاً للأحاديث الصحيحة المعتبرة عُدَّ الكتّاب

والمتحدّثون والخطباء حول قضيّة الإمام الحسين، مـن أوائـل المتقـرّبين إلى الله تعالى وإلى الرسول ومن ذوي المراتب العليا والنائلين للثواب الجزيل.

أضف إلى كلّ ذلك، ولـمّا كانت واقعة كـربلاء، ملحمـة الصـراع بـين الحـقّ والباطل والعدالة والظلم، والمواجهـة بـين الفضـيلة والرذيلـة، صـارت جاذبـةً بمبادئها لكلّ المنصفين من الرساليّين وروّاد العدالـة والحرّيـة والتحـرّر، كـما أنَّ الأحاسيس الإنسانية الصادقة ويقظة الضمير والشعور الباطني تجـذب الجميـع وتشدُّهم إلى الأبطال من عشّاق الحقّ الّذين سطَّروا ملحمة عاشوراء.

ومن هنا وجدنا آلاف الكتب قـد كتبـت في الموضـوع، وأنَّ مئـات الآلاف مـن الأبيات الشعرية قد اُنشدت، وأنَّ الكتّـاب والشـعراء لم ينسـوا الحسـين حتّـى في أحلك أدوار الاضطهاد والتنكيل الّتي كان يمارسها عمّال الحكومـات الجـائرة لبنـي اُميّة وبني العبّاس أمثال «المتوكّـل» وأنّ خطـر القتـل والإهانـة ومصـادرة الأمـوال والحرمان من العطاء والحقوق الاجتماعية والاقتصادية لم تثن هؤلاء عن نشر مبادئ كربلاء، وسيدوم هذا الأمر إلى زمن انتهاء أجل الدنيا ولن يُنسى الحسين.

إنَّ موجبات بقاء هذه الحادثة الأليمة هي الّتي حفظتها من الضياع والانـدثار ما دامت الإنسانية باقيّةً، وستبقى هذه الواقعة دليلاً لعشّـاق العدالـة والفضـيلة وأعداء الظلم والجور، والمنتفضين على الحكومات الفاسدة.

نعم، لا يمكـن أن يفـتُرَ انجـذاب النـاس إلى الإنصـات إلى صـوت أُولئـك

الأبطال من عشّاق الحقّ في كربلاء والّذين جاهدوا غاية الجهاد والفداء في سبيل الدفاع عن الحقّ وضدّ الباطل.[١]

وستبقى قصّة إيثار وفداء نخبة الخليقة وشهداء الفضيلة والحقيقة يوم عاشوراء، زينةً خالدةً لصفحات التاريخ، ولن تملَّ الآذان من سماعها ولا العيون والألسن من مطالعتها وقراءتها مهما طال الزمن.

فالكتّاب اعتبروها منتقى مواضيع مقالات كتبهم، فالكلّ يطمح أن يسجّل اسمه في قائمة من ترك أثراً في قضيّة الحسين عليه السلام.

فشعراء العرب والعجم ترجموا مبادئ وقيم وأهداف الحسين عليه السلام وأصحابه بأبيات شعرية وقصائد بليغة غرّاء مفعمة بالحماس والشوق، كلّ بلحنه ولسانه الخاصّ وصوّروا لنا جانباً من جوانب تلك الملحمة الرائعة لرجال الله والحقيقة ضدّ أهل الباطل والضلال.

ومع كلّ ذلك، فما يكتب لاحقاً لا يخلو من حلاوةٍ ووقعٍ جديدين في نفوس عشّاق وروّاد الفضيلة والحقّ ولم تؤثّر تلك الوفرة الأدبيّة في شدّة استقبال الناس وانشدادهم وانجذابهم لعاشوراء.

---

١. إلّا من جهل وقائع ذلك اليوم أو كان من المتخلّقين بأخلاق الجبّارين والظلمة ومن حجبت الرذائل فطرتهم ووجدانهم.

ولّما كان الموضوع وبالتناسب مع المقاصد والأهداف المنظورة له، واسعاً وعريضاً جدّاً، ولّما كان كلّ كاتب أو أديب عاجزاً عن الإلمام بكلّ تفاصيل ودقائق الحقائق المرتبطة بعاشوراء الحسين عليه السلام، وجدنا أنَّ كلّ إصدار جديد حول القضيّة لا يخلو من جديد، ولا يُعدم الفائدة المستقلّة عمّا سبق من الفوائد ولا تنقصه البواكر من الأفكار والرُؤي، ويحقّ لنا أن نقول: إنَّ لطفاً من ألطاف الإمام الحسين عليه السلام يشمل كلّ واحد ممّن يتناول قضيّته عليه السلام لكي لا يُحرم أحد من أن يستقي جرعةً من بحر الحسين الموّاج الزاخر.

ومن ثمَّ، تجد الكتّاب وكبار العلماء والمفكّرين قد سطّروا آلاف المقالات والتصانيف في هذا الموضوع، وأنَّ كلّ كاتب له إلمامٌ يسير بأهداف الحسين عليه السلام، رغب في الجلوس على هذه المائدة المباركة طمعاً في تسويد اسمه في ديوان عشّاق الحقيقة، ليبتاع لطف وعناية يوسف مُلكِ الشهادة.

جهات ما كتب في الحسين عليه السلام

إنَّ الكتب الّتي كتبت في تاريخ الإسلام وفضائل أهل البيت عليهم السلام والصحابة، تناولت قضيّة الحسين عليه السلام ضمن طيّاتها، والكتب الّتي صنِّفت في خصوص هذه الواقعة كثيرة جدّاً، وأكثرها تناول القضيّة من جهة وقائعها الزمانية والمكانية والحالية فحسب، دون التطرّق إلى فلسفتها.

وأمّا في زمننا المعاصر فإنَّ أغلب الأفكار تنصبُّ على تحليل الأحداث وعلى علل ونتائج القضيّة وبذلك تقيس وتزن تلك الأحداث على أساس فلسفتها ونتائجها، ومثل هذه التأليفات تستهوي شباب ومثقّفي العصر الحاضر أكثر من غيرهم.

ولذلك فإنّ الكتب الّتي تناولت قضيّة سيّد الشهداء عليه السلام واستشهاده من جهة مبادئها وفلسفتها وأسرارها وأسبابها الواقعية وتأثيراتها في المجتمعات الإسلامية والفكر الإسلامي، لها جمهورٌ كبير من القرّاء والمهتمّين، وذلك أنَّ هؤلاء يرغبون في التعرّف على:

سبب نهضة الحسين عليه السلام؟

ولماذا لم يقبل الصلح والمهادنة مع يزيد؟

ولماذا هاجر من المدينة إلى مكّة ومنها إلى العراق؟

وما هي مقاصد الحسين عليه السلام من النهضة وما هي نتائجها؟

وما هي الفوائد الّتي تجنيها الأُمّة الإسلامية من إقامة مراسم عزاء الحسين عليه السلام وإحياء ذكرى عاشوراء خاصّةً عند الشيعة؟

ومئات الاستفسارات والتساؤلات الأُخرى، الّتي تدور في خَلَد عشّاق ساحة الإمامة والولاية.

ومن ثمّ انصبّ جهدُ الكتّاب والمؤلّفين في قضيّة كربلاء، على كتابة الإجابات اللازمة لتلك التساؤلات، وصمّموا على خوض مضمار التحليل والتحقيق في

الواقعة، وتنبيه الناس إلى فلسفة هذه النهضة المباركة وشرائطها، وبيان أوضاع وأحوال وظروف هذا القيام والفداء الكبيرين.

ولا يخفى أنَّ ذلك لا يعني إهمال القدماء والسابقين من الكتّاب لهذه الجهة كلّياً وعدم تعرّضهم لفلسفة وأسرار الشهادة، بل إنَّ أوّل من كشف عن تلكُمُ الأسرار والأهداف السامية للنهضة الحسينية هو نفس سيّد الشهداء عليه السلام وأهل بيته، بل قد سبقه إلى ذلك نفس رسول الله صلى الله عليه وآله، ثُمّ الأئمّة المعصومون الطاهرون عليهم السلام، حيث وضّحوا هذه الجهة بشكل جليّ في أحاديثهم ورواياتهم وحتّى في عبارات زياراتهم للحسين عليه السلام، ثُمّ تبعهم علماء الإسلام ومفكّروه سنّةً وشيعةً، والشعراء الكبار ضمن قصائدهم، حيث عرَّفوا الناس بتلك الحقائق.

بَيدَ أنّه لم يعهد وجود كتاب مستقلّ يتناول تلك الأُمور وفلسفتها على النحو المتعارف هذه الأيّام.

ولذلك فإنّ الكتب الّتي تناولت التحليل التاريخي لحوادث كربلاء قليلة جدّاً بالقياس إلى تلك الّتي أرَّخت أحداث الواقعة مع الاحتفاظ بتقديرنا لهذه المصنّفات الّتي حفظت لنا تاريخ تلك الواقعة وتفاصيل مجرياتها، ذلك أنَّ مثل هذه الكتب تشكّل اللبنة الأُولى للتحليل والتحقيق، وهي أساس الفحص والتدقيق عند المفكّرين والمحقّقين، وكذلك فإنّ نقل صور ما جرى في كربلاء يوم عاشوراء وعلى الرغم من اختصارها وعدم إحاطتها بكلّ الواقعة، حاكية

عن حقيقة مظلومية الإمام عليه السلام وعاكسة لأسرار وفلسفة شهادته، كما أنّها المرجع للمؤمنين الراغبين في نيل ثواب وأجر ذكر مصائب الحسين عليه السلام والبكاء والعزاء عليه والتقرّب إلى الله بإقامة شعائره.

جزا الله خير الجزاء كلّ الكتّاب والخطباء وكلّ الّذين ساهموا بنحو من الأنحاء في إعلاء وتجليل ذكر سيّد الشهداء عليه السلام سابقاً ولاحقاً.

وهذا الكتاب الّذي بين يدي القرّاء الكرام والمتضمّن لمختصر من فضائل حضرة سيّد الشهداء عليه السلام غيضٌ من فيض علل ونتائج واقعة كربلاء، فهو بضاعة مزجاة وفخذ جرادة يقدّمها هذا العبد العاصي بكلّ خجل وخضوع، هديّةً لساحة سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام وإلى ملجأ الدين الابن التاسع لسيّد الشهداء الحسين عليه السلام بقية الله في الأرضين مولانا قائم آل محمّد -أرواح العالمين له الفداء- راجياً من الأمّ والابن العزيز القبول آملاً الفوز في الدنيا والآخرة ببركة التوسّل بساحة قدس أهل بيت العصمة والرسالة، وأنْ أُعدَّ في زمرة محبّيهم، بحقّ محمّد وآله الطاهرين صلوات الله تعالى عليهم أجمعين.

أقلّ خدمة ساحة محبّي أهل بيت النبوّة

لطف الله الصافي الگلپايگاني

البحث الأوّل

شخصيّة الحسين عليه السلام وفضائله

شخصيّة سيّد الشهداء عليه السلام

لا يمكن الحكم على قيَم وأهداف وعلل نهضةٍ وحركةٍ ما لم يتمّ التعرّف على شخصيّة قائد تلك النهضة، والوقوف على أخلاقه وفضائله وعلمه ومعارفه وسوابقه الفكريّة والمحيط الّذي نشأ فيه، وفي غير هذه الصورة لا يكون الحكم تحقيقيّاً معتَمَداً.

فمثلاً للتعرّف على حقيقة الدعوة الإسلامية، يجب الاعتماد (مضافاً إلى القرآن المجيد والتعاليم والمناهج الإسلامية) على دراسة تاريخ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وحياته وأخلاقه وسلوكه وعلاقاته، وطريقة تعامله في الحروب والغزوات، وسائر حالاته وحالات أهل بيته الأطهار عليهم السلام.

وللتعرّف على قيمة وحقيقة وعلل ونتائج الثورة الحسينية المباركة لابدّ من المرور على سيرة الإمام الحسين عليه السلام وفضائله ومناقبه، ومعجزاته وكراماته، ومكارم أخلاقه ومحامد أوصافه، ومحبوبيّته ومكانته الاجتماعية، وشهادة أعدائه بمقامه، وغير ذلك ممّا يرتبط بشخصيّته، لكي نحصل على ثواب ذكر فضائله مضافاً إلى التعرّف على حقيقة إمام الأحرار بقدر استعدادنا لتلّقي الحقائق.

سمات الحسين عليه السلام اللامعة في كتاب الله[١]

١. آية المودّة

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْـمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.[٢]

روى أحمد بن حنبل في «المسند»[٣] وأبو نعيم الحافظ،[٤] الثعلبي،[٥] الطبراني،[٦]

---

١. لا يخفى أنّ الآيات النازلة في شأن أهل البيت والشاملة للإمام الحسين عليه السلام كثيرة ولكنّنا رعايةً للاختصار نتعرّض إلى ثلاث آيات فقط، ومن أراد مزيد الإطّلاع فليراجع كتب التفسير والحديث، ومن جملة تلك الآيات الأُخرى آية ٣٥، ٣٧ من البقرة و ٢٢ الرحمن، و ٢٧ الفجر، و هل أتى وآيات أُخرى.

٢. الشورى، ٢٣.

٣. أحمد بن حنبل، مسند، ج١، ص٢٢٩، ٢٨٦؛ ر.ك: ابن البطريق، خصائص الوحي المبين، ص١٠٩.

٤. أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج٣، ص٢٠١.

٥.الثعلبي، تفسير، ج٨، ص٣١٠.

٦. الطبراني، المعجم الكبير، ج٣، ص٤٧؛ ج١١، ص٣٥١.

الحاكم النيشابوري،[١] الفخر الرازي،[٢] الشبراوي،[٣] ابن حجر،[٤] الزمخشري،[٥] ابن منذر،[٦] ابن أبي حاتم،[٧] ابن مردويه،[٨] السيوطي[٩] وجمع آخر من علماء أهل السنّة بأسانيدهم عن ابن عبّاس، قال: «لمّا نزلت هذه الآية، قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الّذين وجبت علينا مودّتهم؟

فقال لهم: «**عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَابْنَاهُمَا**».[١٠]

وقد نظم في هذا المعنى الشيخ شمس الدين ابن العربي:

---

١. الحاكم النيشابوري، المستدرك على الصحيحين، ج٢، ص٤٤٤.

٢. الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج٢٧، ص١٦٦.

٣. الشبراوي، الإتحاف بحبّ الأشراف، ص٤٣.

٤. ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص١٧٠.

٥. الزمخشري، الكشّاف، ج٣، ص٤٦٧.

٦. الأميني، الغدير، ج٢، ص٣٠٧.

٧. ابن أبي الحاتم، تفسير، ج١٠، ص٣٢٧٦.

٨. ابن مردويه الأصفهاني، مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ص٣١٦.

٩. السيوطي، إحياء الميّت بفضائل أهل البيت، ص٢٠، ح٢؛ السيوطي، الدرّ المنثور، ج٦، ص٧.

١٠. ابن البطريق، خصائص الوحي المبين، ص١٠٩-١١١؛ ابن البطريق، عمدة عيون صحاح الأخبار، ص٤٧-٥٠؛ السيوطي، الإكليل، ص١٩١؛ الأميني، الغدير، ج٢، ص٣٠٧.

رَأَيْــتُ وَلَائِــي آلَ طَـهَ فَرِيضَــةً　　　عَلَى رَغْمِ أَهْلِ الْبُعْدِ يُورِثُنِي الْقُرْبَا

فَمَا طَلَبَ الْـمَبْعُوثُ أَجْراً عَـلَى الْـهُدَى　　　بِتَبْلِيغِـهِ إِلَّا الْــمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَــى[١]

وقال الشافعي في هذا الشأن:

يَـا أَهْـلَ بَيْـتِ رَسُـولِ اللهِ حُـبُّكُمُ　　　فَـرْضٌ مِـنَ اللهِ فِي الْقُـرْآنِ أَنْزَلَـهُ

كَفَـاكُمُ مِـنْ عَظِـيمِ القَـدْرِ أَنَّكُـمُ　　　مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَـيْكُمْ لَا صَـلَاةَ لَـهُ[٢]

٢. آية التطهير

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.[٣]

وردت أحاديث متواترة ومشهورة عند الفريقين -السنّة والشيعة- في أنَّ آية التطهير نزلت في مورد اجتماع أشرف شخصيّات عالم التكوين، أي الخمسة أصحاب الكساء والّذين صلّى ودعا لهم الرسول ﷺ مرّات متكرّرة في بيته وفي

---

١. ابن حجر الـهيتمي، الصواعق المحرقة، ص١٧٠؛ الصبّان، إسعاف الراغبين، ص١٠٦.

٢. الزرندي، نظم درر السمطين، ص١٨؛ ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص٢٢٨؛ الصبّان، إسعاف الراغبين، ص١٠٨؛ الشبراوي، الإتحاف بحب الاشراف، ص٨٣.

٣. الأحزاب، ٣٣.

بيت فاطمة الزهراء عليها السلام وفي حجرة أُمّ سلمة وبعض الأماكن الأُخرى، فهذه الآية الشريفة والأحاديث الواردة في تفسيرها تدلُّ بوضوح على عصمة وجلالة شأن الإمام الحسين عليه السلام.

وفيما يتعلّق بهذه الآية الشريفة وأحاديث الكساء ومتونها، أُلّفت كتب كثيرة، وقد نقل قسماً منها بعض الرواة مثل صبيح[1] ونقل مسلم والبغوي والواحدي والأوزاعي والمحبّ الطبري، والترمذي وابن الأثير وابن عبد البرّ وأحمد والحموئي وزيني دحلان والبيهقي وآخرون عن عائشة، وأُمّ سلمة، وأنس، وواثلة، وصبيح، وعمر بن أبي سلمة، ومعقل بن يسار وأبي الحمراء، وعطيّة، وأبي سعيد، وأُمّ سليم،[2] روايات عديدة في هذه الواقعة الجليلة والمنقبة العظيمة.

عن عائشة قالت:

---

١. ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج١٣، ص١١؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٣، ص٣٢٧.

٢. مسلم النيسابوري، صحيح، ج٧، ص١٣٠؛ الترمذي، سنن، ج٥، ص٣٠-٣١، ٢٣٨؛ ابن عبد البرّ، الاستيعاب، ج٣، ص١١٠٠؛ البيهقي، المحاسن والمساوي، ج١، ص٣٢٥؛ الواحدي، أسباب النزول، ص٢٣٩-٢٤٠؛ البغوي، مصابيح السنّة، ج٢، ص٤٥٤؛ ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج٢، ص١٢، ٢٠؛ ج٥، ص٥٢١، ٥٨٩؛ الطبري، ذخائر العقبى، ص٢١-٢٤؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٤، ص٤٦٧؛ ج٨، ص٢٦٥.

خرج النبيّ ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرجّل من شعر، فجاء الحسن بن عليّ فأدخله فيه، ثمّ جاء الحسين فأدخله فيه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها فيه، ثمّ جاء عليّ فأدخله فيه، ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

وروى الأوزاعي عن شدّاد بن عبد الله قال: سمعت واثلة بن الأسقع وقد جيء برأس الحسين عليه السلام فلعنه رجل من أهل الشام ولعن أباه، فقام واثلة وقال: والله لا أزال أُحبّ عليّاً والحسن والحسين وفاطمة بعد أن سمعت رسول الله ﷺ يقول فيهم ما قال، لقد رأيتني ذات يوم وقد جئت النبيّ ﷺ في بيت أُمّ سلمة فجاء الحسن فأجلسه على فخذه اليمنى وقبّله، ثمّ جاء الحسين فأجلسه على فخذه اليسرى وقبّله، ثمّ جاءت فاطمة فأجلسها بين يديه، ثمّ دعا بعليّ ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.[1]

وروى «الدولابي» في *الذرّيّة الطاهرة* عن أُمّ سلمة أنّ رسول الله ﷺ قال لفاطمة: «ائتيني بزوجك وابنيك»؛ فجاءت بهم وأكفأ عليهم كساءاً فَدَكيّاً، ثمّ وضع يده عليهم، ثمّ قال: **«اَللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ آلُ مُحَمَّدٍ فَاجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَبَرَكَاتِكَ عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»**.

قالت أُمّ سلمة: فرفعتُ الكساء لأدخل معهم فجذبهُ رسول الله ﷺ وقال: **«إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ، إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ»**.[2]

---

١. ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج٢، ص٢٠.

٢. الدولابي، الذرية الطاهرة، ص١٥٠.

وروى الحموئي نظير هذه الرواية عن واثلة.[١]

وروى الواحدي في *أسباب النزول*[٢] وأحمد في *المناقب* والطبراني عن أبي سعيد الخدري[٣] أنَّ آية ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ**﴾ نزلت في حقّ خمسة أشخاص وهم: «رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام».[٤]

وروى أحمد عن أُمّ سلمة مثله.[٥]

وروى مثله الواحدي[٦] بسنده عن أُمِّ سليم.

وهذه الأحاديث الكثيرة تدلّ على عصمة سيّد الشهداء عليه السلام، وأنَّ كلّ عمل ونهضة تصدر عنه إنّما هي مطابقة للصواب والحقيقة، وقد استدلّ السيوطي بهذه الآية وقال: الكلّ يعتبر أنَّ إجماع أهل البيت عليهم السلام حجّة، لأنّ الخطأ رجسٌ وقد نفاه الله عنهم.[٧]

---

١. الحموئي، فرائد السمطين، ج١، ص٣٣-٣٤.

٢. الواحدي، أسباب النزول، ص٢٣٩.

٣. الطبراني، المعجم الأوسط، ج٣، ص٣٨٠؛ الطبراني، المعجم الصغير، ج١، ص١٣٥.

٤. الطبري، ذخائر العقبى، ص٢١-٢٤. وذكر فيه طرق هذا الحديث.

٥. أحمد بن حنبل، مسند، ج٦، ص٢٩٢.

٦. الواحدي، أسباب النزول، ص٢٣٩.

٧. السيوطي، الإكليل، ص١٧٨؛ ولا يخفى أنّ أسانيد هذا الحديث في الكتب الشيعية كثيرة جدّاً، وقد رُوي متن بعض هذه الأحاديث بنحو مفصّل مثل حديث الكساء.

٣. آية المباهلة

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.[1]

من جملة الآيات الدالّة على فضيلة وعُلُوّ مقام ورتبة سيّد الشهداء عليه السلام وباتّفاق المسلمين هي آية المباهلة الشريفة.

وتعدُّ قضيّة المباهلة بين النبيّ صلى الله عليه وآله ونصارى نجران من أوضح مظاهر ودلائل قوّة إيمان النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وتمسّكه واعتقاده برسالته، إذ أنَّ الدعوة إلى المباهلة من قبله صلى الله عليه وآله إذا لم تكن مقرونةً بإيمانه الراسخ بدعوته، لكانت انتحاراً حقيقيّاً وسنداً مهمّاً بيَدِ أعدائه لإبطال رسالته.

إذ أنَّ الأمر لم يكن ليخلو من إحدى نتيجتين، إمّا أن يستجاب دعاء النصارى بإنزال اللعنة الإلهية على جانب النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وإمّا أن لا يستجاب دعاء كلا الجانبين، وفي كلتا الحالتين تبطل دعوى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، ولم نعهد عاقلاً ادّعى النبوّة قد اقترح مثل هذا الاقتراح والتحدّي إلّا إذا كان على يقين واطمئنان تامَّين من استجابة دعائه في هلاك أعدائه، وقد كان النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله حاملاً لمثل هذا اليقين، ولذا قام بكلّ جرأة وشجاعة بمثل هذا الاقتراح، وهذا الثبات

١. آل عمران، ٦١.

والطمأنينة هو الّذي أجبر خصمه على الإنسحاب.

كما أنّ إشراك الإمام عليّ والحسن والحسين وفاطمة الزهراء عليهم السلام في المباهلة بأمرٍ من الله تعالى، لخيرُ دليل على أنَّ هؤلاء النفر الأربعة هم خيرُ خلق الله تعالى وأعزُّ الناس على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله.

أجل، لقد كانت آية المباهلة إعلان جلالة ومقام هؤلاء الأطهار وقربهم من الله تعالى، ومن ثمّ كانت هذه الفضيلة واحدةً من أهمّ فضائل الإمام الحسين عليه السلام حيث انتخب من بين كلّ الأُمّة الإسلامية، أطفالها وشبّانها وشيوخها رجالاً ونساءاً، ليكون أحد دعائم هذه القضيّة التاريخية والمنعطف العقائدي الخطير، بمعيّة أُمّه وأبيه وأخيه.

وفي الوقت الّذي نجد أنفسنا في غنًى عن ذكر المصادر والمراجع الّتي نقلت هذه الحادثة لكبار مفسّري ومحدّثي ومورّخي المسلمين، إلّا أنّنا سنذكر طرفاً منها ليراجعها من أراد الوقوف على المزيد من حقائقها: تفسير الطبري، البيضاوي، النيشابوري، ***الكشّاف***، ***الدرّ المنثور***، ***أسباب النزول*** للواحدي، ***الإكليل*** للسيوطي، ***مصابيح السنّة***، ***سُنن*** الترمذي وكتب أُخرى.

سِماتُ الحسين عليه السلام في أحاديث النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله

١. الحُسين عليه السلام سيّد شباب أهل الجنّة

روى أحمد بن حنبل في مسنده، البيهقي في سُننه، الطبراني في ***الأوسط*** وفي ***الكبير***،

ابن ماجة في *السنن*، السيوطي في *الجامع الصغير والحاوي والخصائص الكبرى*، الترمذي في *سننه*، الحاكم في *المستدرك*، ابن حجر في *الصواعق*، ابن عساكر في *تاريخ دمشق*، ابن حجر العسقلاني في *الإصابة*، ابن عبد البرّ في *الاستيعاب*، البغوي في *مصابيح السنّة*، ابن الأثير في *أسد الغابة*، الحموئي الشافعي في *فرائد السمطين*، أبو سعيد في *شرف النبوّة*، والمحبّ الطبري في *ذخائر العقبى*، ابن السمّان في *الموافقة*، النسائي في *خصائص أمير المؤمنين*، أبو نعيم في *الحلية*، الخوارزمي في *المقتل*، ابن عديّ في *الكامل*، المناوي في *كنوز الحقائق*، وآخرون عن النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**اَلْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**».

وهذا الحديث روي بأسانيد عديدة عن جمع من كبار الصحابة كعليّ بن أبي طالب عليه السلام، ابن مسعود، حذيفة، جابر، أبو بكر، عمر، عبد الله بن عمر، قُرَّة، مالك بن الحويرث، بريدة، أبي سعيد الخدري، أبي هريرة، أُسامة، براء، وأنس وغيرهم.

ويستفاد من مجموع ذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد عَرَّف الحسن والحسين عليهما السلام بهذه الصفة مرّات متكرّرة، وأنّ صدور هذا اللفظ «**اَلْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**» عن رسول الله صلى الله عليه وآله متواترٌ ومسلّمٌ ومشهور ومعروف عند المسلمين، كما أنَّ متن أكثر الأحاديث هو هذا اللفظ. وورد في بعضها: «**إِنَّ مَلَكاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ هَبَطَ عَلَيَّ وَلَمْ يَكُنْ قَدْ هَبَطَ قَبْلَ ذَلِكَ وَبَشَّرَنِي بِأَنَّ ابْنَتِي فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أُمَّتِي،**

وَأَنَّ حَسَناً وَحُسَيْناً سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْـجَنَّةِ».

وفي بعضها إضافة: **«وَأَبُوهُمَا خَيْرٌ مِنْهُمَا»**.

وفي بعض طرق هذا الحديث ذكرت فضائل أُخرى لأهل البيت عليهم السلام.[1]

٢. الحسين حبيب رسول الله صلى الله عليه وآله

«حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ».[2]

---

١. ابن ماجة القزويني، سنن، ج١، ص٤٤؛ الترمذي، سنن، ج٥، ص٣٢١-٣٢٦؛ النسائي، خصائص أمير المؤمنين، ص١١٧-١١٨، ١٢٣-١٢٤؛ أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج٥، ص٧١؛ ابن عبد البرّ، الاستيعاب، ج١، ص٣٩١؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج١، ص٩٢، فصل ٦؛ البغوي، مصابيح السنة، ج٢، ص٤٥٩؛ ابن طلحة الشافعي، مطالب السؤول، ص٣٣٥، ٣٧٦-٣٧٨؛ الطبري، ذخائر العقبي، ص١٢٩؛ أبو الفداء، المختصر، ج١، ص٢٨٤؛ الحموئي، فرائد السمطين، ج١، ص٣٥؛ الزرندي، نظم درر السمطين، ص٢٠٥؛ السيوطي، الجامع الصغير، ج١، ص٢٠؛ السيوطي، الخصائص الكبري، ج٢، ص٣٩٥؛ السيوطي، الحاوي، ج٢، ص٢٥٣؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٦، ص٢٥٢؛ ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص١٣٧، ١٨٧، ١٩١.

٢. أحمد بن حنبل، مسند، ج٤، ص١٧٢؛ ابن ماجة القزويني، سنن، ج١، ص٥١؛ الترمذي، سنن، ج٥، ص٣٢٤؛ مفيد، الإرشاد، ج٢، ص١٢٧؛ ابن البطريق، عمدة عيون صحاح الأخبار، ص٤٠٦؛ الطبري، ذخائر العقبي، ص١٣٣.

كان حبُّ رسول الله للحسن والحسين عليهما السلام حبّاً مميّزاً، وكان -صلوات الله وسلامه عليه- يظهر ذلك الحبّ ويفصح عنه في مناسبات عديدة.

وقد اتفّقت الروايات والتاريخ على أنَّ حبَّ النبيّ لهؤلاء الأطهار لم يكن حبَّ الأبِ لأبنائه فحسب، بل كان حبّه يتعدّى ذلك، فجذور هذا الحبّ تمتدّ إلى وحدة سنخيّة أرواحهم، واتّصالهم المعنويّ الراسخ وتوافقهم الفكريّ العميق، الّذي يعبّر عنه النبيّ صلى الله عليه وآله:

«إِنَّهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ».[1]

أو كما جاء في حديث زيد بن أرقم:

«أَنَا سِلْمٌ لِـمَنْ سَالَـمْتُمْ، وَحَرْبٌ لِـمَنْ حَارَبْتُمْ».[2]

وتعابير أُخرى كلّها تدلّ على تفسير وترجمة هذا الحبّ والعلقة الثابتة بينهم، البعيدة عن المجاملات والمبالغات، وأنَّه اتّصال واقعي روحي ووحدة فكرية وأخلاقية وعقائدية تدعو النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله إلى أن يعبّر بهذا التعبير **«أَنَا سِلْمٌ لِـمَنْ**

---

١. الخوارزمي، المناقب، ص٦٣؛ الزرندي، نظم درر السمطين، ص١٠٠؛ المتّقي الهندي، كنز العمّال، ج١٢، ص١٠١؛ القندوزي، ينابيع المودّة، ج١، ص٣٢٢؛ ج٢، ص٣٣٤، ٤٤٣.

٢. ابن ماجة القزويني، سنن، ج١، ص٥٢ (باب فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله)؛ الترمذي، سنن، ج٥، ص٣٦٠ (باب ما جاء في فضل فاطمة عليها السلام).

سَالَـمْتُمْ، وَحَرْبٌ لِـمَنْ حَارَبْتُمْ» فالجملة صريحة في وحدة التفكير والسلوك والأساليب بينهم وبين النبيّ الأكرم -صلوات الله عليهم أجمعين- وأنّه لا اختلاف ولا تفاوت بينهما في هذه الجهات أبداً وبذلك فقط يصير سلمهم وحربهم، سلم وحرب رسول الله صلى الله عليه وآله.

ونحن إذ نطالع هذه الأخبار والأحاديث الّتي تحكي لنا شدّة ارتباط النبيّ بالحسين عليه السلام، يجب أن لا نغفل عن أنّ هذه الكلمات تصدر عن خير أنبياء الله وسيّدهم، وعن رجل قضى حياته ماقتاً للمجاملات الكاذبة، والإطراءات الخادعة، والتملُّقات الرخيصة، بل كانت خطاباته وسلوكه وأفعاله كلُّها حجَّةً للبشرية، وقوانين وشرائع للإنسانية، فكان كلّ ما يقوله ترجمةً للحقيقة.

لقد كان لرسول الله صلى الله عليه وآله بنات غير فاطمة عليها السلام وكان له أبناء عمومة غير عليّ عليه السلام، فلماذا خصّ حنانه ومحبّته المتميّزة لـهاذين وأبنائهما دون سائر أقربائه؟

ولماذا اختار هؤلاء من دون سائر أصحابه؟

كلّ ذلك بسبب أنَّ هؤلاء الأربعة كانوا يُجسّدون صفاته وأخلاقه وكمالاته الروحية.

إذن، فأفضل معرِّفٍ ودليل للفرد المؤمن على عظمة الإمام الحسين عليه السلام وفضله هو نفس هذا الخطاب النبويّ الشريف.

ومن جملة الأحاديث الحاكية عن هذا الارتباط والتعلّق الشديد لرسول الله صلى الله عليه وآله بالحسين عليه السلام هو حديث يعلى بن مرّة أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى طعام دعي إليه فإذا

حسين عليه السلام يلعب مع الغلمان في طريق، فاستنثل رسول الله صلى الله عليه وآله أمام القوم ثمّ بسط يده وجعل الصَّبيُ يفرُّ هاهنا وهاهنا فأخذه فقال: «اَللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّه، حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الْأَسْبَاطِ».[١]

و رواه البخاري[٢] والترمذي[٣] وابن ماجة[٤] والحاكم[٥] وبهذا النصّ:

«حُسَيْنٌ مِنّي وَأَنَا مِنْهُ، أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْناً، اَلْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سِبْطَانِ مِنَ الْأَسْبَاطِ».

وروى الشرباصي حديث النبيّ صلى الله عليه وآله:

«حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الْأَسْبَاط (وَ) أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ».

ثمّ قال نقلاً عن القاموس: معنى السبط، الجماعة والقبيلة، وقد يُريد النبيّ بذلك أنّ الحسين في مرتبته ورفعته أُمّةٌ كاملة، أو أنّ أجر الحُسين وثوابه كأجر أُمّة كاملةٍ لعظمة فضيلته وعظمة ما قام به عليه السلام.[٦]

وروى الشبلنجي وابن عبد البرّ ومُسلم عن أبي هريرة، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال في

---

١. ابن ماجة القزويني، سنن، ج١، ص٥١؛ البغوي، مصابيح السنّة، ج٢، ص٤٥٩؛ الترمذي، سنن، ج٥، ص٣٢٤؛ ابن طلحة الشافعي، مطالب السؤول، ص٣٧٧؛ ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج٢، ص١٩؛ ج٥، ص١٣٠.

٢. البخاري، الأدب المفرد، ص٨٥؛ البخاري، التاريخ الكبير، ج٨، ص٤١٤-٤١٥.

٣. الترمذي، سنن، ج٥، ص٣٢٤.

٤. ابن ماجة القزويني، سنن، ج١، ص٥١.

٥. الحاكم النيشابوري، المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٧٧.

٦. راجع: الشرباصي، حفيدة الرسول، ص٤٠.

حقّ الحسن والحسين عليهما السلام:

«اَللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُمَا». [١]

وروى البغوي[٢] والترمذي[٣] وسيّد أحمد الزيني[٤] وابن الأثير[٥] والنسائي[٦] عن أُسامة قال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال في الحسن والحسين عليهما السلام:

«هَذَانِ ابْنَايَ وَابْنَا ابْنَتِي، اَللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُمَا».

وروى الترمذي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال:

«اَللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا». [٧]

وروى الترمذي[٨] والبغوي[٩] عن أنس أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله سئل عن أحبِّ أهل بيته إليه

---

١. مسلم النيشابوري، صحيح، ج٧، ص١٢٩؛ ابن عبد البرّ، الاستيعاب، ج١، ص٣٩١؛ الشبلنجي، نور الأبصار، ص٢٦٨.

٢. البغوي، مصابيح السنّة، ج٢، ص٤٥٩.

٣. الترمذي، سنن، ج٥، ص٣٢٢.

٤. الزيني دحلان، السيرة النبوية، ج٣، ص٣١٣.

٥. ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج٢، ص١١.

٦. النسائي، خصائص أمير المؤمنين عليه السلام، ص١٢٣.

٧. الترمذي، سنن، ج٥، ص٣٢٢.

٨. الترمذي، سنن، ج٥، ص٣٢٣.

٩. البغوي، مصابيح السنّة، ج٢، ص٤٥٩.

فقال: «الْـحَسَنُ وَالْـحُسَيْنُ».

ونقل السيوطي والمناوي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال:

«أَحَبُّ أَهْلِ بَيْتِي إِلَيَّ الْـحَسَنُ وَالْـحُسَيْنُ».[١]

وروى الترمذي والبغوي عن أنس أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يقول لفاطمة عليها السلام:

«أُدْعِي إِلَيَّ ابنَيَّ: فَيَشُمُّهُمَا وَيَضُمُّهُمَا إِلَيْهِ».[٢]

وروى أحمد بن حنبل أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يقول:

«اَللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّ حُسَيْناً فَأَحِبَّهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ».[٣]

وروى ابنُ أبي شيبة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يقول في حقّ الحسن والحسين:

«اَللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا، وَأَبْغِضْ مَنْ يُبْغِضُهُمَا».[٤]

وروى الصبّان عن أبي هريرة قال:

«رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ يَمْتَصُّ لُعَابَ الْـحُسَيْنِ كَمَا يَمْتَصُّ الرَّجُلُ التَّمْرَةَ».[٥]

---

١. السيوطي، الجامع الصغير، ج١، ص٣٧؛ المناوي، كنوز الحقائق، ج١، ص١١.

٢. الترمذي، سنن، ج٥، ص٣٢٣.

٣. المناوي، كنوز الحقائق، ج١، ص٤٤.

٤. ابن أبي شيبة الكوفي، المصنّف، ج٧، ص٥١١-٥١٣؛ المناوي، كنوز الحقائق، ج١، ص٤٤؛ القندوزي، ينابيع المودّة، ج٢، ص٧١.

٥. الصبّان، إسعاف الراغبين، ص١٥٥.

وروى المحبّ الطبري عن ابن بنت منيع، وهو عن يزيد بن أبي زياد أنّه قال: خرج النبيّ من بيت عائشة فمرَّ بدار فاطمة وسمع الحسين يبكي فقال: «أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ بُكَاءَهُ يُؤْذِينِي».[1]

ونكتفي بما نقلناه عن سرد أمثال هذه الأحاديث وهي كثيرة، وسيظهر لنا ممّا سنرويه في الفصول اللاحقة مدى عمق وشدّة حبِّ النبيّ صلى الله عليه وآله للإمام الحسين عليه السلام.

٣. الحُسَين ريحانة النبيّ صلى الله عليه وآله

روى ثلّة من كبار محدّثي أهل السنّة عن عليّ عليه السلام وابن عمر وأبي هريرة وسعيد بن راشد وأبي بكر، أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال:

«إِنَّ الْـحَسَنَ وَالْـحُسَيْنَ رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا».[2]

وفي لفظ آخر:

---

١. الطبري، ذخائر العقبى، ص١٤٣.

٢. البخاري، صحيح، ج٤، ص٢١٧، ج٧، ص٧٤؛ الترمذي، سنن، ج٥، ص٣٢٢؛ ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج٢، ص١٩؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٣، ص٦٨؛ البغوي، مصابيح السنّة، ج٢، ص٤٥٩؛ المناوي، كنوز الحقائق، ج١، ص٦٣؛ ج٢، ص١٥١؛ الزرندي، نظم درر السمطين، ص٢١١-٢١٢؛ ابن طلحة الشافعي، مطالب السؤول، ص٣٣٥-٣٧٧؛ ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص١٩١.

«اَلْوَلَدُ رَيْحَانَةٌ وَرَيْحَانَتَيَّ الْـحَسَنُ وَالْـحُسَيْنُ».[١]

و في لفظ آخر:

«إِنَّ ابْنَيَّ هَذَيْنِ رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا».[٢]

وفي آخر:

«هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا».[٣]

ومن اختلاف الألفاظ يظهر لنا جليّاً صدور هذا المضمون مراراً وتكراراً من النبيّ صلى الله عليه وآله.[٤]

وروى سعيد بن راشد أنّ الحسن والحسين أقبلا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فضمّهما إليه وقال:

«هَذَانِ رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّهُمَا».[٥]

وروى المناوي عن الديلمي في *فردوس الأخبار* أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام:

---

١. المتّقي الهندي، كنز العمّال، ج١٢، ص١٢٠؛ القندوزي، ينابيع المودّة، ج٢، ص٨٤؛ المناوي، كنوز الحقائق، ج٢، ص١٥١.

٢. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣، ص٢٠٢؛ المتّقي الهندي، كنز العمّال، ج١٣، ص٦٦٧.

٣. الترمذي، سنن، ج٥، ص٣٢٢؛ المناوي، كنوز الحقائق، ج١، ص٦٣.

٤. المتّقي الهندي، كنز العمّال، ج١٢، ص٣٢٢؛ المناوي، كنوز الحقائق، ج١، ص٦٣.

٥. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٣، ص٢١٢؛ ج١٤، ص١٤٩؛ طبري، ذخائر العقبى، ص١٢٤.

«سَلَامُ اللهِ عَلَيْكَ يَا أَبَا الرَّيْحَانَتَيْنِ».[١]

أضف إلى هذه الأحاديث ما ورد عنه صلى الله عليه وآله مثل قوله:

«أُوصِيكَ بِرَيْحَانَتَيَّ خَيْراً».[٢]

ولكنّنا أعرضنا عن ذكرها رعايةً للاختصار.

٤. الحُسين عليه السلام أشبهُ أهل البيت بالنبيّ صلى الله عليه وآله

روى البخاري وابن الأثير أنّه عندما جيء برأس الحسين عليه السلام لابن زياد -لعنه الله- ووضع بين يديه في طست، أخذ ابن زياد يضرب الرأس الشريف بعمود خيزران ويقول: أسرع إليك الشيب يا أبا عبد الله. فقال له أنس: إنّه أشبه أهل بيته برسول الله صلى الله عليه وآله.[٣]

ونقل في *البدء والتاريخ* أنّ عبيد الله بن زياد كان يضرب الرأس الشريف ويقول: لم أرَ وجهاً أجملَ منه، فقال له أنس بن مالك: إعْلَم أنّه شبيه رسول الله صلى الله عليه وآله.[٤]

---

١. المناوي، كنوز الحقائق، ج١، ص١٤٥.

٢. الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ج١، ص١٦٢؛ ابن الأثير، النهاية، ج٢، ص٢٨٨؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٤٥٩.

٣. البخاري، صحيح، ج٤، ص٢١٦؛ ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج٢، ص٢٠.

٤. المقدّسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص١١-١٢.

٥. النبيّ صلى الله عليه وآله يُقبِّل الحسين عليه السلام

إنّ تقبيل الأولاد هو أحد مظاهر المحبّة وترجمة العاطفة الجيّاشة للوالدين تجاه أولادهم.

لقد كانت أمثال هذه التعابير عن العاطفة والأحاسيس الشفّافة معدومة في الجاهلية عند العرب قبل شروق شمس الإسلام والهداية، حيث كان العرب يعتبرون الرأفة والشفقة والمحبّة والعطف لوناً من ألوان الضعف، بينما كانوا يتفاخرون بقساوة القلب. ومن أوضح مظاهر قساوة القلب عندهم هي ظاهرة وأد البنات حيث كان الأب يدفن ابنته وهي حيّة.

وكان تقبيل الولد وخاصّة البنت يُعدّ عاراً عندهم، كما أنّ حَمل الولد أمام الأنظار يُعدُّ عندهم ضعةً وكسراً للهيبة، وخرقاً للحشمة الكاذبة المصطنعة الّتي كان المتكبّرون منهم يضفّونها على أنفسهم.

ولّما كان النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله رحمةً للعالمين ومبرّءاً ومنزّهاً عن الرئاء والنفاق، وكان ساعياً لبسط الرحمة والرأفة والإحسان والمحبّة بين الناس، وداعياً للإيثار ونشر الفضائل وتقوية العواطف الخيِّرة، لذا نجد أنّه كما كان مظهراً لتمام وكمال العواطف الإنسانية لسائر المسلمين، فكذلك كان في أهل بيته، فقد وصلت أحاسيسه وعواطفه النبيلة تجاه ابنته فاطمة عليها السلام وأبنائها حدَّ الكمال، وكان يرى أنّ وجود الحسن والحسين عليهما السلام امتدادٌ لوجوده الكريم، وأنّ بقاءَهم وحياتهم بقاؤه وحياته.

تقول «بنت الشاطئ» الدكتورة المصرية والأُستاذة في جامعة عين الشمس موضحةً جانباً من جوانب حبِّ وعاطفة النبيّ صلى الله عليه وآله تجاه أبناء ابنته العزيزة فاطمة عليها السلام في فصل مستقلّ من كتابها ***بنات النبيّ*** صلى الله عليه وآله:

واحتفلت مدينة الرسول صلى الله عليه وآله بمولد «الحسن عليه السلام» وتصدّق جدّه صلى الله عليه وآله على الفقراء من أهلها بزنة شعره فضّةً. ثمّ راح يرقب تفتّح الحياة في هذه الفلذة الغالية منه، فما بلغ الوليد من العمر عاماً وبعض عام، حتّى أردفته أُمّه الزهراء عليها السلام بشقيقه «الحسين عليه السلام» في شهر شعبان، سنة أربع من الهجرة.

وتفتّح قلب النبيّ صلى الله عليه وآله لهذين الحفيدين الغاليين يملآن حضن أُمّ أبيها «الزهراء عليها السلام»، ورأى فيهما امتداداً لحياته الخاصّة على هذه الأرض، ومتنفّساً لما يفيض به قلبه الكبير من عاطفة الأُبوّة الّتي يئست من الولد منذ ماتت خديجة عليها السلام.

وبدا أن قد انقطع خلف محمّد بن عبد الله، إلّا أن يكون عن طريق ابنته «الزهراء عليها السلام».

فلا عجب أن أقبل الرسول على سبطيه «الحسن والحسين عليهما السلام» يغمرهما بكلّ ما امتلأ به قلبه الكبير من حبّ وحنان، ويفيض عليهما من عاطفة الأُبوّة ما شاء له الحرمان من الولد، على كثرة من تزوّج من النساء. بل لا عجب أن دعاهما ابنيه، فعن أنس بن مالك أنّه صلى الله عليه وآله كان يقول لفاطمة عليها السلام:

«أُدْعِي لِي ابْنَيَّ، فَإِذَا مَا جَاءَا إِلَيْهِ شَمَّهُمَا وَضَمَّهُمَا».[1]

---

١. الترمذي، سنن، ج٥، ص٣٢٣.

ونقل الترمذي في سننه عن «أُسامة بن زيد» أنّه قال:

طرقت باب النبيّ صلى الله عليه وآله في بعض الحاجة، فخرج رسول الله وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو، فلمّا فرغت عن حاجتي قلت: ما هذا الّذي أنت مشتمل عليه يا رسول الله؟

فكشفه، فإذا الحسن والحسين عليهما السلام، وقال:

«هَذَانِ ابْنَايَ وَابْنَا ابْنَتِي، اَللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُمَا».

وكان إسماهما عليهما السلام نغمة حلوة في فم أبي الزهراء صلى الله عليه وآله، يستعذبها ولا يملّ من ترديدها، وفيهما كان يجد أُنسه وسلوته عمّن فقد من الأبناء!

لقد آثر الله الزهراء بالنعمة الكبرى، فحصر في ولدها ذرّية نبيّه المصطفى صلى الله عليه وآله، وحفظ بها أشرف سلالة عرفتها العرب منذ كانت.

كما كرّم الله وجه «عليّ عليه السلام»، فجعل في صلبه نسل خاتم الأنبياء، فكان له من هذا الشرف مجد الدهر وعزّة الأبد.

ولعلّ محمّداً صلى الله عليه وآله لو خيّر أيّ بناته تكون وعاءاً لنسله الطهور، وأيّ أصهاره يكون أباً لأهل البيت الشريف، لاختار ما اختاره الله له!

فعليّ أقرب أصهاره إليه مكاناً وأمسّهم رحماً، في عروقه يجري الدم الهاشميّ الأصيل، وعند عبد المطّلب يلتقي نسبه بنسب الرسول، فكلاهما له حفيد!

وليس بمستغرب بعد هذا، أن يعي الزمن من آيات حبّ الرسول صلى الله عليه وآله للزهراء عليها السلام

وعليّ﵇ وبنيهما﵈، ما نستطيع معه أن نتمثّله﵌ وهو يرنو إلى بيت صهره «علـيّ﵇» كلّما مرَّ به، وقلبه الكريم يخفق حبّاً وحنوّا، فإذا وجد من وقته سعةً، عرج عـلى دار الأحبّة، فأسعد أهلها بعطفه، وأسبغ على حفيديه فيضاً من حنانه الغامر!

وعاشت له فاطمة﵍، كما عاش بنوها يملئـون دنيـا الرسـول بهجـةً وأُنسـاً، ويرضون فيه عاطفة الأُبوّة الّتي آدها ثكل البنين والبنـات، ولم يبـق لهـا إلّا هـذه البنت الحبيبة، تعوّض أباها عمّن فقد، وتعزّيه عمّن غاب.[١]

وروى ابن عبد البرّ القرطبي عن أبي هريرة قال: قال أبو هريرة:

أَبْصَرَتْ عَيْنَايَ هَاتَانِ وَسَمِعَتْ أُذُنَايَ رَسُولَ الله﵌، وَهُوَ آخِذٌ بِكَفَّيْ حُسَـيْنٍ وَقَدَمَاهُ عَلَى قَدَمِ رَسُولِ الله﵌ وَهُوَ يَقُولُ: «تَرَقَّ عَيْنَ بَقَّـةٍ»، قَـالَ: فَرَقِـيَ الْغُـلَامُ حَتَّى وَضَعَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِ رَسُولِ الله﵌، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله﵌: «إِفْتَحْ فَاكَ». ثُمَّ قَبَّلَهُ، ثُمَّ قَالَ: «اَللَّهُمَّ أَحِبَّهُ فَإِنِّي أُحِبُّهُ».[٢]

---

١. بنت الشاطي، بنات النبيّ، ص١٩٦-٢٠٢ (نقل بالمضمون).

٢. ابن عبد البرّ، الاستيعاب، ج١، ص٣٩٧-٣٩٨؛ السيوطي، الجامع الصغير، ج١، ص٥٧٣. نقـلاً عن الخطيب عن وكيع في الغرر وابن سنّي في عمل *اليوم والليلة*، وكذلك عن ابن عساكر عن أبي هريرة ونقل الحديث بهذا اللفظ: «حُزُقَّةٌ حُزُقَّةٌ تَـرَقَّ عَـيْنَ بَقَّـةٍ» (تـاريخ مدينـة دمشـق، ج١٣، ص١٩٤)، ورواه ابن منظور في *لسان العرب* بهذا اللفظ أيضاً (ج١٠، ص٢٤) ومن كلامه يستفاد أنّ النبيّ﵌ كان يلاطف الحسنين مراراً بهذا النحو.

روى العلايلي هذا الحديث وقال: إنَّ «عَيْنَ بَقَّةٍ» كلمة تؤثّر في روح الطفل وتدخل عليه البهجة والطراوة.

ثمّ يقول: ولقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله يمدُّه من رواء العاطفة كما يمدّه من رواء النبوّة، ويغمره بالحبّ ويسقيه من نَبْعة الشعور، حتّى يجيء حُقًّا قدسيّاً لمعنى قدسي، يقدّم فيه المُثاليَّة العظمى الّتي يَنشُدها الإنسان بالجدّ، فلا يخوض منها إلّا في السَّراب، والآل، وفيما يقصّ أبو هريرة شكل من أشكال تَخْليق النبيّ صلى الله عليه وآله للحسين عليه السلام تخليقاً مِثالياً، قال في حديث له: «أبصرت عيناي هاتان وسمعت أذناي رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو آخذ بكفّي حسين عليه السلام وقدماه على قدم رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو يقول ترقّ ترقّ عين بقّة، فرقي الغلام حتّى وضع قدميه على صدر رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: افتح فاك ثمّ قبّله، ثمّ قال:

«اَللَّهُمَّ أَحِبَّهُ فَإِنِّي أُحِبُّهُ».

فالنبيّ صلى الله عليه وآله خَتَمَ في نفس الغلام، على ما استودَع من معاني نفسه الكبيرة بقُبلة ناعمة، ثمّ قال يدعو: «اَللَّهُمَّ أَحِبَّهُ فَإِنِّي أُحِبُّهُ»، كأنّه قال للناس مشيراً إلى غلامه: «أَنَا هُنَا».

و«الْحُزُقَّة» بفتح الحاء وضمّ الزاء أو بضمّهما معاً، كلمة تقال للشخص الضعيف الصغير قصير القدمين، وتَرَقّ بمعنى إصعد، و«عَيْنُ بَقَّةٍ» كناية عن الصغر كما ذكر ذلك العلايلي، وهذه الجملة تقولها العرب لملاعبة الأطفال وملاطفتهم.

والحبّ لا يكون حبّاً إلّا إذا صاحبه الاصطفاء والاستخلاص، وأمّا إذا جاء دونهما فإنّما هو شيء من طَفح العاطفة، فلا تبالى أنّى وقعت. فالنبيّ صلى الله عليه وآله يحبّ حسيناً حقيقة الحبّ لأنّه مصطفاه، والله يحبّه لأنّ النبوّة تركت به شَفَقاً يعترض الأُفق في مفرق الغروب.[١]

ونقل ابن الأثير والسبط ابن الجوزي والطبري قال أبو مخنف:

«حدّثني سليمان بن أبي راشد، عن حُميد بن مسلم، قال: دعاني عمر بن سعد فسرَّحني إلى أهله لأُبشّرهم بفتح الله عليه وبعافيته، فأقبلت حتّى أتيت أهله، فأعلمتُهم ذلك، ثمّ أقبلت حتّى أدخل فأجد ابن زياد قد جلس للناس وأجد الوفد قد قدموا عليه؛ فأدخلهم. وأذن للناس، فدخلتُ فيمن دخل، فإذا رأس الحسين موضوع بين يديه، وإذا هو يَنكُت بقضيب بين ثنيّتيه ساعةً، فلمّا رآه زيد بن أرقم لا يُنجِم عن نَكته بالقضيب، قال له: «أُعْلُ بهذا القضيب عن هاتين الثنيَّتين، فوالّذي لا إله غيرُه لقد رأيتُ شَفَتي رسولِ الله صلى الله عليه وآله على هاتين الشفتين يقبّلهما» ثمّ انفضح الشيخُ يبكي؛ فقال له ابن زياد: أبكَى الله عينك! فوالله لولا أنّك شيخ قد خَرِفتَ وذهب عقلك لضربتُ عنقَك. قال: فنهض فخرج، فلمّا خرج سمعتُ الناس يقولون: والله لقد قال زيد بن أرقم قولاً لو سمعه ابن زياد لقتَلَه. قال: فقلت: ما قال؟ قالوا: مرّ بنا وهو يقول: ملَك عبدٌ عبداً، فاتّخذهم تُلداً. أنتم يا

---

١. العلايلي، سُموّ المعنى في سُموّ الذات، ص٧٦- ٧٧.

معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، وأمَّرتم ابن مُرجانة فهو يقتل خيارَكم، ويستعبد شِراركم، فرضيتم بالذلّ، فبعداً لمن رضي بالذلّ![1]

ونقل في «البدء والتاريخ» أنّ يزيد أمر أن يوقفوا نساء الحسين عليه السلام وبنات الرسالة بباب المسجد حيث يحبس الأُسارى كي يتفرّج الناس عليهم ووضع رأس الحسين بين يديه وأخذ يضربه بعمود الخيزران أو بالسيف ويقول:

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرٍ شَهِدُوا | جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسَلِّ
لَأَهَلُّوا وَاسْتَهَلُّوا فَرَحاً | وَلَقَالُوا يَا يَزِيدُ لَا تَشَلَّ[2]

روى ابن الأثير والترمذي والطبري عن أبي برزة وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال ليزيد:

«أتَنكُت بقضيبكَ في ثغر الحسين عليه السلام؟! أما لقد أخذَ قضيبُكَ من ثَغرِهِ مأخذاً، لربّما رأيتُ رسول الله يَرشِفُهُ، أما إنّك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك، ويجيء هذا يوم القيامة ومحمّد صلى الله عليه وآله شفيعه. ثمّ قام فولّى.[3]

١. ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج٢، ص٢١؛ ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٨١؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢٦٧؛ راجع أيضاً: الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٤٩.

٢. المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص١٢.

٣. ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٨٥؛ ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج٥، ص٢٠؛ الترمذي، سنن، ج١٣، ص٣٢٧؛ الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٥٦.

٦. النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله يحملُ الحسين عليه السلام على كتفه

وردت روايات كثيرة في أنّ النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله كان يحمل الحسين عليه السلام على كتفه وعلى صدره، وقد روى أهل السنّة ذلك أمثال ابن حجر العسقلاني عن أبي هريرة، وعبد الله البغوي عن شدّاد وأبو نعيم في *الحلية* عن ابن مسعود، وأبو حاتم عن عبد الله وجابر وابن أبي الغرّاء عن أنس، رووا هذا المعنى من تعلّق النبيّ العاطفي والروحي بولديه الحسن والحسين عليهما السلام.[1]

ويُستفاد من جملة الأحاديث تكرّر حمل النبيّ صلى الله عليه وآله الحسنَ والحسينَ على كتفه، وكذلك ارتقاءهما ظهر رسول الله حال الصلاة وهما صبيَّين. وعُرِفَ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يؤخّر رفع رأسه من السجود حتّى ينزل الحسن أو الحسين عن كتفه، بل ويستفاد من بعضها توبيخُ النبيّ صلى الله عليه وآله لمن لا يعرف قدر الحسن والحسين عليهما السلام.

وفي هذا السياق روى أبو سعيد في «شرف النبوّة» عن عبد العزيز بإسناده عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً فأقبل الحسن والحسين فلمّا رآهما صلى الله عليه وآله قام لهما واستبطأ بلوغهما إليه فاستقبلهما وحملهما على كتفيه وقال: «**نِعْمَ الْـمَطِيُّ مَطِيُّكُماَ، وَنِعْمَ الرَّاكِبَانِ أَنْتُمَا**».[2]

---

١. ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٢، ص٦٢؛ الطبري، ذخائر العقبى، ص١٢٣، ١٣٢.

٢. أبو سعيد، شرف المصطفى، ج٥، ص٢٩٤؛ راجع أيضاً: الطبري، ذخائر العقبى، ص١٣٠.

وروى الشبلنجي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله مرَّ بالحسن والحسين عليهما السلام وهما يلعبان، فطأطأ لهما عنقه وحملهما وقال: «**نِعْمَ الْـمَطِيَّةُ مَطِيَّتُهُمَا، وَنِعْمَ الرَّاكِبَانِ هُمَا**».[1]

وروى جمال الدين الحنفي والترمذي وابن حجر عن ابن عبّاس قال:

«أقبل النبيّ صلى الله عليه وآله وقد حمل الحسن على رقبته، فلقيه رجل، فقال: نعم المركب ركبتَ يا غلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «وَنِعْمَ الرَّاكِبُ هُوَ».[2]

وروى الزرندي عن عُمر وجابر وسعد وأنس روايات أُخرى في هذا المعنى.[3]

٧. حبُّ الحُسين عليه السلام فرضٌ

إنَّ الأحاديث الّتي وردت في وجود حُبِّ الحسين عليه السلام بلغت حدَّ التواتر فقد روى ابن عبد البرّ وأبو حاتم والمحبّ الطبري عن عبد الله بن عمر أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال:

«**مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ هَذَيْنِ**»؛ يعني الحسن والحسين عليهما السلام.

وقال ابن عبد البرّ: وروى مثل هذا الحديث في المعجم البغوي عن شدّاد بن الهاد.[4] وروى الدولابي وأحمد بن حنبل عن يعلى بن مرّة قال: جاء الحسن

١. الشبلنجي، نور الأبصار، ص٢٧٩.

٢. الترمذي، سنن، ج٥، ص٣٢٧؛ الزرندي، نظم درر السمطين، ص٢١٢؛ ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص١٣٧-١٣٨.

٣. الزرندي، نظم درر السمطين، ص٢١٢- ٢١١.

٤. ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٢، ص٦٣؛ الطبري، ذخائر العقبى، ص١٢٣.

والحسين يستبقان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء أحدهما قبل الآخر فجعل يَدَه في عُنُقه فضمّهُ إلى بطنه صلى الله عليه وآله وقبّل هذا ثمّ قبَّلَ هذا ثمّ قال:

«إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبُّوهُمَا».[١]

٨. فضلُ حُبِّ الحسين عليه السلام وعقابُ من أَبْغَضَهُ

روى ابن ماجة، ابن حجر، الديلمي، المناوي، أحمد، الحاكم، السيوطي، ابن حجر الهيتمي، هارون الرشيد عن آبائه عن ابن عبّاس، المحبّ الطبري، أبو سعيد ابن حرب الطائي، السلفي، أبو طاهر البالسي، ابن السريّ وابن الجوزي عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله قال:

«مَنْ أَحَبَّ الْـحَسَنَ والْـحُسَيْنَ فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي».

وهذا الحديث مشهور ومعروف بين المحدّثين، وبعض طرقه تنتهي إلى أبي هريرة ومضمونه: أنّ النبيّ خرج ذات يوم ومعه الحسن والحسين على كتفه يقبّل مرّةً هذا ومرّةً هذا حتّى وصل عندنا، فقال: **«مَنْ أَحَبَّ هَذَيْنِ فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي»**.

وقد نقل بعض الرواة المقطع الأوّل فقط، ونقله بعضهم الآخر هكذا:

«هَذَانِ ابْنَايَ مَنْ أَحَبَّهُمَا فَقَدْ أَحَبَّنِي».

---

١. الطبري، ذخائر العقبى، ص١٢٣.

وفي أحد الحديثين اللذين رواهما هارون الرشيد في هذا الموضوع جاء:

«الْـحَسَنُ وَالْـحُسَيْنُ مَنْ أَحَبَّهُمَا فَفِي الْـجَنَّةِ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَفِي النَّارِ».[١]

وروى الترمذي وأحمد: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ أَخَذَ بِيَدِ حَسَنٍ وَحُسَيْنٍ فقال: **«مَنْ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ هَذَيْنِ وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا كَانَ مَعِيَ فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**.[٢]

وروى الطبراني عن سلمان أنّ النبيّ ﷺ قال:

«مَنْ أَحَبَّ الْـحَسَنَ وَالْـحُسَيْنَ أَحْبَبْتُهُ، وَمَنْ أَحْبَبْتُهُ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَحَبَّهُ اللهُ أَدْخَلَهُ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا أَوْ بَغَى عَلَيْهِمَا أَبْغَضْتُهُ، وَمَنْ أَبْغَضْتُهُ أَبْغَضَهُ اللهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُ اللهُ أَدْخَلَهُ جَهَنَّمَ وَلَهُ عَذَابٌ مُقِيمٌ».[٣]

٩. النظر إلى سيّد شباب أهل الجنَّة

روى ابن حبّان، أبو يعلى، ابن عساكر، ابن سعيد، المحبّ الطبري، الشبلنجي

---

١. أحمد بن حنبل، مسند، ج٢، ص٢٨٨؛ ابن ماجة القزويني، سنن، ج١، ص٥١؛ الزرندي، نظم درر السمطين، ص٢٠٩-٢١٠؛ ابن طلحة الشافعي، مطالب السؤول، ص٣٧٧؛ الطبري، ذخائر العقبى، ص١٢٣-١٢٤؛ ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص١٩٢؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٢، ص٦٢؛ السيوطي، الجامع الصغير، ج٢، ص١١٦، ٥٥٤؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٨٩.

٢. أحمد بن حنبل، مسند، ج١، ص٧٧؛ الترمذي، سنن، ج٥، ص٣٠٥.

٣. الطبراني، المعجم الكبير، ج٣، ص٥٠؛ المتّقي الهندي، كنز العمّال، ج١٢، ص١٢٠-١٢١.

والصبّان عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: «**مَنْ أَحَبَّ (أَوْ مَنْ سَرَّهُ) أَنْ يَنْظُرَ إِلَى سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْـجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا**».

ورُوي أيضاً عن جابر بهذا اللفظ:

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْـجَنَّةِ -وَفِي لَفْظٍ: «إِلَى سَيِّدِ شَبَابِ أَهْـلِ الْـجَنَّةِ»- فَلْيَنْظُرْ إِلَى الْـحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ».[١]

١٠. محبّو الحسين عليه السلام في الجنّة

روى في «سيرة الملّا» عن ابن عبّاس حديثاً طويلاً عن النبيّ صلى الله عليه وآله في فضائل الحسنين عليهما السلام يقول في آخره: «**إِنَّ الْـحَسَنَ وَالْـحُسَيْنَ عليهما السلام وَعَمَّهُمَا وَعَمَّتَهُمَا فِي الْـجَنَّةِ، وَمَنْ أَحَبَّهُمَا فَفِي الْـجَنَّةِ، وَمَنْ عَادَاهُمَا فَفِي النَّارِ**».[٢]

ورواه في «نظم درر السمطين» عن هارون الرشيد وذكر أنّ هارون كلّما ذكر هذا الحديث جرت دموعه وخنقَتْهُ الْعَبْرَةُ».[٣]

---

١. أبو يعلى الموصلي، مسند، ج٣، ص٣٩٧؛ ابن حبّان البستي، صحيح، ج١٥، ص٤٢١-٤٢٢؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٣، ص٢٠٩-٢١٠؛ ج١٤، ص١٣٦-١٣٧؛ الطبري، ذخائر العقبي، ص١٣٠؛ الشبلنجي، نور الأبصار، ص٢٩٥؛ الصبّان، إسعاف الراغبين، ص١٥٥.

٢. الطبري، ذخائر العقبي، ص١٣٠-١٣١.

٣. الزرندي، نظم درر السمطين، ص٢١٣. هذا اعتراف صريح من أهل الباطل على حقّانية أهل الحقّ.

وروى نظيره صاحب كتاب «السنّة» عن حذيفة.[١]

١١. دَرَجَةُ الوَسيلَة

روى ابن مردويه عن عليّ عليه السلام أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله قال:

«فِي الْـجَنَّةِ دَرَجَةٌ تُدْعَى الْوَسِيلَة فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوا إِلَيَّ الْوَسِيلَةَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ يَسْكُنُ مَعَكَ فِيهَا؟ قَالَ: عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْـحَسَنُ وَالْـحُسَيْنُ».[٢]

١٢. الحسين عليه السلام مع النبيّ في دَرَجتِهِ

روى أحمد والطبراني وابن الأثير عن عليٍّ عليه السلام والحاكم في مستدركه عن أبي سعيد أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام:

«يَا فَاطِمَةُ إِنِّي وَإِيَّاكِ وَهَذَا الرَّاقِدَ (يَعْنِي عَلِيّاً) وَالْـحَسَنَ وَالْـحُسَيْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَفِي مَكَانٍ وَاحِدٍ».[٣]

وروى الطبراني عن أبي موسى أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال:

---

١. الزرندي، نظم درر السمطين، ص٢٠٧، ٢١٣.

٢. ابن مردويه الأصفهاني، مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ص١٨٨؛ المتّقي الهندي، كنز العمّال، ج١٢، ص١٠٣.

٣. أحمد بن حنبل، مسند، ج١، ص١٠١؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج٢٢، ص٤٠٦؛ ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج٥، ص٢٦٩؛ الحاكم النيشابوري، المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٣٧؛ المتّقي الهندي، كنز العمّال، ج١٢، ص٩٢.

«أَنَا وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي قُبَّةٍ تَحْتَ الْعَرْشِ».[١]

وروى عمر بن الخطّاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«أَنَا وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ فِي حَظِيرَةِ الْقُدْسِ فِي قُبَّةٍ بَيْضَاءَ وَسَقْفُهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ».

ومثله عن أبي هُريرة.[٢]

١٣. وُجوبُ نُصرَة الحسين عليه السلام

إنّ هذه المفردة مستفادة بوضوح من الأحاديث السابقة وكذا فيما سيأتي منها، ولو أنَّ أمثال عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وغيرهم ممّن تيقّنوا عدم شرعية حكومة يزيد، كانوا قد نصروا الحسين عليه السلام، لكان وضع الأُمّة الإسلامية اليوم غير الّذي هي عليه، وهذه من أكبر الإشكالات على أُولئك النفر من المسلمين.

وقد روى أنس بن الحارث بن نبيه -وهو أحد شهداء كربلاء مع الحسين عليه السلام- عن أبيه وهو من صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله ومن أهل الصفَّة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول مشيراً إلى الحسين الّذي كان في حجره:

---

١. الحموئي، فرائد السمطين، ج١، ص٤٩، ح١٣؛ المتّقي الهندي، كنز العمّال، ج١٢، ص١٠٠.

٢. الحموئي، فرائد السمطين ج١، ص٤٩، ح١٤.

«إِنَّ ابْنِي هَذَا يُقْتَلُ فِي أَرْضٍ يُقَالُ لَـهَا الْعِرَاقُ فَمَنْ أَدْرَكَهُ فَلْيَنْصُرْهُ».[١]

ورواه السيوطي عن البغوي، ابن عساكر والباوردي وابن منده وابن السكن عن أنس بن الحارث بهذا اللفظ:

«إِنَّ ابْنِي هَذَا يُقْتَلُ بِأَرْضٍ مِنَ الْعِرَاقِ يُقَالُ لَـهَا كَـرْبَلَاءُ فَمَـنْ شَـهِدَ ذَلِـكَ مِنْهُمْ فَلْيَنْصُرْهُ».[٢]

وروى الخوارزمي في خبر طويل أنّ الحسين عليه السلام قال لابن عبّاس: أتَعلَم أنّي ابن بنت رسول الله؟ فقال: اللّهمّ نعم، لا نعرف في الدنيا أحداً هو ابن بنـت رسـول الله غيرك، وإنّ نصرك لفرض على هذه الأُمّة كفريضة الصـيام والزكـاة الّتـي لا تقبل إحداهما دون الأُخرى، فقال الحسين عليه السلام يـا ابـن عبّـاس، فـما تقـول في قـوم أخرجوا ابن بنت رسول الله من وطنه وداره، وموضـع قـراره ومولـده، وحـرم رسوله ومجاورة قبره ومسـجده وموضـع مهاجرتـه، وتركـوه خائفـاً مرعوبـاً لا

---

١. ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسين، ص٣٤٧-٣٤٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينـة دمشـق، ج١٤، ص٢٢٣؛ ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج١، ص٣٤٩؛ المتّقي الهندي، كنز العمّال، ج١٢، ص١٢٦.

٢. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٤، ص٢٢٤؛ ابن كثير، البداية والنهايـة، ج٨، ص٢٧١؛ ابـن الحجر العسقلاني، الإصـابة، ج١، ص٢٧١؛ الصـالحي الشـامي، سـبل الهـدى والرشـاد، ج١١، ص٧٥؛ المتّقي الهندي، كنز العمّال، ج١٢، ص١٢٦.

يستقرّ في قرار ولا يأوي إلى وطن، يريدون بذلك قتله وسفك دمه، وهو لم يشرك بالله شيئاً ولا اتّخذ دون الله وليّاً ولم يتغيّر عمّا كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وخلفاؤه من بعده. فقال ابن عبّاس ما أقول فيهم إلّا أنّهم كفروا بالله ورسوله لَا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلَّا وهُمْ كُسالى ﴿يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً * مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ...﴾ الآية، فعلى مثل هؤلاء تنزل الطبشة الكبرى؛ وأمّا أنت أبا عبد الله فإنّك رأس الفخار، ابن رسول الله، وابن وصيّه، وفرخ الزهراء نظيرة البتول، فلا تظنّ يا ابن رسول الله بأنّ الله غافل عمّا يعمل الظالمون، وأنا أشهد أنّ من رغب عن مجاورتك ومجاورة بنيك، فما له في الآخرة من خلاق، فقال الحسين: اللّهمّ اشهد، فقال ابن عبّاس: جعلت فداك يا ابن رسول الله كأنّك تنعى إلى نفسك؛ وتريد منّي أن أنصرك؛ فوالله الّذي لا إله إلّا هو لو ضربت بين يديك بسيفي، حتّى ينقطع وتنخلع يداي جميعاً لما كنت أبلغ من حقّك عشر العشير؛ وها أنا بين يديك فمرني بأمرك.

وهذا الخبر طويل وسننقل بعض مقاطعه في الصفحات اللاحقة وفي أوّل هذا الخبر أنّ عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «حُسَيْنٌ مَقْتُولٌ فَلَئِنْ خَذَلُوهُ وَلَمْ يَنْصُرُوهُ لَيَخْذُلَنَّهُمُ اللهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».[1]

---

١. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج١، ص١٩١-١٩٢؛ فصل ١٠؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٥، ص٢٣-٢٦.

١٤. أوّل من يَدخُل الجَنَّةَ

روى الحاكم وابن سعد عن عليّ عليه السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال:

«إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَنَا وَأَنْتَ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ». قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: فَقُلْتُ: «فَمُحِبُّونَا؟»، قَالَ صلى الله عليه وآله: «مِنْ وَرَائِكُمْ».[1]

ورواه الطبراني وأحمد بن حنبل في المناقب أيضاً.[2]

١٥. القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف من وُلدِ الحَسين عليه السلام

روى حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ رَجُلاً مِنْ وُلْدِي اسْمُهُ كَاسْمِي». فَقَالَ سَلْمَانُ: مِنْ أَيِّ وُلْدِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مِنْ وُلْدِ هَذَا»، وَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى الْحُسَيْنِ».[3]

---

١. الحاكم النيشابوري، المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٥١؛ راجع أيضاً: الطبري، ذخائر العقبي، ص١٢٣؛ ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص١٥٣؛ المتّقي الهندي، كنز العمّال، ج١٢، ص٩٨، القندوزي، ينابيع المودّة، ج٢، ص٤٤٨.

٢. راجع: ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص١٥٣؛ الطبري، ذخائر العقبي، ص١٢٣؛ المتّقي الهندي، كنز العمّال، ج١٢، ص٩٨.

٣. الطبري، ذخائر العقبى، ص١٣٦ - ١٣٧؛ الإربلي، كشف الغمّة، ج٣، ص٢٦٨-٢٦٩؛ القندوزي، ينابيع المودّة، ج٣، ص٣٨٥-٣٨٦. وهناك أكثر من ١٨٠ حديثاً تدلّ على هذا المضمون. راجع: كتاب *منتخب الأثر* للمؤلّف، باب ٨، فصل ٢.

١٦. القائم عليه السلام هو التاسع مِنْ وُلدِ الحسين عليه السلام

رُوي عن سلمان قال: دخلت عن النبيّ صلى الله عليه وآله وإذا الحسين على فخذه وهو يقبّل عينيه ويلثم فاه ويقول: «**إِنَّكَ سَيِّدٌ ابْنُ سَيِّدٍ أَبُو سَادَةٍ، إِنَّكَ إِمَامُ ابْنُ إِمَامٍ أَبُو أَئِمَّةٍ، إِنَّكَ حُجَّةُ ابْنُ حُجَّةٍ أَبُو حُجَجٍ تِسْعَةٍ مِنْ صُلْبِكَ تَاسِعُهُمْ قَائِمُهُمْ**».[١]

روى الحموئي في خبر طويل عن النبيّ صلى الله عليه وآله قَالَ: «اَلْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ إِمَامَا أُمَّتِي بَعْدَ أَبِيهِمَا وَسَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأُمُّهُمَا سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَأَبُوهُمَا سَيِّدُ الْوَصِيِّينَ، وَمِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ عليه السلام تِسْعَةُ أَئِمَّةٍ تَاسِعُهُمُ الْقَائِمُ مِنْ وُلْدِي، طَاعَتُهُمْ طَاعَتِي، وَمَعْصِيَتُهُمْ مَعْصِيَتِي، إِلَى اللهِ أَشْكُو الْمُنْكِرِينَ لِفَضْلِهِمْ، وَالْمُضِيعِينَ لِحُرْمَتِهِمْ بَعْدِي، وَكَفَى بِاللهِ وَلِيّاً وَنَاصِراً لِعِتْرَتِي وَأَئِمَّةِ أُمَّتِي، وَمُنْتَقِماً مِنَ الْجَاحِدِينَ حَقِّهِمْ ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾».[٢]

١٧. ثمرةُ شجرة النبوّة

روى الحموئي، السمعاني، القندوزي والخوارزمي عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله بعرفات وعليّ عليه السلام تجاهه فأومى إلى عليٍّ فأتاه. قال:

---

١. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج١، ص١٤٦، ف ٧؛ القندوزي، ينابيع المودّة، ج٢، ص٤٤، ٣١٦.

٢. الحموئي، فرائد السمطين، ج١، ص٥٤-٥٥، ح١٩. والأحاديث في هذا الموضوع متواترة، فراجع: منتخب الأثر للمؤلّف، باب ١٠، فصل ٢.

«أُدْنُ مِنِّي يَا عَلِيُّ». فَدَنَا عَلِيٌّ مِنْهُ فَقَالَ: «اِطْرَحْ خَمْسَكَ فِي خَمْسِي (يَعْنِي كَفَّكَ فِي كَفِّي) يَا عَلِيُّ أَنَا وَأَنْتَ مِنْ شَجَرَةٍ، أَنَا أَصْلُهَا وَأَنْتَ فَرْعُهَا وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ أَغْصَانُهَا، فَمَنْ تَعَلَّقَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا أَدْخَلَهُ اللهُ تَعَالَى الْجَنَّةَ». يَا عَلِيُّ لَوْ أَنَّ أُمَّتِي صَامُوا حَتَّى يَكُونُوا كَالْحَنَايَا، وَصَلُّوا حَتَّى يَكُونُوا كَالْأَوْتَارِ ثُمَّ أَبْغَضُوكَ لَأَكَبَّهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي النَّارِ».[1]

وروى الگنجي الشافعي عن ***تاريخ بغداد*** للخطيب عن عليّ عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أَنَا أَصْلُهَا وَعَلِيٌّ فَرْعُهَا، وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ثَمَرَتُهَا، وَالشِّيعَةُ وَرَقُهَا، فَهَلْ يَخْرُجُ مِنَ الطَّيِّبِ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَأَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا فَمَنْ أَرَادَ الْمَدِينَةَ فَلْيَأْتِهَا مِنْ بَابِهَا».[2]

والأخبار بهذا المضمون كثيرة.

وقد نظم بعض الشعراء في ذلك فقال:

يَا حَبَّذَا دَوْحَةً فِي الْخُلْدِ نَابِتَةٌ ... مَا مِثْلُهَا نَبَتَتْ فِي الْخُلْدِ مِنْ شَجَرِ

اَلْمُصْطَفَى أَصْلُهَا وَالْفَرْعُ فَاطِمَةُ ... ثُمَّ اللِّقَاحُ عَلِيٌّ سَيِّدُ الْبَشَرِ

---

١. الحموئي، فرائد السمطين، ج١، ص٥١، ص١٦؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج١، ص١٠٨، فصل ٦؛ القندوزي، ينابيع المودة، ج١، ص٢٧٠.

٢. الگنجي الشافعي، كفاية الطالب، ص٢٢٠.

وَالْـهَاشِمِيَّانِ سِبْطَاهُ لَـهَا ثَمَرٌ وَالشِّيعَةُ الْوَرَقُ الْـمُلْتَفُّ بِالثَّمَرِ
أَنَّا بِحُبِّهِمْ أَرْجُو النَّجَاةَ غَداً وَالْفَوْزَ فِي زُمْرَةٍ مِنْ أَفْضَلِ الزُّمَرِ
هَذَا هُوَ الْـخَبَرُ الْمَأْثُورُ جَاءَ بِهِ أَهلُ الرِّوَايَةِ فِي الْعَالِي مِنَ الْأَثَرِ

١٨. وديعة الرسول صلى الله عليه وآله

نقل الشبراوي والسبط ابن الجوزي أنّ زيد بن أرقم اعترض على ابن زياد عندما رآه يضرب ثنايا أبي عبد الله الحسين عليه السلام وقال: إرفع قضيبك، فوالله لطالما رأيت رسول الله يقبّل ما بين هاتين الشفتين. وبكى زيد فأغلظ عليه ابن زياد وهدّده بالقتل وقال: لولا أنّك شيخ قد خرفت لضربت عنقك. فنهض زيد بن أرقم من مجلس ابن زياد وهو يقول: أيّها الناس أنتم العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة وولّيتم ابن مرجانة والله ليقتلنّ أخياركم وليستعبدنّ سراتكم، فبعداً لمن رضي بالذلّ والعار، ثمّ التفت راجعاً لابن زياد وقال:

لأُحدّثنّك بما هو أغيظ عليك من هذا، رأيت رسول الله أقعد حسناً على فخذه اليمنى وحسيناً على فخذه اليسرى، ثمّ وضع يده على يافوخهما ثمّ قال:

«اَللَّهُمَّ إِنِّي اَسْتَودِعُهُمَا إِيَّاكَ وَصَالِحَ الْـمُؤْمِنِينَ».

فكيف كانت وديعة النبيّ عندك يا ابن زياد. قال: فغضب ابن زياد وهمَّ بقتله.[١]

---

١. الشبراوي، الإتحاف بحبّ الأشراف، ص١٧؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢٦٧.

وروى هذا الدعاء السيوطي والمناوي نقلاً عن الطبراني عن رسول الله صلى الله عليه وآله.[١]

١٩. دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّ الحسين عليه السلام

روى الطبرائي عن واثلة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله دعا في حقّ عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال:

«اَللَّهُمَّ إِنَّكَ جَعَلْتَ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ وَمَغْفِرَتَكَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْـرَاهِيمَ، اَللَّهُمَّ إِنَّهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، فَاجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ وَمَغْفِرَتَكَ وَرِضْوَانَكَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ (يَعْنِي عَلِيّاً وَفَاطِمَةَ وَحَسَناً وَحُسَيْناً)».[٢]

٢٠. اشتقاق اسم الحسين عليه السلام من اسم الله تعالى

عن أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«لمّا خلق الله تعالى آدم أبا البشر ونفخ فيه من روحه التفت آدم يمنة العرش فإذا في النور خمسة أشباح سُجّداً رُكّعاً. قال آدم: يا ربّ هل خلقت أحداً من طين قبلي؟ قال: لا يا آدم. قال: فمن هؤلاء الخمسة الأشباح الّذين أراهم في هيئتي وصورتي؟ قال: هؤلاء خمسة من ولدك لولا هم ما خَلقتك. هؤلاء

١. المناوي، كنوز الحقائق، ج١، ص٤٣.

٢. المتّقي الهندي، كنز العمّال، ج١٢، ص١٠١.

شققت لهم خمسة أسماء من أسمائي. لولاهم ما خلقت الجنّة والنار، ولا العرش ولا الكرسيّ ولا السماء ولا الأرض ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجنّ، فأنا المحمود وهذا محمّد، وأنا العالي وهذا عليّ، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الإحسان وهذا الحسن وأنا المحسن وهذا الحسين، آليت بعزّتي إنّه لا يأتيني أحد بمثقال ذرّة من خردل من بغض أحدهم إلّا أدخلته ناري ولا أُبالي. يا آدم هؤلاء صفوتي من خلقي، بهم أُنجيهم وبهم أُهلكهم، فإذا كان لك إليّ حاجة فبهؤلاء توسّل.

فَقَالَ النبيّ صلى الله عليه وآله: «**نَحْنُ سَفِينَةُ النَّجَاةِ، مَنْ تَعَلَّقَ بِهَا نَجَا، وَمَنْ حَادَ عَنْهَا هَلَكَ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِلَى اللهِ حَاجَةٌ فَلْيَسْأَلْ بِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ**».[١]

وروى سلمان الفارسي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

أنا وعليّ بن أبي طالب من نور الله عن يمين العرش، نسبّح الله ونقدّسه من قبل أن يخلق الله عزّ وجلّ آدم بأربعة عشر ألف سنة، فلمّا خلق الله آدم نقلنا إلى أصلاب الرجال وأرحام النساء الطاهرات، ثمّ نقلنا إلى صلب عبد المطّلب وقسّمنا نصفين، فجعل نصفاً في صلب أبي عبد الله، وجعل النصف الآخر في صلب أبي طالب، واشتقّ الله تعالى لنا من أسمائه أسماءاً، فالله عزّ وجلّ محمود

---

١. الحموئي، فرائد السمطين، ج١، ص٣٦-٣٧، ح١.

وأنا محمّد، والله الأعلى وأخي علّي، والله الفاطر وابنتي فاطمة، والله محسن وابناي الحسن والحسين، وكان اسمي في الرسالة والنبوّة، وكان اسمه في الخلافة والشجاعة، وأنا رسول الله وعليّ وليّ الله».[1]

٢١. إرث الحسنين عليهما السلام من النبيّ صلى الله عليه وآله

ورث الحسنُ والحسينُ عليهما السلام كمالات النبيّ صلى الله عليه وآله العلميّة والروحية والأخلاقية والجسدية. ولقد كان المسلمون يرون في الحسين عليه السلام التجسيد الحقيقي لرسول الله صلى الله عليه وآله في سماته وسلوكه وأخلاقه وروحانيته.

ولا عجب في ذلك بعد أن تبيّن لنا أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله كان للحسن والحسين عليهما السلام الحجر الشفيق الرؤوف العطوف والمعلّم المخلص والأب الرحيم. كان يُحبّهما

١. الحموئي، فرائد السمطين، ج١، ص٣٦-٣٧، ح١. إنّ أمثال هذه الأحاديث تعدُّ إشارة إلى مقام هؤلاء الخمسة الأطهار وأنّهم متأدّبون بالأدب الإلهي وأنّ تربيتهم تربية إلهية وأنّ أخلاقهم هي أخلاقٌ إلهية، وكما أنّ الاسم يدُلُّ على المسمّى فكذلك أسماؤهم المشتقّة من الحقّ جلّ وعلا تدلّنا عليه سبحانه وتعالى، كما أنّ ذلك يدلّ على ارتباطهم الوثيق بعالم الغيب، وقد ورد في الخبر عنهم عليهم السلام: «نَحْنُ وَاللهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى». العيّاشي، تفسير، ج٢، ص٤٢؛ الكليني، الكافي، ج١، ص١٤٣-١٤٤؛ الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، ج٢، ص٢٥٥. والموجودات وإن كانت كلّها أسماء الحقّ تعالى لكن هذه الأنوار الخمسة المقدّسة تمتاز بمقام شامخ وأنّ دلالتها على المسمّى دلالة أظهر وأوضح من سائرها، وأمّا سبب تعدّد أسمائهم فشرحه خارج عن إطار هذا الكتاب.

ويشمُّهُما ويقبِّلُهما ويمصُّ لسانهما ويحملهما على كتفه المبارك ويقول: «**إِنَّهُمَا رَيْحَانَتَايَ**».

وكان صلوات الله عليه يحتضنُهُما كوُلده، ويتأذّى لبكائهما، ويضعهما إلى جنبه الشريف وعلى صدره، ويلتذّ من سماع إسمهما، ويصطحبهما معه إلى السوق والمسجد والدار. وكان يهتمُّ لأمرهما حتّى وهو في حال الصلاة أو الخطبة.

والأخبار المرويّة في كتب أهل السنّة المعتبرة، كلّها حاكية عن هذا اللطف والرعاية النبويّة والعواطف الأبويّة.

وهذه الأحاسيس والعواطف النبويّة وإن كانت تُعدُّ نموذجاً لتواضع النبيّ صلى الله عليه وآله وبساطته في العيش، إلّا أنّها في نفس الوقت تحكي عن تمركز العواطف الأبويّة الشديدة والجيّاشة تجاه الحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام. لأنّها عواطفُ صادرة عن رسول الله الّذي هو في غاية الاعتدال والاستقامة في كلّ الكمالات، والحبّ والرضا لا يجعلانه يبالغ في وصف الآخرين ولو بكلمة واحدة، بل إنَّ لياقة الحسنين وعلوّ شأنهما وصلاحيتهما هي الّتي دعت النبيّ صلى الله عليه وآله إلى وصفهما بتلك الأوصاف وإلى صبّ محبّته ولطفه فيهما، فلم تكن المسألة مجرّد أحاسيس أبويَّة عارية عن الحقيقة والمصداقية، بل كان النبيّ صلى الله عليه وآله يرى في سيماهُم سرّاً إلهيّاً كشف عنه النبيّ صلى الله عليه وآله بوصفه إيّاهم بتلك الكلمات.

وبحسب ما جاء في أحاديث الثقلين الشريفة، وأحاديث «إمامان قاما أو قعدا» وأحاديث «السفينة» وغيرها وهي كثيرة، وقد أوردناها في كتابنا الّذي ألّفناه في

إثبات حجّية فقه الشيعة ودلالتها الواضحة والصريحة، بحسب كلّ ذلك يثبت أنّ الحسن والحسين عليهما السلام هما وارثا علوم النبيّ صلى الله عليه وآله وكلٌّ منهما هو الإمام والقائد الحقيقي للأُمّة ووصيّ النبيّ هو أن يكون ميزاناً لتعادل واعتدال الأُمور، أي أن يكون مركزاً ومحوراً لطلّاب الحقيقة والهُدى، ودليلاً للسائرين في قافلة النجاة كي لا يتخلّف عن القافلة أحد فيضلّ، ولا يتقدّم عنها أحدٌ فيضيع، وإلى هذا المعنى أشار رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله في ذيل بعض نقولات حديث الثقلين الصحيحة:

«**فَلَا تُقَدِّمُوهُمَا فَتَهْلِكُوا، وَلَا تَقْصُرُوا عَنْهُمَا فَتَهْلِكُوا، وَلَا تُعَلِّمُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ**».[1]

إذن فالإمام الحسين عليه السلام هو وارث علم وكمال رسول الله صلى الله عليه وآله بلا شكّ، وأنّ جميع الناس فقراء إلى علمه ومعرفته افتقارهم لعلم ومعرفة رسول الله صلى الله عليه وآله.

هذا وقد جاء في روايات متعدّدة ذكرتها الكتب المعتبرة أنَّ فاطمة الزهراء عليها السلام جاءت بالحسن والحسين إلى رسول الله في مرضه الّذي توفّي فيه وطلبت منه أن يورِّثهما، فقال:

«**أَمَّا الْحَسَنُ فَلَهُ هَيْبَتِي وَسُؤْدَدِي، وَأَمَّا الْحُسَيْنُ فَلَهُ جُرْأَتِي وَجُودِي**».[2]

---

١. ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص١٥٠، ٢٢٨.

٢. الزرندي، نظم درر السمطين، ص٢١٢؛ الگنجي الشافعي، كفاية الطالب، ص٤٢٤؛ الطبري، ذخائر العقبى، ص١٢٩؛ ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص١٩١؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٨، ص١٥٨.

وهذه الأحاديث إنّما تكشف عن جانب صغير من الكمالات الأخلاقية والروحية الّتي ورثها الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام من جدّهما.

والسرُّ في هذا الاختلاف في التعابير هو اختلاف الظروف الخاصّة بكلّ واحد من الحسنين في قيادة الأُمّة، وجاءت أحاديث النبيّ الأكرم مصدِّقةً لسلوكهما مع الأُمّة، كلٌّ بحسب عصره وليعلم الناس أنَّ مصدر هذين الأُسلوبين في القيادة واحدٌ وهو التكليف الديني والإرشاد النبويّ المتلقّى من الوحي والّذي أمرهما به النبيّ الأكرم، ولا يتخلّف سلوكهما أيّاً كان عن سلوك رسول الله صلى الله عليه وآله لأنّ الحسن والحسين عليهما السلام كلاهُما جامعٌ لكمالات المصطفى ووارث لأخلاقه وكلاهما حافظ للدين والقرآن المبين.

الإخبار باستشهاد الحسين عليه السلام[1]

من جملة معجزات النبيّ المصطفى المهمّة هي إخباراته وتنبّؤاته عن المستقبل وأحداثه، والّتي حفظتها لنا الأسناد والوثائق التاريخية المعتبرة، وأنّ من له اطّلاع

---

١. بعد كتابة هذا الفصل وصلني مقال عن عالم الفيزياء المسمّى «روبرت موريس بيج» تحت عنوان «امتحانٌ ناجح» في كتاب «إثبات الله» (ص٢٥)، يحاول المؤلّف فيه إثبات وجود الله عن طريق صحّة وتحقّق تنبّؤات الأنبياء. ولو أنّ هذا العالم الّذي سجّل لنفسه ٣٧ اختراعاً ووفّق لنيل جوائز كبيرة، كان قد اطّلع على تاريخ الإسلام وتنبّؤات وإخبارات النبيّ الأكرم المستقبلية، لكان إيمانه بالله أقوى وآكد.

على تاريخ الإسلام سوف لن يتردّد أو يشكّك في تلك الإخبارات، ذلك أنّها قد تحقّقت بحذافيرها. وفي زمننا المعاصر، وبسبب سيطرة الأفكار المادّية على الناس، وضعف الارتباط بعوالم الغيب، والتشكيك بعالم الحقائق وكثرة الاهتمام بالظواهر والتجمُّلات والانغماس بالملذّات في المأكل والملبس والمشرب، قلَّ التأمّل والتفكير في هذه العوالم والحقائق، وأنّ أكبر ما يشغل بال البشرية المادّية هو الأكل والشرب واللباس والالتذاذ الجنسي، ومن أجل هذه التوافه تراهم يُشعلون الحروب ويُجَيِّشُون الجيوش، ويرتكبون المجازر الجماعية ويقترفون آلاف المظالم والجنايات للوصول إلى غايتهم تلك.

فالبشرية اليوم تعتبر كلّ الأُمور مقدّمات لهذه المتطلّبات المادّية الثلاث، وإذا نادت -كذباً أو صدقاً- بالحرّيات والاستقلال والسياسة والعدالة والقانون والمساواة ورعاية الحقوق وحبّ الوطن ونشر العلم والثقافة وتأسيس الجامعات والكلّيّات والمعاهد والمصانع والشركات ومكافحة الرجعية والدعوة إلى التقدّمية و... إلخ فكلّ ذلك إنّما هو للوصول إلى تلك المطالب الثلاثة، المأكل والملبس والجنس وسدِّ حاجتها منها. ومن هنا نجد أنّ الإنسان لن يصل إلى الاستغناء أبداً، بل تزداد رغباته واحتياجاته يوماً بعد آخر.

إنّ الأكل والشرب والالتذاذ الجنسي أمرٌ مشترك بين كلّ البشر وكلّ الحيوانات ولكنّه ليس قدراً مشتركاً جامعاً للبشرية حول محور واحد يمنعها من تجاوز

بعضهم على بعض، ولا يمكنه أن يُخمِدَ نيران الحرص والطمع الّتي تسعر أُوارها في نفس البشرية. وهذا القدر المشترك لا يثني أحداً من الناس عن التفكير بالإكثار من الاسترباح بأيّ وسيلة كانت حتّى بغصب حقوق الآخرين ونهب أموالهم.

ولسنا في هذا المقام بصدد بيان مضارّ وعواقب المدنيّة المجرّدة عن الإنسانية وأنّها لا تتناسب مع شأن ومقام الإنسان والهدف من خلقه، وأنّها عاجزة عن حلِّ مشاكل البشرية، فإنّ كلّ ذلك يحتاج إلى بحث مفصّل، وإنّما غرضنا الحالي هو أن نبيّن أنّ البشر اليوم قد غرق في مستنقع المادّيات، يسبحُ من أجل التمتّع بالحظوظ الحيوانية، وأنّه يتخبّط في الظلمات إلى درجة الغفلة عن أنوار الحقائق ومصابيح عوالم ماوراء المادّة، وإذا كان بعض الناس يرون بصيصاً ضعيفاً لتلك الأنوار والحقائق فإنّ انشغالهم بأُمور الدنيا يؤدّي بهم إلى نسيان مصدر ذلك النور وجهته فَيبقَوْنَ تائهين في ظلماتٍ وظلمات.

إنَّ إدراك وفهم الإنسان المعاصر، راقٍ إلى درجة أنّه وعلى الرغم من إنغماسه بالمادّة والأُمور الدنيوية وعلى الرغم من أنَّ زخارف الدنيا تبهر نظره، تترشّح منه أحياناً حقائق كبيرة، إلّا أنَّ المادّيات وقواه الحيوانية ونزعاته الهامشية تطغى عليه فتغطّي تلك الإفرازات الفكرية وتحجبها، فلا تُعدُّ مؤثّرةً في حياته ولا تقدر على تمزيق تلك الستائر السميكة الّتي نسجتها دوافعه المادّية.

فإذا لم تكن تلك الحُجُب والستائر الغليظة، وإذا كان الناس اليوم يستغلّون

تلك الملكات الأخلاقية العالية، وإذا كان هناك منهج وأُطروحة أخلاقية صحيحة، لتعاضدت النهضة الصناعية مع المنهج الأخلاقي المعنوي الصحيح وتمكّنّا من صناعة دنيا آمنة سعيدةٍ مستقرّةٍ هادئة.

ولكي يقبل الإنسان المعاصر مناهج الأنبياء الإصلاحية فكريّاً ومادّياً عليه أن يطالع بدقّة حياة الأنبياء وسيرتهم ليقف على بعض المواقف الّتي تعتبر أدلّة إطمئنان معقولة للهداية والفلاح.

وتاريخ الأنبياء الماضين وإنْ لم تكن جزئياته بل وحتّى بعض الخطوط العامّة له، مضبوطةً ومدوّنةً ومحفوظةً وإنْ بقي منها شيء فإنّه قابل للنقاش، ولكن تاريخ نبيّنا الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وأئمّة الهدى أوصياؤه وتلامذته، بقي واضحاً محفوظاً مسنداً بالوثائق والمدارك المعتبرة الصادقة، ممّا يُمكِّنُ المحقّقين والعلماء من الوصول إلى حقائق قيّمة فيما يرتبط بالنبوّة والوحي وفلسفة بعث الأنبياء.

فأحوال وأخلاق النبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وحروبه وصُلحه وسائر ملامح حياته الشريفة، وتاريخ حياة والديه وأجداده وجدّاته وأقاربه وقومه وقبيلته وأصحابه، كلّها محفوظة مدوّنة ومعلومة مسندة، وإنَّ بعضها يُعدُّ فوق المعتبر من جهة القيمة السندية، إذ أنّه مقترنٌ بشواهد وقرائن توجب اليقين عندنا إلى درجة الإحساس بمعاصرة ذلك الزمن والعيش فيه، وبعضها قد وصل إلينا عن طريق أسانيد متواترة كثيرة جدّاً إلى حدِّ الاطمئنان.

ومن جملة الأُمور الّتي تفرض علينا القبول والاطمئنان هو ما يرتبط بموضوعنا، وهو الإخبار عن المستقبل والتنبّؤ بأحداثٍ تحقّقت بلا زيادة ولا نقصان، وهو ما يسمّى بالإخبارات الغيبيّة.

فكلّ من طالع تاريخ الإسلام، لن يشكّ أبداً بأنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله قد أخبر عن أحداث ووقائع مستقبلية، قد حدث قسم منها في فترة حياته، وتحقّق قسم منها بعد التحاقه بالرفيق الأعلى، كما أخبر، وأنّ مثل هذه الموارد تتعدّى العشرات بل المئات من القضايا، وأنّ هذه الإخبارات تورث اليقين خاصّةً بضمّ القرائن والشواهد إليها بعد أنْ ثبت صدورها عنه – صلوات الله عليه وآله– بالقطع والتواتر.

ومن جملة تلك الإخبارات، مقتل عمّار بن ياسر –رضوان الله تعالى عليه– على يد الفئة الباغية، فمهما كان الإنسان مشكّكاً إلّا أنّه سيذعن بقبول خبر مقتل عمّار الّذي صرّح ابن حجر وغيره بتواتره،[١] مضافاً إلى وجود القرائن والشواهد الباعثة على الاطمئنان له. فكتب السيرة والحديث وتراجم الصحابة وغيرها، ذكرت وروت عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال لعمّار: «تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ».

وقد تكرّر ذلك القول من النبيّ صلى الله عليه وآله حين بناء المسجد النبويّ الشريف في

---

١. ابن عبد البرّ، الاستيعاب، ج٣، ص١١٤٠؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٤، س٤٧٤.

المدينة، وفي وقت حفر الخندق فيما كان عمّارٌ سبّاقاً في العمل، وفي مواضع أُخرى، وقد رُوي ذلك الخبر في بعض أسانيده بهذا النحو:

«تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ، تَدْعُوهُمْ إِلَى الْـجَنَّةِ وَيَدْعُونَكَ إِلَى النَّارِ».

وفي بعضها:

«تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ، وَقَاتِلُكَ فِي النَّارِ».

وفي بعضها الآخر:

«تَقْتُلُ عَمَّاراً الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ».[1]

إنَّ هذا الخبر كان معروفاً عند المسلمين عامّة بل وحتّى عند المنافقين، ومن هنا فإنّ عمرو بن العاص اضطرب كثيراً عندما سمع بمقتل عمّار الّذي يقاتل إلى صفّ سيّد الولاية أمير المؤمنين عليه السلام، فجاء (أي عمرو) إلى معاوية قائلاً: لقد قُتِلَ عمّار!!

---

١. الحلبي، السيرة الحلبيّة، ج٢، ص١٠١؛ ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج٢، ص١١٤؛ ج٤، ص٤٧؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٢، ص٢٤٠؛ ابن عبد البرّ، الاستيعاب، ج٢، ص٤٤٨١؛ السيوطي، الجامع الصغير، ج٢، ص١٧٨. وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ج ٨، ص١٧). وقد نقل ابن مزاحم حكاية في هذا المجال يتعسّر علينا ذكرها هنا لتحاشي التطويل، ولكنّنا نوصّي القرّاء الأعزّاء بالرجوع إليها للوقوف على صحّة هذا الحديث وثبوته، ولكي يتّضح كيف أنّ معاوية وقف ضدّ الإمام الحقّ مع أنّه كان يعلم وكذا المحيطين به أنّهم على الباطل.

فقال معاوية: ثمّ ماذا؟

فقال عمرو: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**تَقْتُلُ عَمَّاراً الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ**». فاضطرّ معاوية إلى الاحتيال للتخلّص من تبعة دم عمّار أمام جيشه وتضليلهم فقال: إنّما قتل عمّاراً من أخرجه من داره!!

وعندما وصل هذا التضليل إلى سماع عليّ عليه السلام قال:

على هذا يكون رسول الله صلى الله عليه وآله هو الّذي قتل حمزة.[1]

وعندما استشهد عمّار نزل خزيمة بن ثابت (ذو الشهادتين) إلى ساحة المعركة وكان في جيش عليّ عليه السلام لكنّه إلى ذلك الوقت لم يقاتل، وقد كان مقتل عمّار على يد الفئة الباغية دليلاً قاطعاً لخزيمة على حقّانية عليّ عليه السلام وكان خزيمة يقول:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«**عَمَّارٌ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ**».[2]

---

١. راجع: الحلبي، السيرة الحلبية، ج٢، ص١٠١.

٢. الحلبي، السيرة الحلبية، ج٢، ص١٠١؛ ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج٢، ص١١٤؛ ج٤، ص٤٧؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج١، ص٢٤٠، وذكر هذه الأبيات لخزيمة:

إِذَا نَحْنُ بَايَعْنَا عَلِيّاً فَحَسْبُنَا ... أَبُو حَسَنٍ مِمَّا نَخَافُ مِنَ الْفِتَنِ

وَفِيهِ الَّذِي فِيهِمْ مِنَ الْـخَيْرِ كُلِّهِ ... وَمَا فِيهِمُ بَعْضُ الَّذِي فِيهِ مِنْ حَسَنِ

ابن عبد البرّ، الاستيعاب، ج١، ص٤١٨.

وكان «ذو الكلاع» أحد قادة جيش معاوية، وأميراً على أربعة آلاف فارس، فقال يوماً لمعاوية: كيف تقاتل عليّاً ومعه عمّار؟

فقال معاوية: سيعود عمّار إلينا ويقتلُ معنا.

وصادف أن قتل «ذو الكلاع» قبل استشهاد عمّار، فقال معاوية: لو كان ذو الكلاع حيّاً لأخذ نصف العسكر معه إلى عليّ.[1]

عندما نراجع كتب التاريخ، فكما أنّنا لا نشكّ بأصل وجود عمّار وياسر وسميّة، فكذلك لا نشكّ بإخبار النبيّ صلى الله عليه وآله بقتل عمّار، وكما أنّنا على يقين من قتل عمّار في صفّين بيد جيش معاوية؛ كذلك نحن على يقين من أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد أخبر بشهادته كذلك، وقد اعترف عمرو بن العاص ومعاوية بهذه الحقيقة أيضاً.[2]

ونظير هذا الخبر، إخبارات غيبية أُخرى وردت عن النبيّ صلى الله عليه وآله وهي مشهورة ومسلَّمة كإخباره -صلوات الله عليه وآله- أنّ أوّل الناس لحوقاً به من أهل بيته هي ابنتُه فاطمةُ الزهراء عليها السلام وكذلك إخباره بخروج عائشة ونباح كلاب الحوأب عليها، وإخباره بقتال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام للناكثين والقاسطين

---

١. الحلبي، السيرة الحلبية، ج٢، ص١٠٠.

٢. يقول ابن عبد البرّ في *الاستيعاب* (ج٣، ص١١٤٠): تواتر عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «تَقْتُلُ عَمَّاراً اَلْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ»، وهذا الحديث من أصحّ الأحاديث ومن الأخبار الغيبية الدالّة على نبوّة رسول الله صلى الله عليه وآله.

والمارقين، وإخباره باستشهاد عليّ عليه السلام، وإخباره بارتداد بعض الصحابة، وإخباره بفتوحات المسلمين، وغير ذلك من الإخبارات، نكتفي بما نقلناه مراعاةً للاختصار، ونضيف أنّ هذا دليلٌ وبرهان على صحّة ادّعاء النبوّة من رجل لم يدرس عند أحد ويُخبر عن الغيب وتتحقّق إخباراته بعد ثلاثين أو أربعين أو ستّين سنةً؛ بل وحتّى بعد ألف سنة وأكثر وأقلّ. وهذا لوحده كافٍ لذوي الإيمان والبصيرة لإثبات نبوّة الرسول الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وإثبات نبوّات الأنبياء وارتباطهم بالسماء.

ومن جملة إخبارات النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله بالمغيّبات هو إخباره باستشهاد ولده الإمام الحسين عليه السلام والّذي وردت فيه روايات متعدّدة بطرق أهل السنّة في تواريخهم وكتبهم الحديثية وتراجمهم فضلاً عن ورودها بطرق الشيعة وعلمائهم، وهذا يدعم صحّة تلك الإخبارات ويثبتها، مضافاً إلى أنّه يجعلها متواترةً بالمعنى.

وقد ذكرنا بعض تلك الروايات فيما مضى، ونضيف هنا بعض الروايات الواردة في مصادر معتبرة جدّاً عند السنّة:

١. روى ابن سعد والطبراني عن عائشة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال:

«أَخْبَرَنِي جِبْرَئِيلُ أَنَّ الْـحُسَيْنَ يُقْتَلُ بَعْدِي بِأَرْضِ الطَّفِّ وَجَاءَنِي بِهَـذِهِ التُّرْبَـةِ

فَأَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهَا مَضْجَعَهُ».[١]

وفي *الملاحم* روى هذا الحديث بتفصيل زائد، ورواه الخليلي في *الإرشاد* عن عائشة وأُمّ سلمة بهذا اللفظ:

«إِنَّ جِبْرَئِيلَ أَخْبَرَنِي أَنَّ ابْنِيَ الْحُسَيْنَ يُقْتَلُ وَهَذِهِ تُرْبَةُ تِلْكَ الْأَرْضِ».[٢]

وفي سندٍ آخر عن عائشة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إِنَّ جِبْرَئِيلَ أَرَانِي التُّرْبَةَ الَّتِي يُقْتَلُ عَلَيْهَا الْحُسَيْنُ فَاشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى مَنْ يَسْفِكُ دَمَهُ».[٣]

٢. روى أبو داود والحاكم عن أُمّ الفَضل بنت الحارث أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال:

«أَتَانِي جِبْرَئِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ أُمَّتِي سَتَقْتُلُ ابْنِي هَذَا؛ يَعْنِي الْحُسَيْنَ، وَأَتَانِي تُرْبَةً مِنْ تُرْبَةٍ حَمْرَاءَ».[٤]

---

١. ابن سعد، الطبقات الكبري، ج١٠، ص٤٢٥-٤٢٧؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج٣، ص١٠٧؛ ر.ك: المتّقى الهندي، كنز العمّال، ج١٢، ص١٢٣.

٢. المتّقى الهندي، كنز العمّال، ج١٢، ص١٢٦.

٣. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٤، ص١٩٥؛ المتّقى الهندي، كنز العمّال، ج١٢، ص١٢٦.

٤. الحاكم النيشابوري، المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٧٧؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج١، ص١٥٦، الفصل ٧؛ ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص١٩٢.

٣. روى الطبراني وأبو يعلى عن زينب بنت جحش عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«إِنَّ جِبْرَئِيلَ أَتَانِي وَأَخْبَرَنِي أَنَّ ابْنِي هَذَا تَقْتُلُهُ أُمَّتِي. فَقُلْتُ: فَأَرِنِي تُرْبَتَهُ، فَأَتَانِي بِتُرْبَةٍ حَمْرَاءَ».[١]

٤. روى أحمد بن حنبل أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله قال:

«لَقَد دَخَلَ عَلَيَّ الْبَيْتَ مَلَكٌ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيَّ قَبْلَهَا، فَقَالَ لِي: إِنَّ ابْنَكَ هَذَا حُسَيْناً مَقْتُولٌ، وَإِنْ شِئْتَ أَرَيْتُكَ مِنْ تُرْبَةِ الْأَرْضِ الَّتِي يُقْتَلُ بِهَا، قَالَ: فَأَخْرَجَ تُرْبَةً حَمْرَاءَ».[٢]

٥. وروى ابن سعد عن أُمّ سلمة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال:

«أَخْبَرَنِي جِبْرَئِيلُ بِأَنَّ ابْنِيَ الْحُسَيْنَ عليه السلام يُقْتَلُ...».[٣]

وروى ابن عساكر عن أُمّ سلمة الحديث بهذا اللفظ:

«إِنَّ جِبْرَئِيلَ أَخْبَرَنِي أَنَّ ابْنِي هَذَا يُقْتَلُ فَاشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى مَنْ يَقْتُلُهُ».[٤]

وعن عبد الله بن يحيى عن أبيه أنّه سافر مع عليّ عليه السلام وكان على مطهرته، فلمّا حاذى بيوتنا وهو منطلقٌ إلى صفّين فنادى عليّ عليه السلام:

---

١. المتّقي الهندي، كنز العمّال، ج١٢، ص١٢٧.

٢. ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص١٩٢.

٣. ابن سعد، الطبقات الكبري، ج١٠، ص٤٢٣-٤٢٤.

٤. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٤، ص٩٣؛ المتّقى الهندي، كنز العمّال، ج١٢، ص١٢٧.

«صَبْراً يَا أَبَا عَبْدِ الله، صَبْراً يَا أَبَا عَبْدِ الله، صَبْراً يَا أَبَا عَبْدِ الله بَشَاطِئِ الْفُرَاتِ».[١]

فقلت له: ماذا أبا عبد الله؟ فقال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وعيناه تفيضان.

قال: قام من عندي جبرئيل عليه السلام قبل وحدّثني أنَّ الحسين يُقتل بشطّ الفرات. قال: فقال: هل لك إلى أن أُشمَّك من تربته؟ فقلت: نعم. فمدَّ يَدَه فقبض قبضةً من تراب فأعطانيها فلم أملك عينيّ أنْ فاضتا.[٢]

ورواه أحمد بن حنبل وابن الضحّاك عن عليّ عليه السلام كما رواه عبد الله بن يحيى عن أبيه عن عليّ عليه السلام.

٧. روى الخوارزمي أنّ البيهقي نقل في تاريخه أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال للحسين عليه السلام:

«إِنَّ لَكَ فِي الْجَنَّةِ دَرَجَةً لَا تَنَالُـهَا إِلَّا بِالشَّهَادَةِ».

قال أبو عليّ السلامي: ومن هنا كان الحسين عليه السلام وحينما اجتمعت عليه الجيوش علم أنّه سيُقتل، ولذا فإنّه صبر على ذلك ولم يجزع إلى أن استشهد، عليه أفضل السلام.[٣]

---

١. الطبري، ذخائر العقبى، ص١٤٨.

٢. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١٠، ص٤٢٩؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢٥٥؛ ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص١٩٣.

٣. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج١، ص١٧٠، الفصل ٨.

٨. روى السبط ابن الجوزي: لـمّا وصل الحسين عليه السلام أرض كربلاء قال:

«ما يقال لهذه الأرض؟ فقالوا: كربلاء، ويقال لها أرض نينوى -قرية بها- فبكى وقال: كربٌ وبلاء، أخبرتني أُمّ سلمة قالت: كان جبرئيل عند رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت معي فبكيت، فقال رسول الله: دعي ابني، فتركتك فأخذك ووضعك في حجره فقال جبرئيل: أتحبُّه؟ قال: نعم. قال: فإنّ أُمّتك ستقتله. قال: وإن شئت أن أُريك تربة أرضه الّتي يقتل فيها. قال: نعم. قالت: فبسط جبرئيل جناحه على أرض كربلاء فأراهُ إيّاها.

فلمّا قيل للحسين عليه السلام هذه أرض كربلاء شمّها، وقال: هذه والله هي الأرض الّتي أخبر بها جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّني أُقتل فيها.[1]

وفي رواية: قبض منها قبضة فشمّها،[2] وقد ذكر ابن سعد في ***الطبقات*** عن الواقدي بمعناه.[3]

وروى ابن بنت منيع حديثين في هذا الباب عن أُمّ سلمة.[4]

---

١. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢٢٥.

٢. الطبري، ذخائر العقبى، ص١٤٨.

٣. ابن سعد، الطبقات الكبري، ص١٤٧-١٤٨.

٤. الطبري، ذخائر العقبى، ص١٤٧-١٤٨.

٩. ذكر ابن الأثير والطبري وآخرون عن رجل من بني فزارة قال:

لـمّا كان زمن الحجّاج بن يوسف كنّـا في دار الحـارث بـن أبي ربيعـة الّتـي في التّمارين، الّتي أُقطعت بعد زهير بن القَيْن، من بني عمرو بن يَشكرَ مـن بَجيلـة، وكان أهل الشام لا يدخلونها، فكنّا مُخْتَبِئين فيها، قال: فقلت للفَـزاريّ: حـدّثني عنكم حين أقبلتم مع الحسين بن عليّ؛ قال: كنّا مع زهير بن القـيْن الـبَجَليّ حـين أقبلنا من مكّة نساير الحسين، فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منـزل، فإذا سار الحسين تخلّف زهير بن القَيْن، وإذا نزل الحسينُ تقدّم زهير، حتّـى نزلنـا يومئذ في منزل لم نجد بُدّاً من أن ننازله فيه، فنـزل الحسـين في جانـب، ونزلنـا في جانب، فبينا نحن جلوس نتغدّى من طعام لنـا، إذ أقبـل رسـولُ الحسـين حتّـى سلّم، ثمّ دخل فقال:

يا زهير بن القَيْن، إنّ أبا عبد الله الحسين بـن عـليّ بعثنـي إليـك لتأتيَـه، قـال: فطرح كلّ إنسان ما في يده حتّى كأنّنا على رؤوسنا الطير.

قال أبو مخنف: فحدّثتني دَلهم بنت عمرو امرأة زهير بن القَيْن، قالت: فقلـت له: أيبعث إليك ابن رسول الله ثمّ لا تأتيه! سبحان الله! لـو أتيتَـه فسـمعتَ مـن كلامه! ثمّ انصرفت؛ قالت: فأتاه زهير بن القَيْن، فما لبث أن جـاء مستبشراً قـد أسفر وجهُه؛ قالت: فأمر بفسطاطه وثَقَله ومتاعه فقُدّم، وحُمـل إلى الحسـين، ثـمّ قال لأصحابه:

مَنْ أحبّ منكم أن يتبعني وإلّا فإنّه آخر العهد، إنّي سأُحدّثكم حديثاً: غَزوْنا في بلَنْجَر، ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم، فقال لنا سَلمان الفارسيّ: أفرِحتم بما فتح الله عليكم، وأصبتم من الغنائم! فقلنا: نعم، فقال لنا: «إِذَا أَدْرَكْتُمْ شَبَابَ آلِ مُحَمَّدٍ فَكُونُوا أَشَدَّ فَرَحاً بِقِتَالِكُمْ مَعَهُمْ مِمَّا أَصَبْتُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ»، فأمّا أنا فإنّي أستودعكم الله. قال: ثمّ والله مازال في أول القوم حتّى قُتل.

وعبارة ابن الأثير هي:

«إِذَا أَدْرَكْتُمْ سَيِّدَ شَبَابِ آلِ مُحَمَّدٍ فَكُونُوا أَشَدَّ فَرَحاً بِقِتَالِكُمْ مَعَهُ بِمَا أَصَبْتُمُ الْيَوْمَ مِنَ الْغَنَائِمِ».

وذكر الطبري «سلمان الباهليّ» بدلاً من سلمان الفارسيّ وهو الأصحّ إذ أنّ سلمان الباهلي هو الّذي قُتل في بلنجر.[١]

١٠. روى ابن الأثير عن غرفة الأزدي وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من أهل الصفّة قال:

دخلني شكٌّ من شأن عليّ عليه السلام فخرجنا مع عليّ عليه السلام إلى شاطئ الفرات فعدل عن الطريق ووقف، ووقفنا حوله، فقال وأومأ بيده: «هَذَا مَوْضِعُ رَوَاحِلِهِمْ، وَمُنَاخُ

---

١. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٩٨-٢٩٩؛ ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٤٢؛ العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص١٤١.

رِكَابِهِمْ، وَمُهْرَاقُ دِمَائِهِمْ، بِأَبِي مَنْ لَا نَاصِرَ لَـهُ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا اللهُ»
فلمّا قتل الحسين عليه السلام خرجت حتّى أتيت المكان الّذي قتلوا فيه، فإذا هو كما قال ما أخطأ شيئاً. قال: فاستغفرت الله ممّا كان منّي من الشكّ وعلمت أنّ عليّاً عليه السلام لم يقدم إلّا بما عهد إليه فيه.[1]

١١. رُوي عن سويد بن غفلة حديثٌ أنّ رجلاً أتى أمير المؤمنين عليه السلام وقال:

عبرت وادي القرى وقيل لي: إنّ خالد بن عرفطة قد مات فاستغفرت له، وقال له عليّ أمير المؤمنين عليه السلام: لا يموت حتّى يقود جيشاً ضالّاً وصاحب رايته حبيب بن حمار.

فقام رجل إليه وقال: يا أمير المؤمنين أنا أُحبّك وأنا حبيب بن حمار. فقال له عليّ عليه السلام: إنّك ستكون حامل رايته وستدخل برايتك من هذا الباب، وأشار إلى الباب الّذي كان أمامه.

وما أن مرّت الأيّام حتّى أرسل ابن زياد عمر بن سعد لحرب الحسين عليه السلام وكان خالد بن عرفطة أحد قادة الجيش وحبيب بن حمار صاحب لوائه، ووردا من نفس الباب إلى مسجد الكوفة وصحّ بذلك إخبار أمير المؤمنين عليه السلام.[2]

---

١. ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج٤، ص١٦٩.

٢. ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٢، ص٢٠٩-٢١٠. وهذا الحديث نقله صاحب ***الإصابة*** عن ***إرشاد*** الشيخ المفيد ولمّا لم يُعلّق عليه ظهر لنا أنّه معتبر عنده. وفي ***الإرشاد*** (حبيب ابن حماز) بدل حمار. (مفيد، الإرشاد، ج١، ص٣٢٩).

١٢. روى «الملّا» أنَّ عليّاً عليه السلام لـمّا مرَّ بمكان قبر الحسين عليه السلام قال:

«هَيهُنَا مُنَاخُ رِكَابِهِمْ، وَهَيهُنَا مَوْضِعُ رِحَالِهِمْ، وَهَيهُنَا مُهْرَاقُ دِمَائِهِمْ. فِتْيَةٌ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ يُقْتَلُونَ بِهذِهِ الْعَرْصَةِ تَبْكِي عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ».[1]

وروى هذا الحديث، الحافظ عبد العزيز الجنابذي في «معالم العترة الطاهرة» عن الأصبغ بن نباتة عن عليّ عليه السلام باختلاف طفيف في الألفاظ.[2]

١٣. قال أبو حنيفة الدينوري: لـمّا ورد الحسين عليه السلام وأصحابه إلى كربلاء فوقف الحرّ وأصحابه أمام الحسين ومنعوهم من المسير وقال: انزل بهذا المكان فالفرات منك قريب. قال الحسين عليه السلام: وما اسم هذا المكان؟ قالوا له: كربلاء. قال: ذات كربٍ وبلاء، ولقد مرَّ أبي بهذا المكان عند مسيره إلى صفّين وأنا معه فوقف فسأل عنه فأُخبر باسمه، فقال ههنا محطّ ركابهم، وههنا مُهراق دمائهم، فسئل عن ذلك فقال: «ثِقْلٌ لِآلِ مُحَمَّدٍ يَنْزِلُونَ هَيهُنَا».[3]

ورواه الدميري ولكنّه ذكر كلمة «نفرٌ» بدل «ثقلٌ».[4]

---

١. ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص١٩٣.

٢. الشبلنجي، نور الأبصار، ص٢٩٧.

٣. الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٥٢-٢٥٣.

٤. الدميري، حياة الحيوان، ج١، ص١٩١.

١٤. روى الحسن ابن كثير وعبد خير أنَّ عليّاً عليه السلام لـمّا وصل إلى كـربلاء وقـف وبكى وقال:

«**بِأَبِيهِ أُغَيْلِمَةً يُقْتَلُونَ هَيهُنَا، هَذَا مُنَاخُ رِكَابِهِمْ، وَهَذَا مَوْضِعُ رِحَالِـهِمْ، هَـذَا مَصْرَعُ الرَّجُلِ**».[1]

١٥. روى الديلمي عن معاذ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«**نُعِيَ إِلَيَّ الْـحُسَيْنُ، وَأُتِيتُ بِتُرْبَتِهِ، وَأُخْبِرْتُ بِقَاتِلِهِ**».[2]

١٦. روى ابن عساكر عن ابن عمر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«**لَا بَارَكَ اللهُ فِي يَزِيدَ الطَّعَانِ اللِّعَانِ، أَمَا إِنَّهُ نُعِيَ إِلَيَّ حَبِيبِـي وَسَـخِيلِي حُسَـيْنٌ أُتِيتُ بِتُرْبَتِهِ، وَرَأَيْتُ قَاتِلَهُ، أَمَّا إِنَّهُ لَا يُقْتَلُ بَيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمٍ فَلَا يَنْصُرُوهُ إِلَّا عَمَّهُـمُ اللهُ بِعِقَابٍ**».[3]

١٧. روى ابن عساكر عن عليّ عليه السلام أنّه قال لعمر بن سعد:

«**كَيْفَ أَنْتَ إِذَا أَقَمْتَ مَقَاماً تُخَيَّرُ فِيهِ بَيْنَ الْـجَنَّةِ وَالنَّارِ فَتَخْتَارُ النَّارَ**».[4]

---

١. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢٢٥.

٢. المتّقي الهندي، كنز العمّال، ج١٢، ص١٢٩.

٣. المتّقي الهندي، كنز العمّال، ج١٢، ص١٢٨.

٤. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٥، ص٤٩؛ راجع أيضاً: المتّقي الهندي، كنز العمّال، ج١٣، ص٦٧٤.

١٨. وروى البيهقي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أَخبر بقتل الحسين عليه السلام في الطفّ، وهو مكان قريب من الكوفة يعرف بكربلاء.[١]

١٩. روى ابن أبي الحديد في ضمن خبر عن أمير المؤمنين أنّه قال لتميم بن أُسامة بن زهير التميمي وكان ابنه الحصين طفلاً رضيعاً وأخبره بأنّ ابنه الحصين هذا سيشترك في قتل ولده الحسين عليه السلام.

وهذا ما حصل فلم يزل الحصين حتّى عيّنه ابن زياد على الشرطة وأرسله يوم التاسع من المحرّم إلى كربلاء ليبلغ عمر بن سعد بقتال الحسين ويحذّره من إمهاله.[٢]

٢٠. وكذلك ذكر ابن أبي الحديد ضمن إخبار أمير المؤمنين بالمغيّبات أنّه قال للبراء بن عازب:

«أَيُقْتَلُ الْـحُسَيْنُ وَأَنْتَ حَيٌّ فَلَا تَنْصُرُهُ».

فقال البراء:

«لَا كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ».

وكان البراء حينما قُتل الحسين عليه السلام يتذكّر هذا الحديث ويبكي حسرةً على عدم نصرته للحسين عليه السلام.[٣]

---

١. الزيني دحلان، السيرة النبوية، ج٣، ص١٩١.

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٠، ص١٤-١٥.

٣. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٠، ص١٥.

٢١. نقل الخوارزمي عن شيخ الإسلام الحاكم الجشمي أنّ أمير المؤمنين لـمّا سار إلى صفّين نزل بكربلاء وقال لابن عبّاس: أتدري ما هذه البقعة؟ قال: لا.

قال: لو عرفتها لبكيت بكائي، ثمّ بكى بكاءاً شديداً، ثمّ قال: ما لي ولآل أبي سفيان. ثمّ التفت إلى الحسين وقال: «**صَبْراً يَا بُنَيَّ فَقَدْ لَقِيَ أَبُوكَ مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي تَلْقَى بَعْدَهُ**».[١]

٢٢. يقول اليعقوبي في تاريخه: وكان أوّل صارخة صرخت في المدينة أُمّ سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وآله، كان دفع إليها قارورةً فيها تربة، وقال لها: إنّ جبرئيل أعلمني أنّ أُمَّتي تقتل الحسين عليه السلام، وأعطاني هذه التربة وقال لي: إذا صارت دماً عبيطاً فاعلمي أنّ الحسين عليه السلام قد قتل. وكانت عندها، فلمّا حضر ذلك الوقت جعلت تنظر إلى القارورة في كلّ ساعة، فلمّا رأتها قد صارت دماً صاحت: وا حسيناه! وابن رسول الله صلى الله عليه وآله! وتصارخت النساء من كلّ ناحية، حتّى ارتفعت المدينة بالرجّة الّتي ما سُمع بمثلها قطّ.[٢]

وروى ابن حجر هذا الحديث عن «الملّا» وابن أحمد في زيادة المُسند، بتفاوت بسيط وروى أنَّ تلك التربة هي تربة مكان قتل الحسين عليه السلام.[٣]

---

١. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج١، ص١٦٢، فصل ٨.

٢. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٤٥-٢٤٦.

٣. ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص١٩٣.

ومثل هذه الأخبار المرويّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن أمير المؤمنين عليه السلام كثيرة، ومنها يُعلم أنَّ الشهادة قد كتبت على الحسين عليه السلام، وقد كانت شهادته من أكبر مناقبه وفضائله ومن جملة مقاماته صلوات الله عليه وآله أجمعين.

معاجز الإمام الحسين عليه السلام[١]

تعدّ المعجزات من جملة أدلّة إثبات النبوّات والارتباط بالسماء وواحدة من أُسس صحّة الرسالات السماوية.

وتاريخ النبوّات، يثبت أصل صدور المعجزات عنهم، كما أنّ الكتب السماوية ومنها القرآن الكريم، يُصرِّح بذكر عدد من معاجز الأنبياء الكرام صلوات الله عليهم أجمعين.

وقد جَرَت السنن الاجتماعية على طلب المعجزات من أدعياء النبوّة، ومن هنا كان الحقّ تعالى يظهر بعض المعاجز على أيديهم لكي تكون حُجَّةً على البشر.

---

١. المعجزة أمرٌ خارق للعادة يتحقّق على يد النبيّ للتدليل على صدق دعواه وقد ذكرت في الكتب الكلامية عدّة تعاريف يظهر منها أنّ ما كان يصدر عن الأئمّة عليهم السلام وخواصّ أصحابهم من الأُمور الخارقة لا يطلق عليها اسم معجزة إلّا من باب المسامحة في التعبير، والأكثر يعبّرون عن غير ما يصدر عن النبيّ من الأُمور الخارقة اسم «كرامة» كما يعبّرون عن خوارق العادة الصادرة عن النبيّ قبل نبوّته بالإرهاصات، ولكن ولوجود وجه اشتراك بين الجميع يعبّر عنها أحياناً بالمعجزة.

وفي زمننا المعاصر قلَّ تصديقُ بعض الناس بمثل تلك المعجزات كشفاء المرضى، وإحياء الأموات وانقلاب العصا إلى ثعبان، ونزول مائدة من السماء. وبعض أتباع الديانات السماوية وبعض المؤمنين بالأنبياء أخذوا يفلسفون تلك الأُمور الخارقة للعادة على أساس العلل والأسباب الظاهرية، ويطبّقونها على السنن والنواميس والقواعد العلميّة الحاكمة على الطبيعة، وازداد إيمانهم بالمعجزات العلميّة الّتي يذكرها القرآن الكريم، وازداد تقبّلهم ويقينهم بتلك المعجزات.

والحقّ أنَّه ينبغي التسليم وقبول كلّ المعجزات والإيمان بها، ذلك لأنّ المعجزة تعبير عن القدرة الغيبيّة والقوّة المطلقة لله سبحانه وتعالى، والمؤمن بالله وقدرته وعلمه وخلقه وإيجاده لهذا العالم، لا يمكنه أن يُشكّك بصدور المعجزة، أوليس هذا العالم الكبير المترامي بكلّ كراته ومجرّاته ومخلوقاته الكبيرة والصغيرة، وكلّ هذه الروعة في الخلق، معجزةً؟

إنَّ المعجزة، هي الأمر الّذي يعجز البشر عن إيجاده بنفسه بدون الاستعانة بمقدّماته ووسائله. وعلى هذا فنفس العالم، معجزة، وهذه الجبال والبحار والأشجار والمحيطات والشموس والمنظومات السماوية، كلّها معاجز.

ونزول المائدة من السماء، وإحضار الشجرة وإحياء الأموات وتكلُّم الحصاة ونظائر ذلك كلّها معاجز، فكما أنَّ تلك معجزة فهذه أيضاً معجزة مع فارقٍ، وهو أنَّ هذه المنظومات الشمسيّة والجبال والبحار و... إلخ مرئيّة لنا، وتلك

مسموعة، فلذا لا نتعجّب من الأُولى لأنّنا نراها يوميّاً، أمّا معجزات الأنبياء ولأنّها لم تكن مستمرّةً أبديّةً -أغلبها- ولم نتمكّن من لمسها والنظر إليها وإنّما نسمعها فقط، صارت عجيبةً عندنا ولذا يستبعدها بعض الناس.

إذن، فمن جملة السنن الإلهية أنّ من يُنتخب ويُصطفى من قبل الله للنبوّة، لابدّ أن يكون له معجزة، ليكون ذلك دليلاً على تكذيب أدعياء النبوّة المزيّفين.

ولقد كان كبار الفلاسفة كابن سينا والفارابي وابن مسكويه يؤمنون بمعجزات الأنبياء.

يقول فريد وجدي في ***دائرة المعارف*** بعد أن يذكر شرحاً في معجزات الأنبياء وخاصّة نبيّنا الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله:

«لا يوجد اليوم من يستطيع أن ينكر إمكان حدوث المعجزات غير جماعة المادّيّين الّذين وقفوا من العلم الطبيعي مع ما وصل إليه منذ مائة سنة، ولو كان هؤلاء المادّيّون يستعرضون أمامهم ما هدي إليه أُلوف من العلماء الباحثين في المباحث النفسية في مشارق الأرض ومغاربها أمثال الأساتذة «ويليم كروكس» و«روبل ولاس» و«اللورد أفيرى» و«اكسون» و«تندل» و«باركس» و«لودج» و«مورغان» و... من الإنجليز و«كاميل فلامريون» و«الدكتر داريكس» و«الدكتورة جيبي» و«الأُستاذ شارل ريشه» من الفرنسيّين، وعدد لا يحصى من العلماء الإيطاليّين والألمانيّين والروس وسواهم؛ لرأوا أنّ كلّ هؤلاء قد هدوا

بالتجارب الّتي أجروها على القوى النفسيّة إلى نواميس أرقى من النواميس الحاكمة على المادّة وفي استطاعتها في الشروط المخصوصة إبطال عمل تلك النواميس وإحداث ظواهر جديدة خارقة للنظام الطبيعي المادّي، فأصبحت المعجزات في نظر العالم من الممكنات وعلم أنّها تابعة لنواميس خاصّة بها.[١]

ومن البديهي فإنّ من يؤمن بمعاجز الأنبياء اليوم، إنّما يؤمنون بها سماعاً وبالاعتماد فقط على النقولات الموثّقة إلى درجة كبيرة توجب الاطمئنان القريب من الحسّ.

قد يظنّ البعض أنّ دعوى المعجزة غير مقبول عقلاً وأنّه مخالفٌ للأُصول والمقاييس العلميّة، أو أنّ إثبات وقوعها صعب جدّاً.

لكنَّ هؤلاء على خطأ، ذلك أنّ المعجزة لا تتنافى أبداً مع العقل، بل إنَّ العقل يؤيّد ويُصدِّق وقوعها، عن طريق المشاهدة أو السماع القطعي والنقل اليقيني والمتواتر.

وهؤلاء الّذين لَا يَخطون خطوةً واحدةً في طريق قبول وتعقّل المعجزة ويعدّونها مخالفةً للمقاييس العلميّة الطبيعيّة، إن كان مقصودهم من المخالفة، مخالفة العلوم المادّية الحديثة الّتي توصّلوا إليها والّتي صارت طريقهم الوحيد

---

١. الفريد وجدي، دائرة معارف قرن العشرين، ج٦، ص٢٠٢.

لمعرفة أسرار الكون، فإنّنا نقول لهم في معرض الإجابة: إنّنا لا نحتاج إلى هذه الموازين لإثبات صحّة دعوى وقوع المعجزات، إذ أنَّ تلك القوانين ليست السبيل الوحيد لإدراك كلّ الحقائق الكونيّة، إذ أنّنا اليوم نواجه مجهولات كثيرة جدّاً تفوق معلوماتنا، وهذه القوانين العلميّة لا تهدينا إلى تلك المجهولات واكتشافها فهي قاصرة، ولكنّنا نقبل تلك المجهولات ولا يمكن إثبات امتناعها إلّا بحكم العقل والبرهان.

إذن، فإذا لم نتعرّف على تحقّق حادثة خارقة العادّة، عن طريق الموازين العلميّة الحسيّة والتجربيّة، فهذا لا يبيح لنا إنكار أصل وجودها، وسيكون مثل هذا الإنكار غروراً وتعنّتاً واعتماداً على سلسلة معلومات ناقصة وحفنةٍ من النظريات والفرضيات غير القطعيّة.

مَثَلُ هؤلاء الأشخاص مثل الكيميائي الخبير والمطلّع المتخصّص في التركيبات الكيميائية، الّذي يحاول التعرّف على كلّ المسائل الطبيّة من نافذة علم الكيمياء الضيّقة، فيردّ بعضها ويقبل بعضاً، ويبرم بعضاً وينقُضُ بعضاً، والحال أنَّ الأطبّاء في العالم استناداً إلى تلك القواعد الطبّية الّتي ينكرها هذا الكيميائي، يقومون بمعالجة ومداواة آلاف البشر يوميّاً.

وعقيدتنا بمعاجز الأنبياء وكرامات الأولياء وعللها هو أنّها ظواهر كالظواهر الكونيّة الأُخرى الموجودة في هذا العالم الكبير، وسواء سمّيتموها بأسرار الطبيعة

وعالم الخلقة أو سمّيتموها خوارق العادات، فإنّنا نقـول: إنَّ هـذه الأُمـور الّتـي اسمها معجزة قد حصلت وتحقّقت في هذا العالم وقد ثبت ذلك بأوثق النقولات المتواترة، وأمّا تعليلها بالعلل المادّية فليس بصحيح، ومن حـاول إضـفاء صـبغة علميّة حسيّة مادّية عليها وأنّها معلولات لعلل مادّية طبيعيّـة فهـو مشـتبه، إذ أنّ انقلاب العصا إلى ثعبان وإحياء الموتى على يد عيسى المسيح، لا ارتباط لـه أبـداً بالعلل المادّية الطبيعيّة.

ولو لم تكن تلك الإخبارات الموثّقة إلّا حول أمرٍ عاديّ بسيط لقبلهـا النـاس ب ١٪ من تلك الإخبارات والنقولات، ولكن لـمّا كانت تلك الأخبـار الموثّقـة حول أُمور خارقة للعادة ومعجزات غير مأنوسة للبشر فإنّنا نضطرّ إلى مزيد مـن التحقيق والتأمّل فيها ثمّ قبولها.

وفي زمننا الحالي، تنقل أحياناً مراكز الأنـواء الجوّيـة وبعـض الجرائـد بعـض الظواهر الجوّية الغريبة والّتي يصعب التصديق بها، ومـع ذلـك فـنحن نصـدّق تلك المراكز والجرائد، مع أنّنا لو سمعنا ذلك الخبر من شخص عادي مـن أفـراد المجتمع ممن ليس لـه خـبرة في هـذا المجـال لاسـتهزأنا بـه واتّهمنـاه بالسـطحيّة والسذاجة، فنحن نقبل من محطّات التلفزة والراديـو ووكـالات الأنبـاء العالميـة المعتبرة كأسوشيتدبرس وغيرها، لأنّ تكذيب هذه المراكز يعني اضطراب النظام الاقتصادي والسياسي العالمي القائم على أساس هذه الإخبارات.

ولكنّنا نقول: إنَّ ذلك خطأ، فإنّ الرأي الصادر من إنسانٍ عاديّ محترمٌ أيضاً ولا يمكن ردّه بلا دليل؛ إذ قد يكون مطابقاً للواقع، وإنَّ الخبر الّذي تنقله وكالة الأنباء العالمية الفلانية والّذي لم يقم أيّ دليل أو قرينة أو شاهد على صحّته، لا يمكن قبوله ببساطة، كما لا يمكن إنكاره وردّه ببساطة، بل يبقى في حيّز الإمكان والردّ والقبول.

واليوم، نجد أنّ أكثر الناس يقبلون الأخبار الّتي ينقلها صحفي أو مراسل مركز إعلامي، ويرتّبون كلّ الآثار عليها، وكذلك لو سمعوا عن فلكي مجهول الهويّة أنَّ النجم المذنّب الكذائي سيرتطم بالأرض في اليوم الفلاني وأنّ الأرض ستتلاشى، فإنّهم سيقبلون ذلك دون تردّد وسيُسيطر عليهم الخوف والهلع، يقبلون ذلك وينكرون كلّ هذه الأخبار الّتي تدلُّ على حصول المعاجز على يد الأنبياء خاصّة معاجز نبيّنا الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله والأئمّة الطاهرين من عترته عليهم السلام، والّتي نُقلت في أوثق المصادر التاريخية والكتب الروائية المعتبرة، والّتي رواها أوثق الرواة والمتتبّعين، ما يجعلنا نقطع بتحقّق تلك المعاجز في الزمن السابق.

وإنّي لا أظنّ أنَّ متتبّعاً للكتب تتبُّعَ إحاطةٍ بالوثائق والمدارك التاريخية، يقف على تواتر أخبار المعاجز يُمكنه أن ينكرها، وأنَّ أُولئك الّذين ينكرون المعاجز إنّما ينكرونها بسبب عدم اطّلاعهم وعدم مراجعتهم للكتب التاريخية والحديثية الروائية، ويندر أن ينكر ذلك أحد عن تعصّبٍ أو لأغراض أُخرى، فإنّ وجود

قوّة التعقّل واستقامة الفكر تمنع الإنسان من ردِّ هذه الأخبار، فإنَّ إنكارها يحكي عدم اعتدال القوّة الفكرية وشذوذ العقل وانحرافه.

وعلى كلّ حال، فإنّنا نعتقد أنّ أهمّ دواعي المنكرين للمعاجز هو الاستبعاد المحض، ومجرّد الاستبعاد لم يكن أبداً دليلاً عند العقلاء، ولا يُعدُّ دليلاً عقلياً قطعياً للأحكام الجزميّة.

وفي هذا المبحث -معجزات الإمام الحسين عليه السلام- لا أُريد الخوض في هذا الموضوع أكثر ممّا ذكرت، خاصّةً وإنَّ أكثر قرّائنا الكرام هم من المؤمنين والمعتقدين بالمعاجز وخوارق العادة، وبناءاً على ذلك لا نحتاج إلى ذكر مقدّمات وتوضيحات أكثر في مقام ذكر بعض معجزات الإمام الحسين عليه السلام.

وصدور المعجزات عن الإمام الحسين عليه السلام سواءٌ في حال حياته أو بعد شهادته عليه السلام من المسلّمات والمتواترات، وأنَّ صدور تلك المعجزات عن الشُّعاع الحقّ لنور النبوّة والامتداد الطبيعي لوجود شخص الرسول محمّد صلى الله عليه وآله، ومن صاحب مقام الولاية والإمامة، غيرُ مستبعدٍ ولا منكر من أيِّ مسلم، فإنّه إذا لم يكن الحسين عليه السلام له مثل هذه المعجزات، فلمن يكون إذن؟

وإذا لم يكن الحسين عليه السلام مشمولاً للرعاية الإلهية الخاصّة، فمن ذا الّذي يكون كذلك إذَنْ؟

ولّما كان غرضنا في هذا المبحث هو إظهار سعة دائرة فضائل ومناقب ومقام الإمام الحسين عليه السلام بين عامّة المسلمين وفي كلّ نواحي شخصيّته العظيمة فإنّنا لن

نقل ذلك من كتب الشيعة مع قوّة أسانيدها واعتبارها وصحّتها، بل سَنقتصر على ذكر نماذج ممّا ورد في كتب كبار علماء أهل السنّة ومحدّثيهم وبعبارة أُخرى سنكتفي بغيضٍ من فيضٍ ما جاء عنهم في هذا المضمار.

١. نقل الطبري: بعد أن كتب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد: أمّا بعد فحُلْ بين الحسين وأصحابه وبين الماء، ولا يذوقوا منه قطرةً، كما صُنع بالتقيّ الزكيّ المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفّان. فبعث عمر بن سعد عمرو بن الحجّاج على خمسمائة فارس، فنزلوا على الشريعة، وحالوا بين حسين وأصحابه وبين الماء أن يُسقوا منه قطرةً، وذلك قبل قتل الحسين بثلاث. قال: ونازَلَه عبد الله بن أبي حُصين الأزديّ فقال: يا حسين، ألا تنظر الماء كأنّه كبد السماء! والله لا تذوق منه قطرةً حتّى تموت عَطَشاً، فقال حسين: «**اَللّٰهُمَّ اقْتُلْهُ عَطَشاً، وَلَا تَغْفِرْ لَهُ أَبَداً**».

قال حميد بن مسلم: والله لعُدتُه بعد ذلك في مرضه، فوالله الّذي لا إله إلّا هو لقد رأيتُه يشرب حتّى يبغر، ثمّ يقيء، ثمّ يعود فيَشرَب حتّى يبغر فما يَروى، فمازال ذلك دأبه حتّى لَفَظ عصبه.[١]

٢. وكذلك نقل الطبري: روى هشام عن أبيه محمّد بن سائب، عن القاسم بن أصبغ بن نباتة قال: حدّثني من شهد الحسين عليه السلام في عسكره، أنّ حسيناً حين

---

١. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣١١-٣١٢؛ راجع أيضاً: سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢٥٧.

غُلبَ على عسكره ركب المسنّاة يريد الفرات، قال: فقال رجل من بني أبان بن دارم: وَيْلَكُمْ! حولوا بينه وبين الفرات، فقال الحسين عليه السلام: «اَللَّهُمَّ أَظْمِهِ»، قال: وانتزع الأباني بسهم، فأثبته في حنك الحسين، قال: فانتزع الحسين السهمَ، ثمّ بسط كفَّيه فامتلأتْ دماً، ثمّ قال الحسين: «اَللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ مَا يُفْعَلُ بِابْنِ بِنْتِ نَبِيِّكَ»؛ قال: فوالله إنْ مكث الرجل إلّا يسيراً حتّى صبّ الله عليه الظمأ، فجعل لا يَروَى. قال القاسم بن الأصبغ: لقد رأيتني فيمن يروّح عنه والماء يبرَّد له في السّكَّر وعِساس فيها اللبن، وقِلال فيها الماء، وإنّه يقول: وَيْلَكُمْ! أُسْقُونِي قَتَلَنِي الظَّمَأُ، فيعطى القُلّة أو العُسَّ فيشربه، فإذا نزعه من فيه اضطجع الهُنَيهة ثمّ يقول: وَيلَكُم! اسقوني قتلني الظمأ؛ قال: فوالله ما لبث إلّا يسيراً حتّى انقدّ بطنُه انقداد بطن البعير.[1]

٣. روى الإمام أحمد بن حنبل في مناقبه عن أبي رجاء أنّه كان يقول: «لَا تَسُبُّوا عَلِيّاً وَلَا أَهْلَ هَذَا الْبَيْتِ» إنَّ جاراً لنا من بني الهجيم قدم من الكوفة فقال: ألمْ تروا هذا الفاسق ابن الفاسق أنّ الله قتله (يعني الحسين عليه السلام). فرماه الله بكوكبين في عينيه وطمس الله بصره.[2]

---

١. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٤٣-٣٤٤.

٢. الطبري، ذخائر العقبى، ص١٤٥.

٤. روى ابن الجرّاح عن السدّي قال: أتيت كربلاء لأبيع التمر بها، فعمل لنا شيخ من طيّ طعاماً فتعشّينا عنده فذكرنا قتل الحسين عليه السلام فقلت: ما شرك أحد في قتل الحسين إلّا ماتَ بأسوأ موته وآيات ظهرت لمقتله. قال: ما أكذبكم يا أهل العراق أنا ممّن شرك في ذلك. فلم يبرح حتّى دنا من المصباح وهو متّقد بنفط، فذهب يخرج الفتيلة بأصبعه فأخذت النار فيها، فذهب يُطفئها بريقه فأخذت النار في لحيته فغدا فألقى نفسه في الماء فرأيتهُ كأنّه جمجمة.[1]

وذكره في ***كفاية الطالب*** و***المحاسن والمساوي*** والبيهقي و***الصواعق***، وورد فيها «حممة» بدلاً عن «جمجمة»، يعنى مثل الفحم.[2]

٥. روى السبط ابن الجوزي عن الواقدي أنّ شيخاً حضر قتله فقط «أي الحسين» فعمي، فسئل عن سببه فقال: إنّه رأى النبيّ صلى الله عليه وآله حاسراً عن ذراعيه وبيده سيف وبين يديه نطع، ورأى عشرةً من قاتلي الحسين مذبوحين بين يديه، ثمّ لعنه وسبّه لتكثير سوادهم، ثمّ أكحله بمرود من دم الحسين فأصبح أعمى.[3]

---

١. الطبري، ذخائر العقبى، ص١٤٥.

٢. البيهقي، المحاسن والمساوي، ج١، ص٦٩-٧٠؛ الگنجي الشافعي، كفاية الطالب، ص٤٣٧؛ ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص١٩٥.

٣. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢٥٢-٢٥٣؛ ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص١٩٥؛ الشبلنجي، نور الأبصار، ص٣١١؛ الصبّان، إسعاف الراغبين، ص١٦١-١٦٢.

٦. روى ابن الأثير في ضمن وقائع كربلاء: وتقدّم رجل اسمه عبد الله بن حوزة ووقف أمام الحسين فقال: يا حسين، يا حسين، فقال الحسين عليه السلام: ما تشاء؟ فقال: «أَبْشِرْ بِالنَّارِ». قال عليه السلام: كلّا إنّي أقدم على ربٍّ رحيم وشفيعٍ مطاع. من هذا؟ قال له أصحابه: هذا ابن حوزة. قال: «اللَّهمَّ حَزِّهِ إِلَى النَّارِ». فاضطرب به فرسه في جدول ووقع فيه وتعلّقت رجله بالركاب ووقع رأسه في الأرض ونفر الفرس فأخذ يمرّ به فيضرب برأسه كلّ حجر وكلّ شجرة حتّى مات.[1]

وروى نظير هذه المعجزة عن ابن بنت منيع عن علقمة بن وائل أو وائل بن علقمة في رجل باسم: جريرة.[2]

٧. روى الطبري قال: ولّما بقي الحسين في ثلاثة رهط أو أربعة دعا بسراويل محقّقة يلمع فيها البصر يمانيّ محقّق ففزره ونكثه لكيلا يُسلَبْه، فقال له بعض أصحابه: لو لَبِسْتَ تَحتَه تُبّاناً (سراويل قصير) قال: ذلك ثوب مذلّة ولا ينبغي لي أن ألبسه.

قال: فلمّا قُتِل أقبل بحر بن كعب فَسَلَبَهُ إيّاه فتركه مجرّداً.[3]

---

١. ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٢٨.

٢. الطبري، ذخائر العقبى، ص١٤٤.

٣. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٤٥.

٨. روى الشبراوي شيخ الأزهر الأسبق: واشتدّ عطشه فدنا ليشرب فرماه حصين بن تميم بسهم فوقع في فمه، فتلقّى الدم في يده وقال: اللّهمّ اقتل حصيناً عطشاً.

قال العلّامة الأجهوري فابتلي بالحرّ في بطنه والبرد في ظهره، وصار يوضع بين يديه الثلج والمراوح، ويوضع خلفه الكانون، وهو يصيح من الحرّ والعطش وصار يؤتى بسويق وماء ولبن لو شربه خمسة لكفاهم فيشرب فلا يرتوي ثمّ يصيح فيسقى كذلك إلى أن قُدَّ بطنُه ومات بعد موت الحسين بأيّام.[١]

٩. روى الطبري عن «ملّا» وهو من كبار علماء السنّة عن رجل من كليب قال: صاح الحسين بن عليّ: «إِسْقُونَا مَاءاً» فرمى رجلٌ بسهمٍ فشقَّ شدقه فقال: «لَا أَرْوَاكَ اللهُ». فعَطِش الرجل إلى أن رمى بنفسه في الفرات فشرب حتّى مات.[٢]

١٠. روى الترمذي حديثاً صحيحاً عن عمارة بن عُمير قال: لـمّا جيء برأس ابن زياد ووضع في القصر، رأيت الناس مجتمعين حوله، وإذا بحيّة تأتي تدخل إلى منخره وتخرج من فمه تفعل ذلك ثلاثاً.[٣]

---

١. الشبراوي، الإتحاف بحبّ الأشراف، ص٥١-٥٢.

٢. الطبري، ذخائر العقبى، ص١٤٤.

٣. الترمذي، سنن، ج٥، ص٣٢٥-٣٢٦.

١١. روى ابن بنت منيع عن أبي معشر عن بعض مشيخته: أنّ قاتل الحسين عليه السلام لـمّا جاء إلى ابن زياد وحكى عليه كيفيّة قتله وما قال له الحُسَين، إسْودَّ وجهُه.[١]

١. روى الطبري عن أبي مخنف قال: حدّثني سليمان ابن أبي راشد عن حُميد بن مسلم، قال:... ومكث الحسين طويلاً من النهار كلّما انتهى إليه رجل من الناس انصرف عنه وكره أن يتولّى قتله وعظيم إثمه عليه، قال: وإنّ رجلاً من كندة يقال له مالك بن النُّسير من بني بَداء، أتاهُ فضربه على رأسه بالسيف وعليه بُرنُس له، فقطع البرنس وأصاب السيف رأسه، فأدمى رأسه، فامتلأ البرنس دماً، فقال له الحسين عليه السلام:

«**لَا أَكَلْتَ بِهَا وَلَا شَرِبْتَ وَحَشَرَكَ اللهُ مَعَ الظَّالِمِينَ**». قال: فألقى ذلك البرنس ثمّ دعا بقلنسوة فلبسَها، واعتمَّ وقد أعيا وبَلَّدَ. وجاء الكندي حتّى أخذ البُرنس – وكان من خزّ – فلمّا قدم بعد ذلك على امرأته أُمّ عبد الله ابنة الحرّ أُخت الحسين بن الحرّ البدّي، أقبل يغسل البُرنس من الدم، فقالت له إمرأته: أسَلبَ ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله تدخِلُ بيتي؟ أخرجه عنّي. فذكر أصحابه أنّه لم يزل فقيراً بشرٍّ حتّى مات.[٢]

---

١. الطبري، ذخائر العقبى، ص١٤٤.

٢. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٤٢.

١٣. نُقل عن اليسار بن الحكم قال: أُنتهب عسكر الحسين فوجد فيه طيب فما تطيّبت به إمرأة إلّا برصت.[١]

١٤. روى السيوطي: أنّ ما نُهبَ من مخيّم الحسين عليه السلام من الورس قد تحوّل إلى الرماد.[٢]

١٥. يقول العالم المصريّ محمّد رضا: ومن أعجب كرامات الحسين عليه السلام هو حديث الزهري في قتل الحسين، وهذا هو: سأل عبد الملك بن مروان -وهو قاعد في إيوانه- من كان مجتمعاً بحضرته فقال: ما أصبح ببيت المقدس يوم قتل الحسين بن عليّ بن أبي طالب؟ فلم يجبه أحد، فقال الزهري: إنّه لم يرفع تلك الليلة الّتي قتل صبيحتها عليّ بن أبي طالب والحسين بن عليّ حجرٌ في بيت المقدس إلّا وجد تحته دمٌ عبيط.

قال عبد الملك: صدقت، حدّثني الّذي حدّثك، وإنّي وإيّاك في هذا الحديث لغريبان. ثمّ أعطاه مالاً كثيراً.[٣]

وروى المحبّ الطبري عن ابن السريّ عن الزهري أنّه لـمّا قُتل الحسين عليه السلام لم

---

١. ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج٤، ص٣٨٤؛ الحسن والحسين سبطا رسول الله، ص٦٩-٧٠. وقال بعد نقل هذه الكرامة: إنّ كرامات الحسين عليه السلام لا تحصى.

٢. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٠٧؛ ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص١٩٤.

٣. محمد رضا، الحسن والحسين سبطا رسول الله، ص٧٠.

يُرفع أو لم يُقلع حجر بالشام إلّا عن دم.[١]

١٦. روى المحبّ الطبري عن ابن لهيعة عن أبي قبيل قال: لـمّا قتل الحسين بن عليّ بعث برأسه إلى يزيد فنزلوا أوّل مرحلة فجعلوا يشربون ويتحيّون بالرأس، فبينما هم كذلك إذ خرجت عليهم من الحائط يد معها قلم حديد فكتبت سطراً بدم:

أَ تَرْجُو أُمَّةٌ قَتَلَتْ حُسَيْناً *** شَفَاعَةَ جَدِّهِ يَوْمَ الْـحِسَابِ

فهربوا وتركوا الرأس.[٢]

ولا يخفى أنّ أخباراً كثيرةً وردت في هذا الشعر، منها ما رواه السبط ابن الجوزي وابن حجر والزرندي في *نظم درر السمطين* والشبراوي والدميري وآخرون.[٣]

١٧. ورويت عنه روايات حول بعض الآيات السماوية وخوارق العادات حين استشهاد الإمام الحسين عليه السلام مثل مطر السماء دماً وغيرها، نقلها كبار علماء

---

١. الطبري، ذخائر العقبى، ص١٤٥.

٢. الطبري، ذخائر العقبى، ص١٤٥.

٣. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢٤٦؛ الزرندي، نظم درر السمطين، ص٢١٩؛ الگنجي، الشافعي، كفاية الطالب، ص٢٩٠، ٦٩١؛ الدميري، حياة الحيوان، ج١، ص٩١؛ ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص١٩٣-١٩٤؛ الشبراوي، الإتحاف بحبّ الأشراف، ص٦٩.

القوم مثل الحافظ أبي نعيم في *دلائل النبوّة*، وابن بنت منيع، والمحبّ الطبري، والشبراوي، والشبلنجي، وابن الجوزي، والصبّان.[١]

١٨. روى السبط ابن الجوزي أنَّ شخصاً علَّق رأس الحسين عليه السلام في لَبَب فرسه فرئي بعد أيّام وجهُه أشدُّ سواداً من القار ومات على أقبح حالة.[٢]

١٩. روى ابن خالويه عن الأعمش عن المنهال الأسدي قال:

والله لقد رأيت رأس الحسين عليه السلام حين حُمل وأنا بدمشق وبين يديه رجل يقرأ سورة الكهف حتّى بلغ ﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً**﴾.[٣] فنطق الرأس وقال: «**قَتْلِي أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ**» وقد روى الصبّان هذه الكرامة الباهرة بهذه العبارة: «**فَنَطَقَ الرَّأْسُ الشَّرِيفُ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ فَصِيحٍ فَقَالَ**

---

١. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢٥٢-٢٥٣؛ الطبري، ذخائر العقبى، ص١٤٥؛ الزرندي، نظم درر السمطين، ص٢٢١-٢٢٢؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٠٧؛ الشبراوي، الإتحاف بحبّ الأشراف، ص٧١-٧٤؛ الشبلنجي، نور الأبصار، ص٣١١؛ الصبّان، إسعاف الراغبين، ص١٦١-١٦٢.

٢. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢٥٣؛ الشبلنجي، نور الأبصار، ص٣١١؛ الصبّان، إسعاف الراغبين، ص١٦٢.

٣. الكهف، ٩.

جِهاراً: **أَعْجَبُ مِنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ قَتْلِي وَحَمْلِي**».[١]

وقال الدميري، وتكلّم بعد الموت أربعة: «يحيى بن زكريّا حين ذبح، وحبيب النجّار حيث قال: ﴿**يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ...**﴾،[٢] وجعفر الطيّار حيث قال: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ**﴾،[٣]... والحسين بن عليّ عليه السلام حيث قال: ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**﴾،[٤]».[٥]

٢٠. يذكر صاحب كتاب «البدء والتاريخ»: في الليلة الّتي قتل الحسين عليه السلام في صبيحتها سمع أهل مدينة هاتفاً يقول ولا يرون شخصه:

مَسَحَ الرَّسُولُ جَبِينَهُ ... فَلَهُ بَرِيقٌ فِي الْـخُدُودِ
أَبَوَاهُ مِنْ عَلْيَا قُرَيْشٍ ... وَجَدُّهُ خَيْرُ الْـجُدُودِ[٦]

٢١. روى السبط ابن الجوزي عن عبد الملك بن هشام في كتاب «السيرة» قال: لـمّا أنفذ ابن زياد رأس الحسين عليه السلام إلى يزيد بن معاوية مع الأُسارى موثّقين

---

١. الشبلنجي، نور الأبصار، ص٣١٧؛ الصبّان، إسعاف الراغبين، ص١٦٢.

٢. يس، ٢٦.

٣. آل عمران، ١٦٩.

٤. الشعراء، ٢٢٧.

٥. الدميري، حياة الحيوان، ج١، ص٨٦.

٦. المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص١٢- ١٣.

في الحبال، مكشّفات الوجوه والرؤوس، وكلّما نزلوا منزلاً أخرجوا الرأس من صندوق أعدّوه له، فوضعوه على رمح وحرسوه طول الليل إلى وقت الرحيل، ثمّ يعيدوه إلى الصندوق ويرحلوا، فنزلوا بعض المنازل وفي ذلك المنزل دير فيه راهب، فأخرجوا الرأس على عادتهم ووضعوه على الرمح وحرسه الحرس على عادتهم، وأسندوا الرمح إلى الدير، فلمّا كان في نصف الليل رأى الراهب نوراً من مكان الرأس إلى عنان السماء، فأشرف على القوم وقال: من أنتم؟ قالوا: نحن أصحاب ابن زياد.

قال: وهذا رأس من؟ قالوا: رأس الحسين بن عليّ بن أبي طالب ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: نبيّكم؟ قالوا: نعم. قال: بئس القوم أنتم، لو كان للمسيح ولد لأسكنّاه أحداقنا، ثمّ قال: هل لكم في شيء؟ قالوا: وما هو؟ قال: عندي عشرة آلاف دينار، تأخذوها وتعطوني الرأس يكون عندي تمام الليلة، وإذا رحلتم تأخذوه، قالوا: وما يضرّنا، فناولوه الرأس وناولهم الدنانير، فأخذه الراهب فغسله وطيّبه وتركه على فخذه وقعد يبكي الليل كلّه، فلمّا أسفر الصبح قال: يا رأس لا أملك إلّا نفسي، وأنا أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ جدّك محمّداً رسول الله، وأُشهد الله أنّني مولاك وعبدك. ثمّ خرج عن الدير وما فيه وصار يخدم أهل البيت. قال ابن هشام في *السيرة*: ثمّ إنّهم أخذوا الرأس وساروا، فلـمّا قربوا من دمشق قال بعضهم لبعض: تعالوا حتّى نقسّم الدنانير لا يراها يزيد فيأخذها منّا،

فأخذوا الأكياس وفتحوها وإذا الدنانير قد تحوّلت خزفاً، وعلى أحد جانب الدينار مكتوب: **﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾**[1] وعلى الجانب الآخر: **﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾**،[2] فرموها في نهر «بَردا».[3]

وروى هذه المعجزة ابن حجر أيضاً.[4]

٢٢. ومن جملة معاجز الحسين عليه السلام ما نقله العلّامة التلمساني في ***شرح الشفاء*** (الفصل ٢٤). ولعدم الإطالة نحيل القارئ المحترم إلى الكتاب المذكور، وكتاب ***نور الأبصار*** للشبلنجي.[5]

٢٣. روى أبو الفرج الأصفهاني أنّ رجلاً قال للحسين عليه السلام: «**أَلَا تَرَى إِلَى الْفُرَاتِ يَا حُسَيْنُ كَأَنَّهُ بُطُونُ الْحَيَّاتِ، وَاللهِ لَا تَذُوقُهُ أَوْ تَمُوتَ عَطَشاً؟**». قال: فوالله لقد كان هذا الرجل يطلب الماء فيسقى فيخرج الماء من فيه، ثمّ يطلب فيُسقى فيخرج الماء من فيه حتّى مات عطشاً.[6]

---

١. ابراهيم، ٤٢.

٢. الشعراء، ٢٢٧.

٣. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢٣٧.

٤. ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص١٩٩.

٥. الشبلنجي، نور الأبصار، ص٣١٧-٣٢٠؛ نقلاً عن التلمساني في شرح الشفاء، باب ٢٤.

٦. أبوالفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٧٨.

٢٤. نُقل عن سلمان بن يسار قال: وجدوا حجراً كتب عليه:

لَابُدَّ أَنْ تَرِدَ الْقِيَامَةَ فَاطِمٌ   وَقَمِيصُهَا بِدَمِ الْحُسَيْنِ مُلَطَّخُ

وَيْلٌ لِمَنْ شُفَعَاؤُهُ خُصَمَاؤُهُ   وَالصُّورُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يُنْفَخُ[١]

٢٥. روى الشبراوي والشبلنجي بجزمٍ أنّ الحسين‍ يردّ سلام بعض العلماء في كلّ وقت في المشهد الحسيني في مصر.[٢]

وحكى الشبراوي أيضاً أنّ السلطان صلاح الدين يوسف وُشي له مرّةً بخادم من خدمة القصر المذكور كان بيده زمام القصور وقيل له: إنّه يعرف موضع الأموال والدفائن الّتي بالقصر، فأُخذ وسئل فلم يذكر شيئاً وتجاهل، فأمر صلاح الدين بتعذيبه، فأخذه متولّي العقوبة وجعل على رأسه خنافس وشدّ عليها قرمزيّةً ويقال: إنّ هذا أشدّ العقوبات؛ لأنّها تثقب بالرأس فلا يطيق

---

١. الزرندي، نظم درر السمطين، ص٢١٩؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢٤٦.

٢. الشبراوي، الإتحاف بحبّ الأشراف، ص٧٧؛ الشبلنجي، نور الأبصار، ص٣١٥. لا يخفى أنّ أحد المشاهد الشريفة المنسوبة إلى رأس الحسين‍ مقام رأس الحسين في القاهرة وهو من المزارات المعروفة عند المسلمين، يؤُمّه آلاف الزائرين كلّ سنة، وإنّ أهل مصر يعتقدون كلّ الاعتقاد به ويحترمونه كثيراً ويجلّلونه، وكان كبار علماء ومشايخ الأزهر، وسلاطين الدولة العثمانية ومصر والحكّام وعامّة الناس يزورونه على الدوام.

الإنسان الصبر عليها، فعل به ذلك مراراً والخنافس توجد ميّتة ولا تؤذيه، فأخبروا به صلاح الدين فأحضروه وقال له: عرّفني ما سبب هذا؟ فقال: ليس له سبب أعرفه غير أنّه لـمّا وصل الرأس الشريف إلى هنا حملته بالديباج والطيب على رأسي حتّى وضعته داخل الضريح، فقال صلاح الدين وأيّ سبب أشرف من هذا؟ وعفى عنه.[1]

٢٧. ومن جملة كراماته عليه السلام أنّ رجلاً يقال له شمس الدين القعويني كان ساكناً بالقرب من المشهد، وكان معلّم الكسوة الشريفة، حصل له ضرر في عينيه فكفّ بصره، وكان كلّ يوم إذا صلّى الصبح في مشهد الإمام الحسين عليه السلام يقف على باب الضريح الشريف ويقول: يا سيّدي! أنا جارك قد كفّ بصري، وأطلب من الله بواسطتك أن يردّ عليّ ولو عيناً واحدةً. فبينما هو نائم ذات ليلة إذ رأى جماعةً أتو إلى المشهد الشريف فسأل عنهم فقيل له: هذا النبيّ صلى الله عليه وآله والصحابة معه جاؤوا لزيارة السيّد الحسين عليه السلام، فدخل معهم ثمّ قال ما كان يقوله في اليقظة، فالتفت السيّد الحسين إلى جدّه صلى الله عليه وآله وذكر له ذلك على سبيل الشفاعة عنده في الرجل، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله للإمام عليّ عليه السلام: «يَا عَلِيُّ كَحِّلْهُ»، فقال: سمعاً وطاعةً، وأبرز من يده مكحلةً ومروداً وقال له تقدّم حتّى أُكحّلك، فتقدّم فلوّث المرود ووضعه في عينه اليمنى، فأحسّ

---

١. الشبراوي، الإتحاف بحبّ الأشراف، ص٧٧؛ الشبلنجي، نور الأبصار، ص٣١٥.

بحرقان عظيم، فصرخ صرخةً عظيمةً فاستيقظ منها وهو يجد حرارة الكحل في عينه، ففتحت عينه اليمنى فصار ينظر بها إلى أن مات وهذا الّذي كان يطلبه، فاصطنع هذه البسط الّتي تفرش في مشهد الإمام الحسين عليه السلام وكتب عليها وقفاً.[١]

٢٨. ونقل الشبراوي كرامةً أُخرى للحسين عليه السلام عن الشيخ أبي الفضل نقيب الخلوتيّة، ملخّصها: أنّ الله تعالى عافاه ببركة التوسّل وزيارة المشهد الحسيني من مرضٍ عضال أعيى الأطبّاء علاجه.[٢]

٢٩. روى أبو الفرج الأصفهاني عن القاسم بن الأصبغ بن نباتة قال:

رأيت رجلاً من بني أبان بن دارم أسود الوجه، وكنت أعرفه جميلاً، شديد البياض، فقلت له: ما كدت أعرفك، قال: إنّي قتلت شابّاً أمرد مع الحسين، بين عينيه أثر السجود، فما نمت ليلةً منذ قتلته إلّا أتاني فيأخذ بتلابيبي حتّى يأتي جهنّم فيدفعني فيها، فأصيح، فما يبقى أحد في الحيّ إلّا سمع صياحي.

قال: والمقتول العبّاس بن عليّ عليه السلام.[٣]

---

١. الشبراوي، الإتحاف بحبّ الأشراف، ص٨٥-٨٤.

٢. الشبراوي، الإتحاف بحبّ الأشراف،٨٦-٨٥.

٣. أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيّين، ص٧٨-٧٩. وهذه المعجزة وإن كانت من كرامات أبي الفضل العبّاس عليه السلام لكن المؤلّف لم يجد بدّاً من تسطيرها وعدّها من معاجز الحسين عليه السلام بمناسبة الارتباط بين الأخوين والأولويّة.

ولا يخفى على القارئ العزيز أنّ كرامات ومعجزات سيّد الشهداء عليه السلام في كتب الفريقين كثيرة جدّاً، ومن أراد المزيد عمّا ذكرناه فليراجع كتاب ***المناقب*** لابن شهر آشوب و***البحار*** للمجلسي و***العوالم*** للبحراني وكتب أُخرى.

اُلفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ

إنَّ في وجود كلّ إنسان بصيصُ نورٍ من عالم الغيب ومصباحٌ يسُوقُهُ إلى الحقيقة والعدالة والأمانة.

وهذا النور يصل إليه من عالم الغيب وبالإمداد الإلهي، ويشتدُّ ويقوى أثر الأعمال الصالحة والعلم والمعرفة والتربية المستقيمة، وتصل قوّته أحياناً إلى الإحاطة بتمام باطنه الوسيع، وإضاءته إلى درجة انعدام كلّ الظلمة في نفسه.

كما أنَّ سوء التربية والانغماس بالقبائح والشهوات والإقبال على الماديّات وإهمال التعلّم والاطّلاع على الحقائق والمعارف والمعقولات يوجب ازدياد سمك الحجب والأغشية الّتي تمنع القلب عن البصيرة.

كما أنّ الاشتغال بالمناهي والملاهي وحبِّ الدنيا والمال والجاه والمقام والشهوات يُنسي الإنسانَ الحقائق ويُنسيه مصيره، وما يؤول إليه أمرُه ومستقبله الّذي ينتظرُهُ.

ولكن، وحتّى في هذه المرحلة المظلمة، ومهما هوى الإنسان في السقوط وحتّى لو صار مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[1] يبقى

---

١. الأعراف، ١٧٩.

بصيص أمل لعودته ويبقى بعض المنافذ والشبابيك مفتوحةً في وجوده تُرجعُه إلى عالم الغيب والحقيقة، ويبقى خلاصُه من متاهات السقوط والانحدار ومن ظلمات الشهوات الحيوانية، ممكناً غيرَ مستحيل.

وسواءٌ سمّيتم ذلك بالإدراك أو الوجدان الواقعي للإنسان أو غريزة حبّ الحقيقة أو الفطرة أو أيّ اسم آخر، فالمهمّ هو وجودها في الإنسان مهما انحدر، فهذا البصيص من النور وحتّى لو كان ضعيفاً وخفيفاً، يتجلّى في باطن الإنسان ويُشعره بمسؤوليّةٍ تجاه ربِّه ويُتمُّ الحجّة عليه إلى درجة أنّ الناس جميعاً يتوقّعون منه القيام بتكاليفه ووظائفه واحترام شرف إنسانيّته، وإلّا كان مستحقّاً للملامة والذمِّ والتوبيخ، بل ومستحقّاً للعقاب والتأديب في نظر العقلاء.

ونلاحظ أيضاً أنَّ أُولئك الّذين يخالفون الأنبياء والمناهج السماوية الداعية إلى الحقّ والعدالة والحرّية، وفي أشدِّ ساعات المواجهة بينهم، تصدر عنهم أحياناً وبلا إرادة بعض عبائر المدح والثناء للأنبياء فتتصرّف فيهم فطرتهم السليمة وتؤثّر فيهم الحقيقة والمعنويّات والطهارة، فتراهم أحياناً يبكون ويتألّمون للأنبياء، ولكنّهم يعودون إلى ما يقترفون من ذنوب ومعاصي واضطهاد للأخيار، وكأنّ هزّةً باطنيةً تعتورهم وتبعّدهم عن واقعهم المرير، ثمّ يلتفتون إلى حالهم فيعودون لما نُهوا عنه، ويرجعون إلى الدرجة الأُولى في السُلَّم وإلى قلعة الأنانية والإنكار والتمرّد.

وتاريخ الإسلام مشحون بإقرارات واعترافات أشدِّ أعداء الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمّة الطاهرين بأحقّية هؤلاء الأطهار وصحّة منهجهم وسبيلهم.

نعم، إنَّ أعداء أهل البيت عليهم السلام، والحاقدين والمتعصّبين وعبدة الدنيا والمغرورين الّذين اضطهدوا أهل البيت عليهم السلام، يشهدون في مواقع عديدة بفضيلة وحقّانية أهل البيت ويقرّون ببطلان أنفسهم ويعترفون بأنّ حبّ الدنيا أو العناد واللجاجة هي الّتي دفعتهم إلى إنكار حقّ أهل البيت عليهم السلام.

اقرؤوا قصّة أبي سفيان والأخنس وأبي جهل في سيرة حياة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وكيف أنّهم كانوا يأتون في الليالي الظلماء وبعيداً عن الأنظار وفي الخفاء، لكي يستمعوا إلى آيات القرآن المجيد من لسان النبيّ صلى الله عليه وآله، وفي النهار يعودون إلى محاربته وإنكاره وإيذائه.[١]

وإنَّ من عزل عليّاً عليه السلام عن ساحة الأحداث وأجلسه الدار، كان يعترف بفضائل ومقام عليّ عليه السلام وكان يعترف بأنّ عليّاً هو الأكفأ والأقدر والأنسب من بين كلّ المسلمين بهذا الأمر، وهذا معاوية وعمرو بن العاص وفي حياة أمير

---

١. ابن إسحاق، السير والمغازي، ج٤، ص١٦٩؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٢٠٧-٢٠٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص٨٢؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج١، ص٥٠٥-٥٠٦؛ السيوطي، الدرّ المنثور، ج٤، ص١٨٧.

المؤمنين عليّ‏ﷺ وبعد شهادته، وفي مجالسهم الخاصّة والعامّة أحياناً، يعترفون بفضائل ومناقب عليّ‏ﷺ وعلمه وورعه وتقواه، وتارةً كان معاوية يبكي عندما يذكر مناقب أمير المؤمنين ويترحّم عليه!!

وهذا مروان بن الحكم يشترك في تشييع الإمام الحسن‏ﷺ وعندما يُسأل: كنت تجرّعه الغصص في حياته واليوم تمشي في جنازته؟ فيقول: كنت أفعل ذلك مع من كان حلمُه يوازي الجبال.

وهذا عبد الملك بن مروان، وعندما واجه مشكلة ضرب النقود العويصة -كما يذكر ذلك البيهقي والدميري- اضطرّ إلى التماس محمّد بن عليّ الباقر‏ﷺ وأخذ الحلَّ من علمه الجمِّ، وهكذا كان فقد علّمهُ الإمام الباقر‏ﷺ حلَّ تلك المعضلة.[١]

وها هو المنصور الدوانيقي الّذي قتل ذراري رسول الله السادات بأفجع صور القتل وأبشعها، وطبقاً لأوثق النقولات المعتبرة أنّه دسَّ السُّمَّ للإمام الصادق‏ﷺ وقتله، نفس هذا السفّاح وطبقاً لما يذكره اليعقوبي[٢] عن إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس، أنّ المنصور بكى على الإمام الصادق‏ﷺ حتّى ابتلّت لحيته من دموع عينيه وكان يقول: إنّه كان سيّد أهل بيته وبقيّة الأخيار منهم وإنّه ممّن نزل فيهم قوله تعالى:

---

١. البيهقي، المحاسن والمساوي، ج٢، ص١٥٩-١٦٠؛ الدميري، حياة الحيوان، ج١، ص٩٧.

٢. اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٣٨٣.

«ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا».[١]

وهذا هارون الرشيد يعترف ويُقرُّ بمقامات موسى بن جعفر عليه السلام وما ذكره المأمون من قصّة احترام هارون الرشيد للإمام موسى بن جعفر عليه السلام وتبجيله، مشهورة ومعروفة.

وهكذا سائر الأئمّة عليهم السلام يحدّثنا التاريخ أنَّ خلفاء زمانهم وأعدائهم قد اعترفوا بفضلهم ومقامهم وعلمهم وأهليّتهم لحلِّ المعضلات من المسائل وأنَّ أُولئك الخلفاء كانوا يلوذون بهم ساعات الابتلاء والشدائد.

ولا يخفى أنَّ أكثر الاعترافات والإقرار من هؤلاء الظلمة كان من باب السياسة وخداع الرأي العامّ ورعايةً للمصالح الشخصيّة والنفاق والمراء لاستغفال الناس، ولكنّها مع كلّ ذلك كانت شهادة الأعداء بحسن قبول الناس لأهل البيت وحُسن سيرة المعصومين واتّفاق الناس على أهليّتهم وصلاحيتهم بل أسبقيّتهم على الآخرين في كلّ المجالات إلى درجة عجز أعداؤهم عن إخفائه.

والفَضْلُ ما شهدت به الأعداءُ. وما ذكرناه من اعتراف الأعداء، ينسحب إلى أعداء الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام بوضوح، يقول الأُستاذ عبّاس محمود العقّاد: ولكنَّ الجيش الّذي أرسله عبيد الله بن زياد لحرب الحسين عليه السلام كان جيشاً يحارب قلبه لأجل

---

١. الفاطر، ٣٢.

بطنه وأو يحارب ربَّه لأجل واليه؛ إذ لم يكن فيهم رجلٌ واحد يؤمن ببطلان دعوى الحسين عليه السلام أو رجحان حقّ يزيد، ولم يكن فيهم كافر ينفح عن عقيدة غير عقيدة الإسلام إلّا من طوى قلبه على كفرٍ كمين هو مُخفيه ولا نخالهم كثيرين... .

ولو كانوا يحاربون عقيدةً بعقيدة، لما لصقت بهم وصمة النفاق ومسبّة الأخلاق، فعداوتهم ما علموا أنّه الحقّ وشعروا أنَّهُ الواجب أقبح بها من عداوة المرء ما هو جاهله بعقله ومعرض عنه بشعوره؛ لأنّهم يحاربون الحقّ وهم يعلمون.

ومن ثمّ كانوا في موقفهم ذلك ظَلاماً مطبقاً، ليس فيه من شعور الواجب بصيصٌ واحدٌ من عالم النور والفداء، فكانوا حقّاً في يوم كربلاء قوّة من عالم الظلام تُكَافِحُ قوّةً من عالم النور.[1]

وروى ابن أعثم أنَّه لـمّا ورد كتاب يزيد بن معاوية إلى الوليد بن عقبة والّذي يأمره فيه بقتل الحسين بن عليّ عليه السلام ويعده بالإمارة والجائزة، اغتمَّ الوليد لذلك وقال: «لا حول ولا قوّة إلّا بالله».

والله لو أنّ يزيد أعطاني الدنيا بما فيها لما اشتركت بقتل الحسين ابن رسول الله.[2]

يقول الدينوري: عندما اقترح مروان بن الحكم على الوليد، قتل الحسين قال:

«وَيْحَكَ أَتُشِيرُ عَلَيَّ بِقَتْلِ الْـحُسَيْنِ بْنِ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ الله، وَالله إِنَّ الَّذِي

١. العقّاد، أبو الشهداء، ، ص٢٣٠.

٢. ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٥، ص١٨.

يُحَاسَبُ بِدَمِ الْـحُسَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَـخَفِيفُ الْـمِيزَانِ عِنْدَ اللهِ».[١]

وهذا يدلّ على مدى تعجّب واستغراب الوليد من جرأة مروان وقلّة حيائه، ولم يتوقّع حتّى من مثل مروان المنافق الحاقد، التفكير في قتل مثل الحسين.

يقول السبط ابن الجوزي، قال الوليد لمروان:

«وَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَإِنِّي قَتَلْتُ حُسَيْناً».[٢]

وروى ابن الأثير أنّ الوليد قال:

«وَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرُبَتْ عَنْهُ مِنْ مَالِ الدُّنْيَا وَمُلْكِهَا وَإِنِّي قَتَلْتُ حُسَيْناً أَنْ قَالَ: لَا أُبَايِعُ، وَاللهِ إِنِّي لَأَظُنُّ أَنَّ امْرَءاً يُحَاسَبُ بِدَمِ الْـحُسَيْنِ لَـخَفِيفُ الْمِيزَانِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».[٣]

وروى الخوارزمي أنّ مروان حذّر الوليد من التمرّد على أمر يزيد بقتل الحسين عليه السلام فقال له الوليد:

«مَهْلاً، وَيْحَكَ دَعْنِي مِنْ كَلَامِكَ هَذَا، وَأَحْسِنِ الْقَوْلَ فِي ابْنِ فَاطِمَةَ فَإِنَّهُ بَقِيَّةُ وُلْدِ النَّبِيِّينَ».[٤]

---

١. الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢١٨.

٢. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢١٤.

٣. ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٥-١٦.

٤. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج١، ص١٨١، فصل ٩.

ونقل الخوارزمي أيضاً أنّ الوليد لـمّا علم بخروج الحسين عليه السلام إلى العراق كتب إلى ابن زياد: **«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْـحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَى الْعِرَاقِ، وَهُوَ ابْنُ فَاطِمَـةَ الْبَتُـولِ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فَاحْذَرْ يَا ابْنَ زِيَادٍ أَنْ تَأْتِيَ إِلَيْهِ بِسُوءٍ فَتُهَيِّجَ عَلَى نَفْسِكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَا لَا يَسُدُّهُ شَيْءٌ وَلَا تَنْسَاهُ الْـخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ أَبَداً مَا دَامَتِ الدُّنْيَا»**.

ثمَّ يقول الخوارزمي بعد نقل ذلك: «**فَلَمْ يَلْتَفِتْ عَدُوُّ اللهِ إِلَى كِتَابِ الْوَلِيدِ**».[1]

ويقول ابن الأثير استمهل عمر بن سعدٍ عبيد الله بن زياد يوماً حتّى ينظر في أمره بقتل الحسين عليه السلام، فانصرف عمر يستشير نُصَحاءَه، فلم يكن يستشير أحداً إلّا نهاه، وجاء حمزة بن المغيرة بن شعبة وهو ابن اُخته فقال: أنشدك الله يا خال أن تسير إلى الحسين عليه السلام فتأثَم بربِّك وتَقطَع رَحِمَك! فو الله لأن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كلّها لو كان لك خيرٌ من أن تَلْقَى الله بدم الحُسين![2]

قال أَبو زهير العبسي: سمعت شبث بن ربعي أيّام إمارة مصعب يقول: لا جزا الله أهل الكوفة خيراً، ومنعهم الرشاد، ألا تعجب أنّنا قاتلنا عليّاً ومن بعده ابنه، ونصرنا آل أبي سفيان، ثمّ نصرنا آل معاوية وابن سميّة على ابن عليّ وهو خير أهل الأرض؟! «ضلال يا له من ضلال».[3]

---

١. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج١، ص٢٢١، فصل ١١.

٢. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٠٩-٣١٠؛ ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٥٢-٥٣.

٣. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٣٢؛ ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٦٨-٦٩.

وروى ابن سعد في *الطبقات*: أنْ مرجانة أُمّ عبيد الله بن زياد قالت لابنها: يَا خَبِيثُ قَتَلْتَ ابْنَ بِنْتِ رَسُولِ الله، وَاللهِ لَا تَرَى الْـجَنَّةَ أَبَداً». [١]

قال حميد بن مسلم: كان لي صحبة مع عمر بن سعد فأتيته عند منصرفه من قتال الحسين عليه السلام فسألته عن حاله فقال: لا تسأل عن حالي، فإنّه ما رجع غائب إلى منزله بشرّ ممّا رجعتُ به، قطعتُ القرابة القريبة، وارتكبت الأمر العظيم. [٢]

ولـمّا قام عمر بن سعد من عند ابن زياد يريد منزله إلى أهله وهو يقول في طريقه: «ما رجع أحد مثل ما رجعت، أطعت الفاسق ابن زياد الظالم ابن الفاجر، وعصيت الحاكم العدل وقطعت القرابة الشريفة».

وهجره الناس وكان كلّما مرّ على ملأ من الناس أعرضوا عنه، وكلّما دخل المسجد خرج الناس منه، وكلّ من رآه قد سبّه، فلزم بيته إلى أن قُتل. [٣]

وروى ابن الأثير والطبري:

دخلوا (القوم الّذين جاؤوا برأس الحسين عليه السلام من الكوفة) على يزيد فوضعوا الرأس بين يديه وحدّثوه الحديث، قال: فسمعت دَوْرَ الحديث هندُ بنت عبد الله بن

١. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١٠، ص٥٠٠؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢٣٣.

٢. الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٦٠.

٣. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢٣٣.

عامر بن كُرَيْز -وكانت تحت يزيد بن معاوية- فتقنّعت بثوبها وخرجت فقالت: يا أمير المؤمنين أرأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله؟ قال: نعم، فاعْولي عليه وحُدّي على ابن بنت رسول الله وصريخة قريش، عجّل عليه ابن زياد فَقَتَلَهُ قَتَلَهُ اللهُ.[١]

---

١. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٥٥-٣٥٦؛ ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٨٤-٨٥. لا يخفى أنّ مثل هذه الأقوال إنّما تصدر من أمثال هؤلاء الأرجاس كيزيد وعمر بن سعد وشبث وغيرهم، لا تدلّ بحال من الأحوال على توبتهم وندمهم على قتل الحسين عليه السلام بل هي دليل على شدّة اعتراض المسلمين عليهم وتنفّرهم من عملهم، فأرادوا بذلك تهدئة مشاعر الناس ضدّهم. إنّ يزيد رأى أنّ قتل الحسين عليه السلام قد أثّر حتّى في داخل بيته ونسائه فاعترضن عليه، وأحسّ بخطر الانقلاب عليه من كلّ طبقات المجتمع حتّى المجتمع الشامي الحاقد على أهل البيت. وكيف نحكم بندم يزيد وهو الّذي أكرم عبيد الله بن زياد بعد قتل الحسين عليه السلام وكافأه وقرّبه بدلاً من توبيخه وعزله ومعاقبته، فكيف يصحّ القول أنّ يزيد بريء من دم الحسين عليه السلام؟! أبداً، وكما ورد في خطبة عقيلة الهاشميّين التاريخية الشريفة حين ذكرت أنّ يزيد كان فرحانَ مسروراً شامتاً بقتل الحسين عليه السلام انتقاماً لأشياخه المشركين في بدر.

وهذا عمر بن سعد، فمضافاً إلى أنّه صار معرض ذمّ المسلمين وإنكارهم له، ولم يصل إلى ما كان يصبو إليه من حكومة الريّ، ولذا ندم على ما قام به بعد خسارته ما من أجله قتل الحسين عليه السلام، ولكنّه لو كان قد حصل على ولاية الريّ وتمكّن من قمع معارضيه والناقمين عليه لقتله سيّد شباب أهل الجنّة، لما كان قال ما قال من مظاهر الندم، ولما توانى وتباطئ عن القيام بأمثال ما قام به في كربلاء، لو أمر به ثانياً وثالثاً ورابعاً، وبكلّ ميل ورغبة.

إذن، ما ورد من هذه الأقوال والخطب إنّما هي لاستغفال المسلمين وامتصاص نقمتهم والتخفيف من وطأة الحدث المريع.

وحتى ابن زياد لـمّا رأى اعتراضات الناس وسخطهم عليه وأنّ نفرة المسلمين ولعنتهم لحقت به، حاول التبرّي من دم الحسين عليه السلام، حتّى أنّه حاول إتلاف كلّ كتبه الّتي وجّهها إلى ابن سعد وغيره فيما يرتبط بقتل سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام، قال هشام: عن عوانة قال: قال عبيد الله بن زياد لعُمر بن سعد بعد قتله الحسين عليه السلام: يا عمر! أين الكتاب الّذي كتبتُ به إليك في قتل الحسين؟

قال: مَضَيتُ لأمرك وضاع الكتاب! قال: لتجيئني به. قال: ضاع! قال: والله لتجيئني به. قال: ترك والله يُقرأ على عجائز قريش اعتذاراً إليهنَّ بالمدينة، أما والله لقد نصحتُك في الحسين نصيحةً لو نصحتُها أبي سعد بن أبي وقّاص كُنتُ قد أدّيت حقّه.

قال عثمان بن زياد أخو عبيد الله: صَدَقَ والله، لوددتُ أنّه ليس من بني زياد رجُلٌ إلّا وفي أنفِهِ خِزامةٌ إلى يوم القيامة وأنَّ حُسيناً لم يُقتل. قال: فو الله ما أنكر ذلك عليه عبيد الله.[١]

روى أبو مخنف: قال الناس لسنان بن أنس: قتلتَ الحسين بن عليّ وابن فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قتلت أعظمَ العرب خطراً، جاء إلى هؤلاء يريد أن يزيلهم عن ملكهم، فأت أُمراءَكَ فاطلب ثوابك منهم، لو أعطوك بيوت أموالهم في قتل الحسين كان قليلاً.

---

١. الطبري، التاريخ، ج٤، ص٣٥٧.

فأقبل على فرسه وكان شاعراً وكانت به لَوْثة[١] فأقبل حتّى وقف على باب فسطاط عمر بن سعد ثمّ نادى بأعلى صوته:

أَوْقِرْ رِكَابِي فِضَّةً أَوْ ذَهَباً   إِنِّى قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْمُحَجَّبَا

قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أُمّاً وَأَباً   وَخَيْرَهُمْ إِذْ يُنْسَبُونَ نَسَباً

فقال عمر بن سعد: أَشْهَدُ أَنَّكَ لَمَجْنُونٌ مَا صَحَحْتَ قَطُّ، أدخلوه عليَّ، فلمّا دخل حَذَفَهُ بالقضيب ثمّ قال: يا مجنون أتتكلّم بهذا الكلام! أما والله لو سمعك ابن زياد لضرب عُنُقك.[٢]

ومع هذا التنبيه من عمر بن سعد بسنان، نجد أنّ خولي بن يزيد حينما جاء إلى عبيد الله بن زياد برأس الحسين، أنشد نفس هذه الأبيات.[٣]

---

١. مسيٌ من الجنون.

٢. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٤٧؛ ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج٢، ص٢١.

٣. ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج٢، ص٢١. يقول ابن حجر في الصواعق المحرقة: إنّ قاتل الحسين جاء إلى ابن زياد وأنشد:

إِمْلَأْ رِكَابِي فِضَّةً وَذَهَباً   فَقَدْ قَتَلْتُ الْـمَلِكَ الْـمُحَجَّبَا

وَمَنْ يُصَلِّي الْقِبْلَتَيْنِ فِي الصِّبَا   وَخَيْرَهُمْ إِذْ يَذْكُرُونَ النَّسَبَا

فغضب ابن زياد وقال له: إذا كنت تعلم ذلك فلماذا قتلته؟ قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاس أُمَّا وَأَباً؛ ثمّ أمر به فضربت عنقه. خسر الدنيا والآخرة.

وروى السبط ابن الجوزي أنّ عمرو بن حريث -وكان من خواصّ زياد وابنه عبيد الله- قال لابن زياد:

قد بلغت حاجتك من هذا الرأس فهب لي ما ألقيت منه، فقال: ما تصنع به؟

فقال أُواريه. فقال: خذه. فجمعه في مطرف خزّ كان عليه وحمله إلى داره فغسله وطيّبه وكفّنه ودفنه عنده في داره، وهي بالكوفة تعرف بدار الخزّ، دار عمرو بن حريث المخزومي.[1]

ولا تَعجَبْ لذلك حتّى لو كان عمرو بن حريث في عداد حزب بني أُميَّة وتحت إمرة عبيد الله بن زياد، لأنّ أمثال هؤلاء كانوا يتقيّدون بالدين -ولو ظاهراً- مادام لا يعارض مصالحهم الدنيوية، فإذا وقعت المعارضة باعوا دينهم بدنياهم بل حتّى بدنيا غيرهم، وأمثال هؤلاء كثيرون حتّى في زماننا. إنّ عمرو بن حريث كان يُقدّس لحم رأس الحسين، ولعلّه كان يعتقد أنّ في ذلك بركةً لبيته، ولكنّه مع ذلك كان يُعين قاتل الحسين عليه السلام!

وفي زماننا يوجد بعض الناس يقدّسون أهل البيت عليهم السلام ويظهرون المودّة والحبّ لهم، لكنّهم يحاربون مبادئ وأهداف أهل البيت عليهم السلام، يبكون لأسر زينب وأخوات زينب من بنات الرسالة، لكنّهم لا يكترثون لستر نسائهم وحجابهنّ،

---

١. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢٣٣.

ويتبرّكون بالقرآن ويباركون أولادهم بحمل القرآن وتعليقه على صدورهم، ويتحرّزون به عند سفرهم ولكنّهم يخالفون أحكام القرآن الكريم.

هذه هي الحقيقة المرّة، وهي أنّ هؤلاء لو كانوا في زمن يزيد لكانوا من جنده ولم يتوانَوْا عن سلِّ سيوفهم في وجه الحسين عليه السلام، وهؤلاء هم الّذين وصفهم الحسين روحي فداه بقوله:

«اَلنَّاسُ عَبِيدُ الدُّنْيَا وَالدِّينُ لَعِقٌ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ فَإِذَا مُحِّصُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدَّيَّانُونَ».[١]

«أُفٍّ لِـمِثْلِ هَؤُلَاءِ الْـمُسْلِمِينَ وَأُفٍّ لِـمِثْلِ إِسْلَامِهِمْ!».

انعكاسات مقتل الحسين عليه السلام

استقبل المسلمون في كلّ بلدانهم نبأ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بلوعةٍ وتأسّف شديدَين، فما من خبرٍ سمعهُ المسلمون بأكثر أسًى وحُزناً من خبر قتل السبط الوحيد لخاتم النبيّين وسيّد المرسلين محمّد صلى الله عليه وآله.

فصحيحٌ أنَّ خبر هذه الواقعة الفجيعة لم يصل في البدء إلى أسماع كلّ المسلمين – خاصّة تلك المناطق الّتي كانت تصلها موجات الدعاية والإعلام الأُمويّ الّتي تبثّها قنوات التضليل ووضع الأحاديث المختلقة مثل المناطق الّتي كانت السلطة الأُمويّة

---

١. ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص٢٤٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٨٣؛ ج٧٥، ص١١٧؛ البحراني الأصفهاني، عوالم العلوم، ص٢٣٤.

تحكّم السيطرة عليها وتضبط الأخبار الواصلة إليها- ولكن بعد ذلك بأيّام ونظراً للدور الإعلامي المبرمج الّذي لعبته قافلة الأُسارى من كربلاء إلى الكوفة وإلى الشام ثمّ إلى المدينة، والخطب الّتي سمعها الناس من بنات الرسالة والإمام السجّاد عليه السلام، وحركة انتقال المسافرين بين بلدان العالم الإسلامي آنذاك، بعد كلّ هذا وقف المسلمون على قبح الجريمة الّتي اقترفتها الأيادي الأُمويّة، وعَمَّت موجَة الغضب والتذمّر والسخط على يزيد وولاته وعمّاله، أكثر المرافئ الإسلامية.

ولا نبالغ إذا ما قلنا: إنَّ الظروف السياسية والاجتماعية والأخلاقية الّتي قتل فيها الحسين عليه السلام كانت إلى درجة من الإرهاب والاستبداد بحيث لو أنَّ نبيّاً من الأنبياء كان قد قتل فيها، لم يكن ليصل نبأ مقتله بسرعة إلى كلّ العالم الإسلامي ولم تكن له انعكاسات واسعة أكثر من انعكاس خبر قتل الحسين عليه السلام، فمأمورو السلطة الجائرة ومرتزقتهم وجواسيسهم ووعّاظ سلاطينهم وعملاؤهم كانوا قد ملأوا الآفاق، يرفعون التقارير بكلّ صغيرة وكبيرة وجلاوزة الحكومة يُلقون القبض على من يُظنُّ بأنّه مخالف لهم ويزجّون به في غياهب السجون والمطامير تحت أشدِّ أنواع التعذيب والتنكيل، وفي مثل هذه الظروف كيف نتوقّع انتشار نبأ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في الآفاق بسرعة أكبر ممّا كانت عليه؟

لقد عضَّ الصديق والعدوّ، العالم والجاهل، الرجل والمرأة، على أصابعهم دهشةً وحيرةً من هذه الجسارة على الله ورسوله وهتك حرمته وتعجّبوا من تلك

القسوة والوحشيّة الّتي مورست بحقّ ابن بنت رسول الله من قبل أتباع بني أُميّة في كربلاء.

فبعض الناس، مثل عبد الله بن عمر، لم يُصدِّق خبر استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وجسارة هؤلاء الأشرار بساحة رسول الله صلى الله عليه وآله مع أنّه كان قد سمع بخبر استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام في محرابه.

والحقّ، أنَّ قتل الحسين عليه السلام بتلك الطريقة وذلك الأُسلوب الوحشي ـ وبتلك الخسّة الّتي تصرّف بها قاتلوه، لازال إلى اليوم مثاراً للاستغراب والدهشة، إذ كيف يعقل مثل ذلك ولم يمض على رحيل النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله إلى الملأ الأعلى أكثر من خمسين سنةً فقط إلّا وقد انتشرت مبادؤه وتعاليمه ورسالته بسرعة عجيبةٍ إلى أسماع كلّ العالم يومذاك، وإنَّ الفتوحات الإسلامية كانت قد اتّسعت لتقضَّ مضاجع المشركين وعبدة الأوثان والسلاطين والملوك والأكاسرة، حتّى وصل الإسلام إلى آسيا الوسطى وأفريقيا، واعتنق سكّان الكثير من بلدان عالم الإسلام وازدادت يوماً بعد يوم محبّة النبيّ في القلوب بسيرته الحسنة الشريفة ونبيل أخلاقه وصفاته.

ذلك النبيّ الّذي فتح أمام قومه بل لكلّ البشرية أبواب الهداية والرحمة والعزّة والسعادة والغنى والثروة وخير الدنيا والآخرة، أنقذهم من الجهالة والفجور، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الموت إلى الحياة، ومن الذلّة

والمهانة إلى الشرف والرفعة، لم يمض على وفاته أكثر من خمسين سنةً فقط، واجتمع نفرٌ من الأشرار والمنافقين من أُمّتِهِ، ومن الّذين يشهدون بلسانهم بنبوّته خمس مرّات باليوم، من الّذين أصبح الإسلام ومنهج النبيّ السماوي، رأسُمال عزَّتهم ومجدهم وقدرتهم، اجتمعوا لارتكاب أكبر جناية في التاريخ الإنساني، فقاموا بقتل ابن ذلك النبيّ وعزيزه ومن يمثّل الامتداد الطبيعي له في حياة المسلمين وعزَّتهم وافتخارهم، والّذي كان مَظهَراً لكلّ الكمالات الإنسانية، والّذي كان مجاهداً في سبيل نجاة الأمّة، قتلوه في جملة من أهل بيته وأطفاله وعدّة من أصحابه وهم خيرة أوتاد الأرض وقرّاء القرآن، العبّاد والزهّاد، معلّمو الأخلاق الإنسانية الفاضلة العظام، وأدلّة المجتمع في طريق السعادة، ونماذج صفاء ونقاء وطهارة ملائكة الرحمن في الأرض، بعد أنْ حاصروهم في صحراءَ قاحلة، ومنعوهم الماء المباح حتّى للحيوانات، ثمّ قتلوهم بأفجع طريقة عرفها التاريخ.

ألا يحقّ لنا وللجميع أن يستغربوا ذلك؟

إذ لم يكن من المتوقّع أن تصل الخيانة والوحشية ونكران الجميل والطعن من الخلف إلى هذه الدرجة من اللؤم والخسَّة.

ولم يكن متوقّعاً أن تسقط البشرية إلى أسفل درجات الانحطاط الأخلاقي.

لقد كان الأمر مذهلاً للعقول ومُحيِّراً للأفكار، خاصّةً وإنَّ الكثير من قتلة

الحسين‌ﷺ كانوا قد كاتبوه ودَعَوْه وبايعوه، وكانوا على يقين من علوّ قدره ومقامه وفضله، بل كانوا يعرفون أنّه الأكثر فضلاً وإستحقاقاً من سائر البشر أجمع.

كان الأمر مذهلاً ومحيّراً، وقد انكشف أُولئك الأشرار، المقنّعين بقناع الدين والشرف وظهروا على حقيقتهم وكيف إنّهم باعوا دينهم وباعوا شرفهم وباعوا ضمائرهم بثمن بَخْس، وقد أقرّوا بأنفسهم بجنايتهم وخسّتهم، فبقيت وصمة عارٍ في جبينهم إلى يوم القيامة. لـمّا سمع أبو عثمان عبد الرحمن الهندي، الّذي أسلم زمن النبيّ واشترك معه في عدّة حروب، وصاحب سلمان الفارسي مدّة اثنتي عشرة سنةً وكان معروفاً بالعبادة وقراءة القرآن، عندما علم بذلك هجر الكوفة وقال:

لَا أَسْكُنُ بَلَداً قُتِلَ فِيهِ ابْنُ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ‌ﷺ.[1]

وروى ابن سعد أنَّ أُمّ سلمة ـ والّتي كانت بعد خديجة‌ﷺ نموذجاً للمرأة المسلمة ـ لـمّا بلغها قتل الحسين‌ﷺ قالت متعجّبةً:

«أو قد فعلوها؟ ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً ثمّ بكت حتّى غشي عليها.[2]

وكان الحسن البصري يقول:

---

١. ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج٣، ص٣٢٥.

٢. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١٠، ص٤٩٦؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢٤٠.

«لو كنتُ مع قتلة الحسين عليه السلام أو مع من رضي بقتله، ما دخلتُ الجنّة حياءاً من رسول الله صلى الله عليه وآله وخوفاً من نظره إليّ بعين الغضب».[١]

وحكى الزهري:

«لـمّا بلغ الربيع بن خيثم قتل الحسين عليه السلام بكى وقال: لقد قتلوا فتيةً لو رآهم رسول الله صلى الله عليه وآله لأحبّهم وأطعمهم بيده وأجلسهم على فخذه».[٢]

وقال يحيى بن الحكم[٣] لـمّا أقبل وفدُ أهل الكوفة برأس الحسين ودخلوا مسجد دمشق قال لهم: كيف صنعتم؟ قالوا: ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلاً فأتينا والله على آخرهم وهذه الرؤوس والسبايا. فقال:

«حُجِبْتُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَنْ أُجَامِعَكُمْ عَلَى أَمْرٍ أَبَداً».

ثمَّ قام فانصرف.[٤]

ويحيى هذا هو الّذي أنشد تلك الأبيات المعروفة في مجلس يزيد.

---

١. الشبلنجي، نور الأبصار، ص٢٦٨؛ الشبراوي، الإتحاف بحبّ الأشراف، ص٧٢-٧٤؛ الصبّان، إسعاف الراغبين، ص١٦٠-١٦١. ونقل مثل هذا الكلام عن إبراهيم النخعي.

٢. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٣٥٦.

٣. (٥) وهو أخو مروان بن الحكم، ومروان هو الّذي رغّب الوليد بقتل الحسين عليه السلام.

٤. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٥٦.

قال أبو مخنف: حدّثنى أبو جعفر العبسيّ عن أبي عمارة العبسيّ ـ قال: فقال يحيى بن الحكم أخو مروان بن الحكم:

لَـهَامٌ بِجَنْبِ الطَّفِّ أَدْنَـى قَرَابَـةً   مِنِ ابْنِ زِيَادِ الْعَبْدِ ذِي الْـحَسَبِ الْوَغْـلِ[1]

سُمَيَّةُ أَمْسَى نَسْلُهَا عَـدَدَ الْـحَصَا   وَبِنْـتُ رَسُـولِ الله لَـيْسَ لَهَـا مِـنْ نَسْـلِ

فقال: فضرب يزيدُ بن معاوية في صدر يحيى بن الحكم وقال: اسكُتْ.[2]

وأمثال يحيى بن الحكم كثيرون في حاشية بني أُميّة ومقرّبيهم، وقد هزّتهُم فاجعة كربلاء ولم يكفّوا ألسنتهم عن ذمّ قتلة الحسين عليه السلام ولم يسكتوا على العار الّذي لحق بهم جرّاء ارتكاب بني أُميّة وأعوانهم، بل حتّى حريم القصر ونساء يزيد، عَلَتْ صيحاتهنّ وصراخهنّ وبكاؤهنّ على الحسين عليه السلام كما أشرنا سابقاً، ولا عجب في ذلك، فإنّ من حَمَل ذرّةً من الإسلام، وشمَّ قليلاً من رائحة الدين، لا يتحمّل السكوت عن مثل هذه الجريمة البشعة بقتل أولاد النبيّين وأسر نسائهم، دون أنْ يصبَّ جامَ لعنته على مقترفيها.

قال عبد الله بن الزبير:

«لقد اختار الحسين الميتة الكريمة على الحياة الذميمة، فرحم الله حسيناً،

---

١. الوَغل: الخسيس.

٢. الطبري، التاريخ، ج٤، ص٣٥٢.

وأخزى قاتلَ الحسين، فلعمري لقد كان من خلافهم إيّاه وعصيانهم ما كان في مثله واعظ وناهٍ عنهم، ولكنّه ما هُمَّ نازل، وإذا أراد الله أمراً لن يُدفع. أفبعد الحسين عليه السلام نطمئنّ إلى هؤلاء القوم ونصدّق قولهم ونقبل لهم عهداً؟ لا، ولا نَراهُم لذلك أهلاً، أما والله لقد قتلوا طويلاً بالليل قيامُه، كثيراً في النهار صيامُه، أحقَّ بما هم فيه منهم، وأولى به في الدين والفضل، أما والله ما كان يُبدِّل بالقرآن الغناء، ولا بالبكاء من خشية الله الحُداء، ولا بالصيام شرب الحرام، ولا بالمجالس في حَلَق الذكر الركض في تطلاب الصيد ـ يعرّض بيزيد ـ فسوف يَلْقَوْنَ غَيّاً».[١]

وقال ابنُ عبّاس: رأيت النبيّ فيما يرى النائم نِصْفَ النهار وهو قائمٌ أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم، قلت: بأبي وأمّي أنت يا رسول الله ما هذا؟ قال: «هَذَا دَمُ الْحُسَيْنِ لَمْ أَزَلْ أَلْتَقِطُهُ» فلمّا استيقظت وجدتُه قد قُتل في ذلك النهار.[٢]

وقال الزهري:

لـمّا بلغ الحسن البصريّ قتل الحسين عليه السلام بكى حتّى اختلج صدغاه، ثمّ قال:

---

١. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٦٤.

٢. ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٢، ص٧١؛ ابن عبد البرّ، الاستيعاب، ج١، ص٣٥٦-٣٥٩؛ الشبراوي، الإتحاف بحبّ الأشراف، ص٤١.

وأذلّ أُمّة قَتل ابنَ بنتِ نبيّها ابنُ دعيِّها، والله ليردَّنَّ رأسَ الحسين إلى جسده ثمّ لينتقمنّ له جدُّه وأبوهُ مِن ابنِ مرجانة.[١]

وروي أنَّ زوجة كعب بن جابر الّذي قَتل بريراً عليه السلام قالت له: نصرت قتلة الحسين ابنِ فاطمة، وقتلت بُريراً سيّد القرّاء! والله لا أُكلّمك من رأسي كلمةً بعد اليوم.[٢]

لقد كان قتل الحسين عليه السلام ثقيلاً جدّاً على وجدان الناس ونفوسهم إلى درجة أنَّ نفس قتلة الحسين الّذين حضروا كربلاء من أجل الغنائم، وطمعاً بالمناصب والدراهم، وعلى الرغم من تعلّقهم الكبير بحفظ مناصبهم في أجهزة الدولة ومؤسّسات الحكم الأُموي، لم يتمكّنوا من إخفاء عظم الجرم الّذي ارتكبوه، فكانوا يستشعرون خسّتهم وقبح ما ارتكبوه، ومن هنا نجد الواحد منهم يحاول جاهداً إلقاء اللوم على الآخرين والتبرّى من فداحة الجريمة الّتي اقترفوها.

يقول الشبراوي:

ولـمّا ضعف جسم الإمام الحسين عليه السلام عن النهضة بالجراحات حمد الله تعالى وأثنى عليه ثمّ قال: «اللّهمّ إنّي أشكو إليك ما يُصنع بابن بنت نبيّك، اللّهمّ أحصهم عدداً، واقتلهم مدداً ولا تبق منهم أحداً». وأقبل شمر في نحو عشرة إلى

---

١. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢٧٨.

٢. ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٦٧.

منزل السيّد الحسين وحالوا بينه وبين رحله، وقدموا عليه وهو يحمل عليهم وقد بقي في ثلاث نفر من أصحابه ومكث طويلاً من النهار ولو شاؤوا أنْ يقتلوه لقتلوه، ولكنّهم كان يتّقي بعضهم ببعض، ويحبّ هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء، فنادى شمر في الناس: ويحكم ما تنتظرون بالرجل اقتلوه ثكلتكم أُمّهاتكم، فحملوا عليه من كلّ جانب فضربه زرعة بن شريك التميمي بكفّه اليسرى فصار يقوم ويكبو بقوّة جاش وثبات جنانٍ وفضل شجاعة وعدم مبالاة بما فيه من الجراح بشهامة قرشيّة، وعزّة هاشمية غير مكترث ذلك الأسد الوثّاب بنهش تلك الكلاب، غير أنَّ الأقدار الأزلية والحكمة الإلهية اقتضت إظهار هذا الخطب الجسيم، والصدع العظيم تنبيهاً على حقارة هذه الدار، وأنّها إنّما خلقت مطبوعةً على الأكدار، وليتأسّى بهذه المصيبة المصابون وينال هذا الإمام مقام الشهادة الّذي يتنافس فيه المتنافسون وإلّا فمن أكرم على الله سبحانه من بضعة حبيبة المجتبى، وسبط الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله ومن المعلوم قدرته سبحانه على نصره على أعدائه وكفّ أسلحتهم عنه، ودفع ضررهم وشرّهم.

«**لَكِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَلا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ**».[١]

---

١. الشبراوي، الإتحاف بحبّ الأشراف، ص٥١-٥٣. اقتباس من قوله تعالى: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾. الأنبياء، ٢٣.

لقد كان وقع المأساة عظيماً إلى درجةٍ لفَّ الحزن بها كلّ العالم الإسلامي، إذ أنَّ موتَ عالمٍ روحانيّ مُتحرّق إلى هداية المجتمع، مجاهدٍ في تربية النفوس وتهذيب الأرواح وتكميلها وتعليم الأخلاق الفاضلة، لمقرحٌ للجفون ومسبلٌ للعيون.

وإنَّ فقدان مرجع دينيّ وزعيم روحيّ لمحرقٌ للقلوب أسًى وحزناً، فكيف بفقدان الحسين عليه السلام؟!

وكلّنا شاهدنا كيف أنَّ ارتحال الزعيم الكبير والمجاهد، أُستاذنا المعظّم آية الله السيّد البروجردي قدس سره، قد هزَّ العالم الإسلامي وعمَّ الحزن والمأتم أنحاء البلاد، فكيف بقتل ابن فاطمة الزهراء بنت محمّد صلى الله عليه وآله؟!

فللوقوف على عظم مأساة ومصيبة الحسين عليه السلام وما تركته من أثر وحزن وانعكاس في أعماق الناس وأنفسهم، لابدّ من التوسّل بالمقايسة بفقد هؤلاء العلماء، والاستعانة بهذا الميزان مع الاحتفاظ بالفارق الكبير والبون الشاسع بين القضيّتين.

فاستشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأولاده وإخوته وأبناء إخوته وأبناء أخواته، وكلّهم من أبناء بيت النبوّة، وجواهر بحر الهداية والتُّقى، لا يقاس أبداً بموت عالم عاش حياته على بركات مائدة آل محمّد، خاصّةً إنَّ قتل الحسين عليه السلام لم يكن قتلاً مماثلاً لما عليه القتل في الحروب، وإنّما قُتل الحسين وأطفاله عُطاشى مُنعوا حتّى من الماء المباح للحيوانات.

واستشهاد الحسين عليه السلام كان مقترناً بقتل وذبح الأطفال الرضَّع بأبشع وأخسّ أساليب القتل!!

واستشهاد الحسين عليه السلام كان مقترناً بجريان خيل الضلال على صدره الشريف!!

واستشهاد الحسين عليه السلام التوأم مع سلب ملابسه وثيابه وقطع رأسه وأصبعه!!!

واستشهاد الحسين عليه السلام تبعه الغارة على أخبية بنات محمّد وعليّ وفاطمة وسلب النساء والبنات حليّهنّ وأقراطهنّ بقسوة ووحشيّة!!

واستشهاد الحسين عليه السلام المتعقّب بأسر مخدّرات الوحي وعقائل النبوّة، وهتك ستور حرم العصمة والجلالة.

أجل، لا يمكن قياس أيِّ واحدة من هذه المصائب بالمقياس العاديّ كفقد عالم كبير أو مرجعٍ، بل تعجز كلّ المقاييس عن بيان فداحة هذا المصاب الجلل، وتبقى كلّ الموازين صغيرةً محدودةً تضيق عن كشف ثقل هذه الحادثة الأليمة بأبعادها الكاملة.

فمن الواضح أنَّ انعكاسات مثل هذه المصائب تهيّج طوفاناً من الأسى والحزن يعتصر القلوب والأرواح، ولا يهدأ أبداً بمرور السنين والدهور والأعصار.

ومن ثمّ حاول يزيد وأكثر المشتركين بهذه الجريمة جاهدين من أجل إثبات براءتهم في المحاكمة الكبيرة الّتي أُقيمت في محكمة وجدان المسلمين بل عموم الناس الّتي حكمت على كلّ قتلة الحسين عليه السلام والّذين ظلموا أهل البيت عليهم السلام بالعار

والشنار والارتداد والخروج عن ربقة الإسلام بل الإنسانية.

إنّ يزيد الّذي كان منتشياً بنشوة النصر الظاهري، والّذي أمر بنفسه بإحضار عقائل النبوّة أُسارى إلى دمشق، والّذي لم يألُ جهداً في إيذائهم وإذلالهم في مجلسه، وترنَّم بتلك الأشعار الكافرة علناً، وكشف عن أساريره الخبيثة الجاهلية، يزيدُ هذا وعندما أحسّ بانقلاب السحر على الساحر، وشعر بانعكاس الجريمة الخطيرة والّتي ظهرت حتّى في غرف حريمه ومخادعه، وعندما صكّت مسامعه خطبة العقيلة زينب وخطبة الإمام السجّاد عليه السلام في مسجد الشام، ورأى بأُمِّ عينيه اعتراضات أقرب الناس إليه وأشدّهم عناداً لآل محمّد، أراد أن يستدرك الموقف، فلجأ إلى النعمان بن بشير واليه الّذي عزلهُ عن الكوفة لرفقه بدُعاة الحسين عليه السلام، وأمرهُ أن يسير بآل الحسين إلى المدينة ويجهّزهم بما يُصلحهم، وقيل: إنّه ودّعَ زين العابدين وقال له:

«لَعَنَ اللهُ ابْنَ مَرْجَانَةَ... أما والله لو أنّي صاحب أبيك ما سألني خ صلةً أبداً إلّا أَعْطَيْتُهُ إِيَّاهَا وَلَدَفَعْتُ الْحَتْفَ عنهُ بكلّ ما استطعت ولو بهلاك بعض وُلدي، ولكنَّ الله قضى ما رأيت، يا بُنيّ!! كاتبني من المدينة وأنْهِ إليَّ كلّ حاجة تكونُ لك».[1]

---

١. العقّاد، أبو الشهداء، ص٢٦٧-٢٧١.

ولم يكن بتقديرنا يزيد نادماً أبداً من قتل الإمام الحسين عليه السلام، إذ لم يكن يزيدُ يُعيرُ أيَّ اهتمامٍ للفضائل والقيم، ولا يقيم لها وزناً في قبال الملك والسلطة، بل كان مسروراً جذلان بالانتقام من رسول الله محمّد بما فعله يوم بدر والأحزاب، ولولا أنّه خاف الفتنة لأمر بقتل البقيّة الباقية من آل محمّد صلى الله عليه وآله وإن كانوا نساءاً وأطفالاً، كما فعل بأهل المدينة في واقعة الحرّة.

والثابت الّذي لا جدال فيه، أنَّ يزيد لم يعاقب أحداً من ولاته كبر أو صغر على شيءٍ ممّا اقترفوه في فاجعة كربلاء، بل إنّه -وكما قلنا سابقاً وكما سيتّضح لنا أكثر فأكثر لاحقاً- حَبا ابنَ زيادٍ وكرّمه وجازاه وقرَّبهُ، ولكن يزيد قال ما قال لزين العابدين، مكراً ورئاءاً وخوفاً من نقمة الناس عليه، ولأنّه أحسّ بخطأ خُطَطِه وفشلها.

لقد ظنَّ يزيد وابنُ زياد أنّه بعد أن يقتل الحسين عليه السلام ويُوطئ الخيل صدره يستطيع أن يخدع الناس بإضفاء صبغة شرعية قانونية على عمله بادّعاء خروج الحسين عليه السلام على خليفة وقته وشقَّ عصا المسلمين، أو أنَّ بإمكانه كمُّ الأَفواه الّتي يُحتمل اعتراضها، بالمال والرُشا، أو إحكام قبضة الحديد والنار على من لا تنفع معهم تلك الأساليب بأجمعها، وأنّه سيتوسّل بقطع الأيدي وجذع الأُنوف والآذان، كما فعل معاوية ابن أبي سفيان مع شيعة عليّ عليه السلام حيث تتبعهم تحت كلّ حجر ومدرٍ، وأعلن البراءة ممَّن تولّى أبا تراب، وأمر خطباء جمعته بسبِّ عليّ عليه السلام

على المنابر، هكذا كان يظنّ يزيد، ولكن كلّ الحسابات كانت مغلوطةً ولم تؤتِ ثمارها حتّى لفترة قصيرة، لأنّ اعتراض الناس بدأ منذ اليوم الأوّل من قضيّة كربلاء، ولم تستطع مجزرته بالمدينة من تلافي سلبيّات ما اقترفته يداه الأثيمتان في كربلاء ومحو آثارها في قلوب المسلمين.

إنَّ مظلوميّة الحسين‌ﷺ قد تجلَّت إلى درجة أنّ قتلته أنفسهم كانوا يشعرون بالخزي والعار بقيّة حياتهم.

يقول الدكتور العقّاد:

وركب أُناساً منهم الفَزَع الدائم بقيّة حياته؛ لأنّهم عرفوا الإثمَ فيما اقترفوه عرفاناً لا تسعهم المغالطة فيه، ومن هؤلاء رجل من بني أبان بن دارم كان يقول: قتلت شابّا أمرد مع الحسين‌ﷺ بين عينيه أثر السجود. فما نمتُ ليلةً منذ قتلته إلّا أتاني فيأخذ بتلابيبي حتّى يأتي جهنّم فيدفعني فيها، فأصيح فما يبقى أحدٌ في الحيِّ إلّا سمع صياحي.

ورأى هذا الرجلَ صاحبٌ له بعد حين وقد تغيَّر وجهه واسودّ لونُه، فقال له: «**ما كدت أعرفك**» وكان يعرفه جميلاً شديد البياض.[1]

مكانة الحسين‌ﷺ عند الصحابة والتابعين

من بالغ حبِّ الرسول الأكرم‌ﷺ وعطفه الكبير على الحسين‌ﷺ ومن كثرة الأحاديث

١. العقّاد، أبو الشهداء، ص٢٣٠.

الواردة عنه -صلوات الله عليه- في خصوص مناقب وفضائل الحسين عليه السلام والّتي أصبحت ورد لسان المسلمين وزينة محافلهم ومجالسهم واجتماعاتهم، ومن أقربيّة الحسن والحسين عليهما السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن كلّ الخصال الحميدة في الحسين عليه السلام والّتي جعلته محبّباً للجميع، من كلّ ذلك، يعلم مدى تجليل واحترام الحسين من قبل عامّة المسلمين.

وممّا ساعد المسلمين على الصبر على فقدان النبيّ الأكرم، وجود عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ومن هنا كان هؤلاء الأربعة وهم تذكار النبيّ صلى الله عليه وآله، مورد احترام وتبجيل المسلمين، ومحور تمركز أحاسيسهم وعواطفهم، فكانوا عليهم السلام المرهم الشافي لجروح القلوب المفجوعة بفراق رسول الله صلى الله عليه وآله المخفِّف عن أحزانهم وآلامهم.

ولكن كما نعلم أنّ فاطمة عليها السلام لم تمكث بعد رسول الله إلّا فترةً قصيرةً والتحقت بأبيها وارتاحت من أمواج الغمّ والحزن والمصائب العاتية.

وبقي عليّ والحسنان عليهم السلام مركز تجلّي أحاسيس المسلمين وعواطفهم الجيّاشة في رسول الله صلى الله عليه وآله، فمن كان محبّاً لمحمّد، كان ملء قلبه الحبّ للحسنين، فهما تذكار رسول الله واحترامهما احترام النبيّ صلى الله عليه وآله، وكان الناس يتذكّرون رسول الله كلّما نظروا إلى الحسن والحسين عليهما السلام.

ولا نبالغ إذا ما قلنا بأنّ هذين الطفلين كانا أعظم مالكٍ لقلوب رجال ونساء المسلمين بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وأنّ المدينة كانت تحتفظ بثقلها الروحيّ الّذي كانت عليه أيّام رسول الله صلى الله عليه وآله.

فإذا جاء الحسنان إلى المسجد، كأنّ رسول الله قد جاء، وإذ احضرا محفلاً ذكّر وجودهما الناس بالنبيّ محمّد، وكانت تظهر على وجوه الناس ملامح البشر والسرور

والطمأنينة بوجودهما الحاكي عن وجود المصطفى صلى الله عليه وآله.

ومن لم يَنَلْ من الناس افتخار صحبة النبيّ، كان يُعزّي نفسه بصحبته للحسنين وهما ذكرى النبيّ صلى الله عليه وآله، فكان الجميع يجلسون إليهما ويسمعون منهما ويتبرّكون ببركتهما، وكانت كلّ القلوب ـ إلّا قلوب المنافقين ـ شرق وغرب العالم الإسلامي مفعمةً بحبّ وَلَدي رسول الإنسانية، بل إنَّ بعض أهل النفاق ومبغضي أهل البيت، ولكي يخدعوا العوامّ ومن أجل الحفاظ على مصالحهم السياسية، كانوا يظهرون الودَّ للحسنين عليهما السلام.

وكان ودُّ المسلمين للحسنين كبيراً إلى درجة أنَّ البعض ظنّ بأنَّ المسلمين كانوا يحبّونهما أكثر من أبيهما عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وها هو الأحنف بن قيس يقف أمام معاوية في المجلس الّذي أقامه معاوية لأخذ البيعة لابنه يزيد، ولم يتجرّأ أحد على الاعتراض عليه، فقال له الأحنف: أنت أعلمنا بليله ونهاره، وبسرّه وعلانيته، فإن كنت تعلم أنّه شرّ لك فلا تزوّده الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة، فإنّه ليس لك من الآخرة إلّا ما طاب، واعلم أنّه لا حجّة لك عند الله إن قدّمت يزيد على الحسن والحسين وأنت تعلم من هما، وإلى ما هما، وإنّما علينا أن نقول: سمعنا وأطعنا ربّنا وإليك المصير.[1]

---

١. محمد رضا، الحسن والحسين سبطا رسول الله، ص٤٨ – ٥٠.

وقد يكون الأمر كذلك، فخواصّ الصحابة أمثال عمّار وقيس بن سعد الأنصاري وأمثالهم ممّن أدرك عهد النبيّ وعرف إيثار وفداء ومقام عليّ بن أبي طالب، كانوا أكثر تعلّقاً بعليّ عليه السلام، لكنَّ محبّة الحسن والحسين وبملاحظة أنّهما ريحانتا رسول الله وثمرة فؤاد فاطمة الزهراء، كانت قد ملأت القلوب والنفوس، وكانوا يعتبرونهما منبع الكرامات والبركات، فهما تذكارا رسول الله ولا شكّ في أنّ كلّ مسلم يُحبُّ تذكار النبيّ صلى الله عليه وآله.

يقول الأُستاذ العقّاد:

وقد عاش الحسين سبعاً وخمسين سنةً بالحساب الهجريّ، وله من الأعداء من يصدقون ومن يكذبون، فلم يَعِبْهُ أحد منهم بمعابَةٍ ولم يملك أحد منهم أن ينكر ما ذاع من فضله، حتّى حار معاوية بعيبه حين استعظم جلساؤه خطاب الحسين له، واقترحوا عليه أن يكتب إليه بما يصغّرُهُ في نفسه، فقال: إنّهُ كان يجد ما يقوله في عليّ ولكن لا يجد ما يقوله في حسين».[1]

---

١. العقّاد، أبو الشهداء، ص٣٤.

وكان معاوية يقصد أنّه كان يملك حيلةً في إضلال الناس بالافتراء على أمير المؤمنين بدم عثمان لمشاركته أو سكوته عن قتلته، مع أنّ معاوية كان يعلم ببراءة عليّ من ذلك، إلّا أنّه أراد أن يشعل نار الفتنة، مثله مثل طلحة والزبير وعائشة الّذين كانوا المحرّك الأصلي لقتل عثمان.

وبعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام ازدادت محبّة الحسين عليه السلام في القلوب، وكبُر اشتياق الناس إلى رؤيته وزيارته، ولا مبالغة في قول: إنَّ كلّ محبّتهم للرسول وعليّ وفاطمة والحسن قد أُضيفت إلى حبِّهم للحسين عليه السلام.

ويمكن تقريب هذا المعنى بضرب مثل رجلٍ له خمس أولاد مميّزين، نوابغ وابتلي بفراق موت أربعة منهم وأحداً بعد الآخر، فمثل هذا الشخص سيرتكز حبُّه للخامس، ويتأكّد حفاظاً عليه واعتزازاً به وفَرَقاً من فراقه، فتراه دائم الانشغال به، مهتمّاً برعايته، ساهراً على خدمته، فإذا ما قُدِّر أن ابتلي بفراقه هو الآخر، كانت مصيبته أعظم المصائب عنده.

يقول العقّاد:

ولقد كان الحسين بن عليّ بهذه المزيّة (النسب الشريف) أحبَّ إنسانٍ إلى قلوب المسلمين وأجدَر إنسانٍ أنْ تنعطف إليه القلوب.[1]

وكان مجلس الحسين من أفضل مجالس العلم والتفسير في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله وكان الكلّ يفتخرون بالحضور عنده، وكما اعترف معاوية بذلك.

وقد نقل ابن كثير أنّه لمّا ورد الحسين عليه السلام وابن الزبير إلى مكّة وأقاما فيها، لازم الناس الحسين بن عليّ ولم يفارقوه وكانوا يَرِدون عليه أفواجاً أفواجاً ويجلسون

---

١. العقّاد، أبو الشهداء، ص١٣١.

حوله ويستمعون إليه.[١]

وقد نقل الواقدي،[٢] والذهبي في *تاريخ الإسلام*[٣] في أخبار مقتل الحسين عليه السلام، حديثاً عن أبي عون ـ ورُوي نظيره في تاريخ النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله ـ يدلّ على إيمان الناس واعتقادهم الكبير بمقام الإمام الحسين الروحي وأنّه مظهر كمالات جدِّه رسول الله صلى الله عليه وآله.

والحديث هو: خرج الحسين عليه السلام من المدينة فمرَّ بابن مطيع وهو يحفر بئره، فقال أين فداك أبي وأُمّي؟ متّعنا بنفسك ولا تَسِرْ، فأبى حسين عليه السلام فقال: إنّ بئري هذه رشّحتها، وهذا اليوم أوان ما خرج إلينا في الدلو، فلو دعوت لنا فيها بالبركة، قال: هات من مائها، فأتى به في الدلو فشرب منه ثمّ مضمض ثمّ ردّه في البئر.[٤]

يقول الأُستاذ العلايلي: وممّا لا اختلاف فيه بين الرواة أنّ الحسين عليه السلام كان محبّباً إلى كلّ نفس، مصطفًى بين كلّ قبيل. وزادت به جاذبيّته إلى الناس، أنّهم غدوا يقدّسونه تقديساً وينظرون إليه بالنظر الّذي هو فوق اعتبارات الناس.[٥]

---

١. العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص١٣٩.

٢. ابن سعد، الطبقات الكبري، ج٥، ص١١٠.

٣. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥، ص٨.

٤. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٤، ص١٨٢؛ العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص١٤٠.

٥. العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص١٣٩.

ومن جملة ملامح خضوع الناس لشخصيّة الإمام الحسينعليه السلام هو تواضع عبد الله بن عبّاس له، فابن عبّاس من بني هاشم وهو ابن عمَّ النبيّ ومن رجالات الإسلام وهو أكبر سنّاً من الحسينعليه السلام ومشهور بالعلم والمعرفة بين الناس، ومن الرواة المعروفين وحملة حديث النبيّصلى الله عليه وآله وكان أبو بكر وعمر يقيمان له وزناً إبّان خلافتهما، وكان عمر يشاوره في كثير من الأُمور، وفي زمن خلافة أمير المؤمنينعليه السلام كان من كبار صحابة عليّ وتلامذته، ومع كلّ ذلك، وكما يقول ابن سعد في *الطبقات*: إنَّ ابن عبّاس كان يُمسك بزمام راحلة الحسن والحسينعليهما السلام ليركبا وكان يقول:

«**هُمَا ابْنَا رَسُولِ الله**».[1]

وكان عمر بن الخطّاب يلتزم بإظهار الاحترام وتعظيم مقام الحسينعليه السلام وكان يقول له:

«**إِنَّمَا أَنْبَتَ مَا تَرَى فِي رُؤُوسِنَا اللهُ ثُمَّ أَنْتُمْ**».[2]

أَي إنَّ كلّ ما لدينا من عزّة وفخر ودين ودنيا هو ببركة الله وبركتكُم.

وكان عبد الله بن عُمر جالساً في ظلّ الكعبة فقدم أبو عبد الله الحسينعليه السلام فقال ابن عمر:

---

١. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢١٢.

٢. ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٢، ص٦٩.

«هَذَا أَحَبُّ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَى أَهْلِ السَّمَاءِ الْيَوْمَ».[١]

وكان أبوبكر يحاول التشبّه برسول الله ﷺ فكان يُركب الحسن والحسين على كتفيه.[٢]

وكان أبو هريرة يطلب من الحسين عليه السلام أن يسمح له بتقبيل سُرّته.[٣]

وكان الحسن البصري يقول: «الحسين سيّدٌ زاهدٌ صالحٌ يحبّ الخير للمسلمين، حَسن الخُلق».[٤]

وخطب عبد الله بن الزبير في المسجد الحرام بعد مقتل الحسين عليه السلام فقال:

لقد اختار الحسين الميتة الكريمة على الحياة الذميمة، فرحم الله حسيناً، وأخزى قاتلَ الحسين، فلعمري لقد كان من خلافهم إيّاه وعصيانهم ما كان في مثله واعظ وناهٍ عنهم، ولكنّه ما هُمَّ نازل، وإذا أراد الله أمراً لن يُدفع. أفبعد الحسين عليه السلام نطمئنّ إلى هؤلاء القوم ونصدّق قولهم ونقبل لهم عهداً؟ لا، ولا نَراهُم لذلك أهلاً، أما والله لقد قتلوا طويلاً بالليل قيامُه، كثيراً في النهار صيامُه، أحقَّ بما هم فيه منهم وأولى به في الدين والفضل، أما والله ما كان يُبدِّل بالقرآن

---

١. ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٢، ص٦٩؛ الصبّان، إسعاف الراغبين، ص١٥٥.

٢. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج١، ص٩٣، فصل ٦.

٣. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج١، ص٩٣، فصل ٧.

٤. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج١، ص١٥٣، فصل ٧.

الغنـاء، ولا بالبكـاء مـن خشـية الله الحُـداء، ولا بالصـيام شرب الحـرام، ولا بالمجالس في حَلَق الذكر الركض في تطـلاب الصـيد -يعـرّض بيزيـد- «قَتَلُـوهُ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً، أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِـمِينَ».[١]

أخلاقية الإمام الحسين عليه السلام

لا شكّ في أنَّ قيمة المرء، في علمه وكماله وفضائله وكريم خلقه. فـأفراد البشرـ مهما تفاوتت أوصافهم الجسمية والعرقيـة وتمـايزوا ببلـدانهم وملابسـهم ومـالهم ومقامهم وسائر العوارض الأُخرى إلّا أنّ كلّ ذلك لا يفضل بعضهم على بعض، والأمر الوحيد الّذي يمايزهم هو الكمالات الروحيـة والأخـلاق الحميـدة والمـآثر الجميلة. وبعبـارة، أنّ فضـيلة الإنسـان ليسـت في الاسـتمتاع باللذائـذ الحيوانيـة والاتّصاف بما يشـترك بـه مـع سـائر الحيوانـات والبهـائم، وإنّـما كـمال الإنسـان بالاتّصاف بما يميّزه عن الحيوانات، وكلّما تعمّق اتّصافه بهذه الفوارق، ازداد تمـايزاً وابتعاداً عن عالم البهائم واقترب إلى الإنسانية وتجلّت فيه صفات البشر.

فكثيرٌ من الناس صورهم صور البشر، لكنّهم لازالوا يراوحون في الحيوانية، والبعض يطوي الفاصلة بين الحيوانية المحضة والإنسـانية الكاملـة ويتوقّـف في

١. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٦٦٧ - ٦٦٨؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢٤١.

نقطة في منتصف الطريق، وبعضهم الآخر يطوي تلك الفاصلة كاملة فيصل إلى حدِّ الكمال التامّ.

والعلوم والمعارف والأخلاقيّات الحميدة، هي كواشف عن مقدار المسافة الّتي اجتازها هذا الفرد أو ذاك في هذا الطريق، وتجلٍّ للمرحلة الّتي توقّف عندها أو وصلها.

فالإنسان بفطرته يمتاز بحبّ الأخلاق الحميدة، ويُحبُّ ذوي المكارم والفضل ويتأثّر بالمشاهد الأخلاقية وصور القيم الرائعة.

وعلى مرّ العصور، كانت العدالة وطهارة النفس، الأمانة، الصدق، الاستقامة، الثبات، الشجاعة، الصراحة، الصبر، الحلم، الوفاء بالعهد، التواضع، الرحمة، الإحسان، الإيثار، الفداء، والرغبة في التحرّز من الظلم، وخدمة البشرية من الأُمور المحبّبة والممدوحة عند الإنسان، ومهما تغيّرت الظروف الحياتية وتبدّل شكل الحياة وتنوّعت ظواهر العيش، إلّا أنّ إحساس البشر وتفاعلهم مع هذه الأخلاقيات، بقي ثابتاً صامداً لا يعتريه التغيير، لأنّه أمرٌ فطريّ وفي المقابل، تنفر الطبائع البشرية عن رذائل الصفات كالحسد، التكبّر، النفاق، الكذب، الظلم، الخيانة، الحقد، الغرور والخيلاء.

وعلمُ الأخلاق والتربية أُنشأ على أساس هذا الإفراز الفطري والإدراك الباطني.

ومطالعة التحقيقات العلميّة لعلماء الأخلاق ومعرفة النفس، ضرورية للسائرين في طريق تهذيب النفوس وتربيتها للتعرّف على فوائد ومضارّ الأخلاق الحميدة وأضدادها.

وقد عنى الإسلام وهو آخر الأديان السماوية الإلهيّة، بهذه الجهة، فكانت برامجه التربوية والأخلاقية، أكمل وأتمَّ البرامج المعروفة منذ بدء الخليقة وإلى يومنا هذا. فمضافاً إلى تضمُّن قسم كبير من الأحكام التكليفية والوضعية، للمفاهيم الأخلاقية الّتي تساهم في تربية وتهذيب النفوس، كما في باب العبادات والمعاملات والتكاليف اليومية، كذلك وضع القرآن والمنهج الإسلامي برنامجاً تربويّاً مستقلّاً لإصلاح الأرواح وتزكيتها، لإيصالها إلى الكمال.

وقد كتب العلماء والفلاسفة المسلمون، اقتباساً من التعاليم الأخلاقية للإسلام، أفضل الكتب في علم الأخلاق، وإلقاء نظرة خاطفة على أدبيّات العرب والعجم، يكشف لنا بوضوح صحّة هذه الدعوى.

وكلمات نبيّ الإسلام العظيم الجامعة، وخطب أمير المؤمنين وكلماته القصار، وما نُقل عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام ومحامد أخلاقهم وكرائم صفاتهم وجميل سيرتهم، كلّها أسناد فخر للمسلمين وأدلّة حيّة على كمال المنهج التربويّ للإسلام.

كما أنَّ ميزان اهتمام الدين الإسلامي الحنيف بنشر الأخلاق والمكارم يتجلّى أكثر فأكثر من خلال التشويق والترغيب بالثواب والأجر الجزيل لكلّ واحدة من تلك الصفات الكريمة الآنفة الذكر.

وفي سورة آل عمران، الآية ١٦٤، وسورة الجمعة الآية ٢، لخّصت برامج عمل النبيّ صلى الله عليه وآله التربوية في ثلاث أُمور هي:

١. تلاوة الآيات القرآنية.

٢. تزكية وتربية النفوس.

٣. تعليم الكتاب والحكمة.

وقول النبيّ صلى الله عليه وآله معروف ومشهور:

«إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ».[1]

لقد كان النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله المثل الأعلى لكلّ الأخلاق الفاضلة، والصفات الحميدة، والكمالات الروحية والنفسية، وباعتراف العدوّ والصديق.[2]

---

١. البيهقي، السنن الكبري، ج١٠، ص١٩٢؛ ابن عبد البرّ، الاستذكار، ج٨، ص٥٧٦؛ ابن عبد البرّ، التمهيد، ج١٦، ص٢٥٤.

٢. وممّا يؤسف له، أنّ المسلمين اليوم يتخبّطون في المفاسد الأخلاقية والانحرافات الروحية مع امتلاكهم لهذه الثروة العظيمة الغنيّة من المعارف الأخلاقية والبرامج التربوية السماوية، فتراهم يُقلّدون الغرب المسيحي الكافر، الفاقد لكلّ القيم المعنوية، ويتجرَّدون عن كرائم الآداب والخلق الإيماني الرفيع الّذي كان فخراً للأُمم الإسلامية، ويتقمّصون ثوب الابتذال والميوعة والتبرّج والتحلّل والاختلاط الجنسي والشذوذ والسكر والمجون والقمار واللهو، ويعملون على ترويج هذه الصفات والأخلاقيات الرذيلة في مجلّاتهم وصحفهم ومطبوعاتهم، وينشرون الصور الخليعة ويخرجون الأفلام الماجنة المفسدة الّتي تأباها النفس الكريمة بل وحتّى بعض الحيوانات والبهائم الّتي تتستّر في مثل تلك الحالات عن الناظرين. مع أنّ استقلال وكرامة وعزّة كلّ أُمّة من الأُمم إنّما

هو في الاحتفاظ بعاداتها وتقاليدها وأخلاقياتها وآدابها، فاذا ماذابت عاداتها وتقاليدها ومكارم أخلاقها في الثقافات الأُخرى، لم يَعُدْ لهذه الأُمّة أيَّ مقدار ولا رصيد، وصارت أُمّةً هشّةً رخيصةً تتقاذفها أمواج الثقافات الأُخرى وتلعب بها رياح المناهج التربوية الفاسدة، فتذوب هويّتُها وشخصيّتُها وعنوانها في العناوين الأُخرى، فلم يَعُد لها وجود مستقلّ كسائر الأُمم الأُخرى.

وكما يقول العلماء والمفكّرون والمختصّون في علم الاجتماع، فإنّ ضعف الأُمّة الإسلامية اليوم وخمولها وتطفّلها على المجتمعات الأُخرى ليس ناشئاً عن ضعف وندرة البرامج التربوية الإسلامية، إذ لا توجد تعاليم ومناهج أكثر دقّةً وثباتاً وواقعيةً من المناهج التربوية للإسلام، وإنّما السبب كلّ السبب هو عدم الالتزام بتلك المناهج، والتمرّد عليها وعدم الامتثال للأحكام الشرعية الإسلامية، والجهل بالمعارف والبرامج التربوية، والكسل في طلب العلوم حتى الأكاديمية والطبيعية منها، وعدم الجدّ في كسب الخبرات التجربيّة والصناعية.

فعلى المسلمين أن يشمرّوا عن سواعدهم لتطوير صناعاتهم والاستفادة من العلوم الحديثة والنهضة التكنلوجية للوصول إلى الاكتفاء الذاتي والتخلّص من سيطرة وهيمنة الأجانب، والاستفادة من الأموال الطائلة الّتي تصرف في تقليد الأجانب وعاداتهم القبيحة وصرف تلك الأموال في المشاريع الإنمائية والإعمار والصناعة والتطوّر، لكي يخطو العالم الإسلامي خطوات سريعة في عالم الرقيّ والتطوّر من جهة، وحفظ هويّته الإسلامية والمحافظة على شبابه من الانحراف الأخلاقي وآفات المدنية الكاذبة من جهة أُخرى.

وليت هؤلاء المتأثّرين بالثقافة الغربية البرّاقة الكاذبة، رجعوا إلى مطالعة وقراءة الكتب التربوية الإسلامية، بل ليتهم قرأوا كتب علماء الغرب أنفسهم بدقّة واستفادوا من المفيد منها، لا أن

فأخلاق النبيّ صلى الله عليه وآله وسيرته الحسنة ومعاشرته الحميدة، مذكورة في كتبٍ أُلّفت في هذا المجال بالخصوص، مضافاً إلى ما ورد في كتب السيرة والتاريخ، ومطالعة مثل هذه المصنّفات لكبار المتخصّصين في التربية، كافٍ لتوجيه الإنسان وهدايته لمكارم الأخلاق.

كما أنَّ أهل بيت النبيّ، الأئمّة الأطهار عليهم السلام وهم الامتداد الطبيعيّ للرسول الأكرم، يمثّلون النموذج الجميل للكمال، وباتّفاق الموافق والمخالف، كانوا نوابغ عصورهم والمصاديق الأكمل للأخلاق النبويّة الإسلامية الحسنة.

ولقد كان عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ممثّلو التكامل والرقيّ الإنساني، وكانت أشعّة نور أخلاق رسول الله بادية الانتشار في وجوداتهم الكريمة.

يُقلّدوا الغرب تقليداً أعمى عجولاً، وأن لا ينخدعوا بأساليب الغربيّين البرّاقة الخدّاعة الّتي لا تجرُّ الإنسان إلّا إلى الفساد والانحراف والهلاك. واليوم تئنُّ الدنيا من النكبات الأخلاقية والمفاسد الغربية، ويحترق العالم في لهيب الاضطراب الفكري والروحي ويكتوي مليارات البشر بحرارة الرغبة الطائشة لطغيان وحرص وطمع أصحاب الأسلحة المدمّرة، وفي كلّ يوم نسمع جديداً عن برامجهم الانحرافية وسوء أخلاقهم وظلمهم وطغيانهم وخلاعتهم ممّا لا يليق ذكره.

نعم، على المسلمين أن يكونوا أُنموذجاً يُحتذى به في الأخلاق والفضائل، وأن يحافظوا على وحدتهم وعزّتهم وكرامتهم بالتمسّك بتوحيد الكلمة وكلمة التوحيد، وأن يبرهنوا للعالم أنّهم أقوى الأُمم وأشرفها، لا أن يتشبّهوا بالمجتمعات المسيحية الخاوية الهزيلة الّتي كانت عالةً على المجتمع الإسلامي في مناهجه وقيمه وعلومه.

مكارم أخلاق سيّد الشهداء عليه السلام

لقد كان لتضحية الحسين عليه السلام واستقامته وطلبه الحقّ وتوكّله وإرادته القويّة وتخلّيه عن الدنيا، من أبرز تجلّيات شخصيته المقدّسة في عاشوراء والّتي جذبت الأنظار إلى درجة أنّها غطّت على سائر صفاته وعظمة سجاياه الأُخرى. وكأنّ العقل البشري والفكر الاجتماعي إذا وجد الشخص مبالغاً في الفداء والإيثار في طريق الحقّ، اعتبره مالكاً لكلّ السجايا الحميدة الأُخرى، وكلّما ارتقى في درجات التضحية والفداء، وأخلص في الصمود والإيثار، ازدادت عظمته وشموخه في القلوب.

إنَّ فداء الحسين المنقطع النظير، رفعه ورفعه إلى درجة إمكان قياس كلّ صفاته الحميدة الأُخرى بمقياس هذه الصفة، ووزنها بهذا الميزان، وأنَّ ذلك جعله السبّاق لكلّ الكرام والمتفوّق على كلّ الأفاضل.

وهذه هي الحقيقة، فإنّ صدور مثل تلك التضحيات والاستقامة والفداء والشجاعة والثبات والمناعة، لا يتيسّر إلّا لمن تحقّقت فيه كلّ الكمالات الأُخرى بأتمِّ صورها وأروعها.

وتحقّق ذلك الصمود والفداء، محالٌ إلّا بوفرة الإيمان واليقين والمعرفة والبصيرة والتوكّل والاعتماد على الله والزهد والصبر بأعلى مستوياتها، وبغير ذلك لا تتجلّى تلك الآيات العظيمة المحكمة في الصبر والاستقامة العاشورائيّة.

يقول العلايلي:

«ونحن فيما اتَّسق لدينا من الأخبار عن الحسين عليه السلام وصفته، نراه كيف كان يتحزَّم على نفسه بكلّ مظاهر القدوة الصالحة، بحيث لا يَعدُو أن يكون مثالاً نبويّاً في حدوده ومن شتّى أقطاره.

ولقد انصرف بكلّ نفسه عن الدنيا وما إليها، حتّى قال زين العابدين عليه السلام لمن قال له: ما كان أقلّ ولد أبيك! قال عليه السلام: العجب كيف ولدت له، كان لا يفتر عن الصلاة في ليل أو نهار فمتى كان يتفرّغ للنساء؟[1]

فهذا المتَحنِّث المُتأَلِّه في تأمّله وإطراقه، وتحرّكه وسكونه. هو الّذي سنراه مجاهداً مكافحاً ومغامراً مستَميتاً حتّى كأنّه الأسد لا تُنال تلابيبه. فلم يكن يشغله أمر عن أمر، ولا حاجة لله عن حاجة للناس».[2]

ويضيف قائلاً:

«أرأيتم إلى الرجل يقوم على اسم الله، ويمضي على اسم الله، ويموت على اسم الله، كيف تسمو به الغاية ويعلو به الهدف. هو هدفٌ ولكن ليس من شهوات

١. إبن طاووس، اللهوف، ص٥٧؛ ابن طاووس، فلاح السائل، ص٢٦٩؛ الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج٤، ص١٠٠؛ ابن الدمشقي، جواهر المطالب، ج٢، ص٢٧٥.

٢. العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص١٠٢.

النفوس، وغايةٌ ولكن ليس كمثلها الغايات، غاية تحقِر كلّ ما في الحياة من أشـيائها، ولا ترى سِوَى الملكوت الأعلى هدفاً، وسوى السماء مستقرّاً، لأنّه مَهدُها فلا بـدع أن حنّشت إليه وطلبت اللِّحاق به، فللناس أوطانهم، وللناس حَنينهُم، ولمثـل هـذه الشخصيّة وطنُها ولها حنينها، فهي تشُقُّ طريقها بين الجلامد والصُّخور، راضيةً مرضيةً وماضيةً مطمئنَّةً، لأنّها تناجي الأُمنيَّة السامية وتَنشُد المثل الأعلى، وهل وراء الله مَطلب؟ وهل إلى غير الله مصير؟ وهل بعد الله حقيقة؟

هذه مبادئُ الرجل المصطفى، والرجل المختار. فلا عَجَب أن راح يطلبها في كلّ شي، ولو حال الموت دونها فهو يَستعذ به، لأنّه الطَّفرة الّتي تصل بـه إلى أعذب الأمانيّ، وهل مع الأمانيّ العذاب، شعور بمريرات العذاب.

وقديماً ارتفع صوت المسلم في إقدام ومضـاء، بالكلمة الرهيبة عند النـاس والأُغنيّة عنده.

وَلَسْـتُ أُبَـالِي حِـينَ أُقْتَـلُ مُسْـلِماً عَلَى أَيِّ جَنْـبٍ كَـانَ فِي الله مَصْرَعِي

الشخصيّة الكبيرة من الناس، ولكن بما فيها من المعنى الإلهيّ والسرّ القـدسيّ والقبس العلويّ، تنير السبيل للإنسانية في حالة الظلم وفي الليل الأليل الأدكـن ﴿**اَللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ**﴾. وكذلك تكون في حياتها دليلاً أميناً، وبعد مماتها أُمثُولةً رائعةً فيها من كلّ عناصر الخلود والسُّمُوّ.

وتاريخ كلّ أُمّة إنّما هو في الحقيقة تاريخ عظمائها، فأُمّة لا عظيم فيها لا تاريخ فيها أو ليست جديرةً بالتاريخ.

ونحن إذا قدّمنا حسيناً بين العظماء، فإنّا لا نقدّم فيه عظيماً فحسب، وإنّما نقدّم فيه عظيماً دونه كلّ عظيم، وشخصيةً أسمى من كلّ شخصية، ورجلاً فوق الرجال مجتمعين.

ولا بِدع فكلُّ مَن عرفهم التاريخ وعرفناهم قَضَوا دون غاية من أمجاد الأرض، فكان مَن قضى دون مجد من أمجاد السماء أسمى.

والآن سأخوض في بيان نواحي العظمة الّتي امتاز بها الحسين عليه السلام في كلّ ميدان، حتّى يبدو أُمّة بين العظماء. فقد عرفنا العظيم في ثوب الشجاع، وعرفنا العظيم في ثوب البطل، وعرفنا العظيم في ثوب الضحيَّة الشَّهيد، وعرفنا العظيم في ثوب الزاهد، وعرفنا العظيم في ثوب العالم، وأمّا العظمةُ في كلّ ثوب، والعظمة في كلّ مَظهر، حتّى كأنّها تَآزَرَت من أقطارها فكانت شخصاً ماثلاً للناس يقرَأُونه ويعتبرون به. فهذا ما نراه في الحسين عليه السلام وَحدَه، وهذا ما نَلمَسُه فيه فقط، حيث هو من نفسه وحيث هو من نسبه، فلقد يكون أبوه مِثله ولكن لا يجد له أباً كمثل نفسه.

فرجل كيفما سَمَوت به من أيِّ جهاته انتهى بك إلى عظيم، فهو مُلتَقى عظمات ومجمع أفذاذ. فإنّ من يَنبثِق من عظمة النبوّة «محمّد صلى الله عليه وآله»، وعظمة

الرُّجولة «عليّ عليه السلام» وعظمة الفضيلة «فاطمة عليها السلام» يكون أُمثولة عظمة الإنسان، وآية الآيات البيّنات.

فلم تكن ذكراه ذكرى رجل بل ذِكرى الإنسانيّة الخالدة، ولم تكن أخباره أخبار بطل بل خبر البطولة الفذَّة.

فالحسين عليه السلام رجل ولكن فيه آيةُ الرجال، وعظيم ولكن فيه حقيقة العظمة. فَرَعياً لذكراه، ورَعياً للعِظَة به.

ومن ثمّ كان جديراً بنا أن نستوحيه على الدوام، كمصدر إلهاميّ انبثق وهّاجاً قويّاً، وامتدّ بأنواره أجيالاً وأجيالاً، ولا يزال يسطع كذلك حتّى ينتظم اللانهايات وينفذ إلى ماوراء الأرض والسماوات، وهل لنور الله حدّ يقف عنده أو مَعلَم ينتهي إليه؟ ﴿وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾.[١]

ويقول العقّاد:

«وقد لبث بنو أُميّة بعد مصرعه (الحسين عليه السلام) ستّين سنةً يسبّونه ويسبّون أباه على المنابر، ولم يجسر أحد منهم قطّ على المساس بورعه وتقواه ورعايته لأحكام الدين في أصغر صغيرة يباشرها المرء سرّاً أو علانيةً، وحاولوا أن يعيبوه بشيء غير خروجه على دولتهم فقصرت ألسنتهم وألسنة الصنائع والأُجراء دون ذلك».[٢]

---

١. العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص١٠٤ - ١٠٦.

٢. العقّاد، أبو الشهداء، ص٢٠٦-٢٠٧.

وقال أيضاً: «فهي (كربلاء) اليوم حرمٌ يـزوره المسـلمون للعـبرة والـذكرى، ويزوره غير المسلمين للنظر والمشاهدة، ولكنّها لـو أُعطيـت حقّهـا مـن التنويـه والتخليد، لحقَّ لها أن تصبح مـزاراً لكـلِّ آدمـيّ يعـرف لبنـي نوعـه نصـيباً مـن القداسة وحظّاً من الفضيلة، لأنّنا لا نذكر بقعةً من بقـاع الأرض يقـترن اسـمها بجملة من الفضائل والمناقب أسمى وألزم لنوع الإنسان من تلك الّتـي اقترنـت باسم كربلاء، بعد مصرع الحسين عليه السلام فيها».

فكلُّ صفة من تلك الصفات العلويّـة الّتـي بهـا الإنسـانُ إنسـانٌ وبغيرهـا لا يحسب غير ضربٍ من الحيوان السائم، فهي مقرونة في الذاكرة بأيّام الحسين عليه السلام في تلك البقعة الجرداء.

وليس في نوع الإنسان صفات علويّات أنبل ولا ألزم له من الإيـمان والفـداء والإيثار ويقظة الضمير وتعظيم الحقّ ورعاية الواجب والجدِّ في المحنـة والأنفـة من الضيم والشجاعة في وجه الموت المحتوم ـوهي ومثيلات لها مـن طرازهـا- هي الّتي تجلَّت في حوادث كربلاء منذ نزل بها ركب الحسين عليه السلام.

ثمّ يقول بعد ذلك: «وحسبك من تقويم الأخلاق في تلك النفوس، إنّه ما من أحد قتل في كربلاء إلّا كان في وسعه أن يتجنّب القتل بكلمة أو بخطوة ولكـنّهم جميعاً آثروا الموت عطاشاً جياعاً مناضلين على أن يقولوا تلك الكلمة و أو يخطوا تلك الخطوة لأنّهم آثروا جمال الأخلاق على متاع الحياة».

وبعد أن يُفصّل العقّاد بذكر جملة من فضائل الحسين وأصحابه ومناقبهم في كربلاء، يقول:

«وقد تناهت هذه المناقب إلى مداها الأعلى في نفس قائدهم الكريم ويُخيّل إلى الناظر في أعماله بكربلاء أنّ خلائقه الشريفة كانت في سباق بينها، أيّها يظفر بفخار اليوم، فلا يدرى أكان في شجاعته أشجع، أم في صبره أصبر، أم في كرمه أكرم، أم في إيمانه وأَنَفَتِهِ وغيرته على الحقّ بالغاً من تلك المناقب المثلى أقصى مداه.[١]

ومع أنّنا نقرُّ بعجزنا عن وصف عظام سجايا الحسين عليه السلام ومن حقّنا أن نعجز عن بيان كلّ تلك المناقب، ولكنّنا مع ذلك سنذكر بعض جوانب كمالات الحسين الأخلاقية والعلميّة بنحو الاختصار، ليُعلم أنّ وجوده عليه السلام هو التجلّي الأتمّ للعظمة والاستقامة والصبر والفداء والإباء في طريق تعظيم الحقّ، وأنّه عليه السلام محور كلّ كرائم المزايا والصفات.

١. علمُ الإمام الحسين عليه السلام

إنَّ ما نعرفه ويشهد له تاريخ وسيرة النبيّ الأعظم والأئمّة الأطهار عليهم السلام، هو أنَّ علمهم ومعارفهم هي مواهب إلهيّة ولم يتتلمذوا على يد أحد ولم يدخلوا في أيِّ مكتبة ومدرسة.

---

١. العقّاد، أبو الشهداء، ص٢٢٢-٢٢٣، ٢٢٦.

فالنبيّ الأكرم كان يتلّقى العلم من المصدر الإلهي وصار مصدراً لكلّ هذه المعارف والعلوم والشرائع المحكمة.

لقد فتح النبيّ صلى الله عليه وآله مدرسةً بقيت لأربعة عشر قرناً يفتخر الفلاسفة والعلماء الكبار بتلقّي دروسها، وينتقون من معارفها وينهلون من فيوضاتها ويجرعون من كاسات علومها الحقّة.

وكذلك معارف وعلوم عليّ عليه السلام وسائر الأئمّة، فهي إفاضات ربّانية، وهبات إلهيّة وعلوم محمّدية استقوها من النبيّ المصطفى صلى الله عليه وآله.

فأيُّ مدرسة في تلك الفترات المظلمة يمكنها أن تخرِّج مثل هؤلاء الأفذاذ، ليكونوا أساتذة العالمين في كلّ فنون العلم حتّى في زمن صباهم وطفولتهم، ويكونوا مراجعَ لكبار المراجع في المسائل العلميّة الدقيقة، وحلّالي عويصات المشكلات الفلسفية والفقهية عند كبار العلماء والفلاسفة؟

إنّها المدرسة السماوية فقط، الّتي من شأنها تخريج هؤلاء الأساتذة.

إنَّ الأحاديث المعتبرة تدلّ على أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله قد علَّم عليّاً وأبناءه عليهم السلام علوماً خاصّةً، وأنّه أملى على عليّ عليه السلام كتاباً كتبه عليٌّ بيمينه، كان ولازال محفوظاً في هذا البيت، كمرجع ومستندٍ يرجعون إليه، وفي الحقيقة إنَّ برامج وتعليمات الأئمّة عليهم السلام وسيرتهم وأُسلوبهم هو إكمال وتتميم أهداف النبيّ في تربية المجتمع البشري وهدايته.

ومن مثل حديث الثقلين المتواتر والمشهور، والّذي أرجع النبيّ فيه الأُمّة إلى هؤلاء الأطهار، تتجلّى لنا صلاحيتهم العلميّة التامّة وتظهر وتتّضح لياقتهم وأهليّتهم لهذا المقام.

أضف إلى ذلك الروايات الكثيرة الواردة بطرق أهل السنَّة والدالّة على تميُّز عليّ عليه السلام من بين سائر أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله في اهتمام الرسول به، وتلقّيه المعارف والعلوم والفيوضات النبويّة، فحقَّ له أن يكون المرجع العامّ للمسلمين في المسائل العلميّة والعلوم الشرعيّة، وكان الكلّ منتهياً إليه في معرفته.

لقد كان عليٌّ عليه السلام أعلم الصحابة، وكان علم الصحابة مجتمعين لا يساوي شيئاً في قبال علم عليّ عليه السلام، وكان الكلّ محتاجين لعليٍّ وكان عليٌّ مستغنياً عن الجميع.

فعليٌّ عليه السلام، ومضافاً إلى استعداداته الخاصّة ومواهبه الإلهيّة الّتي لم يُشاركه فيها أحد من الصحابة، حتّى صار حلّال المشكلات في عهود الخلفاء الثلاثة، والممتاز في فهم ودرك الأحكام والمعارف والعلوم الغامضة والمسائل المشكلة وحقائق الوحي وكلّيات القواعد الدينية، كان اختصاص النبيّ وتفرّده به، له الأثر الكبير في تربية عليّ وصياغته علميّاً وروحياً، فطالما كان عليّ ينهل العلم من محمّد صلى الله عليه وآله، وقد شرح الله صدره إلى درجة أنّه تمكّن من فتح ألف باب من العلم من باب واحد تعلّمه من رسول الله صلى الله عليه وآله.

لقد كان تتلمُذُ عليٍّ عليه السلام على يد النبيّ صلى الله عليه وآله تتلمذاً خاصّاً لا نظير له، فصار عليّ نسخةً مطابقةً للأصل.

ولذا، فصورة النظام الإسلامي، كلّها واضحة ومتجلّيةٌ في سلوك عليّ وسيرته ومتجسّمةٌ في فعاله وأقواله.

ومن بعد عليّ عليه السلام اختصّ ولداه الحسن والحسين عليهما السلام بهذا المنصب الإلهيّ والقيادة العلميّة والدينية، فكانا الملاذ والملجأ للناس في المسائل الإسلامية وعلوم التفسير والأحكام الشرعية، فكان خطابهم هو الفيصل المقبول عند الناس، وكانت سيرتهم وسلوكهم هما الميزان والنموذج الّذي يُحتذى به.

فإذا ما أمعنت النظر في حالات الإمام الحسين عليه السلام وجدته مقتفياً لأثر بصيرة نافذةٍ ومنهجٍ غيبيّ، فعلمه واحتجاجاته مع خصوم أهل البيت، خاصّةً معاوية ومروان، والكتب الّتي تبادلها مع معاوية، وخطبه الّتي ألقاها بمناسبات مختلفة، ودعاؤه يوم عرفة وأدعيته الأُخرى المنقولة في كتب المسلمين عامّةً، خير دليلٍ على هذا المدّعى.

وما أُثر عنه في توديعه للصحابيّ الجليل أبي ذرّ ـ الّذي كان من أجلّة صحابة النبيّ ومن السابقين، حيث ذكر ابن الأثير في *أُسد الغابة*: أنَّ أبا ذرّ كان خامسَ من اعتَنق الإسلام، وعدَّ الكثير من مناقبه ـ[1] عندما نفاه عثمان إلى الربذة بعد أن طرده معاوية من الشام، وكان الحسين عليه السلام في جملة من شيَّعه وودّعه وهم الإمام

١. ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج١، ص٣٠١.

عليّ والحسن وعمّار وعقيل، قال الحسين عليه السلام لأبي ذرّ:

«يَا عَمَّاهُ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُغَيِّرَ مَا قَدْ تَرَى، وَاللهُ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ، وَقَدْ مَنَعَكَ الْقَوْمُ دُنْيَاهُمْ ومَنَعْتَهُمْ دِينَكَ، وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ، وَأَحْوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ، فَاسْأَلِ اللهَ الصَّبْرَ والنَّصْرَ وَاسْتَعِذْ بِهِ مِنَ الْجُشَعِ والْجُزَعِ فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الدِّينِ وَالْكَرَمِ، وَإِنَّ الْجُشَعَ لَا يُقَدِّمُ رِزْقاً، وَلَا يُؤَخِّرُ أَجَلاً».[1]

وهذه الكلمات قالها الإمام الحسين عليه السلام مرتجلاً وكان يومئذٍ في نحو الثلاثين من عمره، يخاطب بها رجلاً مسنّاً فاضلاً جليلاً من الصحابة، فكأنّما أودع هذه الكلمات شعارَ حياته كاملةً منذ أدرك الدنيا إلى أن فارقها في مصرعه بكربلاء، وهي تعبِّر عن قدس مقام وروحانية الحسين العالية وعلمه ومعرفته وغناه وكمال بصيرته.

وروى ابن عساكر في تاريخ دمشق،[2] عن نافع بن الأزرق رئيس فرقة الأزارقة الخوارج حينما قال نافع للإمام الحسين عليه السلام:

صِفْ لِي رَبَّكَ الَّذِي تَعْبُدُ!

فَقَالَ الْحُسَيْنُ عليه السلام:

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٨، ص٢٥٣-٢٥٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٢، ٤١٢-٤١٣؛ الأميني، الغدير، ج٨، ص٣٠١-٣٠٢؛ العقّاد، أبو الشهداء، ص١٣٦.

٢. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٤، ص١٨٣-١٨٤.

«يَا نَافِعُ مَنْ وَضَعَ دِينَهُ عَلَى الْقِيَاسِ لَمْ يَزَلِ الدَّهْرَ فِي الْالْتِبَاسِ، مَائِلاً نَاكِباً عَنِ الْمِنْهَاجِ، ظَاعِناً بالْإِعْوِجَاجِ، ضَالّاً عَنِ السَّبِيلِ، قَائِلاً غَيْرَ الْجَمِيلِ، يَا ابْنَ الْأَزْرَقِ، أَصِفُ إِلَهِي بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ...، لَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ، قَرِيبٌ غَيْرُ مُلْتَصِقٍ، وَبَعِيدٌ غَيْرُ مُسْتَقْصٍ، يُوَحَّدُ وَلَا يُبَعَّضُ، مَعْرُوفٌ بِالْآيَاتِ، مَوْصُوفٌ بِالْعَلَامَاتِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ».

فبكى ابن الأزرق وقال:

«مَا أَحْسَنَ كَلَامَكَ».

فقال له الحسين عليه السلام: بلغني أنك تشهد بكفري وكفر أبي وأخي!

فقال ابن الأزرق:

«أَمَا وَاللهِ يَا حُسَيْنُ لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ، لَقَدْ كُنْتُمْ مَنَارَ الْإِسْلَامِ وَنُجُومَ الْأَحْكَامِ».[١]

ثمّ استشهد الحسين عليه السلام بقوله تعالى:

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ﴾[٢]

وأتمّ الحجّة عليه.

وكان معاوية إذا أراد أن يبيّن لجلسائه علم الحسين عليه السلام وفضله، يقول:

---

١. العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص١٤٨.

٢. الكهف، ٨٢.

«إِذَا دَخَلْتَ مَسْجِدَ رَسُولِ الله فَرَأَيْتَ حَلْقَةً فِيهَا قَوْمٌ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ، فَتِلْكَ حَلْقَةُ أَبِي عَبْدِ الله، مُؤْتَزِراً إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ».[1]

ويقول العلايلي:

«كذلك يظهر المعنى الحيّ في محلّ القداسة على المؤمنين الّذين ينشرون أشعَّةً من سيمائهم تورث الناظر خَشيةً في اطمئنان، وسكوناً في دعَة، كأنّما زَوَت إلى قواعدهم. فما أنت بناظرٍ جماعةً في مواضع من المعبد في معالم من الأرض، بل يتداركك حين تنظر كأنّ الملأ الأعلى تجسَّم وانتشر في أشخاص، استعلى بهم أو اعتلوا به فوق دنيا الناس (ما اجتمعَ قومٌ على ذكر الله إلّا حفّت بهم الملائكة وغَشِيَهُم الروح وذكرهم الله فيمن عنده)، وفي رواية (في ملأ عنده).

قد تكون كلمةٌ ساذجةٌ طَفَحَ بشعورها قلبٌ ساذج، لو صدرت من غير معاوية الملك، الّذي كان يَجمع أسباب السيطرة والرهبة والقِنْفَخريَّة على نفسه جمعاً ليظهر بكلّ ذلك غير تارك منها إلّا ما يزيده في مظهر الجبروت قوّةً.

وأمّا هي معاوية نفسه فإنّها ذات وجه آخر بمعان أُخرى، فقد نظر إلى الحسين عليه السلام من جانبه الّذي انزَوَت إليه الدنيا بعظائمها، وتوافرت لديه أشياؤها حتّى بدا كأنّما انجمعت الدنيا في ناحية مكانه، وهذا ما يجعل للكلمة قيمةً أُخرى.

---

١. العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص٩٨، نقلًا عن ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٤، ص١٧٩.

فإنّ معاوية لم تحُل به أُبَّهات الملك عن أن يرى المعنى الإلهيّ في الحسين عليه السلام بما له من رَهَبات، تَزَعُ النفس الإنسانيّة الجامحة وتردّها ردّاً عنيفاً إلى حدود عُبُوديّتها، حتّى تُبصِر ما تلبَّس به بُطُلاً من الباطل وآلاً من الآل، فتظلّ مَشدوهةً مأخوذةً كالّذي يكون مع خاطرة أو فكرة. ثمّ تنقب قوّتها الّتي اشتقّت من طبيعة المبالغة، ضعفاً فيه طبيعة المبالغة.

فكان معاوية ينظر إلى نفسه بما أحاطها به من أشياء الدنيا، وإلى الحسين عليه السلام بما أحاطته به الحقيقة العظمى من أشيائها، فيرى نسبةً كما بين العدم والوجود، ثمّ ينظر فيرى في الوجهة المقابلة منبَعَث النور الّذي يُعشي فَيبهَر، وفي الوجهة الأُخرى متراكم الظلال ومختلط الأشباح والأوهام.

وهذه ساعة تستيقظ فيها النفس إلى حقيقتها، فترى كلّ شيء على حقيقته، ونِعِمَّا هي كلمة معاوية في جلوةٍ سمابها على دنياه بما جمعت.

وكان الحسين عليه السلام إذا برز للناس يتحلَّقون بين يديه صفّاً بعد صفّ حتّى يذهب فيهم البصر، ويقعون عليه وقوع الطير في اليوم الحرور على ثمد يتبرَّد به ويَتَصابُّه، وكأنّهم بذلك يهربون ولو ساعةً من أسر الشهوات وعبودية أنفسهم، ليقولوا كلمة الإيمان خالصةً بها قلوبهم، كما كان يعبّر الصحابة حينما يعرجون إلى النبيّ صلى الله عليه وآله **«هَيّاً بِنَا لِنُؤْمِنَ بِرَبِّنَا سَاعَةً»**.[1]

---

١. العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص١٠٠.

والمؤمن مُؤمنٌ في كلّ الحالات، ولكنّ الحضور في محضر رسول الله ﷺ وحلقة إفادة ولده العزيز الحسين، والتذوّق من حلاوة الإيمان والاستزادة من العلم والمعرفة، واستشعار عوالم الغيب وجداناً، لا تتيسّر دائماً وفي كلّ المحافل والمجامع، يقول ابن كثير:

«إِنَّ الْـحُسَيْنَ خَرَجَ وَابْنُ الزُّبَيْرِ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ وَأَقَامَا بِهَا عَكَفَ النَّاسُ عَلَى الْـحُسَيْنِ يَفِدُونَ إِلَيْهِ وَيَقْدِمُونَ عَلَيْهِ، وَيَجْلِسُونَ حَوَالِيهِ، وَيَسْتَمِعُونَ كَلَامَهُ، وَيَنْتَفِعُونَ بِمَا يُسْمَعُ مِنْهُ، وَيَضْبِطُونَ مَا يَرْوُونَ عَنْهُ».[1]

ويقول العلايلي:

«والّذي ينبغي أن لا يفوتنا في هذا الخبر، التعبير بكلمة (عكف) وهي تفيد في كلّ مشتقّاتها معنى التعلّق والانقطاع. فما كانت بواحد إلّا الحسين عليه السلام رجلاً عُلِّقه كلّ الناس عَرَضاً، كأنّما هم من ناحية الدنيا يشهدون فيه حقيقةً أُخرى من عالم الإبداع الإلهيّ. فهو إذا نطق كأنّما انطلق لسان الغيب يعبّر عن رموزه ويكشف عن خفاياه، وإذا صمت كأنّما راح الغيب يعبّر عن معناه بطريقة أُخرى بلحن آخر، فإنّ من الحقائق ما لا يعبّر عنه إلّا الصمت العميق، كالنقطة في ثنايا السطور، فإنّها تعطي معنى لا يقوم إلّا بها، ولا يتمّ إلّا إذا كانت، وهي بعدُ إشارة سلبيّة ولكنّها تدلّ على غرض إيجابيّ؟، أو كقرار النغمة الصامت فإنّه جزء من تمام اللحن الناطق.

---

١. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص١٦٢؛ العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص٩٩-١٠٠.

وفي الخبر صورة كاملة لمقام الحسين عليه السلام، في زمن لم ينتف من طغيان السلطة وتحامل المتغلّب، ولكن أنّى للقوّة أن تحول بين الإنسان وقلبه، أو بينه وبين ما هو من ضميره، فإنّ القوّة لا تعمل إلّا في حدودها، ولا تجد مضاءها إلّا في ملابساتها، وهي كيفما امتدّت بأسباب فإنّها لا تحيك في مواطن الشعور. والخبر بعد ذلك يعرّفنا بأنّ الحسين عليه السلام كان مكثراً من الحديث والرواية، ولم يكن كما تشاء بعض كتب الأخبار تصويره بأنّه كان مقلّاً نزر الآثار».

ثمّ ينقل العلايلي بعد ذلك، ما رُوي عن الحسين عليه السلام.[1]

ويقول أيضاً:

«الأخبار عن الحسين عليه السلام في هذا الباب أكثر من أن تحصى، ولقد كان يجيء بالمدهشات في الفُتيا وما إليها من العلم، حتّى قال فيه ابن عمر: «**إِنَّهُ يَغُرُّ الْعِلْمَ غَرّاً**».[2]

---

١. العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص١٠٠-١٠٢.

٢. العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ، ص١٤٨. ونظير هذه الكلمات وردت عن لسان يزيد في شأن الإمام زين العابدين، عندما اقترح الإمام على يزيد أن يرتقي المنبر فلم يقبل يزيد وقال: إذا صعد فإنّه لا ينزل إلّا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان! فقيل له: وما قدر ما يُحسن هذا الغلام؟ فقال: هذا من أهل بيت قد زقّوا العلم زقّاً». المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٣٧-١٣٨؛ المحدّث القمّي، نفس المهموم، ص٤٦٥.

فكما أنّ الطيور تزقّ الطعام زقّاً، فكذلك الحُسين عليه السلام زُقَّ العلم زقّاً في بيت النبوّة والولاية، واغتذى من أصابع علم رسول الله صلى الله عليه وآله، وارتضع من ثدي معارف الإسلام، فنما وتربّى على ذلك.

٢. عبادة سيّد الشهداء عليه السلام

روى ابن عبد البرّ وابن الأثير عن مصعب بن الزبير أنّه قال:

«كَانَ الْـحُسَيْنُ فَاضِلاً دَيِّناً كَثِيرَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْـحَجِّ».[١]

وقال عبد الله بن الزبير في وصف عبادة الحسين عليه السلام:

«لَقَدْ كَانَ صَوَّاماً بِالنَّهَارِ، قَوَّاماً بِاللَّيْلِ».[٢]

ويقول العقّاد:

«وَكَانَتْ لَهُ صَلَوَاتٌ يُؤَدِّيهَا غَيْرَ الصَّلَوَاتِ الْـخَمْسِ، وَأَيَّامٌ مِنَ الشَّهْرِ يَصُومُ نَهَارَهَا وَيَقُومُ لَيْلَهَا، وَلَمْ يَفُتْهُ الْـحَجُّ».[٣]

وكان عليه السلام يصلّي في اليوم واللّيلة ألفَ ركعة،[٤] وحجَّ البيت ماشياً خمس

---

١. ابن عبد البرّ، الاستيعاب، ج١، ص٣٩٣؛ ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج٢، ص٢٠.

٢. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢٤١.

٣. العقّاد، أبو الشهداء، ص١٤٥.

٤. ابن طاووس، اللهوف، ص٥٧؛ الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج٤، ص١٠٠.

وعشرين حجّةً تقادُ معه نجائبه.[١]

وهذا دليل كمال عبادته وخضوعه لله عزّ وجلّ.

وذات يوم شوهد في أحد أركان الكعبة داعياً متوسّلاً:

«إِلَهِي نَعَّمْتَنِي فَلَمْ تَجِدْنِي شَاكِراً، وَابْتَلَيْتَنِي فَلَمْ تَجِدْنِي صَابِراً، فَلَا أَنْتَ سَلَبْتَ النِّعْمَةَ بِتَرْكِ الشُّكْرِ، وَلَا أَدَمْتَ الشِّدَّةَ بِتَرْكِ الصَّبْرِ، إِلَهِي مَا يَكُونُ مِنَ الْكَرِيمِ إِلَّا الْكَرَمُ».[٢]

ومن أراد الوقوف على أحوال سيّد الشهداء عليه السلام في دعائه ومناجاته وطلبه ومسكنته بين يدي الله عزّ وجلّ فليراجع دعاءَه يوم عرفة فإنّه كافٍ في توضيح المطلب.

فقد روى بشر وبشير ابنا غالب الأسدي، قالا: كنّا مع الحسين بن عليّ عليهما السلام عشيّة عرفة فخرج عليه السلام من فسطاطه متذلّلاً خاشعاً فجعل يمشي هوناً هَوناً حتّى وقف هو وجماعة من أهل بيته وولده ومواليه في ميسرة الجبل مستقبل البيت ثمّ رفع يديه تلقاء وجهه كاستطعام المسكين ثمّ قال:

«اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَيْسَ لِقَضَائِهِ دَافِعٌ، وَلَا لِعَطَائِهِ مَانِعٌ، وَلَا كَصُنْعِهِ صُنْعُ صَانِعٍ، وَهُوَ الْجَوَادُ الْوَاسِعُ...».[٣]

---

١. ابن عبد البرّ، الاستيعاب، ج١، ص٣٩٧؛ ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج٢، ص٢٠؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢٤٤؛ أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص١٠٧.

٢. الصبّان، إسعاف الراغبين، ص١٨٣.

٣. ابن طاووس، إقبال الأعمال، ج٢، ص٧٤؛ الكفعمي، البلد الأمين، ص٢٥١.

وهو الدعاء المعروف بدعاء الحسين يوم عرفة والمذكور في كتب الأدعية والزيارة. فقرأ الدعاء حتّى وصل إلى هذه الجملة:

«**وَصَلَّى اللهُ عَلَى خِيَرَتِهِ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ الْـمُخْلَصِينَ وَسَلَّمَ**». ثمّ اندفع في المسألة واجتهد في الدعاء وعيناه سالتا دموعاً حتّى وصل إلى قوله: «**وَادْرَأْ عَنِّي شَرَّ فَسَقَةِ الْـجِنِّ وَالْإِنْسِ**»، ثمّ رفع رأسه وبصره إلى السماء وعيناه ماطرتان كأنّهما مزادتان وقال بصوت عالٍ:

«**يَا أَسْمَعَ السَّامِعِينَ**» إلى أن وصل إلى فقرة: «**وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَا رَبِّ**» وكان يُكرّر قوله «**يَا رَبِّ**» وشَغل من حَضَر ممّن كان من حوله عن الدعاء لأنفسهم وأقبلوا على الاستماع لَهُ والتأمين على دعائه، ثمّ عَلَتْ أصواتُهم بالبكاء معه وغربَت الشمس وأفاض الناس مَعَهُ إلى مزدلفة.

٣. سخاء الحسين عليه السلام

عُرف أهل البيت عليهم السلام بالجود والكرم فصاروا مضرب المثل بذلك، وقد نزلت آيات كثيرة في أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته، ثناءاً من الباري -عزّ وجلّ- لجوده وإنفاقه في رضا الله فملأ ذكرُ عليّ الآفاق حين تصدّق بدرهمه الوحيد وقرص خبزه وخبز أولاده وأُمّهم فاطمة للفقراء والمساكين وأبناء السبيل مؤثرين على أنفسهم على خصاصة كانت بهم.

فكم من ليلة بات عليّ وأهل بيته جياعاً لأجل إطعام وإشباع غيرهم من الفقراء في سبيل الله، وكم من رداءٍ وهبه عليٌّ لفقير كان عليٌّ أحوجَ منه لذلك الرداء.

روى ابن عساكر في تاريخه عن ابن هشام القنّاد أنّه كان يحمل إلى الحسين عليه السلام بالمتاع من البصرة ولعلَّهُ لا يقومُ حتّى يهب عامَّته.[1]

وروى أيضاً: أنَّ سائلاً خرج يتخطّى أزقّة المدينة حتّى أتى باب الحسين عليه السلام فقرع الباب وأنشأ يقول:

لَمْ يَخَبِ الْيَوْمَ مَنْ رَجَاكَ وَمَنْ حَرَّكَ مِنْ دُونِ بَابِكَ الْحَلَقَةَ

أَنْتَ جَوَادٌ وَأَنْتَ مَعْدِنُهُ أَبُوكَ قَدْ كَانَ قَاتِلَ الْفَسَقَةِ[2]

وكان الحسين عليه السلام واقفاً يصلّي فخفّف من صلاته وخرج إلى الأعرابيّ فرأى عليه أثر ضرٍّ وفاقة، فرجع ونادى بقنبر، فأجابه لبّيك يا ابن رسول الله! قال: ما تبقى معك من نفقتنا؟ قال مائتا درهم أمرتني بتفرقتها في أهل بيتك، فقال: هاتها، فقد أتى من هو أحقّ بها منهم، فأخذها وخرج يدفعها إلى الأعرابيّ وأنشأ يقول:

---

١. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٤، ص١٢٢؛ العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص١٥١-١٥٠.

٢. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٤، ص١٨٥.

خُــذْهَا فَــإِنِّي إِلَيْــكَ مُعْتَــذِرٌ   وَاعْلَــمْ بِــأَنِّي عَلَيْــكَ ذُو شَــفَقَةٍ
لَــوْ كَــانَ فِي سَــيْرِنَا الْغَــدَاةَ عَصاً   كَانَــتْ سَــمَانَا عَلَيْــكَ مُنْدَفِقَــةً
لَكِــنَّ رَيْــبَ الزَّمَــانِ ذُو غِــيَرٍ   وَالْكَــفُّ منَّــا قَلِيلَــةُ النَّفَقَــةِ

فأخذها الأعرابيّ وولّى وهو يقول:

﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[١]».[٢]

ورُوي أنَّ الحسين عليه السلام دخل على أُسامة بن زيد، وهو مريض وهو يقول: واغمّاه، فقال له الحسين عليه السلام: وما غمّك يا أخي؟ قال: دَيني، وهو ستّون ألف درهم، فقال الحسين عليه السلام: هو عليّ، قال: إنّي أخشى أن أموت. فقال: لن تموت حتّى أقضيها عنك، فقضاها قبل موته.[٣]

وروى البحرانيّ أنّ الحسين عليه السلام كان جالساً في مسجد جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام وكان عبد الله بن الزبير جالساً في ناحية المسجد، وعتبة بن أبي سفيان

---

١. الأنعام، ١٢٤.

٢. العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص١٥١؛ نقلاً عن عيون الأخبار، ج٣، ص١٤٠.

٣. العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص١٥٢- ١٥١. وذكر البيهقي في المحاسن والمساوي، ج١، ص٦٤. هذه الحكاية عن الإمام الحسن، وفي نفس الصفحة روى حكاية عن الحسنين عليهما السلام وأنّ كلّ واحد منهما أعطى ١٥٠ درهماً لفقير سألهما.

في ناحية أُخرى، فجاء أعرابيّ على ناقة فعقلها بباب المسجد ودخل فوقف على عتبة بن أبي سفيان، فسلّم عليه فردّ عليه السلام، فقال الأعرابيّ إنّي قتلت ابن عمّ لي وطولبت بالدية، فهل لك أن تعطيني شيئاً، فرفع رأسه إلى غلامه وقال: ادفع إليه مائة درهم، فقال الأعرابيّ ما أُريد إلّا الدية تماماً ثمّ تركه، وأتى عبد الله بن الزبير وقال له مثل ما قال لعتبة، فقال عبد الله لغلامه: ادفع إليه مائتي درهم، فقال الأعرابيّ: ما أُريد إلّا الدية تماماً، ثمّ تركه وأتى الحسين عليه السلام فسلّم عليه وقال: يا ابن رسول الله إنّي قتلت ابن عمٍّ لي وقد طولبت بالدية فهل لك أن تعطيني شيئاً، فأمر له الحسين عليه السلام بعشرة آلاف درهم وقال: هذه لقضاء ديونك، وعشرة آلاف درهم أُخرى، وقال: هذه تلمّ بها شعثك، وتحسن بها حالك، وتنفق منها على عيالك. فأنشأ الأعرابيّ يقول:

طَرِبْتُ وَمَا هَاجَ لي مَعْبَقٌ ... ولَا لي مَقَامٌ وَلَا مَعشَقٌ
وَلَكِنْ طَرِبْتُ لِآلِ الرَّسُولِ ... فَلَذَّ لِيَ الشِّعْرُ وَالْمَنْطِقُ
هُمُ الْأَكْرَمُونَ هُمُ الْأَنْجَبُونَ ... نُجُومُ السَّمَاءِ بِهِمْ تَشْرَقُ
سَبَقْتَ الْأَنَامَ إِلَى بِالْمَكْرَمَاتِ ... وَأَنْتَ الْجَوَادُ فَلَا تُلْحَقُ
أَبُوكَ الَّذِي سَادَ بِالْمُكْرَمَاتِ ... فَقَصُرَ عَنْ سَبْقِهِ السُّبَّقُ
بِهِ فَتَحَ اللهُ بَابَ الرَّشَادِ ... وَبَابُ الْفَسَادِ بِكُمْ مُغْلَقُ[1]

---

١. البحراني، من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام، ص١٤١-١٤٣؛ العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص١٥٢ - ١٥٣، نقلاً عن *عقد اللآل في مناقب الآل*.

٤. أَدَبُ الـحُسين﵇ ورأفته

لقد كان الحسين﵇ في الذروة، في حُسن معاشرته للناس وأدبه وشفقته وعفوه.

روى جمال الدين محمّد الزرندي الحنفي المدني عن عليّ بن الحسين﵇ عن أبيه الحسين بن عليّ﵉ قال:

«سمعت الحسين يقول: لو شتمني رجل في هذه الأُذن -وأومى إلى اليمنى- واعتذر لي في الأُخرى لقبلت ذلك منه، وذلك أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب﵇ حدّثني أنّه سمع جدّي رسول الله﵌ يقول: «**لَا يَرِدُ الْـحَوْضَ مَنْ لَمْ يَقْبَلِ الْعُذْرَ مِنْ مُحِقٍّ أَوْ مُبْطِلٍ**».[1]

ولقد كان الحسين﵇ في قمّة الأدب والمحبّة والرأفة والعطف والمودّة في أهله وأولاده ونسائه.

روى ابن قتيبة: أنّ رجلاً أتى الحسن بن عليّ﵉ يسأله. فقال الحسن: إنّ المسألة لا تصحّ إلّا في غُرم فادح، أو فقر مدقع، أو حَمالة مُفظِعَة، فقال الرجل: ما جئت إلّا في إحداهنّ، فأمر له بمائة دينار، ثمّ أتى الرجل الحسين بن عليّ﵉ فسأله فقال له مثل مقالة أخيه، فردَّ عليه كما ردّ على الحسن، فقال كم أعطاك؟ قال مائة

١. الزرندي، نظم درر السمطين، ص٢٠٩.

دينار فنقّصه ديناراً. كره أن يساوي أخاه، ثمّ أتى الرجل عبد الله بن عمر فسأله، فأعطاه سبعة دنانير ولم يسأله عن شيء، فقال له الرجل: إنّي أتيت الحسن والحسين واقتصّ كلامهما عليه وفعلهما به، فقال عبد الله: وَيحك وأنّى تجعلني مثلهما إنّهما غُرَّا العلم غرّاً.[1]

روى ياقوت المستعصمي عن أنس قال: كنت عند الحسين بن عليّ عليه السلام فدخلت عليه جارية بيدها طاقة من ريحان، فحيّته بها، فقال لها:

«**أَنْتِ حُرَّةٌ لِوَجْهِ الله تَعَالَى**».

قال: فقلت له: «**جَارِيَةٌ تَجِيئُكَ بِطَاقَةِ رَيْحَانٍ فَتُعْتِقُهَا؟**».

قَالَ عليه السلام: «**كَذَا أَدَّبَنَا اللهُ... قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا حُيِّيْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾،[2] وَكَانَ أَحْسَنُ مِنْهَا عِتْقَهَا**».[3]

يقول العقّاد بعد ذكره لهذين البيتين عن الحسين عليه السلام:

لَعَمْـــرُكَ إِنَّنِـــي لَأُحِــبُّ دَاراً ... تَكُـونُ بِهَـا سُـكَيْنَةُ وَالرُّبَـابُ
أُحِـــبُّهُمَا وَأَبْـــذَلُ كُـــلَّ مَـــالِي ... وَلَـيْسَ لِعَاتِـبٍ عِنْـدِي عِتَـابُ

---

١. العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص١٥٢.

٢. النساء، ٨٦.

٣. العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص١٥٩؛ العقّاد، أبو الشهداء، ص٦٢.

وهُما ـ البيتان ـ معبّران عن خُلُقِهِ في بيته وبين أهله، فقد كان من أشدِّ الآباء حَدباً على الأبناء، وأشدِّ الأزواج عطفاً على النساء، ومن وفاء زوجاته بعد مماته أنّ الرباب هذه الّتي ذكرت في البيتين السابقتين خَطَبَها أشرافُ قُريش بعد مقتله فقالت:

«**مَا كُنْتُ لِأَتَّخِذَ حَماً بَعْدَ رَسُولِ الله**» وبقيت سنةً لا يظلُّها سقف حتّى فَنِيَتْ وماتت وهي لا تفتر عن بكائه والحزن عليه.[1]

٥. طلبُ الحقّ

لا تجد نظيراً لآل عليٍّ في العالم، في طلب العدل وحماية المظلوم ومقارعة الظالم.

فحكومتهم، حكومةُ الحقّ والعدل، وسيرتهم وسلوكهم ودينهم إقامة العدل وأخذ حقّ المظلومين، فلا يقرُّ لهم قرار إذا ما سمعوا بظليمةٍ حتّى يأخذوا الحقّ للمظلوم من الظالم.

وما ذكر في كتب التاريخ عن عدل عليّ﵇ يدلّكَ على عشق عليّ للحقّ، وفنائه في العدالة، وقد أوصى عليّ ولديه الحسنين بقوله: «**كُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً وِلِلْمَظْلُومِ عَوْناً**».[2]

والحُسين﵇، ابنُ عليّ ووارثُه، فلم يكن ليصبر على ظلم بني أُميّة وعمّالهم،

١. العقّاد، أبو الشهداء، ص١٤٥.

٢. نهج البلاغة، كتاب ٤٧ (ج٣، ص٧٦).

فكانت ثورتهُ ثورة الحقّ ضدّ الظلم والاضطهاد والجور، وكانت نهضتُه نهضة نجاة المظلومين والمقهورين.

فلم يكن عند الحسين عليه السلام كما عند جدّه وأبيه وأخيه شيءٌ ألذّ وأحلى من صور عبادة الله والعدالة والقسط، ولا أمرَّ من مناظر وصور الظلم والجور والفساد، فكان، بقدر إمكانه مدافعاً عن شرف وكرامة وناموس وأرواح وأموال المسلمين.

ومن جملة ما نقل عن الحسين عليه السلام والّذي يكشف عن مدى حرص الحسين على كرامة المسلمين وشرفهم، هو قصّة أُرينب (أو زينب) بنت إسحاق، زوجة عبد الله بن سلام.

فهذه القصّة المعروفة تكشف النقاب عن انحطاط وسقوط وفساد بني أُميّة وعن رَذالة معاوية ويزيد وتجرّدهم عن كلّ القيم الأخلاقيّة حتّى أبسطها، وتدلّك على ضحالة هموم المتسلّطين على رقاب المسلمين.

وقد نقل هذه الحكاية ابن قتيبة، الشبراوي، العلايلي، النويري، وابن بدرون، العقّاد وآخرون[١] مضافاً إلى ذكرها في كتاب مستقلّ باسم «أُرينبْ».[١]

---

١. ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، ص٢٠٣-٢١٢؛ الشبراوي، الإتحاف بحبّ الأشراف، ص٢١٠-٢٠١؛ العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص١٥٦- ١٥٩؛ العقّاد، أبو الشهداء، ص١٠٨-١١٥.

ولـمّا كانت هذه القصّة طويلةً، طوَينا كشحاً عن سردها بأكملها، ولكن نذكر مجملها كشاهدٍ على مدّعانا:

طمع يزيد، الّذي كان يعيش حياة المجون والخلاعة واللعب ومعاقرة الخمرة والغناء والرقص، طمع في امرأة سمع بجمالها ودلالها، وهي أُرَينب زوجة عبد الله بن سلام، والّتي كان من وظائف يزيد وأبيه حماية وصون عرضها وشرفها، وكانت أُرينب أو زينب هذه ـ على ما قيل ـ أشهر فتيات زمانها بالجمال، وكانت زوجة والي معاوية على العراق عبد الله بن سلام القرشيّ. فمرض يزيد في حبِّها وأخفى سرَّه عن أهله حتّى استخرجه منه بعض خصيان القصر الّذين يعينونه على شهواته... فلمّا علم أبوه سرَّ مرضه أرسل في طلب عبد الله بن سلام واستدعى إليه أبا هريرة وأبا الدرداء، فقال لهما: إنّ له ابنةً يريد زواجها ولم يرض لها خليلاً غير ابن سلام، لدينه وفضله وشرفه ورغبة معاوية في تكريمه وتقريبه. فخدع ابن سلام بما بلغه وفاتح معاوية في خطبة ابنته، فوكَّل معاوية الأمر إلى أبي هريرة ليبلِّغها ويستمع جوابها. فكان جوابها المتّفق عليه بينها وبين أبيها أنّها لا تكره ما اختاروه، ولكنّها تخشى الضرَّة وتشفق أن يسوقها إلى ما يغضب الله. فطلّق ابن سلام زوجته واستنجز معاوية وعده.. فإذا هو يلويه به ويقول بلسان

---

١. كتاب *أرينب، قصة تاريخية* تأليف عبد الله حسّون العلي.

ابنته: إنّها توجس من رجل يطلّق زوجته وهي ابنة عمّه وأجمل نساء عصره.

وقيل: إنَّ الحسينعليه السلام سمع بهذه المكيدة، فسأل أبا هريرة أن يذكره عند زينب خاطباً... فصدع أبو هريرة بأمره وقال لزينب: «إنّك لا تعدمين طلاباً خيراً من عبد الله بن سلام».

قالت: «من»؟ قال: «يزيد بن معاوية والحسين بن عليّ، وهما معروفان لديك بأحسن ما تبتغينه في الرجال».

واستشارته في اختيار أيّهما، فقال: «لا أختار فم أحد على فم قبَّله رسول الله، تضعين شفتيك في موضع شفتيه».

فقالت: «لا أختار على الحسين بن عليّ أحداً وهو ريحانة النبيّ وسيّد شباب أهل الجنّة».

فقال معاوية متغيّظاً:

أَنْعِمِي أُمَّ خَالِدٍ رُبَّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ

ولم يلبث الحسينعليه السلام أن ردّها إلى زوجها قائلاً:

«ما أدخلتها في بيتي وتحت نكاحي رغبةً في مالها ولا جمالها، ولكن أردت إحلالها لبعلها».[1]

---

١. العقّاد، أبو الشهداء، ص٣٧– ٣٩.

٦. زهد الإمام الحسين عليه السلام

لعلَّ من أبرز شواخص زهد الإمام الحسين عليه السلام ورغبته عن الدنيا هو فداؤه وبذله روحَه وأرواح أولاده وإخوته وأصحابه طلباً للحقّ، وتحمّل كلّ تلك البليّات والمصائب في كربلاء.

فمن لم يستحقر الدنيا بأموالها ونعيمها وزينتها ومغرياتها، لا يقوى على مثل تلك التضحيات في سبيل الله والحقّ والقيم، حتّى أنّه شاهد أجساد فلذات كبده يقطّعون إرباً إرباً، وسمع أنين عطش أطفاله ولوعتهم، وعاين دموع نسائه وبناته المهراقة، فكلّ ذلك أوجع قلبه المفحم بالحبّ والعاطفة والشفقة والرأفة، مضافاً إلى عشرات الجراحات الّتي لا يسعها إلّا جسمُ الحسين عليه السلام الصارخ لنصرة دين الله، الثابت عن الخنوع والاستسلام للباطل، ثبات الجبل الأشمِّ قبال الأعاصير.

نعم لقد اقترحوا عليه التنازل ولو بالقليل ليزيد وإِبداء المرونة في موقفه الصُّلب، بما لا يُقلّل من شأنه ومقامه مقابل السماح له ولأهله بالعيش الرغيد وعدم التعرّض له.

ولكن، لم يكن الحسين عليه السلام بالّذي يبيع مصالح المسلمين وعزّتهم من أجل حياة ذليلة، ولم يكن الحسين عليه السلام ليغضَّ الطرف عن تجاوزات بني أُميّة على الأحكام الشرعيّة الإسلاميّة، ولم يكن الحسين عليه السلام ليقبل بمتاع زائف في قبال إمضاء خروقات الحكم الفاسد الظالم لتعاليم السماء وإضفاء الشرعية عليها، ولم يكن من المتسامحين في الحقّ وفي أداء الدور الّذي كُلِّفَ به من قبل الله تعالى.

إنّ حُسيناً هو ابن الّذي قال:

«والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أنْ أتركَ هَذا الأمر ما تَركتُه حتّى أُهْلَكَ دُونَهُ أو يُظهره الله».[١]

إنّ الحسين عليه السلام هو ابن القائل:

«إِنَّ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ».[٢]

يقول العلايلي:

«هذا الجانب عظيم وغريب عند الإمام الشهيد، فقد كان مستهيناً بالحياة ومستهيناً بالموت، غير ناظر إلى شيء إلّا برهان ربّه، الّذي امتزجت به نفسه فهو يفتديه بكلّ شيء هان أو عزَّ، ومن ثمّ كان جديراً بأن يسمّى «البَنَّاء الثاني في الإسلام» بعد جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، وبأنّه المجدّد لبناية التوحيد كما يقول الشاعر الهنديُّ «معين الدين إجميري رحمه الله»».[٣]

ويقول أيضاً:

---

١. القمّي، تفسير، ج٢، ص٢٢٨؛ الطبري، تاريخ، ج٢، ص٦٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص٥٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨، ص١٨٢؛ الأميني، الغدير، ج٧، ص٣٥٩.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٣ (ج١، ص٣٦)؛ الصدوق، علل الشرائع، ج١، ص١٥١؛ المفيد، الإرشاد، ج١، ص٢٨٩.

٣. العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص١١٩.

«لقد انصرف الحسين عليه السلام بكلّ نفسه عن الدنيا وما إليها».[١]

فالحسينُ إذن، كأبيه إمام الزاهدين الّذي قال:

«وَاللهِ إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ».[٢]

«وَمَا أَنَا إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدَ، أَوْ كَطَالِبٍ وَجَدَ».[٣]

وقال الوَلَد:

«إِنِّي لَا أَرَى الْـمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً وَلَا الْـحَيَاةَ مَعَ الظَّالِـمِينَ إِلَّا بَرَماً».[٤]

قال ابن شهر آشوب في معرض حديثه عن زهد الحسين عليه السلام: قيل للحسين:

«مَا أَعْظَمَ خَوْفَكَ مِنْ رَبِّكَ!».

فَقَالَ عليه السلام:

«لَا يَأْمَنُ الْقِيَامَةَ إِلَّا مَنْ خَافَ اللهَ فِي الدُّنْيَا».[٥]

---

١. العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص١٠٢.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٥.

٣. نهج البلاغة، كتاب ٢٣.

٤. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٠٥؛ الطبري، ج٤، ص٣٠٥؛ الطبري، ذخائر العقبي، ص١٤٩-١٥٠؛ الزرندي، نظم درر السمطين، ص٢١٦.

٥. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص٦٩؛ راجع أيضاً: المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص١٩٢؛ البحراني الأصفهاني، عوالم العلوم، ص٦٢، ٦٨.

٧. تواضع الحسين عليه السلام

كلّما ازداد الإنسان معرفةً بربّه وتوحيده، كثر عِلمُه وحكمته، وازداد خضوعاً وتواضعاً، فالكبر ينشأ من الجهل وقلّة المعرفة والغفلة والغرور.

وقد ذمَّت الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبويّة الشريفة، الكبر، ومدحت التواضع.

وإذا كان التواضع مطلوباً، فهو من القادة والزعماء أكثر مطلوبيّةً، وينبغي عليهم الابتعاد والتخلّص من الكبر والغرور والخيلاء، فإنّ تكبّرهم يُبعّدهم عن قلوب أفراد المجتمع ويُنَفّرُ الناس عنهم، ويُفردهم عن الأُمّة ويعزلهم.

والجهلاء، بمجرّد أنْ ينالوا يسيراً من حُطام الدنيا، يدخلهم الخيلاء والتكبّر، فيستحقرون الناس، ويحاولون فرض آرائهم مهما كانت سخيفةً.

إنَّ من أبرز ملامح الحكم الإسلاميّ، كما كان في زمن أمير المؤمنين عليه السلام، هو تواضع ولاة الأمر والقضاء وإلغاء الفوارق الطبقية والقومية الّتي كانت سائدة في الأنظمة الحاكمة قبل الإسلام.

لقد كان عليّ عليه السلام يعيش مع المسلمين كأحدهم، يسعى في قضاء حوائجهم، ويهتمّ بنفسه بحوائجه، فكان يتسوّق بنفسه لنفسه، ويحمل متاعه بردائه أو عباءته ويأتي به إلى داره، وفي نفس الوقت كان يستمع إلى شكاوى الناس وينظر فيها، وكان يلبس الخشن من اللباس وهو مع ذلك يُرقِعُه ويتقشّف، وكان يصلح

نعليه بنفسه أمام الناس، وطعامُه الجشب، فطالما كان يأكل الخبز والملح أو اللبن، ولكنّه لم يكن مع ذلك يأمر الآخرين بمثل ذلك، فهو الخليفة وعليه أن يواسي أضعف الرعيّة حالاً، ومن هنا صار عليّ مظهرَ العدالة الإنسانية والزهد الفريد.

كان وهو الخليفة يحضر مجلس الترافع والقضاء، إذا ما اشتكى عليه شاكٍ، فيجلس كما يجلس المدّعي، وكم من مرّة لم يُحكم لصالحه ولم يُقلّل ذلك من شأن الخلافة والخليفة.

لقد روّض عليٌّ نفسَهُ بالزهد والتواضع وبساطة العيش وعوّدها على القناعة، كيلا تطغى غريزة الطمع فتجرَّهُ إلى الحيف واختلاس بيت المال وصرفه في التجمّلات والقصور الفارهة.

وقد ورد في الرواية: «**مَنْ سَرَّهُ (أَحَبَّ) أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَاماً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**».[1]

فمن الفاسد في مقياس الحقّ والعدل الإسلامي، أنْ يلبس الخليفة ويركب ويسكن، أفضل ما يلبس ويركب ويسكن عُمّالُه، وأن يحيط نفسه بجهاز حاكم مبذّر مسرف ليتميّز عن سائر المسلمين، متخلّقاً بأخلاق الجاهليّة.

---

١. أحمد بن حنبل، مسند، ج٤، ص١٠٠؛ أبو داوود السجستاني، سنن، ج٢، ص٥٢٥؛ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص٢٥.

إنَّ هذه العادات القبيحة، هي ما اعتادت عليه حكومة بني أُميّة حيث جدّدت أعراف الجاهلية، وهذا الانحراف أرجع خلافة الممالك الإسلامية إلى طرز الجاهلية في الحكم.

وسنتطرّق في الصفحات اللاحقة إن شاء الله إلى تفصيل هذا الأمر ونكتفي هنا بالحديث عن تواضع الإمام الحسين عليه السلام.

لقد كان الحسين عليه السلام على تواضعه، مُهاباً مبجّلاً من قبل الناس، وعندما كان يسير هو وأخوه الحسن المجتبى إلى الحجّ، كان كبار الصحابة، يترجّلون احتراماً لهما، ولم يكن هذا الاحترام للحسين عليه السلام من أجل قصر مُجَلَّل يسكنه الحسين، أو مركب ودابّة غالية الثمن، أو لكثرة غلمانه وجنوده وخدمه وحشمِهِ، فلقد كان الحسين عليه السلام يعيش بين الناس ومعهم، متواضعاً بسيطاً في عيشه، وكان يذهب إلى الحجِّ في كلّ سنة ويجلس مع الناس، ويجالس الفقراء، ويحضر الجماعات، ويعود المرضى، ويشترك في تشييع الجنائز، ويجلس في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله مع أصحابه، ويجيب دعوة الفقراء إلى طعامهم، ويدعوهم إلى طعامه، وكان يحمل الخبز والطعام بنفسه إلى الفقراء والمعوزين والأيتام والأرامل.

وعندما جرّده أهل الكوفة الظالمين عن ملابسه يوم عاشوراء، وجدوا آثار حمل الجراب على كتفه الشريف، فسألوا عن ذلك فأجابهم الإمام السجّاد، بأنّ ذلك آثار حمل الطعام إلى فقراء المدينة وأيتامهم.[1]

---

١. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب عليه السلام، ج٤، ص٦٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص١٩٠.

٨. خلوص الإيمان والثبات

يُعتبر الإيمان بالهدف من أهمّ عوامل الاستقامة والثبات والاستمراريّة عند أرباب وزعماء النهضات الإصلاحية الدينية والاجتماعية، فإذا كان القائد على يقين من حقّانية أهدافه، سار بخطىً راسخة نحو تلك الأهداف ولم تنهه عقبات الطريق مهما بدت كأداء، فهو يستلهم قوّته وعزمه من إيمانه ويقينه ذاك.

وإذا ما استقرأنا تاريخ الأنبياء، وخاصّةً خاتمهم محمّد المصطفى‰ وأمعنّا النظر في سيرته، لوجدنا أنَّ عمدة أسباب نجاحه هو إيمانه القاطع والثابت، ويقينه الجازم بنبوّته ووحي السماء له، ومع مثل ذلك الإيمان، دعا النبيّ‰ إلى التوحيد أشدَّ الناس وحشيّةً وجهلاً وعناداً من بين عبدة الأوثان، وحمل راية الدعوة إلى كلّ الملل، ومع أنَّ العقبات الّتي كانت تعترض طريقه، كانت كثيرةً وكبيرةً، لكنّه نادى بأعلى صوته وبكلّ قوّة قلب واطمئنان خاطر:

«قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا».

وهذا الإيمان الراسخ والعزم الّذي لا يلين كان بيّناً وملازماً له -صلوات الله عليه- طيلة حياته المثخنة بجراح الأحداث والبليّات. ففي حروبه وغزواته، وإبّان الفتح وأيّام الانكسار الظاهريّ وفي بداية الدعوة وقلّة الناصر وتسلّط الكفّار والضغوط المادّية والروحية، في كلّ تلك الحالات، كان النبيّ‰ يُنفذ برامجه بكلّ اطمئنان ويتقدّم نحو الهدف بخطوات ثابتة هادئة مستقرّة.

وكان الحسين عليه السلام كجدّه الأكرم في ارتقاء الرتبة الأعلى في الإيمان بالهدف والاطمئنان واليقين بصحّة السبيل.

كان يعتقد حقّانية هدفه، وبطلان نهج الأُمويّين، وأنَّ ما يقوم به إنّما هو لصلاح الأُمّة الإسلامية وإنقاذها، وكان يعرف أنَّ السبيل الوحيد لإفشال مخطّطات بني أُميّة هو بالامتناع عن بيعة يزيد والثورة ضدَّه.

كان الحسين عليه السلام متيقّناً أنَّ الطريق الّذي سَلَكَهُ موافق لرضا الربِّ -عزّ وجلّ- والرسول صلى الله عليه وآله وأنّه ينتهي به إلى الشهادة والسعادة. ومن ثمَّ، أعلن صراحةً مخالفته لاستخلاف يزيد مع علمه المسبق بأنّ ذلك سيكلّفُهُ غالياً، واستقبل كلّ المصائب والبليّات ليقينه بأنّها بعين الله ورضاه.

فكما التاجر الّذي يتيقّن الربح الكبير في معاملة تجارية، لا يتراجع عنها أبداً؛ فكذلك الحسين عليه السلام الّذي تعامل مع ربّه معاملةً يعلم بكلّ أرباحها ومنافعها الدينية الأُخروية، ومن حَمَل مثل هذا اليقين بالله وبثوابه الجزيل، لا يقبل بالبديل، فمهما كانت التضحيات، كان النفع أعظم.

لقد كان أبو عبد الله الحسين عليه السلام متيقّناً وجوب دفع الأخطار المحدقة بالإسلام والمسلمين، ويعلم أيضاً أنّ ذلك متوقّف حصراً على استشهاده وتسليمه للبلاء بعد البلاء.

إقرأوا تاريخ واقعة كربلاء من البدء إلى الانتهاء، وستجدون الإيمان الراسخ بالقضيّة والهدف والمصير والمسير، جليّاً واضح التجسّد في الحسين وأبنائه

وأصحابه ونسائه وأخواته وبناته.

لقد كانت كلمات الحسين عليه السلام في المدينة وفي مكّة وفي الطريق وفي كربلاء، بمضمون واحد وإن اختلفت العبارات، ففي المدينة وعندما طلب منه الوليد أن يبايع يزيد، قال الإمام الحسين عليه السلام:

«إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَعْدِنُ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطُ الرَّحْمَةِ، بِنَا فَتَحَ اللهُ وَبِنَا خَتَمَ، وَيَزِيدُ رَجُلٌ فَاسِقٌ شَارِبُ خَمْرٍ قَاتِلُ نَفْسٍ مُعْلِنٌ بِالْفِسْقِ، فَمِثْلِي لَا يُبَايِعُ مِثْلَهُ».[١]

ولمّا قال له مروان بن الحكم: إنّ صلاحه في مبايعة يزيد، قال عليه السلام:

«إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَعَلَى الْإِسْلَامِ السَّلَامُ إِذْ بُلِيَتِ الْأُمَّةُ بِرَاعٍ مِثْلِ يَزِيدَ».[٢]

فالحسين عليه السلام يرى أنّ بيعة يزيد خيانةٌ للإسلام، وأنّها تعني نهاية الإسلام واضمحلاله، والموافقة على مبايعته يعني إمضاء تدمير الإسلام وانقراضه.

وورد هذا المعنى أيضاً عنه عليه السلام عند قبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ومواضع أُخرى.

وفي مكّة، وفي ضمن خطبته المعروفة **«خُطَّ الْمَوْتُ عَلَى وُلْدِ آدَمَ»**[٣] أعلن

---

١. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج١، ص١٨٤، ف ٩.

٢. ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٥، ص١٧؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ص١٨٤، ف ٩؛ ابن طاووس، اللهوف، ص١٨.

٣. ابن نما الحلّي، مثير الأحزان، ص٢٩؛ الإربلي، كشف الغمّة، ج٢، ص٢٣٩؛ البحراني الأصفهاني، عوالم العلوم، ص٢١٦.

الحسين عليه السلام صراحةً براجمه، وبَيَّن نهاية المطاف بوضوح.

وذكر ابن الأثير عن عتبة بن سمعان الكلبيّ قال:

لمّا ارتحلنا من قصر ابن مقاتل، وسرنا ساعةً خَفَق رأسُ الحسين عليه السلام خفقةً ثمّ انتبه فأقبل يقول: «**إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**» و «**الْـحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**» مرّتين.

فأقبل إليه عليّ بن الحسين عليه السلام وهو على فرس، فقال له: يا أبي جُعلتُ فداك مِمَّ استرجعت؟ وعلامَ حمدت الله؟

قال الحسين عليه السلام: «**يَا بُنَيَّ إِنَّهُ عَرَضَ لِي فَارِسٌ عَلَى فَرَسٍ، فَقَالَ: اَلْقَوْمُ يَسِيرُونَ وَالْـمَنَايَا تَسِيرُ إِلَيْهِمْ، فَعَلِمْتُ أَنَّهَا أَنْفُسُنَا نُعِيَتْ إِلَيْنَا**».

فقال: «**يَا أَبَتَاهُ لَا أَرَاكَ اللهُ سُوءاً، أَلَسْنَا عَلَى الْـحَقِّ؟**»

قال: «**بَلَى وَالَّذِي يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ**».

فقال: «**يَا أَبَتِ، فَإِذاً لَا نُبَالِي أَنْ نَمُوتَ مُحِقِّينَ**».

فقال له الحسين عليه السلام: «**جَزَاكَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ خَيرَ مَا جَزَى وَلَداً عَنْ وَالِدِهِ**».[1]

وفي أحد المنازل خطب خطبةً بأصحابه وأصحاب الحُرِّ، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه، قال:

«**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: مَنْ رَأَى سُلْطَاناً جَائِراً مُسْتَحِلّاً لِـحُرُمِ اللهِ، نَاكِثاً لِعَهْدِ اللهِ، مُخَالِفاً لِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اللهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ فَلَمْ**

١. ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٥١.

يُغَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ كَانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مُدْخَلَهُ أَلَا وَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ، وَتَرَكُوا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ، وَأَظْهَرُوا الْفَسَادَ، وَعَطَّلُوا الْحُدُودَ، وَاسْتَأْثَرُوا بِالْفَيْءِ، وَأَحَلُّوا حَرَامَ اللهِ، وَحَرَّمُوا حَلَالَهُ، وَأَنَا أَحَقُّ مَنْ غَيَّرَ».[1]

وقال عليه السلام للفرزدق:

«أَنَا أَوْلَى مَنْ قَامَ بِنُصْرَةِ دِينِ اللهِ، وَإِعْزَازِ شَرْعِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا».[2]

وأصرح كلام صدر عنه في هذا المعنى، هو خطبته يوم عاشوراء في جيش عمر بن سعد، والّتي تدلّ على ثباته على نفس المبادئ والقيم الّتي أعلن عنها في المدينة وفي مجلس الوليد، وأنّه لم يعدل عنها ولم يتغيّر أبداً، فقد جاء في خطبته البليغة تلك:

«أَلَا وَإِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ، بَيْنَ السِّلَّةِ وَالذِّلَّةِ، وَهَيْهَاتَ مِنَّا الذِّلَّةُ، يَأْبَى اللهُ تَعَالَى ذَلِكَ لَنَا وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ، وَحُجُورٌ طَابَتْ وَطَهُرَتْ، وَأُنُوفٌ حَمِيَّةٌ مِنْ أَنْ نُؤْثِرَ طَاعَةَ اللِّئَامِ عَلَى مَصَارِعِ الْكِرَامِ».[3]

---

١. الطبري، تاريخ، ج٤ ص٣٠٤؛ ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٤٨.

٢. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢١٧-٢١٨.

٣. ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص٢٤١؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص٢٤-٢٥؛ ابن نما الحلّي، مثير الأحزان، ص٤٠؛ ابن طاووس، اللهوف، ص٥٩؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٣، ص٢٤٩ و كتب المقاتل.

٩. شجاعة الحسين عليه السلام

قد يظنُّ البعض، أنَّ شجاعة الحسين عليه السلام هي تلك القوّة العضليّة الجسديّة، وعلمه بفنون القتال والحرب، وقتل الأبطال والفرسان، وأنَّ أروع صور شجاعته هي حملاته وصولاته منفرداً على جيش الأعداء وتفريق جموعهم وفرارهم بين يديه كفرار الأغنام بين يدي الذئب، وعندما يئسوا من منازلته وجبنوا، أخذوا يرشقونه بالحجارة والسهام، وهؤلاء وإن استطاعوا أن يقتلوا الحسين عليه السلام ويطغوا ويقطعوا رأسه ويرفعوه على رأس الرمح، ولكن لم يدّع أيٌّ منهم أنّه استطاع أن يناجزه ويقتله، وإنّما اجتمع عليه نفرٌ بعد أن أُثخن بالجراح وأضرَّ به العطش حتّى اسودّت السماء بعينه، وأعياه النزف وأضعفه، فاستبسل الجُبَناء بالإجهاز عليه بطريقة وحشية حاقدة بأجمعهم حتّى اختلفوا في تعيين قاتله.

يقول ابن حجر في شرح الهمزيّة: «وكان أكثر مقاتليه المكاتبين له والمبايعين له فلمّا جاءهم فرّوا عنه إلى عدوّه وكان الجيش الّذي أرسله ابن زياد لمحاربته عشرين ألف مقاتل فحارب ذلك الجيش الكثير ومعه من أهله نيّف وثمانون، فقُتل أكثرهم وثبت في ذلك الموقف ثباتاً باهراً، ولولا أنّهم حالوا بينه وبين الماء ما قدروا عليه إذ هو الشجاع القرم الّذي لا يحول ولا يزول».[١]

١. الشبراوي، الإتحاف بحبّ الأشراف، ص٥٠-٥١.

إذن، لقد كانت حملات الحسين عليه السلام وصولاته مظهراً من مظاهر شجاعته وليست كلّ شجاعته، فالشجاعة الّتي نحن بصددها، والّتي تعدُّ من جملة سجايا الحسين عليه السلام البارزة، هي تلك الحالة النفسانية والروحية الوسط بين التهوّر والجُبن، والّتي تمنع صاحبها من الخوف والجبن والضعف والفتور، وتردعه عن التهوّر والتجبّر والظلم والإسراف.

وهذه الملكة النفسانية، تقود القوّة الجسمية العضلانية وتوجّهها نحو الاعتدال والاستقامة، وحينئذٍ تعدُّ من الشجاعة، وإلّا كانت وَبالاً على صاحبها وصارت سبباً لملامة الناس له وذمِّهم إيّاه.

وهذه الصفة، من أشرف صفات الكمال والفضيلة، وإنّ تجلّيات الكمالات البشرية مرتبطة.

فالأُمّة الّتي تنعدم في أفرادها تلك الشجاعة الروحية الأخلاقية، يكون مصيرها إلى العدم والفناء، وتصير أسيرة سلطة الأجانب والطامعين. فبقاء الأُمم وعزَّتها وكرامتها، رهنُ ترجمتها للشجاعة.

فالتقيُّدات الزائدة، والاحتياط بلا دليل، وخداع عوامّ الناس، وعدم قبول الرأي الآخر والنقد، ومنع الحريّات، وكتم الأنفاس والفكر، والتهوّر في العمل، والتجاسر المجنون، والضعف الروحي وعدم الصبر، والظلم والعمالة للأجنبيّ، وخيانة الأُمّة، والسرّيّة والتستّر في الأُمور، والخنوع والذلّ، كلّها أُمور كاشفة

عن فقدان الشجاعة. كما أنّ ضبط النفس والثبات والاستقامة، والصراحة ومقاومة الصعاب والعقبات، ومواجهة منعطفات الحياة، وقبول النقد والحوار البنّاء، واحترام حرّيات الآخرين، كلّها أُمور تفرزها الشجاعة.

وكلّ مظاهر هذه الشجاعة قد تجسّدت في الحسين عليه السلام، وكانت روحه وكان جسمُهُ، مركز عرض أسمى مراتب الشجاعة حتّى صارت «الشجاعة الحسينية» مضرب المثل.

ينقل الشيخ الشبراويّ عن بعض أهل العلم أنَّ آل البيت حازوا الفضائل كلّها علماً وحلماً وفصاحةً وصباحةً وذكاءاً وبديهةً وجوداً وشجاعةً، فعلومهم لا تتوقّف على تكرار درس ولا يزيد يومهم فيها على ما كان بالأمس، بل هي مواهب من مولاهم، من أنكرها وأراد سترها كان كمن أراد ستر وجه الشمس، فما سألهم في العلوم مستفيد ووقفوا، ولا جرى معهم في مضمار الفضل قومٌ إلّا عجزوا وتخلّفوا، وكم عاينوا في الجلاد والجدال أُموراً فتلقّوها بالصبر الجميل وما استكانوا وما ضعفوا، تفرّ الشقاشق إذا هدرت شقاشقهم، وتصغى الأسماع إذا قال قائلهم، ونطق ناطقهم، سجايا خصّهم بها خالقهم.

ثمّ يضيف الشبراوي:

«وَقد حلّ الإمام الحسين عليه السلام من هذا البيت الشريف في أوج ذراه، وعلا فيه علوّاً تطامنت الثريّا عن أن تصل إلى معناه، ولمّا انقسمت غنائم المجد كان له منها

السهم الأوفر والحظّ الأكبر، وقد انحصرت جرثومة عزِّ هذا البيت فيه وفي أخيه، فكان لهما من خلال المجد والفضل ما لا خلاف فيه، كيف لا، وهم ابنا فاطمة البتول، الملحظان بعين الودِّ والرأفة والقبول، من أشرف نبيّ وأكرم رسول:

هُمَا شَمَّرَا لِلْمَجْدِ يَبْتَنِيَانِهِ ... كَأَنْ لَمْ يُؤَسِّسْ وَالِدٌ لَهُمَا مَجْداً

وَلَوْ لَمْ يَجِدَّا، وَاسْتَرَاحَا وَأَقْلَعَا ... لَمَا نَظَرَا مِثْلاً وَلَا وَجَدَا نِدّاً

ثمّ يقول:

«والحسين عليه السلام أقدم بقوّة الجنان إلى مقارعة الأبطال الشجعان، ومنازلة السيف والسنان، فكان عليه السلام في حرب أعدائه كرّاراً صبّاراً، يرى الفرار دناءةً وعاراً، فلم يزل خائضاً غمرات الأهوال بنفس مطمئنّة، وعزيمة مرحجنةٍ، يرى مصافحة الصفاح غنيمةً، ومراوحة الرماح فائدةً جسيمةً، وبذل المهج والأرواح في نيل العزّ ثمناً قليلاً، ويأبى الدنيّة وإنْ تركته قتيلاً:

يَرَى الْمَوْتَ أَحْلَى مِنْ رُكُوبِ دَنِيَّةٍ ... وَلَيْسَ بِعَيْشٍ عَيْشُ مَنْ رَكِبَ الذُّلَّا

ثمّ يقول:

عندما قصد الحسين عليه السلام الكوفة سمع ابن زياد بهذا الخبر وأرسل إليه عشرين ألف مقاتل، وأمرهم أن يأخذوا البيعة منه ليزيد، وإن أبَى قتلوه. وعندما عرضوا عليه البيعة لم يقبل وتأسّى بجدّه وأبيه ولم يرض بالعار والذلّ، وتجلّت فيه الشجاعة والنجدة الهاشميّة مع أنّه كان قد حوصر هو وأهل بيته وأعزّته وأصحابه، وصار

مرمًى للرّماح والنّبال، وآثر أن يبقى ثابت القدم في الجهـاد، وصـمد بشـهامة عاليـة وبقوّة قلب لا نظير لها في مثل هذا الموقع الخطير، وناداهم قائلاً:

«يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ مَا رَأَيْتُ أَغْدَرَ مِنْكُمْ، قُبْحـاً لَكُـمْ، وَتَعْسـاً لَكُـمْ، اَلْوَيْـلُ ثُـمَّ الْوَيْلُ، اسْتَصْرَخْتُمُونَا فَأَتَيْنَاكُمْ، وَأَسْرَعْتُمْ إِلَى بَيْعَتِنَا سُرْعَةَ الذُّبَابِ وَلَـمَّا أَتَيْنَـاكُمْ تَهَافَتُّمْ تَهَافُتَ الْفَرَاشِ، وَسَلَلْتُمْ عَلَيْنَا سُيُوفَ أَعْدَائِنَا مِنْ غَيْرِ عَدْلٍ أَفْشَوْهُ فِـيكُمْ، وَلَا ذَنْبٍ مِنَّا كَانَ إِلَيْكُمْ، أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِـمِينَ».

ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ، وَسَيْفُهُ مُصَلَّتٌ فِي يَدِهِ وَهُوَ يُنْشِدُ:

أَنَا ابْنُ عَلِيِّ الْـحَبْرِ مِـنْ آلِ هَاشِـم   كَفَـانِي بِهَـذَا مَفْخَـراً حِـينَ أَفْخَـرُ[١]

ويقول الشبراوي أيضاً: ثمّ لم يـزل يقـاتلهم إلى أن أثخنـوه بـالجراح، فطعـن

---

١. الشبراوي، الإتحاف بحبّ الأشراف، ص٥٩-٦٠. وحريّ بمحبّي أهـل البيـت أن يحفظـوا بقيّـة أبيات هذه العقيدة وهي:

وَجَدِّي رَسُولُ اللهِ أَكْرَمُ مَنْ مَضَى   وَنَحْنُ سِرَاجُ اللهِ فِي الْـخَلْقِ نَزْهَرُ
وَفَاطِمُ أُمِّي مِنْ سُلَالَةِ أَحْمَدُ   وَعَمِّي يُدْعَى ذُو الْـجَنَاحَيْنِ جَعْفَرُ
وَفِينَا كِتَابُ اللهِ أُنْزِلَ صَادِقاً   وَفِينَا الْـهُدَى وَالْوَحْيُ بِالْـخَيْرِ يُذْكَرُ
وَنَحْنُ أَمَانُ اللهِ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ   نُسِرُّ بِهَذَا فِي الْأَنَامِ وَنَجْهَرُ
وَنَحْنُ وُلَاةُ الْـحَوْضِ نَسْقِي   بِكَأْسِ رَسُولِ اللهِ مَا لَيْسَ يُنْكَرُ
وُلَاتَنَاوَشِيعَتُنَا فِي النَّاسِ أَكْرَمُ شِيعَةٍ   وَمُبْغِضُنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْسَرُ

إحدى وثلاثين طعنةً، وضرب أربعاً وثلاثين ضربةً، وغلب عليه العطش إلى أن سقط إلى الأرض، ومكث طويلاً من النهار كلّما انتهى إليه رجل من أعدائه رجع عنه وكره أنْ يتولّى قتله، فقدم عليه رجل من كندة يقال له مالك، فضربه على رأسه بالسيف قطع البرنس وأدماه. ومكث طويلاً من النهار ولو شاؤوا أن يقتلوه لقتلوه، ولكنّهم كان يتّقي بعضهم ببعض ويحبّ هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء، فنادى شمر في الناس: ويحكم ما تنتظرون بالرجل اقتلوه ثكلتكم أُمّهاتكم، فحملوا عليه من كلّ جانب، فضربه زرعة بن شريك التميمي بكفّه اليسرى، فصار يقوم ويكبو بقوّة جاشٍ وثبات جنان وفضل شجاعة وعدم مبالاة بما فيه من الجراح، وتمسّك بشهامةٍ قرشية وهاشميّة غير مكترث ذلك الأسد الوثّاب بنهش تلك الكلاب».[١]

وروى الطبري وابن الأثير عن عبد الله بن عمّار: «فشدّ عليه رجّالة ممّن عن يمينه وشماله، فحمل على مَن عن يمينه حتّى ابتعدوا، وعلى مَن عن شماله حتّى ابتعدوا، وعليه قميص له من خزّ وهو معتمٌّ؛ قال: فوالله ما رأيت مكثوراً قطّ قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه، أربط جأشاً، ولا أمضى جَناناً ولا أجرأ مقدماً منه، والله ما رأيتُ قبلَه ولا بعدَه، مِثلَه؛ أن كانت الرجّالة لتنكشف من عن يمينه

---

١. الشبراوي، الإتحاف بحبّ الأشراف، ص٥١-٥٣.

وشماله انكشافَ المعزى إذا شدّ فيها الذئب، قال: فو الله إنّه لكذلك إذ خرجتْ زينبُ ابنة فاطمة أُخته، وهي تقول:

«لَيْتَ السَّماءُ تَطَابَقَتْ عَلَى الْأَرْضِ!».

وقد دنا عمر بن سعد من حسين؛ فقالت:

«يَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ أَيُقْتَلُ أَبُو عَبْدِ الله وَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ!».

قال: فكأنّي أنظر إلى دموع عمر وهي تسيل على خدّيه ولحيته؛ قال: وصرف بوجهه عنها.[١]

ويقول ابن أبي الحديد:

ومَن كالحسين عليه السلام في شجاعته حيث نقل من حضر كربلاء أنّنا لم نجد مكثوراً قطّ قتل أهله وولده وأصحابه أشجع منه، حيث كان يحمل على الأعداء فينهزمون من بين يديه كفرار المعزى، وكيف ظنّك برجل لا يرضى بالذلّ ولم يضع يده في يدهم حتّى قتل.[٢]

ويقول العقّاد:

«وَشَجَاعَةُ الْـحُسَيْنِ صِفَةٌ لَا تُسْتَغْرَبُ مِنْهُ لِأَنَّهَا الشَّيءُ مِنْ مَعْدِنِهِ، كما قيل، وهي فضيلة ورثها عن الآباء وأَوْرثَها الأبناء بعده».

---

١. الطبري، تاريخ، ج٤ ص٣٤٥؛ ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٧٧-٧٨.

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٣، ص٢٧٤-٢٧٥.

إلى أن يقول:

«وَلَيْسَ فِي بَنِي الْإِنْسَانِ مَنْ هُوَ أَشْجَعُ قَلْباً مِمَّنْ أَقْدَمَ عَلَى مَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ الْحُسَيْنُ فِي يَوْمِ كَرْبَلَاءَ».[١]

ويقول في موضع آخر:

فإنّه كان يقاسي جهد العطش والجوع والسَّهَر ونزف الجراح ومتابعة القتال، ويلقي باله إلى حركات القوم ومكائدهم، ويدبّر لرهطه ما يحبطون به تلك الحركات ويتّقون به تلك المكائد، ثمّ هو يحمل بلاءه وبلاءهم... ويتكاثر عليه وقر الأسى لحظةً بعد لحظة كلّما فجع بشهيد من شهدائهم. ولايزال كلّما أُصيب عزيز من أُولئك الأعزّاء حمله إلى جانب إخوانه وفيهم رمق ينازعهم وينازعونه وينسون في حشرجة الصدور ما هم فيه... فيطلبون الماء ويحزّ طلبهم في قلبه كلّما أعياه الجواب، ويرجع إلى ذخيرة بأسه فيستمدّ من هذه الآلام الكاوية عزماً يناهض به الموت ويعرض به عن الحياة... ويقول في أثر كلّ صريع: «لا خير في العيش من بعدك» ويهدف صدره لكلّ ما يلقاه... .[٢]

ويقول أيضاً:

---

١. العقّاد، أبو الشهداء، ص١٤٤.

٢. العقّاد، أبو الشهداء، ص٢٢٨.

«وظَلَّ (الحسين عليه السلام) على حُضور ذِهنِه وثبات جأشه في تِلكَ المِحْنَةِ المتراكبة الّتي تعصف بالصَّبْر وتطيش بالألباب، وهو جهد عظيم لا تحتويه طاقة اللحم والدم، ولا ينهضُ به إلّا أولوا العزم من أندر ما يلد آدم وحوّاء».[١]

ولكنَّ حسين عليه السلام الشهامة والاستقامة والإيمان، تحمَّل كلّ هذه المصائب ودافع تلك البليّات الّتي تكفي واحدة منها لهدّ عزم أشجع الشجعان، كما يدفع الشجاعُ عن نفسه الأبطال في الوغى.

بوركت حقيقة الإنسانية الّتي إذا تجلَّت غطَّت كلّ مناظر الجمال في عالم الخلقة، ومنحت لحم ودم وعظام وشحم الإنسان قدْراً عالياً، وتسامت حتّى ساوت كلّ الممكنات وزناً وقدراً واعتباراً، واهتزّت رايتها في السماوات العُلى!

وبورك طلب الحقّ ورضا الربّ، الّذي يرتفع بروح الإنسان ويُعظمها إلى درجة الارتقاء إلى مصاف الأنوار القدسيّة.

وبورك آل محمّد، أهل بيت الرسالة، وقربى النبوّة، الّذين علّموا البشرية دروس الشرف والاستقامة والصبر والفداء ورباطة الجأش والعزيمة!

وبوركت الأُمّة الإسلامية، والفخر والعزُّ للطائفة الشيعية الحقّة والفرقة المحقّة، الّتي تحيي الذكرى السنوية لهذه التضحيات والفداء الفريد، والتجلّي

---

١. العقّاد، أبو الشهداء، ص٢٤٧-٢٤٨.

العظيم للروح الإنسانية مستفيدةً ومفيدةً من هذه المراسم والشعائر، دروس الإباء للمجتمع البشريّ!

١٠. تجلّيات عظمة الحسين عليه السلام

يتحدّث العلايلي ضمن تعداده لمظاهر عظمة الحسين عليه السلام، عن عظمة صراحة لهجة الحسين وصدقه، وعن عظمة تصميمه، وعن عظمة إباء نفسه وعلوّ همّته ورجولته.

ولأنّ هذه المزايا الّتي ذكرها مستقاة من روح الحسين عليه السلام الفيّاضة الشجاعة الظافرة، لذا فسنقتصر على نقل مقاطع من كلام العلايلي:

عظمة المضاء

وهذا جانب أكثر عَمليَّةً من الصراحة، إذ هو التصميم والعزم النافذ وتوطين النَّفس إلى النهاية على أيّة أشكالها. وهذا شيء يشعر به أرباب المشاعر المُرهَفَة حتّى أنّهم يحسّون في دمائهم غلياناً، كأنّ بركاناً انفجر وثار في شرايينهم فهو يقذف بالحمم ويندفع كالسيل الناريّ حين ينصبّ من علوّ بين الشرر المتصاعد والقوّة المتدافعة، وبين النَّفس اللافح والانهار القويّ، فلا براح من أن يمضي بدون تراخٍ تحت شعوره الجيّاش وإحساسه الملتهب. واسمعوا اسمعوا إلى كلمات الحسين عليه السلام كيف تخرج مع هذا الشعور الخطير قال:

«الْـحَمْدُ للهِ، وَمَا شَـاءَ اللهُ وَلَا قُـوَّةَ إِلَّا بِـاللهِ، وَصَـلَّى اللهُ عَلَـى رَسُـولِهِ خُـطَّ الْـمَوْتُ عَلَى وُلْدِ آدَمَ مَخَطَّ الْقَلَادَةِ عَلَى جِيـدِ الْفَتَـاةِ، وَمَـا أَوْلَهَنِـي إِلَـى أَسْـلَافِي اشْتِيَاقَ يَعْقُوبَ إِلَى يُوسُفَ، وَخِيرَ لِي مَصْرَعٌ أَنَا لَاقِيـهِ، كَـأَنِّي بِأَوْصَـالِي تَقْطَعُهَـا عُسْلَانُ الْفَلَوَاتِ بَيْنَ النَّوَاوِيسِ، وَكَرْبَلَاءَ، فَيَمْلَأْنَ مِنِّي أَكْرَاشـاً جَوْفـاً، وَأَجْرِبَـةً سَغْباً لَا مَحِيصَ عَنْ يَوْمٍ خُطَّ بِالْقَلَمِ، رِضَا اللهِ رِضَانَا أَهْلَ الْبَيْتِ نَصْبِرُ عَلَى بَلَائِـهِ وَيُوَفِّينَا أُجُورَ الصَّابِرِينَ لَنْ تَشُذَّ عَنْ رَسُـولِ اللهِ لُحْمَتُـهُ بَـلْ هِـيَ مَجْمُوعَـةٌ لَـهُ فِي حَظِيرَةِ الْقُدْسِ تَقِرُّ بِهِمْ عَيْنُهُ وَيُنْجِزُ بِهِمْ وَعْدَهُ أَلَا فَمَنْ كَـانَ بَـاذِلاً فِينَـا مُهْجَتَـهُ، وَمُوَطِّناً عَلَى لِقَاءِ اللهِ نَفْسَهُ فَلْيَرْحَلْ مَعَنَا فَإِنِّي رَاحِلٌ مُصْبِحاً إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى».[١]

هذه الكلمات الثائرة كانت منطق الحسين عليه السلام لأُولئك الّذين أرادوا أن يحملـوه على غير رأيه، ولهؤلاء عذرهم فإنّهم لا يحملون نفسه ولا يشعرون بشعوره، ولا تتوقَّد في نفوسهم ما يتوقَّد في نفسه.

ولنـدرك عظمـة هـذا الموقـف الّـذي يقفـه إلّا أن يمضي- إلى غايتـه، نـذكر الرجالات الّذين نَهَـوْاه عـن الخـروج، مـنهم أبـو بكـر عمـر بـن عبـد الـرحمن المخزومي، وعبد الله بن عبّاس، وعبد الله بن عمر، ومحمّد بـن الحنفيّـة، وكلّهـم من خُلَّص الرجال، ولكنّهم في مواجهة الرجولـة الحقّـة فقـدوا جلـد الرجولـة

١. العلايلي، سموّ المعني في سموّ الذات، ص١١٥.

وبدوا كدقاق الحصى في سفح الجبل الأشمّ حين تعصف العاصفة، تُسمِع أصواتاً مع انحدارها، وربما كانت ضجّةً من الأصوات، والجبل في موقفه ساخر في صموت، وساكن في غير مبالاة. وربما كان جواباً خالداً في التصميم، والعزيمة، قول الحسين عليه السلام لابن عمر لمّا أشار عليه بصلح أهل الضلال، وحذّره من القتل والقتال، فقال: «**يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللهِ أَنَّ رَأْسَ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا أُهْدِيَ إِلَى بَغِيٍّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**».[١]

هذه فقرة نبيلة من جواب الإمام، تجعلنا نلمس مقدار قوّة التصميم عنده، ومقدار مضاء العزيمة لديه لتحقيق هدفه الّذي لا يحيد عنه قيد أنملة.

وكذلك مضى وهو لا يرى إلّا مبدأه الّذي يأتلف من كلمات ثلاث، ثمّ لا يسمع سوى صوت هذه الكلمات عميق الصدى سحريّاً...

اللهُ، رَسوله، القُرآن

عظمة الإباء

وهذا جانبٌ آخر من عظمة الإمام الشهيد، ولكنّه أنبلها جميعاً، وذلك إذا رأينا كيف يَفقد المبدأ والصراحة والمضاء ما فيها من معاني إذا أرضت صاحبه شهوة أو أقنعه مُنفَس، أو أجاب إلى دنيا. وليست تفقد معناه فحسب، بل ينقلب

---

١. ابن نما الحلّي، مثير الأحزان، ص٢٩؛ البحراني الأصفهاني، عوالم العلوم، ص٢١٤.

النبل فيها عاباً، والشرف حطّةً، فكان الإباء حجر الأساس وركن الزاوية، وكذلك أبى الإمام عليه السلام إلّا الإباء ونطق بها كلمة تفرّق منها نفس العاتي، وتضؤل معها كبرياء الظالم: «**لَا وَاللهِ لَا أُعْطِيكُمْ بِيَدِي إِعْطَاءَ الذَّلِيلِ، وَلَا أَفِرُّ فِرَارَ الْعَبِيدِ، يَا عِبَادَ اللهِ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونَ، أَعُوذُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ**».[1]

ثمّ قال عليه السلام:

«**ثُمَّ أَيْمُ اللهِ لَا تَلْبَثُونَ بَعْدَهَا إِلَّا كَرَيْثِ مَا يُرْكَبُ الْفَرَسُ حَتَّى تَدُورَ بِكُمْ دَوْرَ الرَّحَى، وَتَقْلَقَ بِكُمْ قَلَقَ الْمِحْوَرِ، عَهْدٌ عَهِدَهُ إِلَيَّ أَبِي عَنْ جَدِّي، فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونَ، إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ، مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**».[2]

ثمّ أناخ راحلته، وركب فرسه، وتهيّأ للقتال...

---

١. المفيد، الإرشاد، ج٢، ص٩٨؛ الطبرسي، إعلام الورى، ج١، ص٤٥٩؛ ابن حاتم العاملي، الدرّ النظيم، ص٥٥٣؛ العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص١١٧.

٢. مقطع من خطبة الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء. ابن نما الحلّي، مثير الأحزان، ص٤٠ ـ ٤١؛ ابن طاووس، اللهوف، ص٥٩ ـ ٦٠.

أَعْظِـمْ بِـهِ بَطَـلاً لَمْ يُعْـطِ مُتَّضِـعاً | يَدَ الصَّغَارِ وأَعْطَى دُونَهَا الرَّأْسَا
كَذَلِكَ الْـحُرُّ يَسْتَعْدِي الْـمَمَاتَ عَلَى | عَـيْشِ الدَّنِيَّـةِ إِذْلَالاً وَإِرْكَاسـاً
أَكْـرِمْ بِهَـا خُلَّـةً كَانَـتْ لَنَـا نَهَجاً | ثُمَّ اسْـتَمَرَّتْ عَـلَى الْأَيَّـامِ نِبْرَاسـاً

أجل، إنّ الحسين عليه السلام وبما ورثه من عزَّةٍ عن جدِّه، وبإباءِ شخصيّته لم يَهِن ولم يَنكُل أبداً، وعَجَزَ التاريخ أن يجد له نظيراً في شموخه وإبائه وعزّته. فلقد كان الحسين عليه السلام ولازال معلّم الأجيالِ معلّمَ العزّةِ والشّموخ.

ويقول ابن أبي الحديد:

«سَيِّدُ أَهْلِ الْإِبَاءِ الَّذي عَلَّمَ النَّاسَ الْـحَمِيَّةَ وَالْـمَوتَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ اخْتِيَاراً لَهُ عَلَى الدَّنِيَّةِ، أَبُو عَبْدِ الله الْـحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليهما السلام الَّذِي عُرِضَ عَلَيْهِ الْأَمَانُ وَأَصْحَابِهِ فَأَنِفَ مِنَ الذُّلِّ...».[1]

عظمة البطولة

هذا جانب من العظمة أشدّ ما يكون وضوحاً عند الحسين عليه السلام، وربما لم يظهر عند غيره بالروعة الّتي نراها عنده، ولعلّ أبرع مواقف بطولة الحسين عليه السلام، هذا الموقف الّذي يقول فيه:

---

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٣، ص٢٤٩.

«**قُومُوا رَحِمَكُمُ اللهُ إِلَى الْـمَوْتِ الَّذِي لَابُدَّ مِنْهُ، فَإِنَّ هَذِهِ السِّهَامُ رُسُلُ الْقَوْمِ إِلَيْكُمْ**»،[١] فاقتتلوا ساعةً من النهار حملةً وحملةً، حتّى قتل من أصحاب الحسين عليه السلام جماعة. فعندئذٍ ضرب الحسين عليه السلام يده إلى لحيته وجعل يقول:

«**إِشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ إِذْ جَعَلُوا لَهُ وَلَداً، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى النَّصَارَى إِذْ جَعَلُوهُ ثَالِثَ ثَلَاثَةٍ وَ اشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى الْـمَجُوسِ إِذْ عَبَدُوا الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دُونَهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى قَوْمٍ اتَّفَقَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى قَتْلِ ابْنِ بِنْتِ نَبِيِّهِمْ. أَمَا وَاللهِ لَا أُجِيبُهُمْ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا يُرِيدُونَ حَتَّى أَلْقَى اللهَ وَأَنَا مُخَضَّبٌ بِدَمِي**».[٢]

محلّ الروعة البالغة أو بلاغة الروعة في قوله: «**قُومُوا رَحِمَكُمُ اللهُ إِلَى الْـمَوْتِ**» وفي قوله «**أَمَا وَاللهِ لَا أُجِيبُهُمْ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا يُرِيدُونَ حَتَّى أَلْقَى اللهَ تَعَالَى وَأَنَا مُخَضَّبٌ بِدَمِي**».

هاتان الفقرتان اللتان ترسمان بكلّ وضوح نفسيّة الحسين عليه السلام غير هياب ولا وجل، ولا شكس ولا وكل. يدعو أصحابه إلى الموت كأنّما هو يدعوهم إلى مأدبة لذيذة، ولقد كانت لذيذةً عنده حقّاً، لأنّه وهو ينازل الباطل يرتسم له برهان ربّه

---

١. ابن طاووس، اللهوف، ص٦٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٢.

٢. ابن طاووس، اللهوف، ص٦٠-٦١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٢؛ العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص١١٨.

الّذي هو مبدؤه، ويسمع صوت الله الّذي هو صوت ضميره، ثمّ يشدّ على القوم، وهو لا يرى بناظريه إلّا هذه الكلمات الثلاث...

اللهُ، رسُوله، القُرآن

وإذا ما أردنا أن نواصل الحديث في شجاعة الحسين عليه السلام وثباته الروحي والجسديّ، لن نكمل كتابة هذا الكتاب قريباً، ولذا نحاول أن نطوي هذه الصفحة المشرقة من حياة أبي الشهداء، ونقنع بهذا القليل، محيلين القارئ العزيز إلى كتب المقاتل، للتأمّل في تاريخ حياة وسيرة الإمام الحسين عليه السلام.

١١. صبر الحسين عليه السلام

تُعدُّ هذه الصفة من أُصول الأخلاق الحميدة والملكات المحمودة، وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم وصلت إلى سبعين آيةً في خصوص الصبر، من جملتها:

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.[١]

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.[٢]

---

١. الزمر، ١٠.

٢. النحل، ٩٦.

﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[١]

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾.[٢]

﴿اِصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾.[٣]

﴿وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾[٤]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.[٥]

و من الروايات المعروفة في هذا المجال:

«اَلصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، لَا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لَا رَأْسَ مَعَهُ، ولَا فِي إِيمَانٍ لَا صَبْرَ مَعَهُ».[٦]

وعن أمير المؤمنين عليه السلام:

---

١. الأنفال، ٤٦.

٢. السجدة، ٢٤.

٣. آل عمران، ٢٠٠.

٤. مريم، ٦٥.

٥. البقرة، ١٥٣.

٦. الطبرسي، مشكاة الأنوار، ص٦١؛ الحلواني، نزهة الناظر، ص٥١؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٨، ص٢٣٢؛ الشريف الرضي، خصائص الأئمّة، ص٩٤؛ الفتّال النيشابوري، روضة الواعظين، ص٤٢٢.

«إِطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الْيَقِينِ».[١]

وللوقوف على فضيلة الصبر وتعريفه ومراتبه ودرجاته وأقسامه، راجع كتب الحديث والأخلاق، كبحار المجلسي، و***المحجّة البيضاء*** و***جامع السعادات*** و***معراج السعادة***.

يقول الراغب في «مفردات القرآن»:

«اَلصَّبْرُ حَبْسُ النَّفْسِ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ الْعَقْلُ وَالشَّرْعُ أَوْ عَمَّا يَقْتَضِيَانِ حَبْسَهَا عَنْهُ».[٢]

والمستفاد من الآيات والروايات، مضافاً إلى علوّ مقام ومرتبة الصابرين، أنّ الصبر مفتاح البركات، وأنّه مقدّمة لنيل كلّ المقامات المعنويّة، وأنّه شرط الموفّقيّة والنجاح في كلّ عمل وكسب كلّ فضيلة.

ولقد نجح الإمام الحسينعليه السلام في الامتحان في مقام الصبر نجاحاً أبهَرَ أعداءَهُ قبل محبّيه، بل إنّ صبْرَه ممّا تعجّبت منه الملائكة، وكما ورد في الزيارة المنسوبة إلى الناحية المقدّسة:

«لَقَدْ عَجِبَتْ مِنْ صَبْرِكَ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ».[٣]

---

١. نهج البلاغة، كتاب ٣١ (ج٣، ص٥٥)؛ ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص٨٣؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٣٢٤.

٢. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص٢٧٣.

٣. زيارة الناحية المقدّسة، ضياء الصالحين.

ووصل صبره إلى درجة أنّه صار من أوضح الواضحات والمسلّمات، ولكن ومع ذلك ولتتميم الفائدة الأخلاقية والسلوكيّة، نعرض لبيان عدّة تجلّيات من صبره عليه السلام:

الصبر على الجهاد

وأحَدُ معاني هذا الصبر، هو عدم ضعف المجاهد في سبيل الله، إذا ما أُثخن بالجراح، وعدم الإدبار في المواجهة، وعدم التزلزل في العزم والصمود، والمحافظة على الإقدام عند مواجهة الحشود الهاجمة.

إنَّ من جملة أسباب فتوحات المسلمين في صدر الإسلام، هو حالة الصبر الّتي كانوا يتدرّعون بها في الجهاد لكسب الثواب والفوز بالقرب الإلهيّ في ساحات الوغى، والقرآن يمتدح هؤلاء بقوله:

﴿**وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ**﴾.[1]

وقال تعالى:

﴿**كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾.[2]

وهذا السبق في سوح الجهاد، كان وبالدرجة الأُولى نصيبَ عليّ عليه السلام وآل عليّ، حيث لم نعهد لهم هزيمةً وإدباراً أبداً. فلقد كان أمير المؤمنين عليه السلام في بدر وأُحد

---

١. البقرة، ١٧٧.

٢. البقرة، ٢٤٩.

والأحزاب وحنين وغيرها من الحروب والغزوات، ثابت القدم وفي غاية الصبر والتحمّل، حتّى أنّه أُصيب في «أُحُد» بتسعين جراحةً وضربةً، ولم يكفَّ عن القتال؛ دفاعاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن الإسلام.

ولقد أُصيب أخوه جعفر ابن أبي طالب في «مؤتة» بأكثر من سبعين جراحة سيفٍ ورمح وسهم، ومع ذلك بقي رافعاً راية الإسلام عاليةً حتّى قُطعت يداه الكريمتان، وطبقاً لبعض الأخبار أنّه بقي مرابطاً حتّى قُدَّ جَسَدُه نصفين.

يقول عبّاس محمود العقّاد واصفاً صبر الحسين عليه السلام:

فانفرد وَحده يُقاتل الزحوف المطبقة عليه، وكان يحمل على الّذين عن يمينه فيتفرّقون، ويشدُّ على الخيل راجلاً ويشقّ الصفوف وحيداً ويهابُه القريبون فيبتعدون، ويهمُّ المتقدّمون بالإجهاز عليه ثمّ ينكصون...».

ثمّ يقول:

«ووجدَت بعد موته عليه السلام ثلاث وثلاثون طعنةً، وأربع وثلاثون ضربةً غير إصابة النبل والسهام وأحصاها بعضهم في ثيابه فإذا هي مائة وعشرين».[١]

بل، إنّ المستفاد من بعض الروايات أنَّ مجموع الجراحات الواردة على جسده الشريف

١. مسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٦٢؛ ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٧٩؛ معتمد الدولة، القمقام الزخّار، ج٢، ص٤٦٨؛ العقّاد، أبو الشهداء، ص٢٥٠.

بلغت ٣١٠ جراحة سيف وطعنة رمح وإصابة سهم وجرح حجارة، والملفت للنظر هو أنَّ كلّ تلك الجراحات كان في مقدّم جسده ووجهه وصدره الشريف.[١]

ومع كلّ هذه الجراحات الدامية، ظلَّ يجاهد وينازل الجموع ويرتجز ويحمل على الرجال راجلاً، حتّى أنّه وعندما خرَّ على وجهه جعل يقوم ويكبو وهم يطعنونه برماحهم ويضربونه بسيوفهم حتّى سكن حراكُه، فتنادى القوم بمصرع الحسين عليه السلام فبلغت صيحتهم مسمعه الّذي أثقله النزع، فلم يخطر له أنّه ضعيف منزوف، فالتمس سيفه فإذا هم قد سلبوه، فلم يجد إلّا مُديةً صغيرةً قنع بها وغالب الوهن والموت، ثمّ وثب على قدميه من بين الموتى وثبة المستيئس الّذي لا يفرُّ من شيء، فتولّاهم الذعر، وشُلَّت أيديهم من الخوف، فانطلق يُثخن فيهم قتلاً وجرحاً ولم يقوَوا عليه، فكان عليه السلام الصابر حقّاً والمجاهد صدقاً.

الصبر على فقدان الأحبّة

وهذا القسم من الصبر، أشدُّ من الصبر على الجراح والسيوف والأسر في إضعاف العزيمة، ولكنّ الحسين الّذي يعدل صبره وثباته صبر الجبال الرواسي، صبر على تلك المصائب المفجعة من مصرع الأولاد والإخوة والأحبَّة وهم خير الأهل

---

١. العقّاد، أبو الشهداء، ص٢٥٠.

وخير الصُحب الّذين كانوا يتلظّون عطشاً أمام عيني الحسين عليه السلام، لكنّه صبر. صَبَر الحسينُ صبراً لم يشهد عالم الخلقة الإنسانية نظيراً له، صبر عندما رُميَ طفلُه الرضيع في حجره بسهم حقود مسموم، وصبر عندما ضرب ابنُ أخٍ له لم يتجاوز العاشرة من عمره، جاء مدافعاً عن عمّه الحسين عليه السلام فضربه لئيم من اللئام بضربة اتّقاها الغلام بيده فقطعت يدُه وهو في حجر عمّه الّذي كان ملقًى على الرمضاء، وحيداً لا ناصر له ولا معينَ، وصبر الحسين عليه السلام عندما رأى طفلاً له فرَّ من الخيمة طلباً لجرعةٍ من الماء يطفئ بها لهيب قلبه الّذي أضرَّ به العطش فأذهله عن مخاطر تلك الساعة، فضربه القوم بعمود خيمة لا يتحمّلها كبار الرجال، فقضى الغلام عطشاناً مظلوماً.

وصبر الحسين عليه السلام وأمر ابن أخيه الصغير الّذي قطعت يده في المعركة وبقيت معلّقة بجلدة عضده، أمره بالصبر كما يأمرُ الفرسانَ بذلك، وقال:

«يَا ابْنَ أَخِي! اصْبِرْ عَلَى مَا نَزَلَ بِكَ، وَاحْتَسِبْ فِي ذَلِكَ الْـخَيْرَ».[١]

وصبر الحسين عليه السلام وهو يرى بوادر أسرِ بناته وأخواته ونسائه وهنَّ عقائل النبوّة ومخدّرات الإمامة، وكان وقْع ذلك على قلبه، أكبر من وقع السيوف والرماح، لكنّه صَبَرَ وأوصاهم بالصبر والوقار والتحمّل وبشّرهم برحمة الله ولطفه وحمايته لهم، فقال:

---

١. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٤٤.

«وَرَحْمَةُ اللهِ لَا تُفَارِقُكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».[١]

ضبط النفس

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أَنَّ الْقَوِيَّ مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»، ولم يُعهد عن الحسين عليه السلام أنّه تبع غضبه يوماً مّا، بل كان مالكاً لنفسه حين غضبه، ومهما اجتمعت عليه مناشئ الغضب لم تؤثّر في سلوكه ولو لطرفة عين، ولم تخرجه عن حلمه وسكينته، يقول العلايلي:

إنَّ غلاماً وقف يصبُّ الماء على يديه فوقع الإبريق من يد الغلام في الطست، فطار الرشاش في وجهه فقال الغلام: يا مولاي «وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ».

قال عليه السلام: «**كَظَمْتُ غَيْظِي، قال: «وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ»، قال** عليه السلام: «**قَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ**»، **قال: «وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ». قال الحسين** عليه السلام: «**اِذْهَبْ فَأَنْتَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ الْكَرِيمِ**».[٢]

ومن جملة تجلّيات حلم الحسين عليه السلام وملكه لنفسه ساعة الغضب، ما قام به في كربلاء عندما التقاه جيش الحرّ بن يزيد وهم عطاشا في تلك الصحراء القاحلة فسقاهم الحسين عليه السلام الماءَ عن آخرهم وسقى خيولهم ورشَّفها.

---

١. سپهر، ناسخ التواريخ، ج٢، ص٣٦٠.

٢. العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص١٦١.

يقول عليّ بن الطعّان المحاربي: كنت مع الحرّ بن يزيد، فجئت في آخر من جاء من أصحابه، فلمّا رأى الحسين ما بي وبفرسي من العطش قال: «يَا ابْنَ أَخِي أَنِخِ الرَّاوِيَةَ» فَأَنْخْتُهُ، فقال: اشرب، فجعلتُ كلّما شربت سال الماء من السقاء، فقال الحسين عليه السلام: «إِخْنِثِ السِّقَاءَ»؛ أي اعطفه. قال: فجعلت لا أدري كيف أفعل، فقام الحسين عليه السلام فَخَنَثَهُ، فشربت وسَقَيْتُ فرسي».[1]

ومن نماذج صبر الحسين عليه السلام إباؤه البدء بالحرب، على معرفته بأنّ هؤلاء الكفّار لن يرحموه ولن يرحموا أعزّته، فرموه بالنبال وصبر وأقام الحجّة عليهم ولم يمدَّ ولا أحدٌ من صحبه يداً على سلاح.

لـمّا وصل كتاب ابن زياد إلى الحرّ بن يزيد بمحاصرة الحسين عليه السلام والجعجعة به على غير ماء وكلاء، قال زهير بن القين: يا ابن رسول الله إنَّ قتال هؤلاء أهون علينا من قتال من يجيء من بعدهم، فقال له الحسين عليه السلام:

«إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَهُمْ بِقِتَالٍ».[2]

---

١. أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام، ص٨٢؛ الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٠٢؛ المفيد، الإرشاد، ج٢، ص٧٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٧٦؛ معتمد الدولة، القمقام الزخّار، ج١، ص٣٥٠.

٢. الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٥١-٢٥٢؛ المفيد، الإرشاد، ج٢، ص٨٣-٨٤؛ العقّاد، أبو الشهداء، ص١٨٨.

وحتّى عندما منعوا الماء عن الحسين عليه السلام وصحبه، فلم يبق في مخيّم الحسين ذو روح من الرجال والنساء والأطفال وحتّى الجياد، إلّا وهو يعاني من العطش، وتعالت الصرخات بالعطش، مع ذلك لم يبدأهم الحسين عليه السلام بقتال.

ورأى شمرَ ابن ذي الجوشن ـ من أبغض مبغضيه المؤلّبين عليه ـ يدنو من بيوته ويجول حولها ليعرف منفذ الهجوم عليها، فأبى على صاحبه مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم وقد أمكنه أن يصميه وهو أسدُّ الرماة، لأنّه (أي الحسين عليه السلام) كره أن يبدأهم بعداء[1]، وكأنّه أراد أن تكون حربه دفاعيّةً محضةً.

ومن جملة مظاهر عفوه وصبره، وعملاً بالآية الشريفة: ﴿**وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾.[2]

هو قبوله توبة الحرّ بن يزيد، وملاطفته له ومحبّته إليه، وهو لا يصدر إلّا من معدن الصبر والحلم والعفو والمغفرة.

الصبر على العطش

ولعمري إنّهُ لمن أقوى أنواع الصبر، وخاصّةً عندما يشتدُّ العطشُ بالمرء.

---

١. المفيد، الإرشاد، ج٢، ص٩٦؛ الطبرسي، إعلام الوري، ج١، ص٤٥٨؛ معتمد الدولة، القمقام الزخّار، ج١، ص٣٩٠؛ العقّاد، أبو الشهداء، ص٢٣٧.

٢. الشورى، ٤٣.

فالثبات والصمود عند اشتداد العطش وعدم الخضوع والتسليم للباطل، لهو من علامات العزم الراسخ الكبير، ولعلّنا لا نجد في التاريخ من صَبَرَ على العطش كالحسين عليه السلام.

وبحسب النقولات التاريخية، فإنّ الماء قد مُنع عن خيام الحسين عليه السلام من اليوم السابع من المحرّم، وإن كان بعض أصحاب الحسين عليه السلام وخاصّةً أبو الفضل العبّاس قد تمكّنوا من الاستقاء لبعض الماء ما بين اليوم السابع والعاشر، فإنّ هذا الماء كان يخصّص للأطفال والنساء، ولم يكن للكبار نصيب فيه، وعلى هذا فالحسين وأصحابه لم يشربوا الماء ليومين أو ثلاثة أيّام، ويكون صبرُهم على العطش، خاصّةً يوم القتال، صبراً لا نظير له. ومن عاش حرارة الطقس في العراق، يعرف جيّداً أنّ تحمّل العطش لعدّة ساعات أمرٌ بعيد المنال، خاصّةً في زحمة الجهاد والمبارزة والجراح وحرارة الشمس ونزف الدم والهيجاء والغُبار، كلّ ذلك باعث على اشتداد إضرار العطش، ولكنّ الإمام العطشان صبر على ذلك ولم يستسلم لأُولئك الأوغاد.

صلّى الله عليك يا أبا عبد الله

الصبر على الطاعة

لا شكّ في أنَّ كلّ تجلّيات صبر الحسين عليه السلام إنّما كانت طاعةً لله وأمره، ولامتثال تكاليفه، فاستقبال الحسين عليه السلام لتلك البليّات والمصائب، ورفضه لكلّ الدعوات الّتي

صدرت من محبّيه ومن أعدائه، للتنازل والاستسلام والبيعة ليزيد، إنّما كانت امتثالاً للأوامر والنواهي الإلهيّة وتطبيقاً لأحكام الشريعة وتجسيداً للصبر على الطاعة.

عزيزي القارئ، إنَّ شخصيّة الإمام الحسين العظيمة، ومناقبه وفضائله وكرائم أخلاقه، قد بلغت وفي كلّ الجهات، حدّاً من العظمة إلى درجة استحالة الإلمام بها بعدّة مقالات، بل وحتىّ المؤلّفات المستقلّة المختصّة بذلك عاجزةٌ عن الإحاطة ببعضها، ولذا نجد أنفسنا عاجزين إلّا عمّا قدّمناه من مختصر وجيز لبعض تجلّيات تلك الصفات، ونقول بنحو جامع وملخّص: إنَّ الحسين عليه السلام هو أكملُ الناس علماً ومعرفةً وحلماً وفصاحةً وبلاغةً.[١]

---

١. إنّ الكلمات الإعجازية للحسين عليه السلام وخطبه الفصيحة البليغة ومواعظه ونصائحه الجامعة والأدعية الّتي أُثرت عنه وضبطت في كتب العامّة والخاصّة، لخيرُ دليل وبرهان على أنّ الحسين عليه السلام كأبيه أمير المؤمنين عليه السلام، مالكُ مُلك الفصاحة وحاكم أقاليم البلاغة.

يقول معاوية بن أبي سفيان في معرض وصفه لمنطق الحسين عليه السلام وجميل بيانه:

«لَكِنَّهَا اَلْسِنَةُ بَنِي هَاشِمِ الْـحِدَادِ الَّتِي تَفْلِقُ الصَّخْرَ وَتَغْرِفُ مِـنَ الْبَحْـرِ». الأميني العاملي، أعيان الشيعة، ج١، ص٥٨٣؛ العلايلي، سموّ المعني في سموّ الذات، ص١٦٢.

المبحث الثاني

بنو هاشم وبنو أمية

بنو هاشم وبنو أُمَيَّة

لا نبالغ إذا ما قلنا بأنّنا لم نجد صراعاً بين الحـقّ والباطـل، ولا مواجهـةً بـين أولياء الله والمصلحين مع المفسدين والظالمين، كالمواجهة والصراع الّذي كان بين بني هاشم وبني اُميّة، حيث تشخّصتِ الفرقتان وامتاز صفُّ أصحاب الفضيلة، أصحاب الخير والشرف عن صفِّ عناصر الشرِّ والباطل.

كما لا مبالغة في القول: أنَّهُ لم تنكشـف حقيقـةُ صراع بـين أهـل الحـقّ وأهـل الباطل، كانكشافها في صراع الحسين عليه السلام مع بني اُميّة في قدسيّة أهداف الحسـين عليه السلام ورذالة أهداف يزيد.

وما تجلّى من الحقّ في جبين الحسين يومَ كربلاء، وانتشار جمال حقيقته في آفاق

العالم، وتمزيق ستائر الخداع والفساد، لم يتجلَّ في مظلوميّة واستشهاد أيٍّ واحدٍ من شهداء طريق الحقّ وقادة الأديان.

أجل، إنَّ المثل الأعلى والنموذج الأكمل لخصال الإيمان وطلب الحقّ، وحُبّ الخير والعدالة والفضيلة، هو خاتم الأنبياء محمّد صلى الله عليه وآله، ومن بعده أمير المؤمنين عليه السلام الّذي اقترب واقترب من الحقّ، ولازمه إلى درجة تصديق وتصريح لسان الوحي بهذه الملازمة، فقال: «عَلِيٌّ مَعَ الْـحَقِّ وَالْـحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ»[1] وكما كانت جنود الحقّ والتوحيد في حروب النبيّ وعليّ مع الكفّار والباطل متميّزةً كلّ التميّز عن جنود الشرك والكفر، فكذلك في هذه المعركة الّتي تجسّد الحقّ في شخص الحسين عليه السلام وتجسّد الباطل في شخص يزيد، تميّزت قوى الحقّ عن قوى الباطل بلا أدنى شبهة.

لقد كان بنو هاشم في الجاهلية وفي الإسلام، ألدَّ خصوم الظلم والجور، وحماةَ المظلومين وحرسةَ الحقّ والعدالة، فهم الّذين لعبوا الدور المشرف في حلف الفضول في الجاهلية، ووقفوا لنصرة المظلومين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر والبغي، وبذلوا الأموال من أجل رفع الحيف عن الفقراء، كما ذكر ذلك مفصّلاً في كتب التاريخ وكان موقفهم ذاك نابعاً عن حسّهم الإنسانيّ بحبّ النوع

---

١. الإسكافي، المعيار والموازنة، ص١١٩، ٣٢٢؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٢٩٧.

البشريّ، ودليلاً على نقاء نيّاتهم وسرائرهم، وكاشفاً عن طيب عنصرهم وطهارة نفوسهم وكمال سجاياهم، ولو أنّ العالم المعاصر المتمدّن اليوم تعاقدوا على مثل ذلك الحلف، لكان ذلك فخرهم الوحيد، وإنجازهم الأهمّ.

لقد كان حلف الفضول من أشرف العهود الّتي أُبرمت قبل الإسلام، ونموذجاً عن قدس الروح وطهارة الباطن ونزاهة الأخلاق وعدالة وشرف بني هاشم الرفيع، إذ أنَّ أوَّل من سعى جاهداً لتأسيس هذا الاتّحاد الطاهر والمقدّس، والعامل على تطبيقه وترجمته عمليّاً، هو الزبير بن عبد الملك، عمُّ النبيّ الأكرمﷺ واشترك فيه عموم بني هاشم، وقد حضره النبيّ الأكرمﷺ حين انعقاده في دار عبد الله بن جذعان وكان من شيوخ قريش، وكان عمر النبيّ يومذاك خمساً وعشرين عاماً، وكان النبيّ بعد البعثة يقول:

«لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَذْعَانَ حَلْفاً لَوْ دُعِيتُ إِلَى مِثْلِهِ فِي الإسلام لَأَجَبْتُ».[١]

وفي نقل آخر:

«لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَذْعَانَ حَلْفاً مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهِ حُمْرُ النَّعَمِ وَلَوْ

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص٢٠٣؛ راجع أيضاً: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص٣٥٥؛ ابن كثير، السيرة النبويّة، ج١، ص٢٥٨.

أُدْعَى بِهِ فِي الْإِسْلَامُ لَأَجَبْتُ».[١]

وفي آخر:

«لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ الله بْنِ جَدْعَانَ حَلْفاً مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهِ حُمْرُ النَّعَمِ، وَلَوْ دُعِيتُ بِهِ الْيَوْمَ لَأَجَبْتُ لَا يَزِيدُهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً».[٢]

وكان سبب هذا الحلف أنَّ قريشاً تحالفت أحلافاً كثيرةً على الحميَّة والمنعة، فتحالف المطيِّبون وهم: بنو عبد مناف، وبنو أسد، وبنو زهرة، وبنو تيم، وبنو الحارث بن فهر على أن لا يُسلّموا الكعبة ما أقام حراء وثبير وما بلّ بحر صدفة. وصنعت عاتكة بنت عبد المطلّب طيباً فغمسوا أيديهم فيه.

وقيل: إنّ الطيب كان لأُمّ حكيم البيضاء بنت عبد المطّلب، وهي توأم عبد الله أبي رسول الله، وتحالفت اللَّعقة وهم: بنو عبد الدار، وبنو مخزوم، وبنو جُمَع، وبنو سهم، وبنو عديّ على أن يمنع بعضهم بعضاً ويعقل بعضهم عن بعض، وذبحوا بقرةً فغمسوا أيديهم في دمها؛ فكانت قريش تظلم في الحرم الغريب ومن

١. ابن هشام، السيرة النبويّة، ج١، ص٨٧؛ البيهقي، معرفة السنن والآثار، ج٥، ص١٧٥؛ البيهقي، السنن الكبري، ج٦، ص٣٦٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص٣٥٧؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج١، ص٢٦١؛ الحلبي، السيرة الحلبيّة، ج١، ص٢١٣؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٢، ص١٥٤.

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص٢٢٥.

لا عشيرة له، حتّى أتى رجل من بني أسد بن خزيمة بتجارة فاشتراها رجل من بني سَهم فأخذها السهميّ وأبى أن يعطيه الثمن، فكلّم قريشاً واستجار بها وسألها إعانته على أخذ حقّه فلم يأخذ له أحد بحقّه، فصعد الأسديّ أبا قُبَيس فنادى بأعلى صوته:

يَا أَهْلَ فِهْرَ لِـمَظْلُوم بِضَاعَتَهُ بِبَطْنِ مَكَّةَ نَائِي الْأَهْلِ وَالنَّفَرِ
إِنَّ الْـحَرَامَ لِـمَنْ تَمَّتْ حَرَامَتُهُ وَلَا حَرَامَ لثَوْبَيْ لَابِسِ الغَدَرِ

وقد قيل: لم يكن رجل من بني أسد ولكنّه قيس بن شيبة باع متاعاً من أبي خلف الجمحيّ وذهب بحقّه، فقال هذا الشعر، وقيل: بل قال:

يَا لَقُصَيٍّ كَيْفَ هَذَا فِي الْـحَرَمِ
وَحُرْمَةِ الْبَيْتِ وَأَخْلَاق الْكَرَمِ
أُظْلَمُ لَا يُمْنَعُ مِنِّي مَنْ ظَلَمَ

فتذمّمت قريش فقاموا فتحالفوا ألّا يُظلم غريب ولا غيره وأن يؤخذ للمظلوم من الظالم، واجتمعوا في دار عبد الله بن جذعان التيميّ. وكانت الأحلاف: هاشم، وأسد، وزهرة، وتيم، والحارث بن فهر، فقالت قريش: هذا فضول من الحلف، فسمّي حلف الفضول. وقال بعضهم: حضر ثلاثة نفر يقال لهم: الفضل بن قضاعة، والفضل بن حشاعة، والفضل بن بضاعة، فسمّي بهذا الاسم. وقد قيل: إنَّ هؤلاء النّفر حضروا حلفاً لجُرْهم فسمّي حلف الفضول

بهم وشُبّه بالحلف في تلك السنة.[١]

ومن حلف الفضول وغيره، يتّضح لنا أنّ كرائم الأخلاق والشرف والفضيلة والغيرة والصدق والعدالة والأمانة والشجاعة وصراحة اللهجة والتقوى والفداء والإيمان، كانت مقدّسةً في قاموس بني هاشم.

ولمزيد الإطّلاع على المكانة الروحيّة والملكوتية لبني هاشم، راجِع تاريخ آباء النبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله.

وكان من جملة صفات بني هاشم البارزة، طهارة النسب، العفاف، السخاء، قِرى الضيف، إشاعة العدل، الإحسان إلى الفقراء، وسقاية الحاجّ وإطعامهم، والّتي تتّفق التواريخ على إثباتها لهم.

ومهما سوّدنا الصفحات في بيان فضيلة بني هاشم فهو قليل وأنّه من توضيح الواضحات، وبعيد عن الأدب والعقل أن يُقارِنَ الإنسان بينهم وبين بني أُميّة، ولا يليق بكاتب مسلم بل وكلّ كاتب مطّلع على التاريخ، منصفٍ للقيَم، إذ أنَّ تلك القبيلة الّتي كان لها فخر انتساب فخر الكائنات والمصطفى من العالمين والتجلِّي الأكمل للحقيقة الإنسانيّة لها، لهي قبيلة راجحةٌ في كفّة ميزان كلّ

---

١. ابن هشام، السيرة النبويّة، ج١، ص٨٧-٨٨؛ المسعوديّ، مروج الذهب، ج٢، ص٢٧٠-٢٧١؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٤، ص١٣٠؛ ج١٥، ص٢٠٣-٢٠٥، ٢٢٤-٢٢٦؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج١، ص٢٦١؛ الحلبيّ، السيرة الحلبية، ج١، ص٢١١.

المقاييس والمثل العليا، فكيف بقبيلة رذيلة كبني أُميّة الّتي يضرب المثل بلؤمهم وكفرهم وفسقهم وفجورهم على مرِّ تاريخهم؟

إنَّ التقابل والمواجهة الّتي تحقّقت بين إبراهيم خليل الله ونمرود، وبين موسى كليم الله وفرعون، وبين محمّد حبيب الله وأبي جهل وأبي سفيان، وبين عليّ وليّ الله ومعاوية، وبين الحسين سيّد الشهداء ويزيد، هذه المواجهة وإن وقعت بين شخصين أظهر كلٌّ منهما ماهيته وحقيقته، لكنّها في الواقع معارضة ومقابلة بين النور والظلمة، وبين الحقّ والباطل، وبين الخير والشرِّ، وبين العدل والظلم، وبين القسط والجور، وبين العلم والجهل.

وفي مثل هكذا مواجهة، يُعاب القياس والترجيح، إذ أنّ كلّ الكمال قد تحقّق في طرفٍ، وكلّ السقوط والإنحدار قد تحقّق في الطرف الثاني، فلا وجه للقياس البتّة، ومن الواضح أنّ إثبات تقدّم الحقّ على الباطل، والخير على الشرّ، والعلم على الجهل، لا يحتاج إلى دليل وبرهان.

فلو أنّنا أخذنا بنظر الاعتبار قداسة شخصيّة الحسين‏ؑ ومحبوبيّته عند عامّة المسلمين، وأخذنا بالمقابل سيّء سمعة يزيد، ونفرة الناس عنه، لكان ذلك كافياً للتدليل على أنّ المواجهة كانت بين الحقّ والباطل.

لقد كان الحسين‏ؑ قد بلغ رتبةً من الصلاح الأخلاقيّ وقدس المقام إلى درجة أنّ أحداً من بني أُميّة أنفسهم لا يشكّ في ذلك، وذلك، حتّى أُولئك الّذين قتلوه

طمعاً بالحُطام، لو رجعوا إلى ضمائرهم لما استطاعوا إنكار فضل الحسين عليه السلام وإنكار أحقّيّته بالخلافة وزعامة المسلمين.

لقد كان الحسين عليه السلام أقرب الناس إلى قلوب المسلمين، حتّى صار رمزاً وعنواناً لحبّهم لنبيِّهم، كيف لا وهم عاشوا حنان رسول الله لولده الحسين وأخيه الحسن، ولمسوا شفقته عليهما وحنوّه لهما.

فهم، شاهدوا النبيّ يخرج من دار عائشة يوماً فيمرُّ على بيت ابنته وحبيبته فاطمة فيسمع الحسين يبكي، فيقول:

«**أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ بُكَاءَهُ يُؤْذِينِي**».[١]

وسمعوه وهو يقول لفاطمة: «**أُدْعِي إِلَيَّ ابْنَيَّ**» فيشمّهما ويضمّهما إليه ولا يبرح حتّى يُضحكهما ويتركهما ضاحكين» وهذا ما لم يكن يفعله أحدٌ من الناس في ذلك الزمان.

وقد أوضحت الروايات شدّة تعلّق النبيّ صلى الله عليه وآله بالحسين عليه السلام حتّى لم يبق شكّ عند أحد بأنّ النبيّ كان يرى في الحسين عليه السلام مصدراً للآيات، وأنّه صاحب كرامات ومقامات عاليات وأنّ له شأناً من الشأن، ومن هنا كان الحسين عليه السلام أحبّ الناس

---

١. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٤، ص١٧١؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٩، ص٢٠١؛ الفيروزآبادي، فضائل الخمسة عن الصحاح الستّة، ج٣، ص٢٥٨؛ العقّاد، أبو الشهداء، ص١٣١-١٣٢.

إلى قلب النبيّ ﷺ وفي بعض الروايات: أنَّ فاطمة الزهراء ؑ مرضت لمّا ولدت الحسين ؑ وجفَّ لبنها، فطلب رسول الله مرضعةً فلم يَجِدْ، وكان يأتيه فيلقِمهُ إبهامَهُ، فَيمُصّه ويجعل الله في إبهام رسول الله ﷺ رزقاً يُغذّيه، فيفعل ذلك أربعين يوماً وليلةً، فأنبت الله سبحانه وتعالى لحم الحسين ؑ من لحم رسول الله.[1]

ولقد عاش الحسين ؑ سبعاً وخمسين سنّاً بين الناس وكان له من الأعداء من لا يأبه بالافتراء على غيره، ولكن وحتّى هؤلاء لم يتجرّأ أحدٌ منهم أن يعيب على الحسين ؑ بمعابة، أو أن ينكر أحدهم ما ذاع من فضل الحسين ؑ وحسن طبائعه، حتّى حار معاوية بعيبه حين استعظم جلساؤه خطاب الحسين ؑ له وتحقيره إيّاه، فاقترحوا على معاوية أن يكتب إليه بما يصغّره في نفسه فقال معاوية على مكره وشدَّة افترائه وحيَله:

«وَمَا عَسَيْتُ أَنْ أَعِيبَ حُسَيْناً، وَاللهِ مَا أَرَى لِلْعَيْبِ فِيهِ مَوْضِعاً».[2]

أجل، لقد كان معاوية واقفاً على زوايا وخفايا سيرة الحسين ؑ البيضاء، وكان

---

١. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص٥٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٣، ص٢٥٤؛ العقّاد، أبو الشهداء، ص١٣٤.

٢. الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ص٢٥٢-٢٥٩؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص٢١-٢٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢١١-٢١٤؛ البحراني الأصفهاني، عوالم العلوم، ص٩١-٩٣.

يتجسَّسُ على حالاته، وكان أكثر الناس طلباً لثغرةٍ في الحسين عليه السلام ينفذُ منها للنيل منه وإعابته، ومع ذلك قال:

«**وَاللهِ مَا أَرَى لِلْعَيْبِ فِيهِ مَوْضِعاً**».

وكان صادقاً في ذلك، فهو يعلم أنّه لو عاب الحسين عليه السلام، للحقت به لعنة الناس وتكذيبهم إيّاه، لعلمهم أن لا موضع للعيب والنقص في الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام.

ولو دقّقت النظر، لما وجدت في قتلة الحسين عليه السلام أحداً يُحسن الظنَّ بيزيد وابن زياد وجهاز الحكم الأُمويّ، أو يُسيء الظنَّ بالحسين عليه السلام، بل كان أغلب مَن اشترك في قتله، أو الّذين سكتوا وحايدوا، كان همُّهم الطمع بالمال والمقام، أو الخوف من العزل ومصادرة الأموال.

إذن، فملاحظة قدس مقام الحسين عليه السلام ومن أيّ زاوية وناحية كانت، وملاحظة رذالة يزيد في أيّ زاوية وناحية، يكفي لمعرفة الحقّ من الباطل، فهي أوضح من الشمس في رابعة النهار.

بل، لو ألقيت نظرةً على أصحاب الحسين عليه السلام وألقيت مثلها على عسكر يزيد، لوقفت على حقيقة المعركة التاريخية بينهما.

فأصحاب الحسين عليه السلام أمثال سيّد القرّاء حبيب بن مظاهر، ومسلم بن عوسجة، زهير بن القين، الحرّ بن يزيد، برير، عابس، وشباب بني هاشم

الأطهار أمثال مسلم بن عقيل وأبي الفضل العبّاس وعليّ الأكبر، وأتباع يزيد: ابن زياد، عمر بن سعد، شمر، مسلم بن عقبة، مروان، الحصين بن النمير، وأمثالهم من الأشقياء المعروفين والجلّادين والقتلة المأجورين وحثالة التاريخ، الّذين اشتركوا بقتل ابن بنت رسول الله، أو اشتركوا في مجزرة المدينة، وهدم الكعبة المعظّمة والجرائم المماثلة.

ولكي نقف على عظمة ثورة الحسين وضرورة نهضته المقدّسة، نفهرس هويّة بني أُميّة وعدّة نفرٍ من كبار هذه الشجرة الملعونة، وننقل باختصار جوانب من ملامح كفر وشرك ودناءة هذا النسب، وفضائحهم، ظانّين أنَّ هذا المجمل يُرشد القارئ العزيز إلى قراءة المفَصَّل.

بنو أُميّة

بنو أُميّة اسمٌ يُطلق على عدَّة بُطون من العرب، أحدها هم بنو أُميّة المعروفون وهم بطنٌ من قريش بانتسابهم إلى أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف.[1]

بنو أُميّة في ميزان الخُلق

يُعدُّ بنو أُميّة في المقياس الأخلاقيّ، في المرتبة الدُنيا، فلم يسجّل لهم فضل ولا

١. القلقشندي، نهاية الأرب، ص٨٤-٨٦.

كمال، ففي الجاهلية والإسلام معاً، وُصفوا بحبّ الدنيا والشهوات والملذّات الجنسيّة، والإفراط في المجون واللهو، والإسراف في الطمع والعصبيّة والدنيّة.

وذكر العقّاد في كتابه: «معاوية بن أبي سفيان في الميزان» في فصل «خليقة أُمويّة»! شواهد تاريخية أثبت بها هذه الأوصاف لهم ولم يستثن حتّى عثمان بن عفّان وعمر بن عبد العزيز من الاتّصاف بها.

نسب بني أُميّة

الكلام في نَسَب بعض كبار بني أُميّة المشهورين، طويل وعريض، وما قيل في ردِّ انتسابهم إلى قريش هو: أنَّ أُميّة كان عبداً روميّاً اشتراه عبد شمس واستلحقه به، كما كانت العادة الجاهلية قائمة على ذلك.

ويستشهد القائلون بهذا القول بكلام أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى رسائله إلى معاوية حيث يقول:

«لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ، وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ، وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ».[١]

ويصرِّحُ العلماء ـ كمحمّد عبده المصريّ في شرح نهج البلاغة ـ أنّ الصريح هو

---

١. نهج البلاغة، كتاب ١٧ (ج٣، ص١٧).

الشخص الصحيح النسب، واللصيق لفظ يطلق على البعيد الّذي يستلحق بالعائلة والقبيلة.[١]

وكان أُميّة سيّئ السُمعة، منبوذاً، يعترض النساء، مشهوراً بالزنا، وقد عُوقب بالنفي عشر سنين عن مكّة فتركها إلى الشام، وفي الشام زنى بامرأة يهوديّة ذات بعل، فولدت اليهوديّة على فراش زوجها الّذي كان يهوديّاً، ولداً استلحقه أُميّة وسمّاه ذكوان وكنّاه بأبي عمرو. ثمّ زوّجه زوجته وهو على قيد الحياة، وذكوانُ هذا هو أبو «معيط» وجدُّ عقبة أبو الوليد بن عقبة أخو عثمان بن عفان.

ولمّا تنافر عبد المطّلب وحرب بن أُميّة جدُّ معاوية، إلى نفيل بن عبد العزّى، قال نفيل لحرب:

أَبُوكَ مُعَاهِرٌ وَأَبُوهُ عَفٌّ   وَذَادَ الْفِيلَ عَنْ بَلَدٍ حَرَام

بنو أُميّة في القرآن والحديث

رُوي في كتب الحديث والتفسير وبطرق الفريقين روايات عديدة عن الإمام الحسن والحسين عليهما السلام ويعلى بن مرّة وابن عمر وسعيد بن المسيّب أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رأى في منامه بني أُميّة ينزون على منبره كالقردة، فاغتمَّ النبيّ لذلك ولم يُرَ بعدها ضاحكاً، فأنزل الله تعالى في ذلك:

---

١. نهج البلاغة، ج٣، ص١٧.

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً﴾.[١]

ونزلت أيضاً:

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ...﴾.[٢]

ونزلت سورة القدر أيضاً.[٣]

وروى ابن عساكر عن أبي ذرّ الغفاريّ ـ رضي الله عنه ـ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«إِذَا بَلَغَ بَنُو أُمَيَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلاً اتَّخَذُوا عِبَادَ الله خَوَلاً، وَمَالَهُ دُوَلاً، وَكِتَابَ الله حِوَلاً».[٤]

وروى ابن مندة وأبو نعيم عن عمران بن جابر اليمانيّ، وابنُ قامع عن سالم الحضرميّ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال:

«وَيْلٌ لِبَنِي أُمَيَّةَ، وَيْلٌ لِبَنِي أُمَيَّةَ، وَيْلٌ لِبَنِي أُمَيَّةَ».[٥]

---

١. الإسراء، ٦٠.

٢. الكوثر، ١-٣.

٣. النيشابوريّ، تفسير غرائب القرآن، ج١، ص٥٣٧-٥٣٨ (تفسير سورة القدر)؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٣، ص٤٤٤؛ ج٤، ص٦؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٣؛ السيوطي، الدرّ المنثور، ج٤، ص١٩١؛ ابن عقيل العلوي، النصائح الكافية، ص١٣٩.

٤. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٧، ص٢٥٣.

٥. ابن عقيل العلوي، النصائح الكافية، ص١٣٩؛ الحلبي، السيرة الحلبية، ج١، ص٥١٠.

وروى ابن مردويه عن عليّ عليه السلام أنّه قال: «في سورة محمّد آيةٌ فينا وآيةٌ في بني أُميّة، «**إِقْرَأْ السُّورَةَ مِنْ أَوَّلِـهَا إِلَى آخِرِهَا**».[١]

وأمّا الروايات في ذمِّ بني أُميّة وأنّهم آفة الدين، وآفة هذه الأُمّة، وأنّهم أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّهم الشجرة الملعونة، فهي كثيرة.[٢]

بنو الحَكَم

روى جبير بن مطعم عن أبيه قال: كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فمرَّ بنا الحكم بن أبي العاص، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «**وَيْلٌ لِأُمَّتِي مِمَّا فِي صُلْبِ هَذَا**».[٣]

بنو الحكم، شعبة من بني أُميّة، والحَكَم عمُّ عثمان وابن عمِّ أبي سفيان، وكان الحكم في الجاهلية خصّاءاً.[٤]

---

١. ابن مردويه الأصفهاني، مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ص٣٢٠.

٢. راجع: ابن عقيل العلوي، النصائح الكافية، ص١٣٩-١٤٢؛ الأميني، الغدير، ج٨، ص٢٤٨-٢٤٩.

٣. المقريزي، النزاع والتخاصم، ص٥٣. وفي *السيرة الحلبيّة* (ج١، ص٥١٠) نقله عن جبير عن النبيّ بلا واسطة والظاهر أنّه الأصحّ إلّا إذا كان راوي الحديث هو ابن مطعم بن عبيدة. والله العالم. الطبراني، المعجم الأوسط، ج٢، ص١٤٤؛ ج٦، ص٣٧٧؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٧، ص٢٦٧؛ ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج٢، ص٣٤؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٥، ص٢٤١.

٤. الدميري، حياة الحيوان، ج١، ص٢٧٨-٢٧٩ (لفظ جزور).

والحَكَمُ هذا هو الّذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه وفي أبيه: «**أَنْتُمَا الشَّجَرَةُ الْـمَلْعُونَةُ**»،[١] وكان الحكم جاراً لرسول الله صلى الله عليه وآله وكان يؤذيه كثيراً.[٢]

وروى ابن حجر وابن الأثير: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد لعن الحكم وأولاده.[٣]

وروى في *كنز العمّال*: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لَعَنَ الحكم وأخبر أنَّه سيخالف كتاب الله وسنّة نبيّه، وأنّ دخاناً سيخرج من صلبه يصل إلى عنان السماء، فقال بعض الناس للنبيّ صلى الله عليه وآله: إنَّ الحكم أقلُّ شأناً من ذلك، فأخبرهم النبيّ صلى الله عليه وآله بأنّ بعضهم سيكون من أتباعه.[٤]

بعد أن جاء الحكم إلى المدينة وأعلن إسلامه، اختار النفاق ثوباً له. ولم يزل يترصّد بالمسلمين الدوائر ويتحيّن الفرص لإيذاء رسول الله، فكان يقف خلف رسول الله في الصلاة ويغمز بعينيه وحاجبيه، ويحرّك شفتيه وأصابعه ويتجاسر على النبيّ صلى الله عليه وآله وغير ذلك من الحركات والغمز واللمز، وقد ذكرت كتب السيرة

---

١. ابن مردويه الأصفهاني، مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ص١٦٤؛ الحلبي، السيرة الحلبية، ج١، ص٥١٠؛ السيوطي، الدرّ المنثور، ج٤، ص١٩١؛ الأميني، الغدير، ج٨، ص٢٤٨.

٢. ابن هشام، السيرة النبويّة، ج٢، ص٢٨٢.

٣. ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٢، ص٩٢؛ ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج٢، ص٣٤؛ راجع أيضاً: الحاكم النيشابوري، المستدرك على الصحيحين، ج٤، ص٤٨١.

٤. المتّقي الهندي، كنز العمّال، ج١١، ص١٦٥-١٦٦، ٣٥٩-٣٦٠.

والتاريخ ذلك. فدعا النبيّ ﷺ عليه وابتلي بالرعشة، ولكنّه لم ينته عن سوء فعاله، وكان النبيّ ﷺ يعامله بلطف أخلاقه ويحلم معه كعادته مع سائر المنافقين نظراً لتظاهرهم بالإسلام، ولمّا لم ينفع مع الحكم ذلك، اضطرّ النبيّ ﷺ إلى طرده وولده إلى الطائف. وبعد التحاق النبيّ بالرفيق الأعلى، تشفّع عثمان بن عفّان للحكم عند أبي بكر ليرجعه إلى المدينة، فلم يقبل أبو بكر بذلك، وتشفّع له عند عمر بن الخطّاب، فلم يقبل، ولمّا تولّى عثمان الحُكمَ خالف أمر النبيّ ﷺ وأعاد الحكم وولده إلى المدينة متحدّياً مشاعر وأحاسيس المسلمين جميعاً، وقرّب الحكم وابنه مروان وخلع عليهم، وأعطاه مائة ألف دينار، ومنحه ثلاثمائة ألف درهم من صدقات قضاعة، العائدة لبيت مال المسلمين، وجَعل مروان بن الحكم مستشاره، وهو الّذي وصفه رسول الله ﷺ بقوله:

«اَلْوَزَغُ ابْنُ الْوَزَغِ، اَلْـمَلْعُونُ بْنُ الْـمَلْعُونِ».[1]

وزوّجه عثمان ابنته وأعطاه خمسمائة ألف دينار من خمس أفريقيا، وكان كلُّ ذلك من جملة أسباب ثورة المسلمين على عثمان، حيث تعالت صيحات الاعتراض عليه وانتهى الأمر إلى قتله.

---

١. الدميري، حياة الحيوان، ج١، ص٩٥؛ ج٢، ص٤٥٥؛ الحاكم النيشابوري، المستدرك على الصحيحين، ج٤، ص٤٧٩.

والروايات في لعن الحَكَم وأولاده كثيرة،[١] ومن أراد الوقوف على شرح قبائح فعال ومظالم وجنايات الحكم ومروان ضدّ المسلمين، وقتل الأبرياء، وتولية الظالمين أمثال الحجّاج، وهدم الكعبة، وترويج الفحشاء والمنكر في مدينة طيبة، وإهانة القرآن الكريم، وتنصيب الجواري الجُنب أئمّةً للجماعة، فليراجع كتب التاريخ، وسيرى عَجَباً!!

فهذه العائلة وبهذه الصفات، كانت شعبةً من بني أُميّة، وأُمُّ الحكم الّتي ينسب إليها بنو مروان، كانت زرقاء، وقد عدَّها ابن الأثير وآخرون من ذوات الرايات الفواحش.[٢]

ومن بني أُميّة أيضاً: معاوية بن المغيرة بن العاص، وقد طرده الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من المدينة، وأمهله ثلاثة أيّام ليخرج منها، فلم يخرج، فقتله عليّ عليه السلام وعمّار بأمر النبيّ صلى الله عليه وآله.

---

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٣، ص٤٤٤؛ ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج٢، ص٣٤؛ ابن هشام، السيرة النبويّة، ج١، ص٣٥٤؛ الحلبي، السيرة الحلبيّة، ج١، ص٥١٠؛ الدميري، حياة الحيوان، ج١، ص٩٥؛ ج٢، ص٥٤٥.

٢. ابن حمّاد المروزي، الفتن، ص٧٣؛ الحاكم النيشابوري، المستدرك على الصحيحين، ج٤، ص٤٧٩؛ الدميري، حياة الحيوان، ج١، ص٩٥؛ ج٢، ص٥٤٥؛ ابن عقيل العلوي، النصائح الكافية، ص٧٦.

ومن بني أُميّة: عبيدة بن سعيد بن العاص، الّذي قتله الزبير في بدر.

ومنهم: العاص بن سعيد، الّذي قتله الإمام عليّ عليه السلام.

وممّن استُلحقَ ببني أُميّة: عقبة بن أبي معيط، والّذي كان يهزأ بالنبيّ صلى الله عليه وآله ومن ألدِّ معاديه، وكان مجاوراً للنبيّ صلى الله عليه وآله ويكثر إيذاءَه،[١] وطبقاً لما ذكره ابن هشام، فإنّ الإمام عليّ عليه السلام هو الّذي قتله[٢].

وابنُ عقبة وهو الوليد الّذي نزل فيه قوله تعالى:

﴿**إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ...**﴾.[٣]

ولـمّا كان الوليد أخاً لعثمان من أُمّه، عزل عثمانُ سعدَ بن أبي الوقّاص عن ولاية الكوفة وولّى الوليد عليها، ولمّا جاء الوليد إلى الكوفة قال له سعد:

والله ما أدري أكِستَ بعدنا أم حمقنا بعدك. فقال له: لا تجزعنّ أبا إسحاق! فإنّما هو الملك يتغدّاه قوم ويتعشّاه آخرون.

فقال له سعد: أراكم ستجعلونها ملكاً.[٤]

---

١. ابن الأُثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٧٢.

٢. ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٤٧١؛ راجع أيضاً: الحلبي، السيرة الحلبيّة، ج١، ص٤٦٩، ٥٠٨.

٣. الحجرات، ٦، ولمزيد الإطّلاع تراجع كتب التفسير.

٤. ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج٥، ص٩١.

ومن بني أُميّة: أُمُّ جَميل (حمّالة الحطب) أُخت أبي سفيان وزوجة أبي لهب، الّتي صرّح القرآن بذمّها،[١] وكانت هي الّتي تحرّض أبا لهب من بين بني هاشم على مخالفة النبيّ صلى الله عليه وآله وإيذائه.

ومن أولاد عبد شمس: عتبة بن ربيعة ابن أخِ أُميّة، وكان في جيش المشركين يوم بدر، وقُتل وابنُهُ الوليد، بيد أسد الله الغالب عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٢] وعتبة هذا هو جدُّ معاوية لأُمّه، وقتل أخوه شيبة في بدر بيد حمزة عليه السلام.

آل أبي سفيان

لقد كان عنادُ وفسادُ أبي سفيان أكبر من عناد كلّ الّذين خالفوا دعوة الإسلام والحقّ إلى التوحيد والإيمان بالله، ولقد بقي أبو سفيان على غيِّه وطغيانه وعدائه إلى آخر لحظة قبل ظفر المسلمين الكامل والقاطع، وكان يتزعّم كلّ حملة لإطفاء أنوار شمس الإسلام، وقاد الجموع لمحاربة للنبيّ صلى الله عليه وآله في أُحد والخندق، وأحد قادة الكفر والشرك حتّى عام الفتح.

ولم يدّخر أبوسفيان وزوجته وولده جهداً لم يصرفوه في إيذاء النبيّ صلى الله عليه وآله واستماتوا في الدفاع عن الكفر والشرك، وقد اشترك ثلاثة من أولاده في بدر وهم

١. المسد، ٤-٥.

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٣، ص٢٥٨؛ ج١٥، ص٨١-٨٣.

معاوية وحنظلة وعمرو، فقتل عليٌّ حنظلة وأُسر عمرو، وفرَّ معاوية إلى مكّة فراراً أدمى قدميه ونفخ ساقيه حين وصلها، وبقي يعالجهما لشهرين متتاليين.[١]

وفي عام الفتح أسلم أبو سفيان وزوجته هند ومن تبقّى من ولده، مكرَهين وخوفاً من القتل، ولكنّهم بقوا على كفرهم الباطنيّ، وعاش مع المسلمين منافقاً حتّى هلك.

والروايات الواردة في ذمّ أبي سفيان كثيرة، فقد رُوي أنّ النبيّ ﷺ رأى ذات يوم أبا سفيان راكباً على حمار، وكان ابنه معاوية ماسكاً بزمامه وابنه الآخر يزيد يسوق الدابّة، فقال رسول الله ﷺ:

«لَعَنَ اللهُ الرَّاكِبَ وَالْقَائِدَ وَالسَّائِقَ».[٢]

وقد سطر المورّخون حكاياتٍ كثيرةً عن نفاق أبي سفيان وعدائه للإسلام والمسلمين.

ومن جملة ما استشهر وعُرف عنه، أنّه كان يقول بعد بيعة عثمان وبداية حكم بني أُميّة:

---

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص٨٥. وطبقا لما أورده العلّامة الكراجكي في كتابه *التعجّب* (ص١٠٥-١٠٦) فإنّ معاوية كان في اليمن عام الفتح، ولمّا سمع بإسلام أبيه، لأمَهُ ووَبَّخَهُ، واضطرّ معاوية الّذي كان قد هُدِرَ دمُه أن يُسلم وكان ذلك قبل وفاة النبيّ بخمس أو ستّة أشهر.

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص١٧٥؛ راجع أيضاً: الطبري، تاريخ، ج٨، ص١٨٥.

«تَلَقَّفُوهَا يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ تَلَقُّفَ الْكُرَةِ، فَوَاللهِ مَا مِنْ جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ».[١]

وفي نقل آخر أنّه قال:

«فَوَ الَّذِي يَحْلِفُ بِهِ أَبُو سُفْيَانَ مَا مِنْ جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ».

وروى ابن عبد البرّ عن الحسن البصريّ أنَّ أبا سفيان دخل على عثمان بعدما بويع وقال له:

«قَدْ صَارَتْ إِلَيْكُمْ بَعْدَ تَيْمٍ وَعَدِيٍّ فَأَدِرْهَا كَالْكُرَةِ وَاجْعَلْ أَوْتَادَهَا بَنِي أُمَيَّةَ فَإِنَّمَا هُوَ الْمُلْكُ وَلَا أَدْرِي مَا جَنَّةٌ وَلَا نَارٌ».[٢]

وذات يوم، كان أبو سفيان في المسجد ينظر إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ويفكّر في نفسه ويقول: بماذا غلبني محمّد؟

«فَضَرَبَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وقال: «بِاللهِ نَغْلِبُكَ».[٣]

ووقف يوماً على ثنيّة أُحد وكان قد فقد بصره، فقال لسائقه:

«هَيهُنَا رَمَيْنَا مُحَمَّداً وَقَتَلْنَا أَصْحَابَهُ».[٤]

---

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص١٧٥.

٢. ابن عبد البرّ، الاستيعاب، ج٤، ص١٦٧٩. ولعمري لقد عمل عثمان بوصيّة ابن عمّه، فولّى من كان من بني أُميّة على البلدان الإسلامية وسلّطهم على رقاب المسلمين فعاثوا الفساد.

٣. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٣، ص٤٥٨؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٣، ص٣٣٤.

٤. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص١٧٥.

ومن علائم نفاقه، أنّه قال ذات يوم للعبّاس بن عبد المطّلب:

«لَقَدْ عَظُمَ مُلْكُ ابْنِ أَخِيكَ».

فقال له العبّاس:

«وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ إِنَّهَا النُّبُوَّةُ».

وعندما كان بلال يؤذّن ويقول: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، كان أبو سفيان يقول: «سَعُدَ عُتْبَةُ وَلَمْ يَرَ هَذَا الْيَوْمَ».[١]

وفي حنين لمّا انهزم المسلمون وثَبَت رسول الله ﷺ وعليٌّ وعدّةٌ قليلة، صدع أبو سفيان بنفاقه وحقده الدفين وقال:

«لَا تَنْتَهِي هَزِيمَتُهُمْ دُونَ الْبَحْرِ».[٢]

وكان أبو سفيان في الشام يحرّض الروم على المسلمين، ويتأسّف لهزائم الروم.[٣]

ومضافاً إلى نفاق وعناد أبي سفيان للحقّ، فقد كان زنيماً فاجراً وقد اعترف معاوية بزناه حينما استلحق زياداً به.

---

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص١٧٥.

٢. ابن هشام، السيرة النبويّة، ج٤، ص٨٩٤؛ الطبري، تاريخ، ج٢، ص٣٤٧؛ ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٦٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص٣٧٤.

٣. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٦، ص٥٢٩؛ ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٤١٤؛ المقريزي، النزاع والتخاصم، ص٥٨؛ العقّاد، أبو الشهداء، ص٩٤.

ذكر الزمخشريّ في *ربيع الأبرار* أنَّ أربعة نفر وطئوا النابغة أُمَّ عمروبن العاص وكانت مشهورةً بالزنا، منهم: أبوسفيان، فوُلد عمروبن العاص وادّعاه الأربعة جميعاً، لكنّ النابغة نسبته إلى العاص، لتكفُّله مخارجها، وكان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب يقول لعمرو بن العاص:

«أَبُوكَ أَبُوسُفْيَانَ لَا شَكَّ قَدْ بَدَتْ...».[1]

وعندما رَحل النبيّ صلى الله عليه وآله إلى جوار ربّه، كان أبو سفيان في مكّة منهمكاً في إثارة الفتنة على الإسلام سعياً منه في إعادة الجاهلية، فانبرى سهيل بن عمرو في تلك الحال إلى إفشال مخطّطات أبي سفيان وخطب خطبةً في الناس وأقسم بالله أنّه على يقين من أنّ هذا الدين سينتشر في شرق وغرب العالم. وأنّ أبا سفيان يريد أن يضلّهم وأنّ أبا سفيان يعلم بهذه الحقيقة ولكنّ حسده لبني هاشم عظيم.[2]

وجاء أبو سفيان من مكّة إلى المدينة، وحاول اللّعب بورقة السقيفة وبيعة أبي بكر وغصب الخلافة، محاولاً إيقاد نار الحرب الداخلية بين المسلمين، فجاء إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وقال:

«مُدَّ يَدَكَ لِأُبَايِعَكَ، فَوَاللهِ لَوْ شِئْتَ لَأَمْلَأَنَّهَا عَلَيْهِمْ خَيْلاً وَرَجِلاً».[3]

---

١. الزمخشري، ربيع الأبرار، ج٤، ص٢٧٥؛ الأميني، الغدير، ج١٠، ص٢١٩.

٢. ابن عبد البرّ، الإستيعاب، ج٢، ص٦٧٠-٦٧١.

٣. ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٣٢٥-٣٢٦.

هند آكلة الأكباد

زوج أبي سفيان وأُمُّ معاوية، جدَّة يزيد، أشهر منْ أن يَخفى حقدُها وعداؤها للنبيّ وآل النبوّة، فلقد كانت كحمّالة الحطب في تأليبها ضدّ النبيّ ﷺ بل لقد فاقتها هندٌ في ذلك.

لقد كانت تُحمِّس الرجال على حرب النبيّ وقتال المسلمين، وتشترك في تعذيب المسلمين الأوائل المستضعفين، ولو لم يكن غير قتلها حمزة عمِّ النبيّ ﷺ لكفى في إثبات وحشيّتها ولؤمها وخسّة عنصرها وطبائعها.

فهندٌ هذه هي الّتي أغرَت «وحشيّ» بالمال والجمال ليغتال سيّد شهداء أُحد، ووهبت له حُليَّها ومنَّته بأُمورٍ أُخرى كي يفتك بجسد حمزة، فمثَّلت بجسده الشريف وأخذت أُذنيه وأنفه و... وجعلتها خلخالاً لها، ومزّقت أحشاءه واستخرجت كبده ولاكتْهُ بلسانها، وأرادت أن تبتلِعَهُ فلم تقدر.[1]

وقد تناولت خطبة العقيلة زينب أُخت الحسين ؑ في مجلس يزيد هذه الجناية والقسوة والغلظة، حيث قالت ؑ:

---

١. ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص٦٠٧؛ ابن حبّان البستي، الثقات، ج١، ص٢٣٠-٢٣١؛ الطبري، تاريخ، ج٢، ص٢٠٤.

«وَكَيْفَ يُرْتَجى مُرَاقَبَةُ مَنْ لَفَظَ فُوهُ أَكْبَادَ الْأَزْكِيَاءِ وَنَبَتَ لَحْمُهُ بِدِمَاءِ الشُّهَدَاءِ».[1]

أضف إلى ذلك تاريخ هند في الجاهلية الحافل بالخزي والعار والشنار، فَلقد كانت معروفةً بالزنا والفجر، وقد تَرجم ذلك حسّان بن ثابت فقال:

وَنَسِيتِ فَاحِشَةً أَتَيْتِ بِهَا ... يَا هِنْدُ وَيْحَكِ سَبَّةَ الدَّهْرِ
زَعَمَ الْوَلَائِدُ أَنَّهَا وَلَدَتْ ... إِبْناً صَغِيراً كَانَ مِنْ عَهْرِ[2]

معاوية أبو يزيد

ومعاوية هو صاحب تلك الصفحة السوداء، ذلك المنافق الّذي لم تتجسّد علامة النفاق (بغض عليّ بن أبي طالب) في أحد من الناس كما تجسّدت في معاوية، وما تجرَّعه المسلمون من ظلم واضطهادٍ وجنايات معاوية لم يتجرّعوه من أحد غيره.

---

١. ابن طاووس، اللهوف، ص١٠٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٣٤؛ التستري، قاموس الرجال، ج١٢، ص٢٧٠.

٢. ابن عقيل العلوي، النصائح الكافية، ص١١٣؛ وللمزيد يراجع الكتاب المذكور وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد، ج١، ص٣٣٦-٣٣٧)؛ والغدير (الأميني، ج١٠، ص١٧٠) والمجالس الحسينية (المغنية، ص١٣٠).

فموبقات وكبائر ومجازر وبِدَع معاوية فاقت حدَّ الإحصاء والوصف. وما لم يطالع المرء دورةً كاملةً في تاريخ هذا العنصر المشؤوم، لن يقف على خبث ولؤم ماهيّته وقبيح فعاله، والّتي سطرها المؤرّخون في صفحات التاريخ. وكما قال ذلك العالم الألماني الجنسيّة للشيخ محمّد عبده بأنّ معاوية هو الّذي سدَّ طريق الفتوحات الإسلامية للغرب.[١]

ولقد أشعل معاوية بن أبي سفيان، وطمعاً بالملك والحكم مستغلّاً مقتل عثمان رافعاً شعار الطلب بدمه، حرباً حصدت أكثر من مائة وعشرة آلاف إنسان، واستشهد فيها ثلاثمائة وستّون صحابيّاً حَضَرَ بيعة الرضوان[٢] ولم يكن معاوية بريئاً من التحريض في حربي الجمل والنهروان، وانتهى به الأمر إلى الخروج على خليفة رسول الله ﷺ.

ومن الواضحات فسق معاوية وعدم إيمانه بالدين والقرآن، ولا مبالاته بالشرف والوجدان في حياته.

ولا شكّ ولا شبهة في أنَّ معاوية كان يحاول حرف الإسلام بل القضاء عليه وإعادة الجاهليّة السفيانيّة وحكم آل حرب وطريقة بني أُميّة في الإدارة، وما كلّ

---

١. رشيد رضا، المنار، ج١١، ص٢٦٠.

٢. ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٤، ص٢٣٩؛ الخطيب التبريزي، الإكمال، ص١٤٠.

تلك الحروب والعداء لبني هاشم وخاصّةً لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام، إلّا حرباً للنبيّ صلى الله عليه وآله واستمراريّةً لحرب أبيه أبي سفيان وجدِّه لأُمّه وعشيرته مع الإسلام.

ولو أردت أن تعرف من لا نظير له ولا مثيل في النفاق والطغيان وإنكار الحقّ والحيلة والمكر والغدر والخيانة ونكث العهود، فعليك بمعاوية.

فكما أنَّ عدّة معدودةً من الناس، تصل إلى مصافِّ الأخلاق الكريمة والفاضلة، فكذلك تميّزت عدّة من الناس في الرذائل وإثارة الفتن وحبّ الجاه ومعاداة أهل الحقّ، ومن جملة هؤلاء: معاوية، عمرو بن العاص، يزيد، مروان بن الحكم، زياد ابن أبيه، مسلم بن عقبة، عبد الملك بن مروان، الحجّاج، بسر بن أرطاة، عبيد الله بن زياد، وشمر بن ذي الجوشن، والّذين حازوا المرتبة العليا في خبث السريرة واللؤم والخسّة من بين أفراد طبقتهم من الكفّار.

نسب معاوية

المشهور أنَّ معاوية هو ابنُ أبي سفيان، لكنَّ هذا النسب غير مصدَّقٍ من قبل جميع علماء النسب، فإنّ جمعاً من محقّقي علم الأنساب يشكّكون في صحّة هذا الانتساب، وأهمّ دليل على قوّة هذا التشكيك هو التحلّل الخلقي لبيت معاوية، فالزنا والفجور والفسق كاد مستشرياً في بيته وعائلته، ولم يكن هؤلاء يعيّرون أيّ أهمّية للشرف والغيرة، ولقد هجاهم شعراء الجاهلية والإسلام بهذه الأوصاف

القبيحة، ويكفي للتدليل على هذه القبائح من الصفات استلحاق معاوية لزياد ابن أبيه ونسبة الزنا إلى أبي سفيان وعدم تحرُّجه من ذلك، خلافاً لحكم رسول الله ﷺ:

«اَلْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ، وَلِلْعَاهِرِ الْـحَجَرُ».[1]

يقول الزمخشريّ في *ربيع الأبرار*: وكان معاوية يعزى إلى أربعة: إلى مسافر بن عمرو، وإلى عمارة بن الوليد، وإلى العبّاس بن عبد المطّلب، وإلى الصباح عسيفاً لأبي سفيان شابّاً وسيماً فدعته هند إلى نفسها وقالوا: إنّ عتبة بن أبي سفيان من الصباح أيضاً.[2]

ونقل السبط ابن الجوزي عن الأصمعي والكلبي في كتابه المسمّى بالمثالب قد وقفت على معنى قول (الإمام) الحسن لمعاوية: «قَدْ عَلِمْتُ الْفِرَاشَ الَّذِي وُلِدْتَ فيهِ» إنّ معاوية كان يُقال: إنّه من أربعة من قريش: عمارة بن الوليد بن المغيرة، ومسافر بن أبي عمرو... وأمّا عماره بن الوليد كان من أجمل رجالات قريش.

---

١. أحمد بن حنبل، مسند، ج١، ص٥٩، ٦٥، ١٠٤؛ ج٢، ص٢٨٠، ٤٧٥؛ ج٤، ص١٨٦-١٨٧، ٢٣٨-٢٣٩؛ الكليني، الكافي، ج٥، ص٤٩١-٤٩٢؛ الطوسي، الاستبصار، ج٣، ص٣٦٨؛ الطوسي، تهذيب الأحكام، ج٨، ص١٦٩.

٢. الزمخشري، ربيع الأبرار، ج٤، ص٢٧٥-٢٧٦؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٣٦٦؛ الأميني، الغدير، ج١٠، ص١٧٠؛ المغنية، المجالس الحسينية، ص١٣٠.

قال الكلبي: عامّة الناس على أنَّ معاوية منه (مسافر) لأنّه كان أشدّ الناس حبّاً لهند، فلمّا حملت هند بمعاوية خاف مسافر أن يظهر أنّه منه فهرب إلى ملك الحيرة. ومات هناك من عشقه لهند.[1]

وقال الكلبي: جرى بين يزيد بن معاوية وبين إسحاق بن طابة كلام بين يدي معاوية وهو خليفة، فأقرَّ معاوية أنّ بعض قريش يزعمون أنّه ليس لأبي سفيان.[2]

هذا وقد انفرد العلّامة الكبير الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء برأيٍ في نسب معاوية، وإنّ بعض الشواهد التاريخية تؤيّد ذلك.

أقول: وإنْ كان الشيخ الجليل كاشف الغطاء لم يذكر تلك الشواهد، ولكنّنا وضمن مطالعتنا وتفحّصنا، اطّلعنا على بعض تلك الشواهد على رأيه، لا نريد التعرّض لها هنا ونكتفي بآراء القدماء من أهل الخبرة في الأنساب.

معاوية في ميزان السنّة والحديث

تواتَر لعنُ معاوية في الروايات، وشُحِنَتْ كتب الحديث المعتبرةُ بذمِّه نكتفي بذكر بعضها:

---

١. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص١٨٤.

٢. سبط ابن لجوزي، تذكرة الخواصّ، ص١٨٦.

١. روى ابن أبي الحديد عن النبيّ ﷺ أنّه قال:

«**يَطْلَعُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي يُحْشَرُ عَلَى غَيْرِ مِلَّتِي**» فطلع معاوية.[1]

٢. عن البراء بن عازب قال: مرَّ أبو سفيان وابنه معاوية، فقال رسول الله ﷺ: «**اَللَّهُمَّ الْعَنِ التَّابِعَ وَالْـمَتْبُوعَ، اَللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْأُقَيْعَسِ**» فقال ابْنُ الْبَرَاءِ لِأَبِيهِ: مَنِ الْأُقَيْعَسُ؟ قَالَ: مُعَاوِيَةُ.[2]

٣. وفي حديث مشهورٍ مرفوع أنّ النبيّ ﷺ قال: «**إِنَّ مُعَاوِيَةَ فِي تَابُوتٍ مِنْ نَارٍ فِي أَسْفَلَ دَرَكٍ مِنْ جَحِيمٍ يُنَادِي: يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ فَيُقَالُ لَهُ: آلْآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْـمُفْسِدِينَ**».[3]

٤. وروي عن رسول الله ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتُمْ مُعَاوِيَةَ عَلَى مِنْبَرِي فَاقْتُلُوهُ**».

قال الحسن البصري وهو من رواة هذا الحديث: «**فتركوا أمره فلم يفلحوا ولم يتجحّدوا**».[4]

---

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص١٧٦؛ الأميني، الغدير، ج١٠، ص١٤١؛ راجع أيضاً: الطبري، تاريخ، ج٨، ص١٨٦.

٢. المنقري، وقعة صفّين، ص٢١٧-٢١٨؛ الأميني، الغدير، ج١٠، ص١٣٩.

٣. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص١٧٦؛ الأميني، الغدير، ج١٠، ص١٤٢؛ راجع أيضاً: الطبري، تاريخ، ج٨، ص١٨٦.

٤. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص١٧٦؛ الأميني، الغدير، ج١٠، ص١٤٢-١٤٣؛ المناوي، كنوز الحقائق، ج١، ص١٩.

٥. وفي الرواية أنّ النبيّ ﷺ أرسل ذات يوم خلف معاوية، فتباطأ واعتذر بأنّه مشغول بالأكل، فقال النبيّ ﷺ: «**لَا أَشْبَعَ اللهُ بَطْنَهُ**».

وكان معاوية بعد ذلك يأكل فلا يشبع ويقول: تعبت وما شبعت.[١]

هذا ومن أراد زيادة اطّلاع على رذائل معاوية في الروايات وكلمات كبار الصحابة والتابعين فليراجع *الغدير* (ج ١٠) للعلّامة الأميني.

معاوية والخمرة

قد يتصوّر البعض أنَّ يزيد بن معاوية هو أوّل بني أُميّة في معاقرة الخمرة وحفلات السكر والعربدة ولم يسبقه أحدٌ من بني أُميّة في ارتكاب هذا الذنب الّذي حرّمه الشرع وذمّه العقل والعلم، غافلين عن أنّ يزيد قد ورث ذلك عن أبيه وجدِّه.

فقصَّة شرب أبي سفيان الخمرة في بيت أبي مريم الخمّار في الطائف، وزناه بسُميّة، معروفة ومشهورة.

ومخازي الوليد بن عقبة وهو من بني أُميّة، معروفة، وقد نقلنا فيما سبق أنّه صلّى الصبح سكراناً في مسجد الكوفة فجاء بأربع ركعات بدلاً عن الركعتين،

١. الطبري، تاريخ، ج٨، ص١٨٦؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص١٧٦؛ التستريّ، قاموس الرجال، ج١٠، ص١١٣.

وتقيّأ في المحراب، وامتنع عُثمان عن إقامة الحدّ عليه على الرغم من إقامة البيِّنة عليه، لأنّه كان أخوه بالرضاعة، فقام عليّ بجَلدِهِ حدَّ الشرب.

وأمّا معاوية، فقد ذكرت التواريخ المعتبرة حفلات سكره ومعاقرته للخمر وأنّ الخمور كانت تحمل إليه علانيةً إلى دمشق. فبدلاً من أن يتولّى معاوية إقامة حدود الله، كان هو يخرق تلك الحدود ويُجرِّئ الناس على هتك الحرمات والنواهي الشرعية، وإذا صادف أن زجره أحد عن ذلك، صبَّ معاوية ويلات غضبه عليه. وقد روى ابن عساكر وابن حجر وابن عبد البرّ وابن الأثير وابن سفيان في مسنده وابن قانع وابن مندة من طريق محمّد بن كعب القُرظيّ قال: غزا عبد الرحمن بن سهل الأنصاري في زمن عثمان ومعاوية أمير على الشام، فمرّت به روايا خمر لمعاوية، فقام إليها برمحه فبقر كلّ راوية منها فناوشه الغلمان حتّى بلغ شأنه معاوية فقال: دعوه فإنّه شيخ قد ذهب عقله فقال: كلّا والله ما ذهب عقلي ولكنّ رسول الله نهانا أن ندخل بطوننا وأسقيتنا خمراً، وأحلف بالله لإن بقيت حتّى أرى في معاوية ما سمعت من رسول الله لأبقرنّ بطنه أو لأموتنّ دونه.[1]

---

١. ابن عبد البرّ، الاستيعاب، ج٢، ص٨٣٦؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٦، ص١٩٧-١٩٨؛ ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج٣، ص٢٩٩؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٤، ص٢٤٦.

نفاق معاوية

ورد في كثير من الروايات الّتي رواها علماء العامّة أنّ «بغض عليّ بن أبي طالب» من أوضح علامات النفاق، وكما أسلفنا وكما هو واضح للجميع، أنّ معاوية بن أبي سفيان له السبق في هذه الصفة، فلقد صبَّ معاوية جام غضبه وحقده لرسول الله صلى الله عليه وآله على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وحقّق انتقامَه وانتقامَ أبيه من النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، في عدائه وانتقامِهِ من عليّ عليه السلام لقد كان معاوية عدوّاً للنبيّ ولعليّ وللقرآن والإسلام، ولّما يئس من عداوته للنبيّ، ركّز حقده على آل النبيّ صلى الله عليه وآله ولم يكن في آل النبيّ أبرز ولا أقرب من عليّ إليه، ومَن أولى من عليٍّ عليه السلام في استقبال سهام الكفّار والمنافقين، فعليّ نفس النبيّ بصريح القرآن، وعليٌّ أوّل المدافعين عن النبيّ طيلة حياته، وعليّ والنبيّ صلى الله عليه وآله هما من أرسا قواعد الإسلام، وغرس شجرته العظيمة وسقاها، بفارق أنّ محمّداً هو النبيّ وعليٌ هو الوليّ والوصيّ.

ولذا، ما كانت عداوة معاوية لعليٍّ عليه السلام من على منابره، إلّا لعن وشتم وسبّ النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله، وقد نقل السيوطيّ أنَّ بني أُميّة لعنوا وسبّوا عليّاً من على سبعين ألف منبرٍ. وفي كتاب «العتب الجميل» لمحمّد بن عقيل: لّما رفع عمر بن عبد العزيز لعنَ عليّ على المنابر، خطب خطيب المسجد الجامع في حرّان خطبته

مجرّدةً عن لعن وسبِّ أمير المؤمنين، ولمّا نزل من على المنبر اعترض عليه همج الناس ورعاعهم وصاحوا به:

«**وَيْحَكَ وَيْحَكَ...، اَلسُّنَّةَ اَلسُّنَّةَ، تَرَكْتَ السُّنَّةَ...**».

فهؤلاء الجهّال كانوا يظنّون أنّ سبَّ ولعن عليّ من أجزاء الخطبة المسنونة.[1]

إنَّ إعلام معاوية في الشام الّتي كانت بعيدةً عن مركز الخلافة، قد أثَّر في الناس، وصار سبباً في إضلالهم.

لقد استغلّ معاوية أموال بيت المال، ووظّف الخطباء والشعراء والمتملّقين ووعّاظ السلاطين ووضّاع الحديث، لتشويه الإسلام وحرف الدين، وأجبرهم على الطعن بأمير المؤمنين وكبار صحابة رسول الله واتّهامِهِم والافتراء عليهم، ظنّاً منه أنَّ ذلك سيحطُّ من قدر بني هاشم بين الناس، ورغبةً منه في إثارة الفتن والجهالة، وإطفاء نور الإسلام، وإعادة ظلمات الجاهلية الأُمويّة.

نقل ابن الأثير أنَّ شابّاً من أصحاب معاوية خرج في حرب صفّين وأخذ يرتجز ويضرب بسيفه ويلعن أصحاب عليّ، فقام له هاشم المرقال وكان من قادة جيش عليّ ووعظه وخوّفه الله الّذي هو مُسائِله يوم القيامة عن قتاله المؤمنين، فقال ذلك الشابّ سأقول لله: إنّي قاتلتكم لأنّ صاحبكم لا يصلّي وأنّكم لا تصلّون!!

---

١. ابن عقيل العلوي، العتب الجميل، ص٥٦؛ الدفتردار المدني، الإسلام بين السنّة والشيعة، ص٢٥.

وأنّ صاحبكم قتل خليفتنا عثمان وأنّكم أعنتموه على ذلك. فقال له هاشم المرقال: وما أنت وعثمان إنَّ عثمان، قتله أصحاب رسول الله وأبناء الصحابة وقرّاء القرآن الّذين لم يعصوا الله طرفة عين. وأمّا ما قلت من أنّ صاحبنا لا يصلّي فاعلم أنّ صاحبنا هو أوّل من صلّى بعد رسول الله، وأنّه أعلم الخلق بدين الله، وأقربهم إلى رسول الله، وأنّ هذا الجيش الّذي تراه هو من القرّاء المحيين الليل بالعبادة والتهجّد، واعلم أنّ هؤلاء الأشقياء (معاوية وحزبه) قد أضلّوك.

فقال له الشابّ: فهل لي من توبة؟ قال هاشم: نعم، تب يتوب الله عليك ويغفر لك ذنوبك. فرجع الشابّ.[١]

وذكر الجاحظ: أنَّ قوماً من بني أُميّة قالوا لمعاوية: لقد وصلت إلى ما تريد، فاترك سبَّ ولعن عليٍّ!

فقال: لا والله حتّى يشبَّ عليه الصغير ويهرم الكبير، ولا يبقى أحدٌ يذكر له فضلاً.[٢]

ومن علامات نفاق معاوية، عداؤه للأنصار، لأنّهم نصروا النبيّ صلى الله عليه وآله فكان معاوية يُعنِّفُهُم ويهزأ بهم، ووصل به الأمر إلى حجب جابر بن عبد الله الأنصاري.

---

١. ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢١٣.

٢. راجع: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٤، ص٥٧؛ المحدّث القمي، الكنى والألقاب، ج١، ص٨٩.

فقد روى المسعوديّ أنَّ جابر بن عبد الله الأنصاري قدم إلى معاوية بدمشق فلم يأذن له أيّاماً، فلمّا أذن له قال: يا معاوية أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ حَجَبَ ذَا فَاقَةٍ وَحَاجَةٍ حَجَبَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ فَاقَتِهِ وَحَاجَتِهِ». فغضب معاوية وقال له: لقد سمعته يقول: «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَرِدُوا عَلَيَّ الْحَوْضَ». أفلا صبرت؟ قال: ذكّرتني ما نسيت وخرج فاستوى على راحلته ومضى، فوجّه إليه معاوية بستّمائة دينار، فردّها وقال لرسوله: قل له: والله يا ابن آكلة الأكباد لا تجد في صحيفتك حسنةً أنا سببها أبداً.[١]

وَصمَةُ عارٍ على جبين التاريخ

ومن جملة مخازي معاوية وذنوبه الّتي لا تغتفر وغير المسبوقة بمثلها، هو أنَّه عندما أراد الخروج إلى صفّين وحرب خليفة زمانه وإثارة الحرب اللعينة بين الإخوة، خاف من هجوم الروم على موانى الشام فعقد معاهدةً مع قسطنطين ملك الروم، يدفع بموجبها معاوية جزيةً من بيت مال المسلمين للروم كلّ سنة. وكان ذلك وصمة عارٍ لطّخت جبين كلّ تلك الفتوحات الرائعة اللامعة في تاريخ الإسلام ومجاهديه ومن اطّلع على تاريخ الإسلام جيّداً يعلم أنَّ مثل هذا العمل يُعدُّ خيانةً عظمى، ولا يمكن قبوله بحال من الأحوال ومنذ صدر الإسلام.

١. المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص١١٥-١١٦.

لقد قدّم الجيش الإسلامي التضحيات والتضحيات ومئات آلاف الشهداء ولم يقبل بذلّةٍ كهذه، فمثل هذه المعاهدات مع الكفّار وأعداء الله، تؤدّي إلى سيطرتهم وسلطنتهم على المسلمين و﴿**وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْـمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾.[1]

وقد أراد معاوية بذلك إسقاط الحكومة المركزية للإسلام، وخالف دستور القرآن ﴿**أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ**﴾،[2] ووقع معاهدة الذُلّ والهوان والجزية والخراج والتبعية للكفّار مُعلناً بذلك اتّحادَه مع الكفّار وحربه ضدّ المسلمين.

وليته قد اكتفى بذلك، لكنّه وبعد هلاك قسطنطين (سنة ٦٦٨ م- ٤٧ق) جدّد معاهدة الجزية السنوية مع قسطنطين المعروف ببوكونات، وكان ذلك سنة (٦٠ق) المصادف (٦٧٩ م) قبل هلاك معاوية بعدّة أشهر.

بعد أن كسر معاوية حوالي القسطنطنية انكساراً مُرّاً، عرف أنَّ معنويّات جيشه لم تعد قويّةً كما كانت عليه سابقاً. فقد كانت سياسة الحكم وفساده وترفّهه قد أثّرت في روحية المقاتلين سلباً، وأضعفت معنويّاتهم كما أنّ المسلمين لم يكونوا مستبشرين بتلك الفتوحات وقلّت رغبتهم في الجهاد؛ إذ أنَّ أتعابهم كانت تصبُّ في مصلحة فئةٍ محصورة من آل أبي سفيان وإشباع أطماعهم ورغباتهم وتقوية شوكتهم وهم

---

١. النساء، ١٤١.

٢. الفتح، ٢٩.

الّذين رفعوا راية العداء لآل النبوّة، وقتلوا الصفوة من الصحابة في مكّة والمدينة والكوفة والبصرة، تاركين الأمر بالمعروف والعمل بالأحكام الشرعيّة.

ومن جهة أُخرى كان معاوية قد أعدَّ العُدة لتولية يزيد الحكم عن طريق الترغيب والترهيب والقوّة والرشاوى، وكان يعلم أنَّ الاضطرابات ستعُمُّ البلدان الإسلاميّة بسبب هذا الاستخلاف وأنَّ يزيد والحزب الأُمويّ لن يقوَ على فتح جبهتين داخلية وخارجية في آنٍ واحد، ولذا فقد استسلم ثانيةً للرّوم وبعث بعثاً مع بعض نصارى العرب مع هدايا وتُحف إلى ملك الروم، يستميلُه لعقد معاهدةٍ تستمرُّ لثلاثين عاماً، يدفع المسلمون الجزية للنّصارى على أساسها!! وتعهَّد معاوية بدفع ثلاثين ألف سكّة ذهبيّة، وإطلاق صراح ثمانمائة أسير رومي، وأن يبعث إليهم بثمانمائة رأس جواد عربيّ أصيل.

وقد جاء في الفقرة الرابعة من المعاهدة أنَّ هذه الأموال تُدفع بعنوان الخراج إلى الدولة الروميَّة!!

هذا وقد تعهَّد يزيد بعد معاوية لزيادة تلك الأموال ودفعها إلى النصارى.[1]

وبهذا يكون معاوية وابنه يزيد اللذين أرادا أن يحافظا على ملكهما بأيّ ثمن كان، ولكي يتسلّط بنو أُميّة على رقاب المسلمين قهراً، وأن يمحوا آثار الإسلام ويهدموا قواعده، قد أذلّا الأُمّة الإسلاميّة بهذا العار، بقبولهم تلك المعاهدات المهينة.

---

١. حجّة السعادة، ج٢، ص٧٠- ٧١.

المستشارون المسيحيّون

ومن مآثم معاوية الّتي لا تغتفر تسليط الكفّار على المسلمين وأموالهم باستخدامه مستشارين كفّاراً أجانب مخالفاً بذلك صريح القرآن المجيد.

فلقد اعتمد على بعض المسيحيّين في إدارة الأُمور المالية والعسكرية والإدارية، فكان يستشيرهم في برامجه وخططه، واعتبرهم أُمناء سرّه، منهم سرجون النصراني وابنه منصور، والّذي أوكل معاوية إليه أمر خزينة بيت المال وحسابات الجند،[١] ولذا كان هذا الكافر بمقتضى وظيفته الحسّاسة، ينفذ إلى كلّ أجهزة الحكم وخاصّةً قوّاد الجند والمؤسّسة العسكرية المهمّة والخطيرة.[٢]

والظنُّ، أنَّ سرجون ورفاقه الّذين كانوا على اتّصال دائم بالروم، كان لهم الدور الكبير في هزيمة المسلمين في القسطنطنية، والّتي قُتل فيها ثلاثون ألفاً من المسلمين.[٣]

---

١. ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٤، ص١١.

٢. يقول «فردينال نوئيل» المسيحي في «أعلام الشرق»: إنّ منصور بن سرجون كان مديراً للمالية وحسابات الجيش في زمن معاوية.

ويقول العقّاد في كتابه *معاوية في الميزان* (ص ١٦٨): لقد أوكل معاوية الأُمور المالية إلى سرجون ومن بعده إلى ابنه منصور. وأصل كلمة سرجون: سرژيوس، كما عن كتاب حجّة السعادة (ج ٢، ص٧٢).

٣. حجّة السعادة، ج٢، ص٧٢.

ولقد كان سرجون وابنه منصور -كما عن *حجّة السعادة*- وزيراً في زمن يزيد أيضاً، وطبقاً لبعض المصادر التاريخية كان لسرجون هذا دور خبيث في قضيّة استشهاد الحسين عليه السلام وفاجعة كربلاء، حيث إنّ يزيد قد عيَّن عبيد الله بن زياد والياً على الكوفة بإشارة من سرجون النصراني هذا.[١]

وإذا ما تأمّلنا في الحوادث التاريخية، وما سنَبيّنُه في الصفحات اللاحقة حول نشأة يزيد وظروف تربيته، فإنّنا سنقف على أنّ النصارى كان لهم اليد الطولى في رسم سياسة الدولة الإسلامية في زمن معاوية ويزيد، وأنّ عملاءهم وجواسيسهم كانوا يشغلون مناصب حسّاسة في أجهزة حكم بني أُميّة، وأنَّ حكومة الشام كانت متّكيةً وعميلةً للإمبراطورية الرومية، بل، وكما يقول العقّاد في كتابه «معاوية في الميزان» فصل «تمهيدات الحوادث»؛ يستنتج من الأدلّة التاريخية أنَّ بني أُميّة كانوا على ارتباط بالبلاط الرومي منذ الجاهلية، وكان بعضهم كعثمان وأبي سفيان آلةً بيد الروم لتحقيق مآربهم السياسية، وعملاء تجسّس للحكومة البيزنطية.

فلا عجب حينئذٍ من استماتة بعض المستشرقين المسيحيّين مثل «لانس» البلجيكي، في الدفاع عن معاوية ويزيد، إذ أنَّ حكومة بني أُميّة كانت تحت نفوذ المسيحيّين وأنّها

---

١. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج١، ص١٩٨، فصل ١٠؛ ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٢؛ محمّد رضا، الحسن والحسين سبطا رسول الله، ص٨٤- ٨٥.

الحاجز والمانع من انتشار الإسلام في أُوربا، ومثل هذه الحكومة لابدّ أن تحظى بتأييد الحكومات الاستعمارية المسيحيّة.

تجاهر معاوية بالفسق

لم يكن معاوية متستّراً بالمحرّمات ومخالفة السُّنَّة، كالربا وشرب الخمرة والأكل والشرب في آنية الذهب والفضّة ولبس الذهب والحرير. ولقد كان يأنس بالاستماع إلى الطرب والغناء، ويرغب في لذائذ الأطعمة والأشربة، ويلبس أفخر الملابس.

وفي الجملة كان سلوكه ولبسه ومأكله ومسكنه في القصور الفخمة[1] وامتلاك الجواري والغلمان والحرس والحشم والخدم وملوكية العيش، مخالفاً لطريقة رسول الله صلى الله عليه وآله وكرام الصحابة، وعلى غير نهج الإسلام.

كان معاوية يبذل بيت مال المسلمين ويبذّره على حاشيته وخواصّه، وأنّ سياسته المالية الخاطئة والسيّئة أدّت إلى فراغ بيت المال فاضطرّ إلى أخذ الضرائب

١. فلمّا بنى (معاوية) قصر الخضراء بلغ من إعجابه بالبناء أن سأل أبا ذرّ داعية الزهد والكفاف من الرزق: كيف ترى هذا؟ فسمع منه جواباً كان خليقاً أن يترقّبه لو لم يكن لزهّوه بها ابتناه لا يصدّق أنّ أحداً يراه بغير ما رآه، قال أبو ذرّ: إن كنت بنيته من مال الله فأنت من الخائنين وإن كنت بنيته من مالك فأنت من المسرفين. العقّاد، معاوية بن أبي سفيان، في الميزان، ص١٩٠.

الثقيلة من الناس، كما أنّه خالف الشريعة في قضيّة أخذ الجزية من المشركين وغيّر القوانين المالية الإسلامية، كما أنّه سنّ لعن أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر واستلحق زياد بن أبيه، واستخلف ولده يزيد، واستخفّ بمقام النبوّة المقدَّس حيث كان لا يردع الّذين يتجاسرون على مقام النبوّة ويسلّمون على معاوية بالرسالة.[1]

وقد تجرَّد معاوية عن فضائل الأخلاق كالشجاعة والعدالة والإنصاف والغيرة والتقوى والأمانة والبطولة، ولم يكن له سهم ونصيب حتّى في الحلم والسياسة. وبعض السطحيّين وإن كانوا وبمطالعة بعض الحكايات الأُسطورية المنقولة عنه، يتصوّرون أنّه حليم مدبّر، ولكن وبالتدقيق في مضامين تلك النقولات يظهر أنّه كان يتظاهر بالحلم مكراً وخداعاً، والوقائع التاريخية تثبت ذلك وتفضحه كقضيّة قتل حجر بن عديّ.

وقد أوضح العقّاد في كتابه «معاوية في الميزان» فصل «الحلم» مفصلاً أنّ تظاهر معاوية لا يمتّ إلى الحلم بصلةٍ، كما أنّه ليس -كما يتصوّره الكثيرون- ذا باعٍ في المكر والدهاء والخديعة، وهذا ما نستنتجه من كلام العقّاد في فصل «الدهاء».

فسياسة معاوية لم تكن مستندةً إلى قوّة عقلية، كما أنّه لم يكن في الخدعة والمكر نظيراً لعمرو بن العاص والمغيرة وزياد ابن أبيه.

---

١. ابن عقيل العلوي، النصائح الكافية، ص٩٤-٩٩؛ العقّاد، معاوية بن أبي سفيان في الميزان، ص٢٧، ٣٧ ، ١٨٧-١٨٩.

إنَّ ما ساعد معاوية على تحقيق طموحاته، هـو الظـروف المواتيـة لـه، وعـدم تورّعه عن أيّ جناية، وهذا ما يجعل من كلّ سياسيّ وإن كـان في مرتبـة متدنّيـة، قادراً على تحقيق طموحاتـه والوصـول إلى مآربـه السياسـية، والحـقّ أنّ سياسـة معاوية في الأُمور المالية والاجتماعية والأمنية، كانت فاشلةً تماماً.[١]

أهداف معاوية

يتّضح من مطالعة تاريخ معاوية، أنَّ هدفه من الفتن الّتـي أثارهـا والحـروب الّتي أشعلها هو الوصول إلى السلطة والحكم، وأنّه كـان يحلـم بـذلك منـذ أيّـام خلافة عثمان. ومع أنّ معاوية كان يعلم تماماً أنّـه لا يسـتحقّ ذلـك وأنّ رصـيده التاريخي معدومٌ تماماً، مع ذلك، أشـعل حربـاً شـعواء عـلى وليّ الله الّـذي اتّفـق الصحابة كلُّهم على أحقّيّته بالخلافة.

لقد كان معاوية قد أُطلق العنان لنفسه ولم يتقيّد بحفظ مصالح الإسلام والمسلمين، كما أنّه لم يبال لأحكام الشرع ورعايتها، فكان يستهين بكلّ شيءٍ من أجل تحقيق هدفه.

---

١. العقّاد، معاوية بن أبي سفيان في الميزان، ص٤١ – ٧٥. لقد بيّن العقّاد في هذا الكتاب معالم طريقي عليّ عليه السلام ومعاوية بكلّ وضوح. وذكر أنّ عليّاً عليه السلام لا يمكنه الانحراف عن طريقه؛ لأنّه طريـق الحـقّ والعدل، وأمّا طريق معاوية فلا يمتّ إلى الحقّ والعدالة ومصلحة المسلمين بأيّـة صـلة، ونـوصي القرّاء الكرام لمطالعة هذا الكتاب وننبّههم إلى أنّ الكتاب لا يخلو من الاشتباه.

ولم يكن معاوية صادقاً في الطلب بدم عثمان،[١] وإنّما كانت تلك حجّةً واهيةً يتذرّع بها لتحقّق مآربه الماكرة، ولذا نراه قد أعرض تماماً عن الطلب بدم عثمان بعد أن تحقّق له ما أراد من الحُكم، ولم يتتبّع أحداً من المتّهمين بدم عثمان.

وبعد أن صالح معاوية الإمام الحسن الّذي خذله أصحابه الّذين انخدعوا بحيل معاوية وابن العاص وغرَّتهم أمواله، جاء إلى الكوفة وخطب في الناس وكشف عن نواياه الحقيقيّة قائلاً: «يا أهل الكوفة... إنّي ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا فإنّي أعلم أنّكم تفعلون ذلك، ولكن قاتلتكم لأتأمَّر عليكم وقد أعطاني الله ذلك. ألا وإنّي كنت قد مَنَّيت الحسن بن عليّ بأُمور، وإنّي لن أفِ بشيءٍ منها وهي تحت قدمي».[٢]

فمعاوية الّذي تعهّد في بنود الصلح بأُمور كثيرة، لم يعمل بأيٍّ منها[٣]، فلقد قتل حجر بن عديّ وأصحابه البررة، وعمرو بن الحمق الخزاعي، ولم يترك سبَّ

---

١. عقد الأُستاذ العقّاد في كتابه ***معاوية في الميزان*** فصلاً مستقلّاً بعنوان «موقف معاوية من قضيّة عثمان» وهذا الفصل وإن كان مختصراً ولكن القارئ وبتأمّل بسيط سيقف على خبث مخطّطات معاوية في تلك القضيّة، وما ابتليت به الخلافة الإسلامية من انحرافات بسبب الألاعيب والخدع السياسية الّتي عقّبت غصب الخلافة من أهل البيت ومجيء بني أُميّة للحكم.

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص١٤-١٥؛ الأميني، الغدير، ج١٠، ص٣٢٦؛ ج١١، ص٧.

٣. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص١٧؛ الأميني، الغدير، ج١١، ص٧؛ ج١١، ص٧.

عليّ عليه السلام، وأخذ البيعة ليزيد من الناس قهراً، ودسَّ السمَّ للإمام الحسن عليه السلام فقتله، و لم يرعَ حرمة الشعائر الإسلاميّة.

فكان لا يُخفي حقده الدفين على النبيّ صلى الله عليه وآله عندما كان يسمع اسمه ينادى به في الأذان خمس مرّات في اليوم والليلة، ويتوعّد بمحوه حتّى لا يُبقي أثراً للإسلام.

يقول المسعودي نقلاً عن كتاب «الموفّقيّات» لابن بكّار: إنّ المطرف بن مغيرة بن شعبة قال: وفدت مع أبي المغيرة إلى معاوية، فكان أبي يأتيه يتحدّث عنده ثمّ ينصرف إليّ فيذكر معاوية ويذكر عقله ويعجب ممّا يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، فرأيته مغتمّاً فانتظرته ساعةً وظننت أنّه شيء حدث فينا أو في عملنا، فقلت له: ما لي أراك مغتمّاً منذ الليلة. قال: يا بنيّ جئتك من عند أخبث الناس، فقلت له: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوت به: إنّك قد بلغت سنّاً يا أمير المؤمنين! فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً، فإنّك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوانك من بني هاشم فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه. فقال لي: هيهات هيهات، مَلَك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره إلّا أن يقول قائل: أبو بكر، ثمّ ملك أخو عديّ فاجتهد وشمّر عشر سنين فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره إلّا أن يقول قائل: عمر. ثمّ ملك أخونا عثمان فملك، رجل لم يكن أحد في مثل نسبه فعمل ما عمل وعمل به، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره، وذكر ما فعل به، وإنّ أخا هاشم

يصرخ به في كلّ يوم خمس مرّات أشهد أنّ محمّداً رسول الله فأيّ عمل يبقى مع هذا لا أُمّ لك لا والله إلّا دفناً دفناً.[١]

وهذه الحكاية تؤيّد ما نقول، فإنّ معاوية كان يهدف مضافاً إلى تحقيق أغراضه السياسية، محوَ كلّ ما يمتُّ إلى السماء بصلة من ملامح الإسلام حتّى اسم «محمّد رسول الله» وإرجاع الناس إلى حكم الجاهلية.

ولو أردنا أن نطلق العنان لأقلامنا لكتابة جرائم وجنايات معاوية فإنّنا سنتعبُ أنفسنا وقرّاءنا الكرام بكتابة وقراءة كتاب كبير، ونكون بعدها ملزمين بالاعتذار لعدم أداء حقّ الموضوع كما يجب. ولذا فإنّنا سنحيل القارئ العزيز إلى مطالعة شرح ***نهج البلاغة*** لابن أبي الحديد وكتب التاريخ وكتاب ***الغدير*** للعلّامة الأميني الجزء العاشر، وكتاب ***النصائح الكافية*** وحينئذٍ سيتّضح للقارئ أنّ كلّ ما قلناه وما سنقوله في مطاعن هذا العنصر الخبيث، ليس إلّا قطرةً من بحر لؤمِه وخسَّته ووحشيّته.

ونقل عن كتاب «التعجّب» للكراجكي، أنَّ معاوية لم يسلم وأنّه كان باقياً على شركه، ومكذّباً الوحي، مستهزءاً بالشرع، وأنّه كان عام الفتح في اليمن وعندما سمع بإسلام أبيه ـ نفاقاً وخوفاً ـ كتب إليه شعراً ونثراً يذمّهُ فيه، وأنّه

١. المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٣٦٢.

بقي على شركه وهرب إلى مكّة فاضطرّ لخوفه من هدر دمه أن يـذهب إلى النبـيّ وشفَّع العبّاس عمَّ النبيّ إليه فعفا عنه رسـول الله ﷺ وكـان إسـلامه ـ الكـاذب ـ قبل رحلة النبيّ إلى جوار ربّه بخمس أو ستّة أشهر فقط، وكـان مـع النبـيّ ﷺ في ذلك الوقت أربعة عشر كاتباً ولم يُعهد أنّ معاوية هذا قد كتب شيئاً للنبيّ ﷺ مـن كتبه ورسائله، وحتّى لو فرضنا أنّه كتب كتابـاً، فـإنّ ذلـك لا يعـدُّ فضـيلةً لمثـل معاوية إلّا أنَّه من «المؤلّفة قلوبُهُم».[١]

من هو يزيد؟

إنَّ مِن هَوانِ الدنيا وعِبَرِها، أن يكون يزيد بن معاويـة حـاكماً عـلى المسـلمين وعلى كبار الصحابة والتابعين!

فإنَّ أشدَّ صفحات التاريخ البشريّ ظلمةً وسواداً، هي تلك الصفحات الّتـي تناولت حياة يزيد. ففضائح بني اُميّة وجناياتهم المشهورة من بين جنـاة التـاريخ قد جعلتهم في مصافّ الفاسدين، لكنَّ يزيد بن معاوية يعدُّ وصمة عارٍ حتّـى في جبين بني اُميّة أنفسهم حتّى كادت فضائحه أن تُنسي الناس فضـائح سـائر بنـي

---

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٣٣٨؛ العقّاد، أبو الشهداء، ص٧٥؛ العقّـاد، معاويـة بن أبي سفيان في الميزان، ص١٦٤.

أُميّة، وتجعل يزيد بطل الشرّ والكفر والطغيان والسخف والدناءة والعداء لأهل بيت رسول الله ﷺ.

فيزيد هو النقطة الأشدُّ سواداً في صفحة تاريخ بني أُميّة الحالكة الظلمة، ومصداقُ ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾.

نشأة يزيد

يقول العلايلي: لنفهم مصرع الحسين ؏ يلزمنا أن نعرّف من يزيد؟

ولكي نعرّف يزيد لابدّ من مطالعة تربيته الأُسريّة، إذ من الواضح أنّ للبيئة والمحيط أثرهما في بناء شخصيّة الإنسان سلباً أو إيجاباً. فالحجر واللبن والأُمّ وسلوك الأب والعادات العائلية كلّها تؤثّر في أخلاق الإنسان، وهذا ما يؤيّده علماء الأخلاق والنفس، وقد أكّدت الشريعة عليه تأكيداً كبيراً.

فكم من فرق بين من تربّى في بيئة سليمة ملؤها الصدق والعفّة والصلاح، وبين من تربّى في بيئة سيّئة ملؤها الظلم والفجور والفساد والكفر والإجرام.[١]

---

١. إنّ هذه القاعدة يمكن أن تتخلّف، وبعبارة أُخرى، فإن المحيط والبيئة الّتي يعيش فيها الإنسان ليست هي العلّة التامّة لصياغة شخصيّته، فكم من مؤمن صالح نشأ في بيئة فاسدة ومن أبوين فاسدين، وكذلك العكس وصدق تعالى حينما قال: «يخرج الحيَّ من الميّت ويخرج الميّت من الحيّ» ولكن يبقى للبيئة أثرها على نحو الموجبة الجزئية، فيمكن ان يعترك الإنسان مع المحيط الفاسد ويتغلب عليه فلا يكون المحيط فاسداً أبداً عُذراً للفساد والأخلاق القبيحة.

وعلى هذا تكون مطالعة ظروف التربية العائلية لرجالات التاريخ، وقراءة العوامل المحيطية المؤثّرة في رشد أفكارهم وسلوكهم ونفسيّاتهم، ضروريّةً ولازمةً، ولقد كان يزيد من جملة الّذين ترتبط أعمالهم وسلوكهم بالمحيط الّذي تربَّوا فيه ارتباطاً مؤكّداً، ولقد كان نسخةً طبق الأصل.

ولقد تناولنا فيما مضى بعض أفراد أُسرة يزيد كأبيه معاوية وأجداده وجدَّته وبعض بني عمومته، وقد نفصِّل فيما يأتي عنهم قليلاً، ولكنّنا لم نتعرّض لحدِّ الآن إلى هويّة أُمِّ يزيد، فمن هي أُمُّ يزيد؟

مَيسون

مَيسون أُمُّ يزيد بنت بجدل الكلبيّ، وطبقاً لنقل كتاب «تجارب السلف»[١] و«إلزام النواصب»[٢] و«ربيع الأبرار للزمخشري»[٣] وأشعار النسّابة الكلبيّ، فإنّ يزيد مطعون في نسبه، مردودٌ انتسابه إلى معاوية، فإنّ ميسون لـمّا جيء بها إلى معاوية كانت حبلى بيزيد من غلامٍ لأبيها.[٤]

---

١. النخجواني، تجارب السلف، ص٦٦-٦٧.

٢. الصيمري، إلزام النواصب، ١٦٩.

٣. الزمخشري، ربيع الأبرار، ج٤، ص٢٧٥.

٤. راجع معتمد الدولة، القمقام الزخّار، ص٢٢٩؛ المغنية، المجالس الحسينيّة، ص١٣٠.

يزيد في أحضان بني كلب

يقول العلايلي: وإنَّ أهمّ ما يلزمنا أن نعرف هنا من أمر يزيد، ناحيتان:

نشأته المسيحيّة أو بالأحرى الّتي كانت أقرب إلى المسيحيّة، وعقليته الّتي كانت في نظري غَيبيَّةً جدّاً، وتبعّد كثيراً عن العقلية الواقعية العملية الّتي امتاز بها أبوه.

يبدو مستغرباً بادئ ذي بدء، أن نعرف أنّ يزيد نشأ نشأةً مسيحية تبعد كثيراً عن عرف الإسلام، وتزيد القارئ دهشةً إلى حدّ الإنكار، ولكن لا يبقى في الأمر ما يدعو إلى الدهشة، إذا علمنا أنّ يزيد يرجع بالأُمومة إلى بني كلب، هذه القبيلة الّتي كانت تدين بالمسيحيّة قبل الإسلام، ومن بديهيّات علم الاجتماع أنّ انسلاخ شَعْب كبير من عقائده يستغرق زمناً طويلاً، بين معاوَدات نفسية ورَجعات ضميرية وذِكريات وجدانية. وبالأخصّ إذا كانت عقيدةً سَيْطَرَتْ على الأفكار والعادات والعُرف العامّ.

والتاريخ يحدّثنا أنّ يزيد نشأ فيها إلى طور الشباب أو حتّى جاوز طور الطفولة، ومعنى هذا أنّه أمضى الدور الّذي هو محطُّ أنظار الْـمُرَبِّين وعنايتهم، وبذلك ثبت على لون من التربية النابية تمازجها خشونة البادية، وجفاء الطبع.

على أنّ طائفةً من المؤرّخين ترجِّح ـ ولا يبعد أن يكون صحيحاً ـ أنّ من أساتذة يزيد بعض نساطرة الشام من شمارقة النصارى، وربما شهد لهذا التقدير ما جاء في تاريخ الشام لابن عساكر من أنّ يزيد كان يعرف طرفاً من الهندسة هذا

الفنّ الّذي كان مجهولاً من العرب، ممّا يضعنا أمام الأمر الواقع الّذي يتّسق تفسيره على هذا الوجه. ولا يخفى ما يكون لهذه التربية من أثر سيّئ فيمن سيكون وليّ أمر المسلمين.

وهذه التربية تصحّح الرواية الأدبية القائلة بأنّ يزيد أراد كعب بن جُعَيل على هجاء الأنصار، فاستأبى عليه تأثّماً لمقامهم الديني ودلّه على الأخطل التغلبيّ الشاعر النصراني، ومن ثمّ اطَّردت الصداقة بينهما. ونحن نشكّ في صحّة هذه الرواية ونعزو الاتّصال بينهما إلى مكان التربية عند يزيد، فقد كان يتزيَّد في تقريب المسيحيّين ويستكثر منهم في بطانته الخاصّة، لما أنّه يقع بينهم على من يمتزج به وينسجم معه (على ما يقولون). ولقد اطمأنّ إليهم حتّى عهد بتربية ابنه إلى مسيحيّ على ما لا اختلاف فيه بين المؤرّخين. ولا يمكن أن نعلّل هذه الصلة الوثيقة والتعلّق الشديد بالأخطل وغيره إلّا إلى مكان التربية ذات الصبغة الخاصّة واللون النابي.

إذا كان يقيناً أو ما يشبه اليقين، أنّ تربية يزيد لم تكن إسلامية خالصة وبعبارة أُخرى كانت مسيحيةً خالصةً، فلم يبق ما يستغرب معه أن يكون متجاوزاً مستهتراً مستخفّاً بما عليه الجماعة الإسلامية، لا يحسب لتقاليدها واعتقادها أيَّ حساب ولا يقيم لها وزناً، بل الّذي يستغرب أن يكون على غير ذلك.[1]

---

١. العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص٦٦– ٦٧.

ومن ثمّ وجدنا يزيد يشاور المسيحيّين والأجانب أمثال سرجون الرومي ويعمل بما يُملوه عليه وكما قلنا سابقاً فإنّه جعل عبيد الله بن زياد والياً على الكوفة بإشارة من سرجون المسيحي.[١]

ومضافاً إلى ذلك، فإنّ يزيد قد ترعرع ونشأ في البادية عند أخواله بني كلب، ولم يكن تأثّره بعادات البداوة بأقلّ من تأثّره بالمسيحية في رذائل الأخلاق ووحشية الطباع، إذ أنَّ معاوية ترك ميسون أُمَّ يزيد وأرسلها إلى البادية، فكانت ولادة يزيد فيها، ومتاركة ميسون لمعاوية وإن فسَّرها البعض بكراهة ميسون حياة القصور والحضارة، ومنادمة الجواري الحسان والقيان وآنية الذهب والفضّة والسجّاد، ولكنّ الحقّ أنَّ دواعي الفراق الحقيقية هي الحنينُ إلى ذلك الغلام وثورة العشق المتأجّجة في قلب ميسون له، فطالما سمع معاوية أشعار ميسون الغزلية لعشيقها وهي في قصره، وطالما أحسَّ معاوية بسهرها ولوعتها على فراقه، فاضطرّ إلى إرسالها إلى عشيقها وهجرها.

أخلاق يزيد

يقول العقّاد: فتى عربيد يقضي ليله ونهاره بين الخمور والطنابير، ولا يفرغ

---

١. ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٦٨؛ محمّد رضا، الحسن والحسين سبطا رسول الله، ص٨٤- ٨٥؛ حجّة السعادة، ج٢، ص٦.

من مجالس النساء والندمان إلّا ليهرع إلى صيد فيقضي فيه الأُسبوع بعد الأُسبوع بين الأديرة والبواري والآجام، لا يبالي خلال ذلك تمهيداً لملك ولا تدريباً على حكم ولا استطلاعاً لأحوال الرعيّة الّذين سيتولّاهم بعد أبيه، ثقةً بما صار إليه من التمهيد والتوطيد وما سوف يصير.[١]

ويقول أيضاً: فكان كلفه بالشعر الفصيح مغرياً له بمعاشرة الشعراء والندماء في مجالس الشراب، وكان ولعه بالصيد شاغلاً يحجبه عن شواغل الملك والسياسة، وكانت رياضته للحيوانات مهزلة تلحقه بأصحاب البطالة من القرّادين والفهّادين، فكان له قرد يدعوه «أبا قبيس» يلبسه الحرير ويطرّز لباسه بالذهب والفضّة ويحضره مجالس الشراب، ويركبه أتاناً في السباق ويحرص على أن يراه سابقاً مجلياً على الجياد.[٢]

ولم ينتهِ يزيد عن معاقرة الخمرة والمآثم حتّى في مدينة النبيّ صلى الله عليه وآله.[٣]

قال الحسين عليه السلام في يزيد لمعاوية: «وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد في ما أخذ به من استغرائه الكلاب المهارشة عند التحارش، والحمام السبّق

---

١. العقّاد، أبو الشهداء، ص١٤٩.

٢. العقّاد، أبو الشهداء، ص١٤٩.

٣. ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣١٧.

لأترابهنّ، والقينات ذوات المعازف وضروب الملاهي تجده ناصراً».[١]

ويقول محمّد رضا رشيد: هذه نشأة أولاد الطبقة الارستقراطية عادةً، فهم لا يعبأون بالتعاليم الدينية ولا يعرفون الحلال من الحرام وإنّما همّهم التعلّق بأنواع المسليات والملاهي والصيد والقنص والرقص والغناء وشرب الخمور. فتربية يزيد كانت خلاف تربية أولاد الصحابة، إذ كانت تربيتهم دينية محضة. وقد استطاع معاوية بسلطته أن يأخذ البيعة لأنّه من أهل الشام لكنّه لم يستطع أن يؤثّر في أهل المدينة، فلمّا مات جنح يزيد إلى استعمال القوّة في حملهم على مبايعته وقال: «والله لأطأنّهم وطأةً آتي منها على أنفسهم».[٢]

ويقول المسعودي: كان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب وجلس ذات يوم على شرابه وعن يمينه ابن زياد وذلك بعد قتل الحسين عليه السلام فأقبل على ساقيه وقال:

إِسْقِنِي شَرْبَةً تُرَوِّي فُؤَادِي   ثُمَّ مِلْ فَاسْقِ مِثْلَهَا ابْنَ زِيَادِ

صَاحِبَ السِّرِّ وَالْأَمَانَةِ عِنْدِي   وَلِتَسْدِيدِ مَغْنَمِي وَجِهَادِي

---

١. محمّد رضا، الحسن والحسين سبطا رسول الله، ص٦٠.

٢. محمّد رضا، الحسن والحسين سبطا رسول الله، ص٦٠.

قَاتِلَ الْـخَارِجِيِّ أَعْنِي حُسَيْناً   وَمُبِيـدَ الْأَعْـدَاءِ وَالْـحُسَّادِ

ثمّ أمر المغنّين فغنّوا.[١]

وغلب على أصحاب يزيد وعمّاله ما كان يفعله من الفسوق وفي أيّامه ظهر الغناء في مكّة والمدينة واستعملت الملاهي وأظهر الناس شرب الشراب وكان له قرد يكنّى أبا قبيس، يحضره مجلس منادمته ويطرح له متّكأ... إلى آخره.

وكان عمّال يزيد وحاشيته يشاركونه في مجونه وفسقه، وانتشر أيّام حكومته الغناء والطرب في مكّة والمدينة، واستعملت آلات الموسيقى والقمار، وأُبيحت حانات الخمر والميسر.

ثمّ يذكر المسعودي قصّة قرد يزيد المسمّى «أبو قبيس» وحضوره مجالس الشراب واللهو.[٢]

يقول الكيا الهراسي الشافعي: وكيف لا يكون كذلك وهو المتصيّد بالفهد، واللاعب بالنرد، ومدمن الخمر، ومن شعره في الخمر قوله:

أَقُولُ لِصَحْبٍ ضَمَّتِ الْكَأْسُ شَمْلَهُمْ   وَدَاعِي صَبَابَاتِ الْـهَوَى يَتَرَنَّمُ

خُذُوا بِنَصِيبٍ مِنْ نَعِيمٍ وَلَذَّةٍ   فَكُلٌّ وَإِنْ طَالَ الْـمَدَى يَتَصَرَّمُ

---

١. المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٦٧.

٢. المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٦٧-٦٨.

وكتب فصلاً طويلاً في مذمَّة يزيد وقال:

«ولو مُددتُ ببَياضٍ لأطلَقتُ العنان وبسَطتُ الكلام في مخازي هذا الرجل».[١]

جنايات يزيد

١. إنَّ أعظم جناية ارتكبها يزيد هي قتله للإمام الحسينعليه السلام وشباب بني هاشم وخيار وأفاضل قرابة الرسالة وأصحابه الأبرار، وأسْر بنات النبوّة.

فعبيد الله بن زياد قتل الحسينعليه السلام بأمرِ يزيد، وأسَرَ أهله ونساءه وبناته أسرَ الكفّار، وأرسلهم مع رأس الحسينعليه السلام إلى الشام بطلب يزيد نفسه، وبأمر من يزيد، وأوقفهم بباب مسجد دمشق يتفرّج عليهم الناس كما يتفرّجون على أسرى الديلم والكابل.

ويزيد، ليس فقط لم يتبرّأ من فعل ابن زياد، وإنّما كافأه وحباه وقرَّبه وأدناه بدلاً عن أن يلومه على منع أطفال محمّدصلى الله عليه وآله من شرب الماء، وقتله الرضَّع والعجائز. ولمّا قدم ابن زياد إلى دمشق أجلسه في مجلسه واحتفل بجريمته ونادَمه وأشعر فيه، وتغنّى بوحشيته في كربلاء حتّى قال فيه:

قَاتِـلَ الْــخَارِجِيِّ أَعْنِـي حُسَـيْناً وَمُبِيــدَ الْأَعْــدَاءِ وَالْــحُسَّادِ!

---

١. الدميري، حياة الحيوان، ج٢، ص٣٠٦.

كتب ابن عبّاس ردّاً على كتاب يزيد إليه: بلغني كتابك تـذكر فيـه أنّي تركـت بيعة ابن الزبير وفاءاً منّي لك، ولعمري ما أردت حمـدك ولا ودّك، تـراني كنـت ناسياً قتلك حسيناً وفتيان بني المطّلـب مضرّجين بالـدماء، مسـلوبين بـالعراء، تسفي عليهم الرياح وتنتابهم الضباع، حتّى أتاح الله لهم قوماً واروهم، فما أنـس ما أنس طردك حسيناً من حرم الله وحرم رسوله وكتابك إلى ابن مرجانـة تـأمره بقتله، وإنّي لأرجو من الله أن يأخذك عـاجلاً حيـث قتلـت عـترة نبيّـه محمّـد صلى الله عليه وآله ورضيت بذلك، وأمّا قولك: أنّك غير ناسٍ بـرّي، فـاحبس أيّهـا الإنسـان بـرّك عنّي، وصلتك، فإنّي حابس عنك ودّي، ولعمري إنّك ما تؤتينا ممّا لنا من قبلـك إلّا اليسير، وأنّك لتحبس عنّا منه العرض الطويل. ثـمّ إنّـك سـألتني أن أحـثّ الناس على طاعتك، وأن أخذلهم عن ابن الزبير، فلا مرحبـاً ولا كرامـة تسـألني نصرتك ومودّتك! وقد قتلـت ابـن عمّـي وأهـل رسـول الله مصـابيح الهـدى، ونجوم الدجى، غادرتهم جنودك بأمرك صرعى في صعيد واحـد قـتلى، أنسـيت إنفاذ أعوانك إلى حرم الله لتقتل الحسين؟! فما زلت وراءه تخيفه حتّـى أشخصـته إلى العراق عداوةً منك لله ورسوله، ولأهل بيته الّذين أذهب الله عنهم الـرجس وطهّرهم تطهيراً، فنحن أُولئك لآبائك الجفاة الطغاة الكفرة الفجرة أكباد الإبـل والحمير الأجلاف أعداء الله وأعـداء رسـوله الّـذين قـاتلوا رسـول الله في كـلّ

موطن، وجدّك وأبوك هم الّذين ظاهروا على الله ورسوله، ولكن إن سبقتني قبل أن آخذ منك ثأري في الدنيا وقد قتل النبيّون قبلي وكفى بالله ناصراً.[١]

٢. وبعد فاجعة الطفّ الأليمة، وقبل أن تجفَّ دموع أهل المدينة على مقتل أبي عبد الله الحسينعليه السلام، حدثت واقعة الحرَّة في المدينة المنوّرة والّتي فجعت أهلها بأفضع الجرائم الّتي يندى لها جبين البشرية جُمعاً، والّتي كشفت القناع عن كفر يزيد وأبيه، وأشعرت الناس جميعاً بالخطر الّذي يتهدّد أساس مقدّسات الإسلام من جهة بني اُميّة.

فبعد استشهاد الإمام الحسينعليه السلام وانتشار الخبر، أحسَّ المسلمون عموماً بخطر يزيد على الإسلام، وتيقَّنوا أنّ من جملة غاياته، هتك المحرّمات، وإلغاء أحكام الشرع، وإهانة مقام الرسالة، وأنّ جرائمه وشنائع أفعاله لن تتوقّف عند حدٍّ معيّن.

وكان يزيد قد منع العطاء عن أهل المدينة، فتهيّأت أسباب مقدّمات ثورة عارمة عليه فيها.

وعزل يزيد والي المدينة الوليد بن عقبة وبعث عثمان بن محمّد بن أبي سفيان وكان فتىً غرّاً لم يجرِّب الأُمور ولم يحنّكه السنّ، ولم تضرَّسه التجارب، وبعث إلى يزيد وفداً من أهل المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي والمنذر بن المنذر رجالاً كثيراً من

١. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٥٠؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢٤٧-٢٤٨.

أشراف أهل المدينة، فاجتمعوا بيزيد ووهب لهم هدايا والجوائز.[١] وبعد أن شاهدوا بأعينهم فساد يزيد في قصره ومجونه وطربه ومعاقرته الخمرة، شتموا يزيد وعتبة وقالوا: إنّا قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر ويَعزف بالطنابير ويضرب عنده القيان،[٢] ويلعب بالكلاب، ويسامر الخُرَّاب والفتيان، وإنّا نشهدكم أنّا قد خلعناه».

وفي بعض التواريخ المعتبرة أنّ أهل المدينة ثاروا على عامل يزيد وأخرجوه بعد أن ثبت عندهم فسقه وإسرافه في المعاصي، وجوره وظلمه وظلم ولاته.

فأرسل لهم يزيد جيشاً بإمرة مسلم بن عقبة المعروف بقساوته وظلمه وتعدّيه على المقدّسات الدينية وكان من محصولي تربية معاوية ومن معتمديه، فأمره يزيد أن يستحلّ المدينة لثلاثة أيّام، وكان النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله يقول:

«مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْـمَدِينَةِ أَخَافَهُ اللهُ وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْـمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».[٣]

---

١. وخصَّ زعماء الوفد برعايته وأكبر مبلغ من المال وهو واثق من أنّ الوفد سيرجع بغيرالروح الّتي كان يحملها عندما خرج من المدينة ولكن سهامه قد طاشت، وظنونه قد خابت، فلم يحصل منهم غير الهجاء والسباب بعد رجوعهم من عنده إلى المدينة.

٢. جمع قينة وهي المغنّية.

٣. أحمد بن حنبل، مسند، ج٤، ص٥٥-٥٦؛ ابن أبي عاصم، الآحاد والمثاني، ج٤، ص١٧١؛ النسائي، السنن الكبري، ج٢، ص٤٨٣؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج٧، ص١٤٣؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥، ص١١٠؛ ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج٢، ص١٢٠-١٢١، ٢٥٢.

وسار ابن عقبة بالجيش الشاميّ وكان أهل المدينة قد حفروا خندقاً لاتّقاء الجيش وحتّى لا تكون المعركة في شوارعها كما فعل رسول الله ﷺ في وقعة الأحزاب حينما جمع جدُّ يزيد المشركين لغزوها. ولكن ذلك لم يمنع غزاة يزيد من اقتحام المدينة، وانتهت المعركة بهزيمة أهل المدينة لعدم تكافؤ القوّتين، فقد بلغ جيش الغزاة نحواً من ثلاثين ألفاً وعدد المقاتلين في المدينة لم يتجاوز الألفين، ولمساعدة مروان بن الحكم وخيانة رجل من بني حارثة، فاستباحوا المدينة ثلاثة أيّام بلياليها، ودخلت خيلهم مسجد النبيّ ﷺ، وبقروا بطون الحوامل، واستباحوا الأعراض، واستثني من ذلك الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام وآل رسول الله ﷺ، لعدم اشتراكه في الأحداث الّتي تسبّبت في ذلك.

هذا وقد قُتل في هذه الواقعة الفجيعة ثمانون صحابياً من أصحاب رسول الله ﷺ وسبعمائة من أولاد المهاجرين والأنصار وأكثر من عشرة آلاف من سائر الناس.[١]

دخل أحد جنود مسلم بن عقبة إلى دار امرأة أنصاريّة كانت ترضع طفلها فأراد أن ينهب أثاث المنزل فقالت له: والله لم يبق لنا رفاقك شيئاً. قال: لابدّ أن تعطيني شيئاً أو قتلت طفلك. قالت المرأة: ويلك إنّه ولد ابن أبي كبشة الأنصاري من أصحاب رسول الله ﷺ، وإنّي من النساء اللاتي اشتركن في بيعة

---

١. ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، ج١، ص٢٣٣-٢٣٩.

الشجرة، وقد بايعت على أن لا أزني ولا أسرق ولا أقتل ولداً وقد وفيت ببيعتي، فخف الله ربّك. ثم نظرت إلى طفلها وقالت: بنيّ لو كان عندي ما أفتديك به لفعلت.

لكنّ الرجل لم يرحمها ولم يرحم طفلها، فأخذ الرضيع من على صدرها وضرب رأسه بالجدار، فتناثر مخّ الصبيّ أمام عيني أُمّه.

وطبقاً لبعض النقولات التأريخية فإنّ هذا الرجل لم يخرج من تلك الدار إلّا وقد اسودّ نصف وجهه.[1]

والحاصل، إنَّ استهتار يزيد وأمير جيشه مسرف بن عقبة (كما يسمّيه البعض) بلغ حدّاً أنْ وطئت خيولهم مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وبالَتْ وراثَتْ بالقرب من قبر النبيّ صلى الله عليه وآله ومنبره الشريف، وقتلوا كلّ من لاذ بقبر النبيّ صلى الله عليه وآله فسالت الدماء في المسجد النبويّ وشوارع المدينة.

وكلّ هذه الجرائم كانت بأمر ابن ميسون، ولمّا انتهت الواقعة أكرم يزيد مروان الّذي أعان مسرف بن عقبة على تنفيذ أوامر سيّده يزيد.

٣. ومن جملة شنائع أفعال يزيد أنّه أجبر أهل المدينة على بيعته على أنّهم عبيد قنٌّ له، وختم أعناقهم بختم العبيد!!

---

١. ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، ج١، ص٢٣٨.

ولّما انقضت الأيّام الثلاثة أمر اللعين مسرف بن عقبة بإحضار الأسرى مكبّلين بالأصفاد، وأحضر سائر الناس ومن نجا من القتل وأخذ منهم البيعة ليزيد قسراً على أن تكون أموالهم وأرواحهم ملكاً ليزيد يفعل بها ما يشاء!! ومن رفض أو اعتذر قتل فوراً.

وأوّل من جيء به لأخذ البيعة هو عبيد الله بن ربيعة ابن أُمّ سلمة زوجة النبيّ ﷺ وعندما طُلب منه البيعة قال: أُبايع على كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ.

فقال له مسرف: تبايع على أنّك مملوك ليزيد يفعل بمالك وأولادك ما يشاء! فامتنع عبد الله من ذلك فأمر اللعين مسرف بضرب عنقه.

وهكذا أخذ مسرف البيعة من كبار الصحابة والتابعين وسائر الناس إلّا عليّ بن الحسين عليه السلام، على أنّهم عبيد قِنّ، وختم أعناقهم كما يختم على الجياد بعلامة الملكيّة، وكذلك ختم على راحة أيديهم كما يُفعل بالعبيد.

وبهذا يكون أهل المدينة قد دفعوا لبني أُميّة ضريبة خدماتهم للإسلام والتوحيد والنبوّة والمسلمين زمن هجرة النبيّ ﷺ إليهم، فانتقم يزيد منهم لوقوفهم إلى جنب النبيّ معرباً عن حقده وحقد آبائه الدفين تجاه الأنصار.

٤. والفاجعة الرابعة هي تعرُّض يزيد وهجوم جيشه على بيت الله الحرام وهتك حرمة الكعبة الشريفة، وضربها بالمنجنيق، وإحراق ستائرها وهدمها،

وهي قبلة المسلمين وملاذهم وأمنهم.[١]

كفر يزيد

ممّا تقدّم في ذكر قبائح أفعال يزيد، يزول الشكّ في كفره عند المنصف المتجـرّد عن العناد والتعصّب. حيث تبيَّن أنّ يزيد بن معاوية لا يرى أيَّ قدسيّةٍ واحـترام لمسجد وروضة النبيّ ﷺ والكعبة المشرّفة، ولم يكن مؤمناً أبداً برسالة ونبوّة محمّـد بن عبد الله ﷺ ولولا ذلك لما تجاسر بتلك الوحشيّة والإسراف وهتك حرمة تلك المقدّسات الإسلامية. وبالتدقيق في تصرّفاته وتصرّفات أبيه، يتّضح جليّـاً أنّـه لم يكن ليستحي من ارتكاب ما ارتكب حتّى لو كان النبـيّ ﷺ عـلى قيـد الحيـاة إذا تمكّن وقدر على ذلك، ولم يتوانَ عن قتل رسول الله ﷺ سـائراً عـلى درب أسـلافه من بني أميّة في حرب بدر وأحد وخندق.

---

١. لمزيد الاطّلاع على واقعة الحرّة وختم أعناق المسلمين وتلك البيعة الخبيثة وهدم الكعبـة، راجـع: ابن قتيبة الدينوري، الإمامـة والسياسـة، ج١، ص٢٢٧-٢٤٣؛ الطـبري، تـاريخ، ج٤، ص٣٧٠؛ اليعقـوبي، تـاريخ، ج٢، ص٢٥٠-٢٥١؛ الـدينوري، الأخبـار الطـوال، ج١، ص٢٢٠-٢٣٧؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٦٩-٧١؛ سبط ابـن الجـوزي، تـذكرة الخـواصّ، ص٢٥٨-٢٦٠؛ ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٤، ص١١١؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٠٩؛ الحلبي، السيرة الحلبية، ج١، ص٢٦٧-٢٧٠.

ومضافاً إلى تجسيد يزيد الكفر عمليّاً، فقد كان يصرّح بلسانه وأشعاره بكفره وعدم إيمانه، وقد ورد أنّه لـمّا وضع رأس الحسين بن عليّ عليه السلام بين يديه، أخذ يضرب الرأس الشريف بعود خيزران وأنشد يقول:

يَا غُرَابَ الْبَيْنِ مَا شِئْتَ فَقُلْ ... إِنَّمَا تَنْدُبُ أَمْراً قَدْ حَصَلَ
لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرٍ شَهِدُوا ... جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسَلِ
فَأَهَلُّوا، وَاسْتَهَلُّوا فَرَحاً ... وَلَقَالُوا يَا يَزِيدُ لَا تَشَلْ
قَدْ قَتَلْنَا الْقَرْنَ مِنْ سَادَاتِهِمْ ... وَعَدَلْنَا قَتْلَ بَدْرٍ فَاعْتَدَلَ
لَعِبَتْ هَاشِمُ بِالْمُلْكِ فَلَا ... خَبَرٌ جَاءَ وَلَا وَحْيٌ نَزَلَ
لَسْتُ مِنْ خِنْدِفَ إِنْ لَمْ أَنْتَقِمْ ... مِنْ بَنِي أَحْمَدَ مَا كَانَ فَعَلَ[1]

يقول ابن عقيل: ومن الأدلّة على كفر وزندقة يزيد أشعاره المتضمّنة لمعاني الكفر وخبث السريرة ولؤم العنصر، ومن جملتها:

عُلَيَّةُ هَاتِي وَاعْلِنِي وَتَرَنَّمِي ... بِذَلِكَ إِنِّي لَا أُحِبُّ التَّنَاجِيَا
حَدِيثَ أَبِي سُفْيَانَ قِدْماً سُمي بِهَا ... إِلَى أَحَدٍ حَتَّى أَقَامَ الْبَوَاكِيَا

---

١. المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص١٢؛ الشبرواي، الإتحاف بحبّ الأشراف، ص٥٦-٥٧؛ بنت الشاطي، السيّدة زينب، ص١٤١؛ الشرباصي، حفيدة الرسول، ص٥٨.

أَلَا هَاتِ فَاسْقِينِي عَلَى ذَاكَ قَهْوَةً | تُخَيِّرُهَا الْعَنْسِيَّ كَرْماً شَآمِيَا
إِذَا مَا نَظَرْنَا فِي أُمُورٍ قَدِيمَةٍ | وَجَدْنَا حَلَالاً شُرْبَهَا مُتَوَالِيَا
وَإِنْ مِتُّ يَا أُمَّ الْأُحَيْمِرِ فَانْكِحِي | وَلَا تَأْمَلِي بَعْدَ الْفِرَاقِ تَلَاقِيَا
فَإِنَّ الَّذِي حُدِّثْتِ عَنْ يَوْمِ بَعْثِنَا | أَحَادِيثُ طَسْمٍ تَجْعَلُ الْقَلْبَ سَاهِيَاً
وَلَا بُدَّ لِي مِنْ أَنْ أَزُورَ مُحَمَّداً | بِمَشْمُولَةٍ صَفْرَاءَ تُرْوِي عِظَامِيَا

ومن جملة أشعاره أيضاً:

مَعْشَرَ النَّدْمَانِ قُومُوا | وَاسْمَعُوا صَوْتَ الْأَغَانِي
وَاشْرَبُوا كَأْسَ مُدَام | وَاتْرُكُوا ذِكْرَ الْمَعَانِي
أَشْغَلَتْنِي نَغْمَةُ الْعِي | دَانِ عَنْ صَوْتِ الْأَذَانِ
وَتَعَوَّضْتُ عَنِ الْحُورِ | عَجُوزاً فِي الدِّنَانِ[1]

ومن أشعاره الدالّة على كفره:

لَمَّا بَدَتْ تِلْكَ الْحُمُولُ وَأَشْرَقَتْ | تِلْكَ الشُّمُوسُ عَلَى رُبَى جَيْرُونِ
نَعِبَ الْغُرَابُ فَقُلْتُ نُحْ أَوْلَا تَنُحْ | فَلَقَدْ قَضَيْتُ مِنَ الْغَرِيمِ دُيُونِي[2]

---

١. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢٦١.

٢. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢٣٥.

الحالة الاجتماعية في عصر يزيد

يعتقد محقّقو علم التاريخ والاجتماع أنَّ الانحطاط الاجتماعي والأخلاقي للمسلمين تسارع منذ عهد عثمان بن عفّان وتسلّط بني أُميّة على رقاب المسلمين.

وفي عصر معاوية وبعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام كان انحدار المجتمع الإسلاميّ سريعاً جدّاً، فظهر التفاوت العجيب بين حالة المجتمع وقتذاك وحالته زمن النبيّ صلى الله عليه وآله وخلافة أمير المؤمنين، فالمبادئ الفكرية انحرفت، والأخلاق تغيّرت، والعادات والسلوك الاجتماعي تبدَّلت، ودبَّ الفساد الإداريّ في مرافئ الدولة، وعادت مظاهر حكومات إيران والروم الّتي كسحتها المفاهيم الإسلامية والقيم السماوية، وبدئ تأويل الشريعة والقرآن والأحكام، بما ينسجم مع الميول والرغبات الشخصيّة، وبدئ التفتيش في عقائد الناس والتجسّس على معتقداتهم ومحاربة المعتقدات الّتي تخالف منهج بني أُميّة في الحكم، وابتدئ تطبيق منهج جديد في تربية الناس على الخنوع والخضوع والاستسلام للظلم والسكوت عن الحقّ والتملّق والتزلّف للولاة والجباة والظلمة، وإشاعة فكرة أحقيَّة معاوية واستخلافه وسعة صلاحياته.

وأمّا في الأُمور الّتي ينبغي الرجوع فيها إلى آراء عامّة الناس (كالبيعة) فلم يكن غير رأى الحاكم وإرادته محترماً، وكانت الآراء تؤخذ تحت بريق السيف

ولمعان رأس السنان وصليل الحراب، وبما يتناسب مع ميول بني أُميّة، وكانت الاستفتاءات الّتي يعبَّر عنها في ذلك الوقت بالشورى!! مجرَّد مسرحيّات سافرة.

فلقد كان معاوية يرتقي المنبر في مجمع كبير مثل مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله حيث يجتمع المخالفون لولاية عهد يزيد، ويعلن بكلّ وقاحة وصلافة، أنَّ المسلمين أجمعوا على انتخاب يزيد وبيعته، وأنَّ أهل الحلِّ والعقد هم الّذين رشَّحوا يزيد لولاية العهد!! والحال، إنَّ الجلّادين والقتلة يصطفّون تحت منبره لقمع وكتم أنفاس أيِّ معترض مهما علا شأنُه.

فرجال الإسلام الّذين جاهدوا لمرضاةِ الله واستقبلوا الموت في سبيله بافتخار، وقطعوا طمعهم عن الدنيا وملذّاتها وقنعوا ببساطة العيش الكريم، وذابوا في حبِّ العدالة الاجتماعية، ولم تأخذهم في الله لومة حاكم أو جائر وظالم، وكانوا كأبي ذرّ الغفاريّ ـ رضوان الله تعالى عليه ـ جادّين من أجل تعاليم القرآن والمطالبة بتطبيق أحكام الشرع المبين، هؤلاء تخلّوا عن مواقعهم لأنُاسٍ انكبّوا على الدنيا وزينتها وأموالها، وأعمت بصائرها الشهوات والملذّات وطيب العيش والقصور والموائد اللذيذة، وأضعف قواهم الأخلاقية حبُّ الدنيا، فقبلوا الذلّة والاستكانة والخنوع طمعاً في الدراهم المعدودة الّتي يستلمونها من بيت المال، وأطاعوا الفرامين الجائرة وسكتوا عن الحقّ وتخلّوا عن الغيرة والرجولة والعزِّ والشرف والكرامة والإنسانيّة.

ولم يعُد هناك من يأتمر بأوامر رئيسه إذا ما دعاه إلى العمل بالقانون، ولم يَعُد هناك من يتمرّد على أوامر رئيسه إذا ما دعاه إلى مخالفة القانون، فلقد باع الجميع أنفسهم بالجوائز والهبات الحقيرة، فصاروا عبيداً لمعاوية ويزيد وزياد وشمر والآخرين من نظائرهم المتردّية والنطيحة، فلم يَعُد للقوانين معنى إلّا تلك الّتي تصدر عن بني أُميّة.

وإن وُجد من يتمنّع من إجراء القوانين الظالمة - كوالي خراسان-[1] فإنّهم يتعرّضون للتصفية الجسدية ويُبعدون عن ساحة الأحداث.

ولم يَعُد مهمّاً للمسلمين أيّهما يحكم، يزيد ومعاوية أم الحسين وعليّ عليهما السلام، فإنّ المهمّ عندهم هو مصالحهم الشخصيّة الّتي تتحقّق لهم في حكومة بني أُميّة فوالَوْا حكومة بني أُميّة.

كان الخمول والركود والخنوع والسكوت والخوف قد عمَّ كلّ نواحي الحياة الاجتماعية، وتُرك الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر، وكانت أجهزة السلطة الأُمويّة تمنع منهما.

ولم يعد للخطباء دور إلّا التمجيد والدعاء والثناء للولاة ولمعاوية ويزيد، ولعن وذمٍّ الأخيار والصلحاء وأولياء الله. وقد أخذ الفقر والفاقة مأخذهما من الناس، وصرفت أموال بيت المال في البذخ والحفلات الماجنة والجوائز والهبات والعطايا والصلات لغير مستحقّيها، بدلاً من صرفها في مصالح المسلمين والتوسعة عليهم وتطوير اقتصاد الدولة الإسلاميّة وإعمارها، فاستشرت تجارة الغلمان والجواري ومجالس اللهو والطرب والخمر والقمار والرقص.

---

١. العقّاد، معاوية بن أبي سفيان في الميزان، ص١٨٩.

وقد انحدر مستوى الثقافة والعلم والفكر والتديُّن والإيمان حتّى وصل إلى أدنى مستوياته وضعُفت الإرادة الاجتماعية والعزم الوطنيّ الإسلاميّ إلى درجة أنّ أحداً لا يمكنُه الاعتراض على موظّفٍ صغيرٍ في جهاز الحكم على مخالفاته القانونية.

ووصل القمع الفكري والديني إلى حدّ لم يبق معه من الإسلام إلّا اسمه ومن القرآن إلّا رسمه، وتفشّى التلاعب بالأحكام والقوانين الإسلامية، وانحصرت الملاكات وموازين الأُمور في إرادة الحاكم ومزاج جهاز الحكم.

وسقطت إسلامية القوانين عن الاعتبار، وعمّ القمع إلى درجة أنّ معاوية نفسه يمنع عبد الله بن عبّاس وهو من كبار الصحابة والمعروف بحَبر الأُمّة، من تفسير القرآن وبيان الحقائق، ومُنع تداول أحاديث أهل البيت ونقلها، وكان البحث العلميّ والتفسير والحديث، وبيان أحكام الحلال والحرام، تحت مراقبة أجهزة السلطة الأُمويّة وعيون بني أُميّة.

والحاصل، وكما قال الإمام الحسين عليه السلام: «لقد أماتوا السنّة وأحْيَوا البدعة، والحقّ لا يُعمل به، والباطل لا يتناهى عنه».[١]

وأوضح دليل على ما قلناه هو تخاذل الناس عن نصرة الإمام الحسين عليه السلام، أُولئك الّذين كانوا يتمتّعون بالقدرة القتالية والتسليحية والرغبة في الخلاص من حكم بني أُميّة في وجدانهم، والّذين كتبوا إلى الإمام الحسين عليه السلام أن أقدِم إلينا فقد أينعت الثمار

---

١. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص٣٣٥؛ الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٦٦.

واخضرَّ الجناب... إلخ وبايعوا سفيره مسلم بن عقيل على إقامة العدل ومحاربة الظلم والجور والكفر، وإحياء الدين والشرع الحنيف، ولكن وبمجرّد أن جاء عبيد الله بن زياد وخوَّفهم بجيش وهمّي ورغَّبهم بالمناصب وطمّعهم بالأموال والمنال، باعوا دينهم بدنيا غيرهم ونكثوا بيعتهم، بل وانضمّوا إلى صفوف المحاربين لإمامهم وتركوه لدى الهياج وحيداً حتّى قُتِلَ هو وأهلُ بيته وأصحابه البررة، وأُسِرَتْ نساؤه وأطفاله وجيء بهم إلى الكوفة أمام أعين أُولئك الّذين كاتبوه وبايعوه وعاهدوه على التضحية من أجله وأجل أهل بيت الرسالة!! فأيُّ دليل على انحطاط المجتمع فكريّاً وعقائديّاً وأخلاقيّاً أوضح من هذا التخاذل؟؟

ولقد ذكّرنا سابقاً بهذا التدنّي الأخلاقي وقلنا: إنَّ جيش الكوفة كان جيشاً حاربت يداه ورجلاه ولسانُه، وجدانَهُ وفكرَه وروحَه، وكما وصفهم الفرزدق:

«قُلُوبُهُمْ مَعَكَ وَسُيُوفُهُمْ عَلَيْكَ!».

إنَّ الّذي جاء بعمر بن سعد وشبث بن ربعي وعمرو بن الحجّاج وحجّار بن أبجر والآخرين إلى كربلاء، لم يكن إلّا حبُّ الدنيا والخوف من خسارة المال والمنصب، لا عدم القناعة بالواقع المرِّ.

تأمّلوا في أجوبة عمر بن سعد للإمام الحسين عليه السلام فيما طلب منه أنْ يلتحق به ويترك بني أُميّة، لم يقل عمر بن سعد: إنَّ الحقّ مع بني أُميّة، ولم يقل: إنَّ الحسين على باطل أو إنَّ حركته ليست إصلاحيّة، لكنّه قال: أخاف أنْ يخرّب داري!

فقال له الإمام عليه السلام: **أُعوّضك بخير منها.**

فقال: **أخاف أن يصادر ضيعتي.**

قال الحسين عليه السلام: **أنا أُعوّضك بضيعة لي في الحجاز.**

قال: **أخاف على أهلي يقتلهم ابن زياد.**

فأنت ترى أنّ كلّ أعذار عمر بن سعد ناجمة عن خوفه وعن طمعه بالدنيا والمال، وكان دافعه الأوّل والأهمّ هو ملك الريّ، وهكذا حال الأكثر من أُولئك الّذين حاربوا الحسين عليه السلام فلقد كانت روح اليأس والخوف والانحطاط الفكريّ والتدنّي الخُلقي والطمع في الدنيا وزينتها الزائلة، فكانت الأُمّة في سُبات وخمول وخنوع وجُبن، وفقدان إرادة وعزيمة.

وكيف يُرتجى غير ذلك من أُمّة يتسلّط عليها أمثال معاوية ويزيد ومسلم بن عقبة وزياد والمغيرة وعمرو بن العاص والحصين بن نمير وعبيد الله بن زياد؟

كيف يرتجى منهم غير الدناءة والرذالة والخسّة والفساد ودنوّ الهمّة والضعة والسفالة؟

ومثل هذه الأُمّة، لا يُتوقّع منها أن تقف إلى جنب المصلحين والرساليّين وأولياء الله، ولا يرتجى منها الفداء والتضحية من أجل المبادئ والمثل السامية، وإنّ مثل هذه الأُمّة الميّتة تحتاج إلى حركة إصلاحيّة قويّة كحركة الإمام الحسين عليه السلام تهزُّ ضميرها وتوقظها من سبات الخنوع والذلّ.

البحث الثالث

دواعي ثورة الحسين عليه السلام

دواعي الثورة[1]

١. امتثال التكليف الإلهي

قد يكون المحرّك والدافع لثورة ونهضةٍ ما هو المنافع المادّية والأُمور الدنيويّة والأغراض الشخصيّة، وبعبارةٍ، هوى النفس وطلب الشهرة والمقام.

---

١. لا يخفى عدم وجوب معرفة علل وأسرار أفعال النبيّ والأئمّة ولا معرفة الحكمة والمصالح الكامنة في ما يقوم به، وذلك لا يوجب خللاً في مقام النبوّة والإمامة، بعد أن ثبت عصمتهم ووجود الملاكات في ما يقولون أو يفعلون أو يتركون ويحرّمون، نظير مجهولية كثير من مصالح الخلقة في عالم التكوين لدى البشر، ولا يجيز ذلك إنكارها وإنكار حكمة خالق الكون، ويعود ذلك إلى محدودية تعقّلات الكائن البشريّ وضيق قطر دائرة إدراكه لأسرار عالم التكوين. وكذا الحال في عالم التشريع ومنهج الأنبياء والأولياء، فإذا لم يبيِّنْ نفسُ الأنبياء والأولياء المصالح والملاكات في أفعالهم، فإنّها ستبقى خافيةً على الذهن البشريّ العامّ، ومثال ذلك ما ورد في قصّة النبيّ موسى والخضر. فنحن عاجزون عن إدراك علل أفعال الإمام الحسين وبحثها والتحقيق فيها. وعليه فما سنقوله في هذا القسم من الكتاب في دواعي نهضة الحسين لا يُعدُّ توجيهاً وتصويباً لثورته الشريفة، إذ أنّنا نعتقد أنّ كلّ ما يقوم به الإمام ومن جملة ذلك حركته في كربلاء، هي عين الصواب والحقّ، كما أنّنا لا ندّعي الإحاطة بكلّ حِكَم ومصالح هذه الثورة المقدّسة، إذ يسع مياه البحر إلّا البحر نفسُه، وإنّما غرضنا من هذه البحث هو توضيح بعض الأفكار وتقوية مباني الأخلاق والإيمان عند طبقة الشباب من المجتمع.

وقد يكون الدافع مقدّساً كحبِّ الخير والفضيلة والإصلاح وامتثال التكليف الإلهيّ والوظيفة الشرعية.

ومن الضروريّ، أنَّ الدوافع المادّية الشخصيّة تجرّد العمل عن قدسيّته وممدوحيته وسُموِّه، ويكون أقرب للغرائز والميول الحيوانية، بحثاً عن العلف والطعام، وأكثر الناس لا تسمو أهدافهم وأغراضهم عن الرغبات الحيوانية.

أجل، إنَّ هؤلاء الناس، إذا ما سعوا للحصول على المنافع المشروعة حتّى المادّية منها، ولم يخونوا الآخرين ولم يظلموا حقوقهم ولم يُعمِهم الطمع والجشع، وكانوا مراعين للآداب الشرعية والأخلاقية، حينئذٍ لا يمكن ملامتهم وذمُّهم، بل يقال عن مثل هؤلاء: إنّهم اجتازوا عالم الحيوانية ووضعوا أوّل قدم في عالم الإنسانيّة المقدّس، وسوف يثابون على أعمالهم، فهم مصداق قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾.[1]

وأمّا إذا حاولوا الوصول إلى مرادهم وأغراضهم عن طريق هضم حقوق الآخرين وبالطرق اللامشروعة، استحقّوا الذمَّ والملامة، بل والمحاسبة والمعاقبة، وصاروا في عداد الطغاة والظالمين والسارقين والمرابين والقتلة والفسّاق و... نظائرهم.

---

١. البقرة، ٢٠١.

ولذا، فإنّ أكثر أخيار المجتمع هم أُولئك الّذين يتوسّلون بالطرق المشروعة لتحصيل أغراضهم المادّية الشخصيّة، كما أنَّ أكثر روّاد الطرق الملتوية المنحرفة عن الشرع، هم أُولئك الّذين يحاولون إشباع حاجاتهم بأيّ وسيلة حتّى لو كانت محرّمة، فالحرام والحلال مترادفان في قاموسهم، وليس للطمع والجشع عندهم حدٌّ أدنى أو أقصى.

ومتى ما كان المحرّك، حبُّ الخير وامتثال التكليف الإلهيّ، والخلوص لله، وخدمة الإنسانيّة، كان العمل منتسباً إلى الإنسانيّة والكمال، وتبعاً لذلك يستحقّ فاعله المدح والثناء والتشويق، والمحبوبية عند الناس لحسن ذلك العمل عقلاً وبالذات.

ولعلَّ من أبرز ما أكَّد عليه الأنبياء في منهجهم التربويّ، هو إيصال الناس إلى الكمال بحبِّ الخير وإشاعة المحبّة والعلم والعدالة وهداية المجتمع وسوقه نحو هذا المحور المقدّس، لتتمركز المصالح والأغراض في نقطة واحدة ومركز متوحّد، فيكون سير البشرية أجمع نحو ذلك المركز ويتحقّق الكمال الاجتماعيّ البشريّ العامّ.

وما ذكر، ليس إلّا إشارةً إلى هذا البحث العميق، وتفصيل الكلام فيه يوجب الإطالة ويُبعدنا عن المقصد من هذا الكتاب.

وهناك صنفٌ من البشر، يسمو محرّكهم وتترقّى دواعي أفعالهم على كلّ هذه العوامل وتتفاضل على كلّ تلك المقاصد، فهؤلاء هم عباد الله الحقيقيّين،

والخواصّ من أوليائـه، فـلا يعنـيهم مـا سـوى العبوديـة لله والطاعـة لأوامـره والامتثال لأحكامه.

فلا تستند حركاتهم وسكناتهم إلّا إلى معرفتهم باستحقاق الله لهـم، فليسـت لمصلحة المأمور بـه ولا مفسـدة المنهـيّ عنـه، يعبـدون، ولا للفائـدة والملاكـات يمتثلون. فإنّ ذلك في قاموسهم تجاوز على الحدود وفضولية وجرأة عـلى المـولى، بل لأنّهم وجدوا الله أهلاً للامتثال فامتثلوه، فالمؤثّر الوحيد والمحرّك الفريد لهـم والمتصرّف الكامل بهم وبأُموراتهم هو الله والداعي إلى نهضتهم وثورتهم وسـكوتهم هو الأمر الإلهيّ، أُولئك الّذين صدق في حقّهم:

﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ* لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾.[١]

وكلّما علت وخلُصت مرتبة توحيدهم، كمـل تسـليمهم ونيّـاتهم مـن جهـة الامتثـال، حتّـى يصـلوا إلى مرحلـة فنـاء مقاصـدهم ومطـالبهم ورغبـاتهم في المطلـوب الحقيقـيّ والمقصـود بالـذات ومنتهـى الآمـال، وتمحـى مـن صـفحة وجودهم إنّيّاتهم وآمالهم الشخصـيّة. فالتوحيـد وإيمانهـم الخـالص والمنـزّه مـن الشوائب، يسوقهم نحو الله لا غير، وكما ورد في كلمات أبي عبد الله الحسين عليه السلام في دعائه يوم عرفة:

---

١. الأنبياء، ٢٦-٢٧.

«أَنْتَ الَّذِي أَزَلْتَ الْأَغْيَارَ عَنْ قُلُوبِ أَحِبَّائِكَ حَتَّى لَمْ يُحِبُّوا سِوَاكَ وَلَمْ يَلْجَؤُوا إِلَى غَيْرِكَ».[١]

إذن، فعِلل ودواعي حركتهم ليست إلّا الأمر الإلهيّ وحبُّ الله ورضاه، ولذا يقولون:

«اَللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يُوصِلُنِي إِلَى قُرْبِكَ».

وشعارُهم وذكرهم:

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ، وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَاللهُ أَكْبَرُ».

طاعتهم أسمى من طاعة الطمع بالحور وقصور الجنّة والثواب، وأعلى من طاعة الخوف من النار والعذاب والعقاب يوم النشور، وإنّما طاعتهم ممحّضة وخالصة من كلّ نفع إلّا القرب من الله بامتثال أمره، وكلّ ما سوى ذلك ذنبٌ عندهم.

ولقد كان الأنبياء والأئمّة الطاهرون وهم الأدلّة على التوحيد الخالص، والسابقون في قافلة الموحّدين وعباد الله المخلصين، هم خيرة هؤلاء المكرمين، وسادة الخلق أجمعين.

فمطالعة تاريخ سيرة هؤلاء هي أسمى درس تتعلّمه الإنسانيّة.

يقول إبراهيم الخليل:

---

١. المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٥، ص٢٢٦.

﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.[١]

ويقول:

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٢]

وكان خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله يقول:

«إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ».[٣]

ولقد كان أمير المؤمنين وأولاده المعصومون من بعد النبيّ النموذج الأعلى للتوجّه الخالص للمبدأ وفي التوحيد.

فعليٌّ هو الّذي وصفه النبيّ صلى الله عليه وآله بأنّ السماوات والأرض لو وضعت في كفَّة ميزان، ووضع إيمان عليّ في الكفّة الأُخرى لرجح إيمان عليّ عليه السلام.[٤]

---

١. الصافات، ٩٩.

٢. الأنعام، ٧٩.

٣. مستلهم من الآيات ١٦٢- ١٦٣. من الأنعام ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ...﴾.

٤. المغربي، شرح الأخبار، ج٢، ص٣٢٢؛ الطوسي، الأمالي، ص٢٣٨، ٥٧٥-٥٧٦؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص١٩١؛ ابن البطريق، عمدة عيون صحاح الأخبار، ص٣٧٠؛ الطبري، ذخائر العقبى، ص١٠٠؛ المحدّث النوري، مستدرك الوسائل، ج١٥، ص٣٣٨-٣٣٩.

فطلب الحقّ والعدل والعبودية لله والزهد والتقوى والشجاعة والصراحة وكلّ الصفات الإنسانيّة السامية، قد تجسّدت في عليّ وآله عليهم السلام ولقد كان عليه السلام ثمرة شجرة التوحيد وعبادة الله والتسليم الخالص للمبدأ عزّ وجلّ، وكان إذا خُيِّرَ بين أمرين اختار أشدّهما عليه وأرضاهما لربِّه.

ومن أوضح مظاهر الخلوص والطهارة، وتجلّيات الحقيقة وطلب الحقّ في أهل هذا البيت، ثورة الحسين عليه السلام ضدّ يزيد وحكومة بني أُميّة، فكانت ثورةً إلهيةً خالصةً ونهضةً دينيةً صادقةً.

فالحسين عليه السلام في ثورته لم يكن طالبَ حكمٍ وسلطان ومقام دنيويّ، ولا طامعاً في نفوذ ومالٍ وثروة، وإنّما امتنع عن بيعة يزيد، طاعةً لله تعالى، وترك الحرمين الشريفين مهاجراً إلى العراق امتثالاً لأمر الله عزّ وجلّ، وجاهد في الله لله، ولم يدْعُهُ إلى تلك الحركة إلّا أمر الله وأداء التكليف.

ولذا، فإنّ أفضل ما يمكن التعبير به عن علل ثورته عليه السلام، هو الأمر الإلهيّ، وهذه حقيقة يؤيّدها التاريخ والدين وسيرة الحسين عليه السلام.

فالتاريخ شاهدٌ على أنّ أوضح دليل على خالص نيّة الحسين عليه السلام، وعظيم إثرته ومحض تسليمه لأمر الله، هو تضحيةُ الحسين عليه السلام وفداؤه.

وأيُّ دليل وشاهد على طهارة النيّة وصفائها، وشفّافيّة الباطن، والتوحيد الخالص، أفضل من عزم الإنسان على ملاقاة الحتوف في سبيل الله، واستقبال

المصائب والبلايا في رضا الله، وافتجاعه بفقد أعزِّ أولاده وإخوته وأصحابه، وأسرِ أطفاله ونسائه، وآهات وأنّات العطاشى والثكالى؟

ومن ثمَّ، فمشتبهٌ تماماً من يتخيّل أنَّ المصالح السياسية والمنافع المادّية الشخصيّة أو الصراعات القبيلية العشائرية والعائلية، كان لها أدنى مدخلية في ثورة الحسين عليه السلام، فضلاً عن تصوّر كونها العلل الأهمّ في ذلك، فإنّ الحسين عليه السلام هو وليّ الله الكامل، والعبد الّذي عرف معنى العبودية الخالصة لله، واندكَّ مرادُه في إرادة الله، فلم يَعُد لما تريدُه نفسه أيّ معنى في قبال إرادة ربِّه.

لقد كان الحسين عليه السلام على يقين علميّ وعمليّ بأنّ الله رقيبُه وحافظُه، وكان الحسين عليه السلام يرى الله بعين المعرفة وبصيرة الإيمان، ولذا كان كلامه وخطابه:

«عَمِيَتْ عَيْنٌ لَا تَرَاكَ عَلَيْهَا رَقِيباً، وَخَسِرَتْ صَفْقَةُ عَبْدٍ لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصِيباً».[١]

وأدعية الحسين عليه السلام يوم عرفة ويوم عاشوراء وغيرها ترشدنا إلى رفيع أحاسيسه الروحانية، وذوقه ودركه الوجداني اللطيف، وإلى تجلّي عميق ارتباطه بالله، ومن حمل مثل هذه المعرفة بالله، وهذه المرتبة العالية من الإخلاص، محالٌ أن يخطو خطوةً في غير رضا الله تعالى وامتثال أمره.

---

١. المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٥، ص٢٢٦.

كما أنّ كلّ الروايات والأحاديث الواردة في سيرة الحسين عليه السلام وسماته وصفاته وأخلاقه، تدلّ على محض الامتثال، كما أنّها واضحة في أنّ النصر العسكريّ الظاهريّ، لم يكن منظوراً أبداً للحسين عليه السلام، ولم يكن في حسبانه تحقيق المكاسب السياسية والزعامة والسلطة، بل كانت حركته إصلاحيّةً محضةً، كما كانت حركة جدِّه رسول الله صلى الله عليه وآله ودعوته، دعوةً ونهضةً إلهيّةً سماويّةً لهداية البشرية، ولم تهدف يوماً مّا تحقيق مآرب سلطويّة فئويّة، ونيل مكاسب دنيوية عابرة، فالملاك كلّ المِلاك في الحركتين هو امتثال أمر الله، ومن هنا كانت حركة الحسين عليه السلام امتداداً لدعوة النبيّ صلى الله عليه وآله ومكمّلةً لها:

إِنْ كَانَ دِينُ مُحَمَّدٍ لَمْ يَسْتَقِمْ
إِلَّا بِقَتْلِي يَا سُيُوفُ خُذِينِي

فمهما قيل في تفسير ثورة الحسين عليه السلام، وأيّ تعبير استعمل لترجمتها وسواءٌ قيل: إنّها امتحان وابتلاء إلهيّ، أو إنّها حركة لتحقيق أهداف الأنبياء والأولياء، أو إنّها محاولة لتأسيس أو تجديد الحكومة الإسلامية العادلة، أو إنّها مأموريّة وتعهّدٌ التزمه الحسين عليه السلام على نفسه من عوالم الغيب، أو إنّها مشاهد لتجلّي أعلى مراتب الخلوص لله عند البشر، والدفاع عن الحقّ والعدل والدين، أو إنّها أبرز تجلّيات الصبر والصمود والعزّة والإباء والفداء وكمال الروح والنفس، ومهما فسَّرَ العارف والفيلسوف والمورّخ والمحدّث والشاعر، ومهما قيل في عظمة هذه الثورة

المقدّسة، فالكلّ ينتهي إلى معنًى واحد، وهو أنَّ ما قام به الحسين عليه السلام ليس إلّا مأموريّة إلهيّة متميِّزةً، ورمزاً غيبيّاً وسرّاً سماوياً، وأنّ الّذي دعا الحسين عليه السلام إلى تحمّل كلّ تلك الرزايا والبلايا هو الأمر الإلهيّ وحسب.

وقد جرت العادة في الثورات والحركات السياسية أنْ يتشبّث قادتها بشتّى الوسائل والطرق -حتّى المحرّمة والقبيحة- لتحقيق مآربهم وتحشيد القوى والطاقات وتجميع الأسلحة والمعدّات الضرورية لحركاتهم.

وحتّى قادة الحركات النزيهة والشريفة فإنّ لهم بعض الثوابت الّتي تعدُّ ضروريةً ولازمةً لنجاح حركاتهم وكسب الأنصار والمؤيّدين، من قبيل إشاعة روح النصر فيهم وعدم إخبارهم باحتمال الهزيمة والانكسار، أو القتل والشهادة، أو الأسر، فضلاً عن أسر النساء وقتل الأطفال ونزول البلايا والمصائب بهم.

كما أنّ هؤلاء يختارون الأماكن الآمنة لهم ولأتباعهم وخاصّةً تلك الأماكن المقدّسة المحترمة عند الجميع والّتي يضطرّ العدوّ إلى عدم مهاجمتها لعلمه المسبق بالعواقب الوخيمة لهذا العمل.

وأمّا لو كان العكس، فأخبر القائد قوّاته بالمصير المأساويّ الّذي ينتظرهم وأنّهم مقتولون لامحالة، وأنّ عوائلهم ستسبى، وأنّ أموالهم ستنهب، وأنّ أطفالهم ستقتل، وأنّ رؤوسهم ستقطع، وخيَّرهم بالانصراف، وأذن لهم

بالرحيل عنه، وترك المكان الآمن واختار صحراء قاحلةً بعيدة عن الأعلام، ودعاهم إلى استقبال الموت والشهادة، وكان هو في مقدّمة الفدائيّين المستميتين والمضحّين بكلّ غالٍ ونفيس حتّى الرضَّع من أولاده، فمثل هذا القائد لا يمكن اتّهامه بطلب الرئاسة والزعامة والمال والنفوذ، بل سينظر الناس إليه على أنّ ثورته ثورة صادقة مبدئيّة، ومثل هذا القائد لا يجتمع إليه أهل الطمع والمرتزقة وطلّاب الدنيا والمال والمقام الّذين ينخرطون مع كلّ حركة وثورة من أجل المكاسب والغنائم.

والآن تعالوا معنا لقراءة ثورة الحسين عليه السلام من هذا المنظار:

ألف: التنبّؤ بالقتل

لقد جاء في روايات متواترة لفظاً ومعنًى أنّ الرسول الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله أخبر باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام وهذه الروايات ضبطت في أصحّ كتب التاريخ والحديث، وقد نقل هذه الأخبار صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله وزوجاته مباشرةً أو بوسائط.

وعندما عزم الحسين عليه السلام على ترك المدينة إلى مكّة، وكذلك عندما أراد الخروج من مكّة إلى العراق، جاءه كثير من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وكبار رجالات الإسلام والشخصيّات المعروفة عند عامّة المسلمين وحاولوا إقناعه بعدم الخروج وحذَّروه من القتل في العراق، مندفعين من أمرين:

الأوّل: علمُهم ويقينهم باستشهاد الحسين عليه السلام في هذا الخروج لما بلغهم من كلام الرسول صلى الله عليه وآله وما سمعوه عنه مباشرةً وإخباراته المتكرّرة بقتله عليه السلام.

الثاني: بملاحظة الأوضاع السياسية القائمة آنذاك واستيلاء بني أُميّة ببطشهم وطغيانهم، وظلمهم الّذي عمَّ كلّ أنحاء البلاد الإسلامية وخنوع الأُمّة الإسلامية وسكوتها عن الحقّ. فقد عاش هؤلاء فشل أهل الكوفة زمن أمير المؤمنين والإمام الحسن عليه السلام في الدفاع عن الإمامة والحقّ، فكان مصير الحسين عليه السلام واضحاً وأنّه يسير نحو الشهادة والقتل، وأنّ احتمال نجاح حركته ضعيف جدّاً.

فلو كان احتمال انتصار الإمام الحسين عليه السلام عسكرياً قائماً بنسبة ٥٠٪ أو ٢٠٪ لتبعه كثيرٌ من الناس المؤمنين به والمحبّين لآل بيت الرسول صلى الله عليه وآله ولما تخلّى عنه أمثال عبيد الله بن الحرّ الجعفي، ولكن ولأنّ أمثال هؤلاء كانوا من طلّاب الزعامة والسياسيّين الّذين يعتمدون على الحسابات السياسية، فكانوا يعرفون بنتيجة هذه الثورة، ولم يكونوا كزهير بن القين الّذي تخلّى عن كلّ أمواله وحياته في سبيل الله ونصرة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، كما أنّ هؤلاء لم يسمح لهم وجدانهم وضمائرهم الّتي كانت لا تزال تذكّر صوراً رائعة من حياة آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله إلى الاصطفاف في صفّ بني أُميّة لقتال ابن فاطمة الزهراء، فبقوا على الحياد وحُرموا سعادة الشهادة ونصرة إمامهم.

فلم يعُد المسلمون، مسلمي زمن النبيّ صلى الله عليه وآله، فلقد أثَّرت فيهم وغيّرتهم المظاهر الدنيوية الخلّابة، وخدعتهم حلاوة الملك والسلطة والزعامة، وذاقوا طعم الثروة الطائلة والأملاك والغلّات والغلمان والجواري، فازداد تعلّقهم بالدنيا وقلَّ نصيبهم من الإيمان.

فلا معروف يؤمر به، ولا منكر يُنهى عنه، ولا زهد ولا تقوى فضلاً عن الفداء والتضحية في طريق الحقّ، ولقد أعمى حبُّ الدنيا أبصارَهم، وأصمَّ آذانَهم، وسوّد قلوبَهم.

وأمّا أُولئك الّذين كانوا على سدَّة الحكم، فأمرهم واضحٌ جليٌّ، فلقد مضوا أعمارهم باللعب بالقردة والكلاب والقمار والشراب والرقص والمجون والطرب واللهو، وتقسيم أموال بيت مال المسلمين إلى حاشيتهم وأقربائهم، واشتروا ضمائر قادة المؤسّسات الحكومية بالأموال وإشباع الشهوات، ومسخوا شخصيّاتهم فلم يَعُد للغيرة والشرف والدين وجود في قاموسهم.

ومن لم يكن مع بني أُميّة، فأقلُّ ما يتحمّله من عقاب هو قطع عطائه وحرمانه من أبسط حقوقه الاجتماعيّة.

وفي مثل هذه التركيبة الاجتماعية والسياسية المضطربة، لا يمكن توقّع احتمال اندلاع ثورة على الحكم الأُمويّ، ولا يمكن توقّع اجتماع الناس حول قائد دينيّ وزعيم وطنيّ يحاول الإصلاح.

ومن هنا، وجدنا هؤلاء الناس كيف أداروا ظهورهم لنهضة الحسين عليه السلام ولم يلتحقوا بركب الشهادة والسعادة ورضوا بالدنيّ من الدنيا وتركوا الحسين عليه السلام وحيداً في مواجهة الباطل.[١]

---

١. الإنصاف أنّ أهل الكوفة لم يكونوا الوحيدين في الإقبال على الدنيا والإدبار عن الحقّ، فلا ينبغي أن نحصر اللوم والتوبيخ بهم، فقد كان لهم نظائر على مرّ العصور كأُولئك الّذين تخلّوا عن نصرة قادة الأديان وزعماء الحركات الإصلاحيّة التغييرية المحقّة، مع فارق أنّ هؤلاء الزعماء لم يكن لهم ما كان للإمام الحسين عليه السلام من مقام وعظمة وسابقة، ولكن كان منهم من ثار على منهج الحسين عليه السلام وداعياً إلى مبادئه ومأساة المسلمين اليوم هو ابتلاؤهم بضعف الإرادة وسبات الضمير وتفرّقهم واختلافاتهم وحبّهم للدنيا وخوفهم من الموت. وكما ورد في الخبر عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «كيف بكم إذا تداعى عليكم الأُمَم كما تداعى الأكَلَةُ على القصاع؟ قالوا: أمِنْ قلّةٍ يومئذٍ يا رسول الله؟ قال: بل من كثرةٍ ولكنّكم غُثاء كغُثاء السيل قَد أوهَن قلوبكم حبُّ الدنيا وكراهيةُ الموت». الطيالسي، مسند، ص١٣٣؛ أحمد بن حنبل، مسند، ج٥، ص٢٧٨؛ أبو داوود السجستاني، سنن، ج٢، ص٣١٣؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٣، ص٣٣٠؛ المتّقي الهندي، كنز العمّال، ج١١، ص١٣٢.

ولا يخفى أنّ هذا الخبر ورد بلفظ آخر وهو: «كَيْفَ بِكُمْ إِذَا تَدَاعَى عَلَيْكُمْ بَنُو الْأَصْفَرِ» وعلى هذا التقدير يكون المراد من بني الأصفر هو بني أُميّة وبني مروان لأنّ أصل بني أُميّة من الروم أو على الأقلّ أنّ بني مروان من الروم كما ذكر ذلك العقّاد وآخرون، فهؤلاء يسعون إلى الهيمنة على المجتمع الإسلاميّ كلّه، مع أنّ عدد المسلمين كبير، إلّا أنّ حبَّ الدنيا والخوف من التضحية والإقدام، منعهم من الدفاع عن الإسلام، فخسروا حقوقهم المشروعة.

وكما أسلفنا فإنّ الناس كانوا يهوون الحسين عليه السلام ويحبّونه ومقتنعين بأفكاره وحركته، بل إنَّ بعضهم هو الّذي طلب منه القيام، ولكن كانت تنقصهم الشجاعة والإقدام والرشد الفكريّ والروحيّ والإيمانيّ، فلم يصلوا إلى مستوى حبيب بن مظاهر ومسلم والحرّ وزهير وعابس الّذين ضحّوا بالمناصب والميزات الاجتماعية والمالية من أجل الدين ونصرته والانتصار للحقّ والمظلومين.

وما أروع ما عبَّر به الفرزدق عن حالتهم تلك، عندما قال للحسين عليه السلام:

«**قُلُوبُهُمْ مَعَكَ، وَسُيُوفُهُمْ عَلَيْكَ**».[1]

فهذه الجملة تبيّن حقيقة محبّة الحسين عليه السلام في قلوب عامّة المسلمين كما أنّها تبيّن الهزال الروحيّ والفقر الفكريّ وضعف الإقدام والمسكنة الأخلاقية عندهم.

وقال له مجمع بن عبيد العامريّ: أمّا أشراف الناس فقد عظمت رشوتهم وملئت غرائرهم، فهم ألبٌ واحدٌ عليك، وأمّا سائر الناس بعدهم «**فَإِنَّ قُلُوبَهُمْ تَهْوَى إِلَيْكَ، وَسُيُوفَهُمْ غَداً مَشْهُورَةٌ عَلَيْكَ**».[2]

---

١. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٩٠؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢١٧.

٢. أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام، ص٨٨؛ الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٠٦؛ ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٤٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص١١٨؛ السماوي، ابصار العين، ص١٤٦؛ العقاد، أبو الشهداء، ص١٦٠.

والحاصل: أنَّ الصحابة وسائر الناس وبعض بني هاشم كانوا في خضمّ الحسابات السياسية، وأمّا أصحاب الحسين عليه السلام فكانوا سائرين إلى الشهادة عن علم ويقين وإصرار.

وقد نقل عن ابن عبّاس أنّه كان يقول: إنّ أهل البيت كانوا يعلمون بأنّ الحسين عليه السلام سيُقتل بالطفّ.[١]

وهاهم عبد الله بن عبّاس، عبد الله بن عمر، محمّد بن حنظلة وعبد الله بن جعفر الطيّار وغيرهم من كبار الصحابة يقترحون على الحسين عليه السلام أن لا يخرج؛ لعلمهم بما سمعوه من النبيّ صلى الله عليه وآله باستشهاد هذا الإمام المظلوم في كربلاء وأنّه نورُ الله في الأرض، والهادي للناس والأمل للمؤمنين.[٢]

والأكثر من هذا وذاك فإنّ الإمام نفسه كان على بصيرة تامّة من أمره، لما عرفه عن مصيره من جدِّه وأبيه، ولعلمه بأحوال الناس وأخلاقهم، فهو أعرف بهم من سائر الناس، ولذا كان عليه السلام يقول: «اَلنَّاسُ عَبِيدُ الدُّنْيَا، وَالدِّينُ لَعِقٌ عَلَى الْسِنَتِهِمْ، فَإِذَا مُحِّصُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدَّيَّانُونَ».[٣]

---

١. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج١، ص١٦٠، فصل ٨.

٢. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج١، ص١٦٠، فصل ٨.

٣. ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص٢٤٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٨٣؛ ج٧٥، ص١١٧؛ البحراني الأصفهاني، عوالم العلوم، ص٢٣٤.

ولذا نراه يقول لرجل من بني عكرمة عندما التقاه وحذّره المسير إلى الكوفة وأنّه لن يرِدَ إلّا على سيوف ورماح:

«يَا عَبْدَ اللهِ! إِنَّهُ لَيْسَ بِخَفِيٍّ عَلَيَّ الرَّأْيُ (مَا رَأَيْتَ)، وَلَكِنَّ اللهَ لَا يُغْلَبُ عَلَى أَمْرِهِ».[١]

ب: الإخبار باستشهاده

إنَّ من ضروريّات حنكة القائد الّذي يسعى لتغيير نظام حكمٍ مّا والسيطرة على زمام الدولة، أن يبثّ روح النصر في جنوده ويحارب العدوّ إعلاميّاً ونفسياً، ويشيع قوّة احتمال انتصاره وكسر عدوّه، ويرتجز الأشعار الحماسية ليقوّي عزائم أنصاره، ويبثَّ الرعب في قلوب أعدائه.

أمّا إن تجد قائداً يتحدّث لجيشه عن استشهاده وقتله وقتل أنصاره، ويصرّح أو يلمح بالمصير القاسي الّذي ينتظرهم، وهو الّذي يُضعف عزيمة الجيش إلّا من تحلّى منهم بالإيمان القويّ وروح الفداء من أجل المبادئ، فإنّ ذلك يدلُّ على أنّ مثل هذا القائد لم يتحرّك أو يُقاتل بدافع الملك والحكم والزعامة، فإنّه مضافاً إلى عدم استعداده المسبق للقتال، فهو لا يُبقي على الاستعدادات الموجودة أيضاً، وهذا المنطق لا يتلائم مع رجاء تحقيق الأغراض السياسية والملك ولابدّ أن يكون مثل هذا القائد يبحث عن أهداف أُخرى ولتحرّكه دواعٍ وراء تلك الدواعي الدنيوية الضيّقة.

---

١. الطبري، التاريخ، ج٤، ص٣٠١؛ المفيد، الإرشاد، ج٢، ص٧٦.

ولقد كان الإمام الحسين عليه السلام من الصنف الثاني، وكان يكرّر القول على الأسماع بأنّه مقتول، ولم يؤثر عنه أنّه وعد بخلع يزيدٍ، أو تغيير حكم بني أُميّة، أو التمكّن من السلطان وحكومة البلاد الإسلامية، مع أنّه ألقى الحجّة على الجميع بضرورة الاشتراك معه في نهضته، ونهاهم عن بيعة يزيد، وحرّضهم على الثورة ضدَّه، ولكنّه كان يعلم أنّ ذلك لن يتمّ، وأنّه سيبقى وحده مع تلك القلَّة المؤمنة من آله وصحبه، وأنّهم سيُقتلون بأجمعهم، ولذا فقد أعلن مراراً عن مصرعه، وكان أحياناً يجيب أُولئك الّذين كانوا يحاولون أن يثنوه عن الخروج قائلاً: «إنّي رأيت رؤيا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وأُمرتُ فيها بأمرٍ أنا ماضٍ له، عليّ كان أوْ بي»؛ فقيل له: فما تلك الرؤيا؟ قال: «ما حدَّثت أحداً بها، وما أنا محدِّث بها حتّى ألقى ربّي».[1]

ثمّ إنّ عبد الله بن عمر قال للحسين عليه السلام: اكشف لي عن موضع تقبيل رسول الله لك، فكشف له الحسين عن بطنه، فقبّلها ابن عمر ثلاث مرّات وبكى، وقال: أستودعك الله فإنّك مقتول في سفرك هذا.[2]

وروى ابن الأعثم الكوفي: أنّ الحسين عليه السلام خرج إلى قبر جدّه فصلّى ركعات، فلمّا فرغ من صلاته جعل يقول: اللَّهمَّ إنّ هذا قبر نبيّك محمّد صلى الله عليه وآله وأنا ابن بنت

١. الطبري، تاريخ، ج٤ ، ص٢٩٢؛ محمّد رضا، الحسن والحسين سبطا رسول الله، ص٩١- ٩٢.

٢. معتمد الدولة، القمقام الزخّار، ج١، ص٣٣٣.

نبيّك، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللَّهمَّ إنّي أُحِبُّ المعروف وأُنكر المنكر وإنّي أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحقّ هذا القبر ومن فيه إلّا اخترت لي من أمري ما هو لك رضا، ولرسولك رضا، وللمؤمنين رضا، ثمّ جعل يبكي عند القبر حتّى إذا كان قريباً من الصبح وضع رأسه على القبر فأُغفي، فإذا هو برسول الله قد أقبل في كتيبة من الملائكة عن يمينه وشماله وبين يديه ومن خلفه، فجاء حتّى ضمّ الحسين إلى صدره وقبّل بين عينيه، وقال: حبيبي يا حسين كأنّي أراك عن قريب مرمّلاً بدمائك، مذبوحاً بأرض كربلاء بين عصابة من أُمّتي، وأنت في ذلك عطشان لا تُسقى، وظمآن لا تُروى، وهم في ذلك يرجون شفاعتي، ما لهم لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة، وما لهم عند الله من خلاق. حبيبي يا حسين! إنّ أباك وأُمّك وأخاك قدموا عليّ وهم إليك مشتاقون، وإنّ لك في الجنّة لدرجات لن تنالها إلّا بالشهادة، قال: فجعل الحسين في منامه ينظر إلى جدّه محمّد صلى الله عليه وآله ويسمع كلامه ويقول له: يا جدّاه لا حاجة لي في الرجوع إلى الدنيا فخذني إليك، وأدخلني معك إلى قبرك، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: يا حسين! لابدّ لك من الرجوع إلى الدنيا حتّى ترزق الشهادة وما قد كتب الله لك من الثواب العظيم، فإنّك وأباك وأُمّك وأخاك وعمّك وعمّ أبيك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتّى تدخلوا الجنّة. قال: فانتبه الحسين من نومه فزعاً مرعوباً فقصّ

رؤياه على أهل بيته وبني عبد المطّلب فلم يكن في ذلك اليوم في شرق ولا غـرب أشدّ غمّاً من أهل بيت رسول الله ولا أكثر باكياً ولا باكيةً.[١]

وفي *كشف الغمّة* روي عن سفيان بن عيينة عن الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام: إنّ الحسين بن عليّ كان يذكر يحيى بن زكريّا عليهما السلام ويقول: «إنّ من هوان الدنيا عـلى الله أن يُهدى رأس يحيى إلى بغيّ من بغايا بني إسرائيل».[٢]

ج: الهجرة من مكّة

إنَّ طلّاب الحكم والسياسيّين، لا يتورّعون عن التحصّن في الأماكن المقدّسة والمشاهد المحترمة عند المسلمين، بل يستغلّون كلّ المواقع الّتـي تحظـى بتقـديس واحترام الناس للتخندق والتمترس بها، فإنّ ذلـك يُحـرج العـدوّ ويردعـه عـن الهجوم أو على الأقلّ يتسبّب له بالملامة من قبل المسلمين، إذ أنّ هتك حرمة هذه المواقع يُثير غضبَ واستياء عامّة الناس، وإنْ أراد أنْ يحفظ حرمة تلك الأماكن، إضطرّ إلى إهمال خصمه وتحمّل الضربات منه.

---

١. ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ص١٩؛ الخوارزمي، مقتـل الحسـين عليه السلام، ج١، ص١٨٧، ف ٩؛ معتمـد الدولة، القمقام الزخّار، ج١، ص٢٦٣- ٢٦٤.

٢. الإربـلي، كشـف الغمّـة، ج٢، ص٢١٩؛ راجـع أيضـاً: معتمـد الدولـة، القمقـام الزخّـار، ج١، ص٣٥٩؛ الزرندي، نظم درر السمطين، ص٢١٥.

وكان بإمكان الإمام الحسين عليه السلام أن يختار أقدس بقعة عند الأُمّة الإسلامية، وأكثرها أمناً وهو بيت الله الحرام ومكّة المعظّمة والمسجد الشريف، ذلك المكان الّذي وصفه عزّ وجلّ في كتابه الكريم: ﴿مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾ وهو المكان الّذي كان العرب في الجاهلية يكنّون له الاحترام أيضاً، ويرعون حرمته على الرغم من وحشيّتهم وسلوكهم العدائيّ مع بعضهم البعض، فلم يُعهد عنهم حمل السلاح في ذلك الموقع الشريف. ولا شكّ في أنَّ هذا المكان كان من أفضل الأماكن الّتي يمكن للحسين عليه السلام اختياره كمقرّ لإدارة حركته ودعوته ضدّ بني أُميّة وتحشيد الحشود للانقضاض عليهم، وما كان أسهل من أن ينقلب الحسين عليه السلام ومن معه على والي مكّة الأُمويّ والسيطرة على مكّة واعتمادها عاصمةً لثورته ودعوة باقي المدن للالتحاق بنهضته، ولكنّه كان يعلم أنَّ عاقبة ذلك هو هجوم جيش بني أُميّة على الكعبة الشريفة ومحاصرة مكّة وهدم بيت الله الحرام وإبادة المسلمين في الحرم الأمن كما فعل يزيد في واقعة الحرّة، وحربه ضدّ عبد الله بن الزبير في مكّة.

لكنّ الحسين عليه السلام لم يكن طامعاً في الملك، ولم تكن مقاصده سياسية،[1] ولم يكن

---

١. لا يُتَوَهّم أنّنا نرفض اشتراك أولياء الله والمؤمنين في السياسة وممارسة العمل السياسي واعتزال الساحة والأحداث وعدم الاكتراث بمصالح الأُمّة الإسلامية، اذْ أنَّ ذلك لا يتناسب مع روح الإسلام، فإنّ الإسلام حتّى في أحكام العبادات كالصلاة والحجّ والصوم والشعائر الدينية الأُخرى، يهدف إلى إشاعة روح الأُلفة والوحدة والتعاضد من أجل مواجهة ومقارعة الظلم

ممّن يستخفّ بالمقدّسات والشعائر الإلهيّة.

إنَّ أوّل شعارٍ للحسين عليه السلام هو الاعتراض على بني أُميّة لهتكهم الحرمات والشعائر المقدّسة والأحكام الإلهيّة، فكيف يرضى لنفسه أن يتسبّب في هتك بني أُميّة لتلك الحرمات وإراقة الدماء في الحرم المكّي الأمن؟!

لقد كان الحسين عليه السلام عارفاً بأنّ إعلان ثورته في مكّة لن يُثمِرَ إلّا هتك حرمة البيت وهدم الكعبة وإساءة الأدب إلى عامّة المشاهد الشريفة في مكّة. وهذه النظرة الصائبة الثاقبة للحسين عليه السلام اتّضح صحّتها فيما بعد، إبّان حركة عبد الله بن الزبير. ومن ثمّ أبى الحسين عليه السلام أن يتّخذ من مكّة مقرّاً ومركزاً لثورته.

وكان بإمكان الحسين عليه السلام أيضاً أن يبقى في مكّة ولا يبايع يزيد، ويسكت على مساوي بني أُميّة، وهذا ما اقترحه عليه عبد الله بن عمر وعبد الله بن عبّاس وبعض الصحابة، ظنّاً منهم أن لا أحد يتجرّأ على التعرّض للحسين عليه السلام في الحرم الأمن.

لكنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يقبل ذلك المقترح، لأنّه كان على يقين من أنَّ بني أُميّة سيقتلونه وإن كان متعلّقاً بأستار الكعبة، وأنّهم لا يعيّرون أيّ أهمّية لحرمة البيت الحرام.

والفساد والقضاء على الباطل وأهله وإظهار عظمة الإسلام والمسلمين، ولم يكن الإسلام يوماً ما دين صوامع وبيع وتصوّف بعيداً عن النظام والحكم والإدارة، وإنّما غرضنا من قولنا: إنّ الحسين عليه السلام لم يكن له مقاصد سياسية هو أنّ الحسين عليه السلام لم يكن يهدف أساساً الحكم والتسلّط على الناس والحصول على المقام والمنال، فلقد كان عارفاً منذ البداية بأنّه لم يتمكّن من القضاء على بني أُميّة.

كان الحسين عليه السلام يعلم أنَّ بني أُميّة قد جنّدوا بعض الرجال لقتله في موسم الحجّ، فبقاؤه سيؤدّي إلى هتك حرمة البيت وقتله بدون تحقّق أيَّة ثمرة ولا حصول أيَّة فائدة.

فلذا خرج الحسين عليه السلام من مكّة يوم التروية بعد أن جعل حجّه عمرةً مفردةً، لئلّا تهتك حرمة البيت بسببه، كما أخبر بذلك الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

وعندما سأله الفرزدق عن علّة استعجاله بالخروج من مكّة قبل أداء المناسك فقال: «**لَوْ لَمْ أُعَجِّلْ لَأُخِذْتُ**».[1]

ويقول عليه السلام أيضاً: «والله لا يَدَعُونِي حَتَّى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا سلّط الله عليهم من يذلّهم حتّى يكونوا أذلّ من فرام الأمة».[2]

ونقل ابن الأثير: أنّ الحسين قال لابن الزبير بأنّ أباه أمير المؤمنين حدّثه أنّ رجلاً سيقتل في الكعبة وتهتك حرمتها وأنّه لا يحبّ أن يكون ذلك الرجل.[3]

وذكر الطبريّ عن أبي مخنف عن أبي سعيد عن بعض أصحابه قال: سمعت الحسين بن عليّ وهو بمكّة وهو واقف مع عبد الله بن الزبير فقال له ابن الزبير:

---

١. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٩٠؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢١٧.

٢. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٦٩؛ ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٧٥؛ معتمد الدولة، القمقام الزخّار، ج١، ص٣٣٤.

٣. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٨٩؛ ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٧٥.

إليّ يا ابن فاطمة، فأصغى إليه، فسارّه، قال: ثمّ التفت إلينا الحسين فقال: أتدرون ما يقول ابن الزبير؟ فقلنا: لا ندري، جعلنا الله فداك، فقال: قال: أقم في هذا المسجد أجمع لك الناس، ثمّ قال الحسين: والله لأن أُقتل خارجاً منها بشبر أحبّ إليّ من أن أُقتل داخلاً منها بشبر، وأيم الله لو كنت في حجر هامّة من هذه الهوامّ لاستخرجوني حتّى يقضوا فيّ حاجتهم، ووالله ليعتدنّ عليّ كما اعتدت اليهود في السبت.[1]

د: حَلُّ البَيعَة

من الواضح أنَّ الثورات والانقلابات السياسيّة والعسكريّة تحتاج إلى الكوادر والأفراد والقوّات الّتي تحرِّك الثورة وتفعِّل المعركة، وإذا ما أهمل قائد الثورة هذه الناحية، لا يمكن اعتباره طالب حكمٍ وقلب نظام.

ولو أنَّ هذا القائد نفسه، أعلن لجنده بمصيره ومصيرهم المأساويّ وانتهاء حركته بقتلهم، فإنّ ذلك سيؤدّي بلا شكّ إلى تفرّق أنصاره عنه، ولو فرضنا أنّ

---

١. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٨٩؛ ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٧٦؛ الشبلنجي، نور الأبصار، ص١١٦. ولا يخفى أنّ عبد الله بن الزبير كان متّهم النصيحة للحسين عليه السلام إذ لم يكن شيء أثقل عليه من مكان الحسين عليه السلام بالحجاز... ولا أحبَّ إليه من خروجه إلى العراق طمعاً في الوثوب بالحجاز. لأنّ ذلك لا يتمّ له إلّا بعد خروج الحسين عليه السلام منها (أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيّين، ص٧٢؛ العقّاد، أبو الشهداء، ص١٧٤؛ ومصادر أُخرى).

هذا القائد، أجاز وسمح لأنصاره بالتفرّق عنه، وحلَّ بيعتَهم وأذن لهم بل ولأهله بالانصراف، وبيَّن لهم الطريق الأمن لابتعادهم عن مخاطر العدوّ، فذلك سيدفع كلّ احتمالات رغبة هذا القائد وطمعه بالملك والسلطة تماماً.

والحسين‌عليه السلام ومن حين خروجه من المدينة إلى مكّة ومنها إلى العراق كان يخبر من معه من أنصاره وأهله بأنّه مقتول مستشهد، ويكشف لهم ما سيصيبُهم من الأذى والمصائب، كما في خطبة له في مكّة قبل خروجه للعراق وفي الطريق إلى العراق.

وعندما وصل ركب الحسين‌عليه السلام إلى منطقة ذي حسم خطب فيهم قائلاً:

«أَمَّا بَعْدُ إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ تَرَوْنَ، وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَغَيَّرَتْ، وَتَنَكَّرَتْ وَأَدْبرَ مَعْرُوفُهَا، وَاسْتَمَرَّتْ جِدّاً حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ، وَخَسِيسُ عَيْشٍ كَالْـمَرْعَى الْوَبِيلِ. أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الْـحَقَّ لَا يُعْمَلُ بِهِ، وَأَنَّ الْبَاطِلَ لَا يُتَنَاهَى عَنْهُ، لِيَرْغَبُ الْـمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ اللهِ مُحِقّاً، فَإِنِّي لَا أَرَى الْـمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً وَلَا الْـحَيَاةَ مَعَ الظَّالِـمِينَ إِلَّا بَرَماً».[1]

---

١. معتمد الدولة، القمقام الزخّار، ج١، ص٣٥٣، وكتب أُخرى باختلاف طفيف في الألفاظ، راجع: الطبري، ذخائر العقبى، ص١٤٩؛ الشبراوي، الإتحاف بحبّ الأشراف، ص٢٥؛ الزرندي، نظم درر السمطين، ص٢١٦؛ أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج٢، ص٣٩؛ محمّد رضا، الحسن والحسين سبطا رسول الله، ص١٦٠.

قالوا: لو كانت الدنيا باقيةً لاخترنا الشهادة عليها وفديناك بأرواحنا حتّى لو قطعونا إرباً إرباً، إنّنا سلم لمن سالمك وحرب لمن حاربك، ولقد منّ الله علينا بك يا ابن رسول الله.[1]

وعندما وصل الحسين عليه السلام إلى أرض كربلاء، دلَّهم على مصارعهم، ولمّا وصل إلى منطقة الزّبالة، أخبرهم عن مقتل مسلم بن عقيل وعبد الله بن يقطر وقال:

«قَدْ خَذَلَنَا شِيعَتُنَا فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمُ الْإِنْصِرَافَ فَلْيَنْصَرِفْ، لَيْسَ عَلَيْهِ مِنَّا ذِمَامٌ».

وحينئذٍ، تفرّق أُولئك الّذين اتَّبعوه على العافية، والطامعين في الغُنْم، وبقي معه ثلّةٌ أخلصت لله والنبيّ وأهل بيته.[2]

وفي ليلة العاشر من المحرّم، وكان أصحاب الحسين عليه السلام بين ساجد وراكع وذاكر وتالٍ للقرآن، جاءهم سيّدهم وخطب فيهم قائلاً:

«أُثْنِي عَلَى اللهِ أَحْسَنَ الثَّنَاءِ، وَأَحْمَدُهُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ. اَللَّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ عَلَى أَنْ أَكْرَمْتَنَا بِالنُّبُوَّةِ وَعَلَّمْتَنَا الْقُرْآنَ، وَفَقَّهْتَنَا فِي الدِّينِ، وَجَعَلْتَ لَنَا أَسْمَاعاً وَأَبْصاراً وَأَفْئِدَةً فَاجْعَلْنَا مِنَ الشَّاكِرِينَ. أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَاباً أَوْفَى وَلَا خَيْراً مِنْ

---

١. معتمد الدولة، القمقام الزخّار، ج١، ص٣٥٤.

٢. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٠؛ ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٤٣؛ السماوى، إبصار العين، ص٨٧.

أَصْحَابِي، وَلَا أَهْلَ بَيْتٍ أَبَرَّ وَلَا أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَجَزَاكُمُ اللهُ عَنِّي خَيْراً، أَلَا وَإِنِّي لَأَظُنُّ أَنَّ لَنَا يَوْماً مِنْ هَؤُلَاءِ؛ أَلَا وَإِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ فَانْطَلِقُوا جَمِيعاً فِي حِلٍّ لَيْسَ عَلَيْكُمْ حَرَجٌ مِنِّي وَلَا ذِمَامٌ، وَهَذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلاً، وَدَعُونِي وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمَ، فَإِنَّهُمْ لَيْسَ يُرِيدُونَ غَيْرِي».[١]

وما كان من أولاد الحسين عليه السلام وإخوته وذوي الوفاء من أصحابه إلّا أن شهروا سيوفهم وأعلنوا تجديد بيعتهم والوفاء والنصيحة فبقيت كلماتهم دروساً للأوفياء والأصفياء والأولياء ما بقيت الأرضُ والسماء.

وتركهم الحسين عليه السلام لعبادتهم وأذكارهم وتهجّدهم وعاد إلى خيمته ليهتمَّ بالأُمور المستقبلية وتوصياته إلى أهله.[٢]

---

١. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣١٧؛ المفيد، الإرشاد، ج٢، ص٩١؛ الطبرسي، إعلام الوري، ج١، ص٤٥٥؛ معتمد الدولة، القمقام الزخّار، ج١، ص٣٨٢؛ محمّد رضا، الحسن والحسين سبطا رسول الله، ص١٢٠.

٢. معتمد الدولة، قمقام الزخّار، ج١، ص٣٨٣؛ السماوي، إبصار العين، ص٣١؛ محمد رضا، الحسن والحسين سبطا رسول الله، ص١٢٠- ١٢٢. والإنصاف أنّ الحسين عليه السلام وأهله قد أنجزوا ذلك الوفاء، ووفوا بذلك العهد يوم عاشوراء، وأثبتوا خلوصهم وثباتهم حتّى شهد لهم العدوّ قبل الصديق باستقامتهم وشجاعتهم ومحبّتهم لأهل بيت النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله بما يحيِّر العقول ويدهش القلوب.

وهكذا وجدنا الإمام الحسين عليه السلام وإلى حدّ ليلة العاشر من المحرّم، يُعْلِم أصحابه وأهلَ بيته بمصيرهم، ولم يُمنِّيهم بالنصر والغنيمة والفتح المادّي والمناصب الحكومية، ولم يكن دافعه إلى النهضة إلّا امتثال الأمر الإلهيّ، والتكليف الشرعيّ.

ومن ثمَّ، فمن الخطأ والإجحاف، تعليل نهضة الحسين عليه السلام بالدوافع السياسية أو الخلافات العائلية بين بني أُميّة وبني هاشم، على الرغم من وجود تلك المفارقات الأخلاقية والتباينات الروحية والتنافر الفكريّ بين العائلتين.

ومن جملة دوافع يزيد إلى تشديد شراسته ووحشيته على الحسين عليه السلام وآله وعياله، هو ذلك الحقد الدفين الّذي اكتنزه قلبُه ضدّ بني هاشم عامّةً وآل عليٍّ خاصّة، ذلك الحقد المشفوع بخسَّة الطبائع عنده والتربية الفاسدة والبيئة المنحرفة الّتي ترعرع فيها.

وأمّا ثورة الحسين عليه السلام فهي أسمى من أن تتأثّر بتلك الخلافات الخاصّة، بالضبط كدعوة النبيّ صلى الله عليه وآله الّتي لم تتأثّر بمثل هذه الخلافات العائلية، فما يمكن أن يقال وهو الحقّ: إنَّ ثورة الحسين عليه السلام هي ثورة المبادئ والقيم، وإنّها مأمورية ومهمَّةٌ إلهيّة أوكلت إليه وقد قام بامتثالها على أحسن وجوه الامتثال وأكملها وأتمّها.

٢. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[١]

ورد في بعض المصادر التاريخية المعتبرة، أنَّ الحسين عليه السلام ترك وصيّةً لأخيه من أبيه محمّد بن عليّ المعروف بابن الحنفيّة جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحسين بن عليّ بن أبي طالب إلى أخيه محمّد المعروف بابن الحنفيّة، أنّ الحسين يشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمّداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله جاء بالحقّ من عند الحقّ، وأنّ الجنّة والنار حقّ، وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي صلى الله عليه وآله أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فمن قبلني بقول الحقّ فالله أولى بالحقّ، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم بالحقّ وهو خير الحاكمين. وهذه وصيّتي يا أخي إليك وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أُنيب».[٢]

---

١. آل عمران، ١٠٤.

٢. المحدّث القمّي، نفس المهموم، ص٩١، فصل ٩؛ العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص١١٢. وجملة «السلام عليك» إلى آخر الوصيّة نقلناها من مقتل الحسين عليه السلام (الخوارزمي، ج١، ص١٨٩، فصل ٩).

وهذه الوصيّة تعدُّ ككلمة التوحيد، مشتملةً على نفي وإثبات. أمّا جهة النفي، فصحيح أنَّ أحداً من الناس لا يحتمل في حقّ الحسين عليه السلام أن يقصد بحركته ونيَّته الفساد والتجاوز والظلم، أو الامتناع عن قبول الحقّ، إذ لا يوجد أيُّ حقّ متصوّر ليزيد، فلم يكن الحسين عليه السلام نكرة في المجتمع لا يعرفه الناس، أو لا يعرفون سلامة نفسه وطهارة ضميره، وشفّافيّة وجدانه، فهو الّذي نزلت في حقّه وحقّ أخيه وأُمّه وأبيه، آية التطهير[1] من كلّ رجس، وقد بُيِّنَت عصمتُه من خلال حديث الثقلين المشهور، ولكنّه قال تلك الكلمات ليبطل ويجهض محاولات الظلمة والفاسدين وساسة الحكم الأُمويّ وأجهزته الإعلامية، في اتّهامه بالخروج من أجل السلطان، سعياً منهم في إضلال عوامّ الناس وبسطائهم، فقال:

«إِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِراً وَلَا بَطِراً وَلَا مُفْسِداً وَلَا ظَالِماً».[2]

وأمّا جهة الإثبات في كلامه، فهو قوله:

«إِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ».[3]

---

١. الأحزاب، ٣٣.

٢. ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٥، ص٢١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٩؛ البحراني الأصفهاني، عوالم العلوم، ص١٧٩.

٣. ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٥، ص٢١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٩-٣٣٠؛ البحراني الأصفهاني، عوالم العلوم، ص١٧٩.

فالحسين عليه السلام يلخّص في هذه الجملة، دواعي ثورته بأربع أُمور:

١. إصلاح الأُمّة.

٢. الأمر بالمعروف.

٣. النهي عن المنكر.

٤. اقتفاء أثر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وأبيه أمير المؤمنين عليه السلام.

إنَّ من أهمّ الفرائض والواجبات الإسلامية هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأهمّيّتها العقلية غير خافية، وجاءت الأوامر الشرعية تأكيداً لتلك الأهمّيّة.

وهذا الحكم الشرعيّ نموذج للأحكام الإسلامية الرفيعة والّذي يعطي الحقّ لكلّ مسلم أن يطالب الجميع بإجراء وتنفيذ الأحكام الشرعية، وأن يواجه المتمرّدين على تطبيقها، وأن يكون المسلمون جميعاً ناظرين على إجراء القانون الإسلاميّ والحدود والأحكام. وفي الحقيقة إنّ هذا الحكم هو ضمانة قويّة لتطبيق الإسلام، ولذا فإنّ عزّة المسلمين وكرامتهم مرتهنةٌ بامتثال هذا الواجب، كما أنّ ذلّهم ومهانتهم مرتبط بترك العمل به.

ولقد كان المسلمون في صدر الإسلام يعتبرون الاهتمام بهذا الحكم، سنداً وقوّةً لحفظ حقوقهم والحدِّ من الظلم والتعدّي عليها، فكم من مؤمن مستضعف وقف بوجه الولاة والحكّام يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر بكلّ صراحة وجرأة، منتقداً تصرّفاتهم اللامشروعة، وما أكثر الولاة والحكّام

الّذين استجابوا لنصائح عامّة المسلمين، واعتذروا عن سوء تصرّفاتهم وحاولوا إصلاح الأُمور.

وبعد رحيل النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله إلى الملأ الأعلى، وعلى الرغم من أنّ الخلافة قد انحرفت عن مسارها المستقيم، ولكنّ الولاة كانوا يحافظون على العمل بسائر الأحكام الإسلامية، لقربهم من زمن النبيّ صلى الله عليه وآله وكان الإطار العامّ للحكم الإسلاميّ محفوظاً رغم بعض الخروقات هنا وهناك، وكان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ساري المفعول، يحتفظ المسلمون بحقّهم وحرّيّتهم في إبداء تحفّظاتهم على تصرّفات الحكّام والمسؤولين ونظارتهم على تطبيق القوانين والشريعة من قبل أجهزة الحكم ولم يتعرّض أحد على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر حتّى تولّى الحكم عثمان بن عفّان حيث تبدّل شكل الحكم والإطار العامّ للنظام الإسلامي شيئاً فشيئاً وخرج عن شكله الإسلامي وأخذ طابع الملوكية والسلطنة، وكان لمعاوية بن أبي سفيان اليد الطولى في هذا التغيير وابتداع هذا النمط الجديد من الحكم وكانت بداية انحراف معاوية تعود إلى زمن الخليفة عمر بن الخطّاب إلى درجة اعتراض الأخير عليه بمظهره ومظهر حاشيته وقصوره وغلمانه وجواريه. ثمّ تبع معاوية سائرُ بني أُميّة فنهجوا منهج الكسروية والقيصرية في إدارة الحكم، فكانوا يعتبرون أنفسهم ومن أحاط بهم من أقاربهم وحاشيتهم، أعلى من مستوى سائر المسلمين، فضعفت الأُخوَّة

والمساواة، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خوفاً من معاقبة أجهزة الحكم الأُمويّ!!

ولو أنَّ حكومة بني أُميّة كانت حكومةً سليمةً نزيهةً، لما أضرَّ بها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم تتعقّب المنتقدين الناصحين بالأذى والاعتقال والتشريد والتنكيل، لكنّها لم تكن كذلك، بل كانت مبتنيةً على الظلم والجور والترهيب وإهانة المجتمع وقمع الحرّيّات وهتك المقدّسات، ومثل هذه الحكومة تخاف دون شكّ من تطبيق فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن هنا حاول حكّام بني أُميّة طمس معالم هذه الفريضة، فسلبوا هذا الحقَّ من المسلمين، وطاردوا وتتبّعوا أخبار كلّ من يتصدّى للاعتراض على مخالفة الدولة لأحكام الشرع والقوانين الإسلامية وصادروا أمواله وشرَّدوه وسجنوه، أو هدروا دمه كما فُعِلَ بعبد الرحمن بن حسّان العنزيّ، الّذي دَفَنَه زياد بن أبيه حيّاً بأمر معاوية!![1] والصحابيّ الجليل أبي ذرّ الغفاريّ الّذي طرده معاوية من الشام لأنّه اعترض على تصرّفاته اللاإسلامية فأرجعه إلى المدينة المنوّرة بعد أن كان عثمان قد نفاه منها إلى الشام، كلّ ذلك لأنّ أبا ذرّ كان يطبّق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!!

---

١. المغنية، المجالس الحسينية، ص١٣٩.

ولعلَّ أوّل من وقف بوجه هذه الفريضة وحاول قتلها ودفنها، هو عثمان بن عفّان، الّذي لم يُعر أُذُناً صاغيةً لنصائح كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله له، وانتقادات سائر المسلمين لولاته ومسؤولي أجهزة حكمه، فتصرّف عثمان وكأنّه في وادٍ والأُمّة الإسلامية في وادٍ آخر، حاله حال سائر الملوك والسلاطين. ولو أنّ عثمان بن عفّان، كان قد أعار اهتماماً لتذكير ونصائح الصحابة في خصوص فساد عمّاله وخيانتهم وظلمهم وتظاهرهم بالفسق، ولم يُسرف في أموال المسلمين، لبقيت الخلافة على استحكامها وقوّتها ولم تظهر تلك الفتن والانقلابات الّتي توالت وتوالت حتّى غيَّرت منهج الحكومة الإسلامية.

ولقد كان ما حصل من ثورة على عثمان، وقتله، نتيجةً طبيعيّة لعدم اهتمامه بهذه الفريضة الإلهية، وسلبه لحرّيات المسلمين في التعبير عن رأيهم وإسداء نصائحهم والقيام بواجبهم الدينيّ والوطنيّ، فَنَفذ صبر الناس وضاقوا ذرعاً بحاشيته وفسادهم، وسكوته عن المظالم ولم يبق لهم إلّا الثورة عليه وقتله.

وبعد عثمان، وعندما ولي أمير المؤمنين عليه السلام الخلافة، حاول إحياء هذه الفريضة بشتّى الوسائل، وكان هو بنفسه أوّلُ الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فكان يدور في الأسواق والتجمّعات وينصح الناس ويحذّرهم من مخالفة الشرع، فأعاد إلى الأذهان صورة حكم النبيّ صلى الله عليه وآله، ولكن بسبب قِصر مدّة حكمه وانشغاله

بثلاث حروب طاحنة من جهة، ووجود تلامذة مدرسة بني أُميّة وبقايا حكومة عثمان من جهة أُخرى، منع من إعادة الأُمور إلى نصابها وإرجاع المياه إلى مجاريها.

وبعد استشهاد الإمام عليّ عليه السلام وقف أزلام حكومة معاوية موقفاً شديداً من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتّى وصل الأمر إلى أنّ أحداً لم يَعُد يتجرّأ أن يُبدي أيَّ رأي تجاه الحكم ومخالفات أجهزة الدولة، إلّا من جازف بنفسه واستعدَّ لدخول السجون المظلمة ومعتقلات زياد وبقيّة الولاة.

ونعتقد أنَّ أكبر سدٍّ كسره بنو أُميّة هو هذه الفريضة الإلهيّة، وأنَّ أكبر خطر كان يُهدّد العالم الإسلاميّ في ذلك اليوم وفي كلّ عصر وزمان هو إهمال هذه الفريضة الإلهيّة الخطيرة، ومنع الناس من إجرائها.

لقد استطاع بنو أُميَّة ومن خلال القمع والإرهاب الفكريّ، أن يتلاعبوا بكلّ المقدّسات والأحكام الإسلامية، وأن يرتكبوا ما يحلو لهم من المخالفات والجرائم، وبهذا الأُسلوب استطاعوا أن يوسّعوا من حكمهم الاستبداديّ الّذي غطَّت غيومه كلّ المجتمع الإسلامي، وقد استغلَّ موظّفوا الدولة مناصبهم ومراكزهم وحمَّلوا الناس ما لا يطيقون، ولم يكن ليتجرّأ أحد على فتح فمه للاعتراض، وقد وصل الأمر بالمجتمع حتّى صار الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف رائجاً، وعاد المنكر معروفاً والمعروف منكراً!!

ولقد قتل بنو أُميّة حجر بن عديّ، ورشيد الهجريّ، وعمرو بن الحمق الخزاعيّ، وميثم التمّار، وآخرين، بأبشع طرق القتل بجرم حبِّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولقد وصل خوف الناس وتركهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى درجة أنّ كبار الصحابة لم يتجرّأوا ـ بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام ـ أن ينكروا على الدولة أو أحد صغار موظّفيها، منكراً ارتكبه أو معروفاً تركه!! خوفاً من السيوف والرماح والسجون الّتي كانت تتهدّدهم.

وسبتت الأُمّة الإسلامية في مستنقع الخنوع والذلّة والإرعاب والوعيد بالقتل والحبس.

وتحت وطأة السيوف الّتي كانت تقطر دمَ آلاف الأبرياء، أعدَّ معاوية طبخة البيعة لابنه يزيد، وأصدر أوامره لجلاوزته وجلّاديه أن يبادروا بضرب أعناق كلّ المخالفين لهذه البيعة، وبدأ بالمدينة المنوّرة الّتي يكثر فيها كبار الصحابة وأهل الحلّ والعقد وأعلن رغبته في أخذ البيعة منهم ليزيد، ثمّ أشاع في الأقطار بأنّ الصحابة وافقوا على ذلك وأنّهم بايعوا يزيد بن معاوية، كذباً منه وحيلةً وخداعاً.

ومن العسر أن نوضح تفاصيل مأساة ابتلاء المسلمين وما لحق بهم جرّاء تركهم فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم مناصرتهم لأمثال أبي ذرّ الغفاريّ والمقداد والحجر بن عديّ وعمّار بن ياسر.

وأيُّ منكرٍ أعظم من سبِّ أمير المؤمنين عليه السلام من على المنابر الّتي لم تكن لتشتدّ لو لا همّة عليّ وجهاده وقتاله ودفاعه عن النبيّ صلى الله عليه وآله؟

عليٌّ الّذي هو بمنزلة نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وابنُ عمّه وصهره ووصيّه وأوّل مجاهد وحامٍ عن الإسلام، وأعلم وأزهد وأتقى وأعدل وأورع وأعبَدُ أهل الإسلام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله؟

وأيّ منكر أكبر من إباحة مدينة الرسول لجيش الشام ثلاثة أيّام بأمرٍ من يزيد، يقتلون وينهبون ويهتكون الحرمات وتغتصب النساء العفيفات ويُقهر كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

نعم، هذه نتيجة حتميّة لترك الأُمّة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتسليمها مقاليد أُمورها لأمثال معاوية ويزيد، وبيعها دينها بدنيا غيرها، ولا يتوقّع غير ابتلائها بحكم بني أُميّة، فيُقتل الصلحاء والعلماء والمصلحون أو يُسجنوا، وتصرّف أموال بيت مال المسلمين في الملذّات وحفلات الرقص والطرب والمجون، ويُتجاوز على أعراض الناس ونواميسهم، وتُعطّل الحدود والأحكام، وتُحقَّر الشعائر الإسلامية، ويرسل الوليد بجاريته الجنب لتصلّي بالناس الجمعة والجماعة!![1] ووالي الكوفة يصلّي بالناس الصبح سكران ويتقيّأ

---

١. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٩، ص١٦٠؛ الدياربكري، تاريخ الخميس، ج٢، ص٣٢٠.

الخمرة في المحراب،[1] وينتشر الزنا والطرب بين الناس والكلّ خانع!!

وكلّ هذه المفاسد تتّصل بمركز الحكومة وتنتهي إلى شخص واحدٍ يحكم الناس باسم خليفة المسلمين وإمامهم، وقد أمسك بزمام أُمور المسلمين ومنع الحرّيّات وكتم الأنفاس وأضاع الدين وهضم حقوق المسلمين.

وليس من قصدنا هنا شرح مفاسد بني أُميّة ونقدها، وإنّما قصدنا أنَّ بني أُميّة عرفوا أنَّ تحقيق مآربهم وسلطانهم وبسط نفوذهم وحرفهم للثوابت الإسلامية، ومحوهم آثار الإسلام الحقيقيّ الأصيل، لا يتسنّى لهم إلّا إذا قضوا على هذه الفريضة الإلهية المهمّة. فمن الواضح، أنَّ هذه الفريضة لو كانت متروكةً، لفُسح المجال للنظم اللامشروعة والحكومات الغاصبة أن تفعل ما يحلو لها بلا تردّد ولا وَجَلٍ من عواقب الأُمور، فتجرُّ الأُمّة إلى الويلات، يساعدها في ذلك المتملّقون والمتزلّفون ووعّاظ السلاطين ومن غرَّتهم الدنيا فباعوا دينهم وضمائرهم بثمن بخس، فيمدحون الظلمة ويثنون عليهم في المحافل والمجامع والمنابر، ويصفونهم بأنّهم المصلحون الأولياء الأوفياء لمصالح المسلمين العامّة.

وكان الحسين عليه السلام ناظراً لكلّ تلك الانحرافات، شاهداً على كلّ ذلك الاضطراب الاجتماعيّ والسياسيّ والفكريّ للمسلمين، فمضافاً إلى وظيفته

---

١. النسائي، السنن الكبرى، ج٣، ص٢٤٨؛ ابن عبد البرّ، الاستيعاب، ج٤، ص١٥٥٤؛ ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج٥، ص٩١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٣١، ص٥٣.

كفرد مسلم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكذلك كان عليه أن ينطلق من موقعه القياديّ ومقامه المعروف عند عامّة المسلمين، فكان تكليفه أشقّ ووظيفته أدقّ؛ إذ كانت الأنظار متوجّهةً إليه ومنشدةً نحوه باعتباره القائد المعنويّ والروحيّ للإسلام والمسلمين، إذ كان الناس يتوقّعون منه عدم السكوت، وإلّا صار سكوته حجّةً وعذراً لسائر المسلمين، فالحسين عليه السلام هو الأعرف بالأحوال والأوضاع، فمن أولى منه إذن في التصدّي والمواجهة؟

لقد رأى الحسين عليه السلام أنَّ من واجبه وتكليفه الإلهيّ أن ينهى عن المنكر، وأنْ يوقظ ضمير الأُمّة الإسلامية من سباته، وأنْ يقصم ظهر الحكم الأُمويّ بتضحيته هو وأهل بيته وأصحابه.

وتحسُّس الحسين لهذه المسؤولية كان واضحاً في خطبه وكلماته، مثل ما نقله أبو مخنف عن عقبة ابن أبي عيزار من خطبةٍ للإمام الحسين عليه السلام في صحبه وعسكر الحرّ بن يزيد الرياحيّ في البيضة[1] وجاء فيها:

«أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: مَنْ رَأَى سُلْطَاناً جَائِراً مُسْتَحِلّاً لِحُرُمِ اللهِ، نَاكِثاً بِعَهْدِ اللهِ، مُخَالِفاً لِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ يُعْمَلُ فِي عِبَادِ اللهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ فَلَمْ يُغَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ، كَانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مُدْخَلَهُ؛ أَلَا وَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ لَزِمُوا

---

١. منزل في الطريق إلى كربلاء، نزل به الحسين عليه السلام للاستراحة، فخطب أصحابه وأصحاب الحرّ بن يزيد الرياحي.

طَاعَةَ الشَّيْطَانِ، وَتَرَكُوا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ، وَأَظْهَرُوا الْفَسَادَ، وَعَطَّلُوا الْحُدُودَ، وَاسْتَأْثَرُوا بِالْفَيْءِ، وَأَحَلُّوا حَرَامَ اللهِ، وَحَرَّمُوا حَلَالَهُ، وَأَنَا أَحَقُّ مَنْ غَيَّرَ...». [١]

فإن قيل

إنَّ شرائط الأمر بالمعروف لم تكن متحقّقةً في زمن الحسين عليه السلام فإنّ من جملة شرائطها احتمال التأثير، ولم يكن حكم بني أُميّة وخصوصاً يزيد بن معاوية قابلاً للتأثّر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أنَّ من شرائط هذه الفريضة هو عدم تضرّر الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، وهذا الشرط غير متحقّق أيضاً في ذلك الظرف.

قلنا

١. إنّنا نفهم شرائط الأحكام الشرعيّة ونتعلّمها ونتعرّف على خصوصيّاتها من الحسين عليه السلام، وخير دليل على مشروعية العمل هو قيام الحسين عليه السلام به، وبعبارة أُخرى: إنَّ سلوك الحسين عليه السلام وفعله هو من أدلّة الأحكام الشرعية.

---

١. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٠٤؛ ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٤٨؛ معتمد الدولة، القمقام الزخّار، ج١، ص٣٥٣. ومن أراد التعرّف على المزيد من أهمّيّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومذمّة تركهما من وجهة نظر الإمام الحسين عليه السلام فليراجع خطب الإمام عليه السلام والّتي نقلها الحسن بن عليّ بن شعبة الحرّاني رحمه الله في كتابه *تحف العقول* (ص٢٣٧-٢٣٩).

ففرض دلالة الدليل على اشتراط الأمر بالمعروف باحتمال التأثير أو الأمن من الضرر، وأنّه يشمل بعمومه أو إطلاقه لهذا المورد، حتّى لو كان صحيحاً، لكنّه يُقيَّدُ بفعل الحسين عليه السلام، فيكون إقدام الحسين عليه السلام ونهضته مخصِّصاً أو مقيِّداً لذلك الدليل العامّ، ويدلّ على عدم مدخلية هذين الشرطين في وجوب الفريضة، فكان يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتّى لو لم يكن مؤثّراً أو احتمل وجود الضرر فيه.

٢. إنَّ اشتراط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالأمن من الضرر ليس مسلَّماً في كلّ الموارد، بل يمكن القول إنَّ الثابت شرعاً هو عدم الاشتراط في بعض الموارد، ولابدّ من الموازنة بين المصالح الموجودة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبين مقدار الضرر الداخل منهما، فإن كانت المصلحة أهمّ ويجب استيفاؤها شرعاً مثل إحياء الدين، لزم تحمل الضرر ولم يجز ترك الأمر بالمعروف أبداً.

وببيان آخر: فرقٌ بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الشخصي، وعند بعض الأفراد كالمعاصي الشخصيّة والذنوب، وبين النهي عن المنكر العامّ الّذي يلزم منه دروس الدين وإماتة الشريعة وتعطيل الأحكام كلّها، وهتك المقدّسات والشعائر الإسلامية، فترك النهي عن هذه المنكرات يؤدّي إلى خسارة كبيرة ومصائب وويلات على المجتمع الإسلاميّ ويقوّي شوكة الكفّار وتسلّطهم على المسلمين، كما في عصر يزيد بن معاوية حيث كان خطر الانحراف الكامل للدين

وتغيير الهويّة الإسلامية للمجتمع، يهدّد العالم الإسلاميّ أجمع، فالمؤشرات كانت تدلّ على قرب زوال الدين إلّا اسمه والإسلام إلّا رسمه.

ففي الصورة الأُولى -النهي عن المنكر الفردي- يكون الاشتراط صحيحاً وسليماً، وأمّا في الصورة الثانية فلا يصحّ ذلك الاشتراط، بل لابدّ من النهوض بأعباء المسؤولية الدينية ونصرة الدين ودفع الخطر المتوجّه إلى الإسلام والمسلمين حتّى لو استلزم ذلك التضحية بالمال والنفس.

٣. إنَّ احتمال التأثير على قسمين: فتارةً يكون النهي عن المنكر في خصوص فردٍ في حالة ارتكاب المعصية، فإذا لم نحتمل التأثير لم يجب نهيُه عن تلك المعصية، وتارةً ننهى عن المنكر ولا نحتمل تأثيره في نفس الوقت، لكنّنا نقطع بتأثيره في المستقبل، ففي هذه الحالة لا يسقط وجوب النهي عن المنكر، فهو بقوّة احتمال التأثير الفعليّ ولا فرق بينهما. كما لو احتملنا أنَّ تصدّينا لفضح ومحاربة الفرق الضالّة والمؤسّسات الفاسدة ونشر معايبها وانحرافاتها على الناس سيؤدّي في المستقبل إلى توعية الناس شيئاً فشيئاً ثمّ كساد تلك المؤسّسات وإفلاسها وإندثارها، أو التقليل من تأثيرها في المجتمع أو على الأقلّ يؤدّي إلى الحدِّ من اتّساع رقعة نشاطاتها وإضلالها، أو تحصين الناس من الانخداع بأفكارها وبرامجها، ففي هذه الصورة يكفي احتمال التأثير المستقبليّ في عدم سقوط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إنَّ أكثر الشعوب والأُمم في العالم المعاصر، إنّما استطاعت أن تفكّ قيود أسرها وأنْ تنال حرّياتها واستقلالها، بواسطة اختيارها لهذا الطريق، طريق التضحية والفداء وتحمّل الصعاب والضغوط، وعن طريق توعية الناس بانحرافات الأعداء وفضح مكائدهم وزلزلة أُسس مناهجهم وزعزعة أركان نفوذهم ومن ثمّ إفشال مخطّطات العدوّ ودحره، وكم من دماءٍ أُريقت في سبيل نيل هذه الحرّيات والاستقلال، كانت المحرّك الأساسيّ لنهضة المجتمع وثورته وإسقاط الأنظمة المستبدّة، حتّى لو كانت تلك النتائج تظهر متأخّرةً عن وقت الانتفاضات والحركات التحرّرية، فالغرض والهدف هو التغيير والإصلاح والخلاص، لا الرئاسة والحكم والسلطة.

وهكذا أولياء الله، فإنّهم يجاهدون من أجل أهداف سامية ومبادئ إنسانيّة رفيعة، مع علمهم بأنَّ أعداء الله سيصبّون جام غضبهم على رؤوس المجاهدين ويقتلونهم ويشرّدونهم، وينهبون أموالهم، ويرفعون رؤوسهم على رؤوس الرماح، لكنّ ذلك لم يؤخّرهم عن التضحية والفداء والتحمّل والصبر والجهاد في سبيل الإسلام، ليكون جهادهم وتضحياتهم مناراً يهتدي به الناس لتغيير مسيرة التاريخ.

وكذا كان الحسين عليه السلام، فقد رأى أنَّ الأخطار تهدِّدُ أحكام القرآن والإسلام وأنَّ مستقبلاً مظلماً ينتظر الأُمّة الإسلامية، وأنَّ شمس الإسلام النيّرة باتت قريبةً من

الافُول، وأنَّ الجاهلية نفضت ترابها لتعود إلى مرافئ الحياة وأنَّ الخلافة الرشيدة لبست ثوب الكسروية والقيصرية، ومع هذا كلِّه لم يكن من الحسين عليه السلام أن يسكت بمجرّد احتمال الضرر أو حتّى القطع به، ويجلس حلس داره يذرف الدموع على الإسلام ويقرأ فاتحة الدين وينصب العزاء على الشريعة.

إنَّ الحسين عليه السلام كان على يقين وإحاطة تامّة بالمخاطر المحدقة بالدين، ومن ثمّ وجدناه من أوّل ساعة وعندما عرض عليه مروان بن الحكم بيعة يزيد فينعّم – بزعم مروان – بحياة هادئة محترمة، فقال الإمام الحسين عليه السلام:

«إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَعَلَى الْإِسْلَامِ السَّلَامُ إِذْ قَدْ بُلِيَتِ الْأُمَّةُ بِرَاعٍ مِثْلِ يَزِيدَ».[1]

لقد كان على الحسين عليه السلام وفي مثل تلك الظروف وهو يرى تلك المنكرات، أن يهب هبةً كاملةً قويَّةً للدفاع عن الإسلام، وأنْ يحفظ ثغوره وحصونه حتّى لو آل الأمر إلى قتله وقتل أولاده وإخوته وأصحابه، وحتّى لو استلزم تحمّل أسرِ أخواته ونسائه وذبح الرضَّع من أطفاله في حجره، لأنّ الحسين عليه السلام كان يرجّح بقاء الإسلام وأحكامه على بقاء نفسه بين جنبيه، ولذا قام بذلك الفداء الجبّار.

---

١. ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٥، ص١٧؛ ابن طاووس، اللهوف، ص١٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٦؛ البحراني، الأصفهاني، عوالم العلوم، ص١٧٥.

هذا، وإنَّ احتمال التأثير كان موجوداً، بل إنّ الحسين عليه السلام كان متيقّناً من تحقّق التأثير، وأيُّ تأثير أكبر من حفظ استمرارية ودوام الإسلام، وإنَّ نهضته ستؤدّي إلى ضمان بقاء الدين، فالحسين عليه السلام كان يعلم أنَّ بني أُميّة إذا قتلوه ـ وهو سبط النبيّ ومحور تحقّق الآمال الروحية عند الناس، وأشرف وأعزُّ الخلق وأحبُّهم على قلوب المسلمين ـ فإنّ قدرتهم ستتلاشى وأنَّ مخطّطاتهم ستُفتَضَح، وأنَّ سيلاً عارماً من الغضب والنفرة والانتقاد سيسلب منهم القدرة على محاربة الشعائر وإماتة الدين وإعادة الجاهلية، وأنَّ عليهم أن ينتقلوا من مواقع الهجوم إلى مواقع الدفاع ليتمكّنوا من المحافظة على سلطانهم لأيّام معدودة.

لقد كان الحسين عليه السلام يعلم تماماً أنَّ استشهاده وأسر بنات الوحي وعقائل النبوّة سيكشف القناع المزيّف لحكّام بني أُميّة ويفضح عداءهم للإسلام وللنبيّ وآل النبيّ صلى الله عليه وآله، ممّا يؤدّي إلى تثبيت جذور الإسلام والإيمان في قلوب الناس وأنَّ مصرعه ومصرع أصحاب الوفاء من أنصاره سيهزُّ ضمير الأُمّة ويحيي في ها حسَّ التمرّد على الأُمويّين، وأنّه سيوقظ الجميع من رقدتهم وسباتهم.

لقد كان الحسين عليه السلام يعلم جيّداً أنّه إذا قُتِل وسبيت عياله وذبح رضيعه على صدره، ورفع رأسُه فوق القناة، فإنّ المسلمين سيكتشفون أنَّ منهج بني أُميّة منهج معادٍ للإسلام، وأنّهم أقرب إلى الجاهلية، ومن الواضح أنَّ انكشاف هذه الحقيقة سيؤدّي إلى زوال هذا الحكم وإن استطاع البقاء لمدّة قصيرة يعالج الزوال

والاضمحلال، عاجزاً عن تغيير هويّة المجتمع الإسلامية وإضلال المسلمين.

لقد هزّت فاجعة كربلاء العالم الإسلاميّ أجمع، فكان يوماً كيوم رسول الله صلى الله عليه وآله وثارت أحاسيس الغضب على بني أُميّة عند عامّة المسلمين، وبدأت الثورات والحركات تترا ضدّ حكم بني أُميّة حتّى سقطت تلك الحكومة الّتي كانت تروِّج للشرك والكفر باسم الإسلام والدين، فكانت دماء أهل البيت الطاهرة هي ثمن نجاة الإسلام وإعادة روحه إلى بدنه وهويّته إلى معتنقيه.

إذن، فما قام به الحسين عليه السلام من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر كان منسجماً مع القواعد الشرعية، بل كان ضروريّاً وواجباً، ولقد فدا الحسين عليه السلام الدينَ بنفسه وولده وإخوته وخير أهل الأرض جميعاً، وتحمّل كلّ البلايا والرزايا الّتي هاجمته من كلّ ناحية من أجل الأهداف السامية.

فقد كان الحسين عليه السلام يرى بعينيه الرحيمتين، أطفاله الرضَّع يتلظّون عطشاً ويذبحون بسهام الغدر المسمومة، ولكنّه لم يهن ولم يضعف قدر أنملة في طلب الحقّ.

وتاريخ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومقارعة الظلم والكفر، لم يَروِ لنا قصّة رجلٍ شابه الحسين عليه السلام في تضحياته وفدائه، ووقف هو وعياله وأطفاله وقد أحاط به جيش جرّارٌ آثمٌ من كلّ جانب وجهة، وشاهد ذبح أطفاله وموتهم عطشاً وشاهد أسر بناته وأخواته ونسائه، وكان جسده الشريف يشخب دماً وقد أُصيب بأكثر من سبعين ضربةَ سيف وطعنةَ رمح ونبل، ومع كلّ ذلك بقي محافظاً على

رباطة جأشه معتزّاً بكرامته، وفيّاً لمبادئه ودينه، إنّه الحسين عليه السلام المنفرد في قوّة قلبه وشجاعته وصموده في طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحسين عليه السلام فريد العصور في ملحمته الّتي سطرها يوم عاشوراء، ونجح في كلّ الامتحانات والابتلاءات، وحاز على الرتبة الأعلى من بين سائر طلّاب الحقِّ والحقيقة.

فأيُّ شجاع وأيُّ مقدامٍ يصبر ساعة الوغى مع ما به من جراح وعطش على تلك المصائب الّتي حلَّت بساحة الحسين عليه السلام؟ إنّه الحسين فقط الّذي يثبت على امتثال التكليف الإلهيّ الشاقّ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يعتذر بعذرٍ ولم يتململ بحجَّة فكانمصداق الحديث النبويّ المشهور:

«سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عَمِّي حَمْزَةُ وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ».[1]

٣. دواعي الثورة من لسان قائدها

«مَا الْإِمَام إِلَّا العَامِلُ بِالْكِتَابِ، وَالْقَائِمُ بِالْقِسْطِ، وَالدَّائِنُ بِدِينِ الْحَقِّ، وَالْحَابِسُ نَفْسَهُ عَلَى ذَاتِ الله».[2]

عندما حضر الحسين عليه السلام إلى دار الإمارة بعد أن دعاه الوليد وهو والي المدينة ونعى له معاوية فاسترجع، وقرأ له كتاب يزيد في أخذ البيعة،[3] فقال الحسين عليه السلام:

---

١. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٥، ص٤١٦؛ القندوزي، ينابيع المودّة، ج٢، ص٩٤.

٢. أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام، ص١٧؛ الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٦٢؛ السماوي، إبصار العين، ص٢١٧.

٣. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٤١؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج١، ص١٨٠، فصل٩.

«إِنِّي لَا أَرَاكَ تَقْنَعُ بِبَيْعَتِي لِيَزِيدَ سِرّاً حَتَّى أُبَايِعَهُ جَهْراً فَيَعْلَمَ النَّاسُ ذَلِكَ».

قال الوليد: أجل.

فقال الحسين عليه السلام: «**تصبح وترى رأيك في ذلك**» فقال الوليد: انصرف على اسم الله تعالى حتّى تأتينا مع جماعة الناس، فقال مروان للوليد: والله لإن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً ولكن احبس الرجل لا يخرج حتّى يبايع أو تضرب عنقه. فقال الحسين عليه السلام لمروان: ويلك يا ابن الزرقاء أ أنت تأمر بضرب عنقي أم هو؟ كذبت والله ولؤمت، ثمّ التفت إلى الوليد وقال «**يا أمير إنّا أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة، بنا فتح الله وبنا ختم ويزيد فاسق فاجر شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق والفجور، ومثلي لا يبايع مثله ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالبيعة والخلافة**».

وإنَّ قوّة العارضة في الحقّ تفعلُ في النفوس فعل السحر، وتَعصف بالجلامد والصخور، فتُبدَّل منها حتّى تجعلها كالكثيب المهيل. وكلمة الحقّ الصارخة لابدّ أن تجد لها في أُذن الباطل وقعاً، وأن تترك فيه دويّاً، إمّا أن يصمَّها وإمّا أن يُصلح منها. وكذلك فعلت كلمة الإمام ذلك الدويَّ الّذي كان رجعه صلاحاً وتأنيب ضمير في أُذن الوليد، وصمماًو عتوّاً في أُذن مروان. واسمع إلى المراجعة الّتي دارت بينهما بعد خروج الحسين عليه السلام.

قال مروان للوليد: عصيتني! لا والله لا يمكّنك مثلها من نفسه أبـداً. وكـان أشار عليه بقتله إن امتنع.

فقال الوليد: ويحك، إنّك أشرت عليّ بـذهاب ديني ودنيـاي، والله مـا أُحـبُّ أن أملك الدنيا بأسرها وإنّي قتلت حسيناً، سبحان الله أقتُل حسيناً لـما أن قال: لا أُبايع؟

والله ما أظنُّ أحداً يلقى الله بدم الحسين عليه السلام إلّا وهو خفيف الميزان لا ينظر الله إليه يوم القيامة ولا يزكّيه وله عذاب أليم.[1]

إنَّ هذه الصفحة من تاريخ الحسين عليه السلام مهمّـة وحسّاسـة في توضـيح وكشـف دواعي الثورة وإباء الحسين عليه السلام عن بيعة يزيد، إذ أنَّه عدّد جملةً من الأُمـور يكفـي واحد منها للامتناع والتخلّف عن تلكم البيعة وعلى وجوب الانتفاض والثورة.

فلا يشكُّ أحد في دلالة تلك الأسباب الّتي استند إليها الحسينعلى مشروعية الثورة وحرمة البيعة، فالكلّ يقبل تلـك الخروقـات اليزيديـة كـبرًى وصـغرًى، وحتّى الوليد بن عقبة مع أنّه ابن عـمّ يزيـد وواليـه، فلـم يتحـرّج مـن تصـديق الحسين عليه السلام، وما كـان منـه إلّا أن يستسـلم لمنطـق الحسـين عليه السلام وصـحّة اسـتدلاله واحتجاجه، بلا أيّ ردٍّ أو إنكار.

---

١. العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص١١٣- ١١٤؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ص١٨٤، فصل ٩ ومصادر أُخرى.

ولا ريب أنَّ أفضل من يقدر على بيان علل ودوافع ثورة الحسين عليه السلام هو الحسين عليه السلام نفسه، إذ لا يختلف اثنان في صدق لهجة الحسين عليه السلام ولا في اضطلاعه بحقائق الأُمور ومجريات الأحداث السياسية في العالم الإسلامي، ولا في معرفته بمخطّطات بني أُميّة ويزيد وعمّاله، فما يقوله الحسين عليه السلام في هذا المضمار هو عينُ الحقيقة وكمالها وأوثق مصدر ومرجع يمكن الاستناد إليه في الوقوف على خصوصيّات نهضته ودوافعها.

وما دام الكلام صادقاً ومطابقاً للواقع، نفذ إلى النفوس وقبِلَته القلوب واهتزّت له المشاعر، ولذا فقد أثَّر كلام الحسين عليه السلام حتّى في قلوب أهل الباطل، فرأيناهم يقرّون بذلك أحياناً وإن سكتوا عن الانحراف، أمثال الوليد بن عقبة الّذي لم يتجرّأ على إنكار ما قاله الحسين عليه السلام في وصف يزيد وبني أُميّة، ولقد بدأ الحسين عليه السلام كلامه قائلاً:

«أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَعْدِنُ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطُ الرَّحْمَةِ».[١]

فنجد الحسين عليه السلام يبيِّن أهليّته العلميّة والعملية وسوابقه الفريدة لقيادة الأُمّة، ورعاية مصالحها وتقرير مصيرها، فالكلمة قصيرة، لكنّها مليئة بالمعاني الحسّاسة

١. ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٥، ص١٤.

والخطيرة، فهو قد نبّه الوليد إلى مقامه في العالم الإسلاميّ، وذكّره بأنَّ لا أحد أعرف منه بالأُمور الشرعية والأهداف الإسلامية، ولا أحرص في الحفاظ على بيضة الإسلام وكرامة المسلمين، إذ أنّه من أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، ومهبط الرحمة وملتقى الملائكة.

ولا نظنُّ أنَّ كلماتٍ أوقع من هذه الكلمات يمكنها أن تفيد هذه المعاني وتوصلها إلى ذهن المخاطب.

فبناء التوحيد وعمارة الإسلام العظيم إنّما تمَّت بهندسة جدِّه رسول الله، وجهاد أبيه عليّ عليه السلام، وسخاء جدّته خديجة، وحنان ورعاية أُمّه فاطمة عليها السلام لجدّه وأبيه، وفداء وتضحيات عمّه جعفرٍ الطيّار وعمِّ أبيه حمزة بن عبد المطّلب، وسائر المجاهدين في طريق التوحيد من بني هاشم، وها هو الآن بعد أخيه الحسن المجتبى عليه السلام، المحامي الوحيد عن الإسلام والمتلهّف لإغاثة المسلمين، فإذا سكت ـ وهو الّذي نزلت في بيته قوانين الشرع ومقرّرات الدين وآيات الوحي ـ عن نصرة الإسلام فلا شكّ في أنَّ سائر الناس سيسكتون عن الحقّ ولن يتطوّع أحدٌ للدفاع عن الدين.

لقد أوضحت هذه الجملة القصيرة، مسئوولية الحسين عليه السلام الخطيرة والثقيلة تجاه الإسلام والقرآن، كما رسمت الخطوط العريضة لحركته المستقبلية، وتدلّ بالقطع واليقين على استحالة سكوت الحسين عليه السلام وتجاهله لعواقب الأوضاع الوخيمة.

لقد قام الحسين عليه السلام بما كان سيقوم به جدُّه رسول الله صلى الله عليه وآله لو كان في زمن يزيد. أفهل كان النبيّ صلى الله عليه وآله سيسكت عن سياسة يزيد ويبايعه؟ أم هل يُعقل أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان سيتفرّج على مهازل الحكم الأُمويّ واستخلاف فاسق فاجر شارب للخمر، ولا ينتفض؟ هل كان مشروع النبيّ صلى الله عليه وآله والمجتمع الإيمانيّ الملكوتيّ الّذي أسّسه تحت لواء التوحيد والعدالة والحرّية، يعني أنْ يأتي أمثال يزيد وابن زياد ويتسلّطون على رقاب الناس ويهتكون كرامة المسلمين ويتمرّدون على الحدود والقوانين الإلهية؟

هذا النبيّ صلى الله عليه وآله هو ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله الّذي قالها كلمةً باقيةً على مسمع الدهور والعصور والملل والنحل:

«والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتّى يظهره الله أو أموت دونه».[1]

وهذا الحسين عليه السلام هو ابن ذلك النبيّ، قال:

«إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَعْدِنُ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطُ الرَّحْمَةِ، بِنَا فَتَحَ اللهُ وَبِنَا خَتَمَ، وَيَزِيدُ رَجُلٌ فَاسِقٌ شَارِبُ الْخَمْرِ قَاتِلُ النَّفْسِ الْمُحْتَرَمَةِ

---

١. الطبري، تاريخ، ج٢، ص٦٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٢، ص٣٦٨؛ ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٦٤؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٦٤.

مُعْلِنٌ بِالْفِسْقِ وَالْفُجُورِ، فَمِثْلِي لَا يُبَايِعُ مِثْلَهُ».[١]

فهو غير مستعدٍّ للبيعة مع يزيد حتّى لو ضيّقوا عليه الآفاق وبقي مشرّداً في الصحارى والقفار.

وأنت ترى أنَّ منطق النبيّ صلى الله عليه وآله ومنطق الحسين واحدٌ أبداً. فهذه الجملة المختصرة ألفاظها، الغزيرة معانيها تكشف موقع الحسين عليه السلام في أُمّته، وتشرح وظيفة الحسين عليه السلام تجاه دينه وإسلامه، وتعرّي الحكم الأُمويّ من مشروعيّته، كما أنّها تجسّد مقوّمات شخصيّة الحسين عليه السلام الروحية السامية، يقول: «بِنَا فَتَحَ اللهُ، وَبِنَا خَتَمَ»؛ أي أنَّ منصب ومسؤولية هداية البشرية وقيادتها، فينا أوّلاً وأخيراً. ثمّ يقول:

«وَيَزِيدُ فَاسِقٌ فَاجِرٌ، شَارِبُ الْـخَمْرِ، قَاتِلُ النَّفْسِ الْـمُحْتَرَمَةِ، مُعْلِنٌ بِالْفِسْقِ وَالْفُجُورِ».

فهل ترى صارخةً أشجع وأوضح من هذه، حيث إنَّ المخاطب هو الوليد، والي يزيد على المدينة الّتي هي من أقوى مراكز القدرة والسلطة وفي دار الإمارة ومقرّ الحكومة وبين جلاوزة يزيد وبني أُميّة، يقوم الحسين عليه السلام بفضح شخصيّة

---

١. ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٥، ص١٤؛ ابن طاووس، اللهوف، ص١٧؛ البحراني الأصفهاني، عوالم العلوم، ص١٧٤.

يزيد، وكشف ذمائم أخلاقه الّتي لو وجدت واحدةٌ فقط في شخصٍ مّا، لم يكن أهلاً لإدارة قرية من القرى الإسلامية فكيف إذا اجتمعت كلّ تلك الرذائل في رجل يريد أن يتزعّم الأُمّة الإسلامية كلّها ؟!

فكلّ واحدة من تلك الصفات، تعدُّ دليلاً قاطعاً على عدم مشروعية حكم يزيد وحرمة البيعة له وتمكينه من رقاب المسلمين.

١. الفسق والفجور والزنا والمعاصي.

٢. معاقرة الخمرة.

٣. قتل النفس المحترمة بلا حقّ.

٤. التجاهر بالذنوب.

إذْ أنَّ من صفات الخليفة إظهار العدالة وإشاعة المفاهيم الإسلامية والإيمانية في سلوكه، وأن يكون النموذج الكامل للتربية الإسلامية الصحيحة، والمرآة العاكسة للدين والتديُّن.

كما أنَّ الغرض من تعيين الخليفة والإمام هو إجراء الحدود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصرة المظلوم وتطبيق الشريعة والحفاظ على أرواح الناس، ولذا ينبغي عليه أن يكون أوّل الناس تطبيقاً لهذه المُثل وأسرعهم امتثالاً للأحكام الشرعية، والأكثر التزاماً بأخلاقية الهُدى والصلاح.

أمّا إذا كان الخليفة نفسه متجاهراً بالفسق، مرتكباً للفواحش خائناً لدينه وللمسلمين، غيرُ مأمونٍ ضررُه عليهم، لم يَعُد لتلك الأُمّة أمن ولا أمان وتزلزلت أركان الدولة وسارت نحو الزوال.

فالمجتمع، مضافاً إلى أنّه لا يجوز له أن يبايع أمثال هؤلاء، فإنّ عليه أيضاً أن يثور عليهم ويعزلهم عن مراكزهم ومسؤوليّاتهم.

الجملة الثانية:

«**وَمِثْلِي لَا يُبَايِعُ مِثْلَهُ**».

وما هي النتيجة والخلاصة ممّا تقدّم من كلام الحسين عليه السلام، أي أنَّ الرجل في مقام الحسين عليه السلام لا يعقل أن يدوس على كلّ القيم ويبايع مثل يزيد، إذ أنَّ البيعة مع الخليفة في مصطلح المسلمين تعني التعهّد بالطاعة والانقياد لمن يتولّى منصب قيادة الأُمّة وهدايتها وعزِّها، والّذي يعمل على إحياء الدين ومعالم القرآن الكريم ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وبعبارة أوضح، إنَّ البيعة تكون لخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله.

إنَّ معنى البيعة الصحيحة الصادقة، هو إعلان الاستعداد للانقياد التامّ والتسليم لأوامر الخليفة الحقيقيّ، والتضحية في طريق امتثال تلك الأوامر، والّتي وجبت بحكم قوله تعالى:

﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.[١]

ومثل هذه البيعة مع مثل يزيد بن معاوية ـ وإن كانت صوريّةً ولدفع الضرر ـ هي إمضاءٌ وقبولٌ وشرعيّة لكلّ ذنبٍ يرتكبه وفسقٍ وفجورٍ وتجاهرٍ بالمنكرات يقوم به، وإضاعةٌ لحقوق المسلمين ومعونةٌ للظالمين، ويستحيل على الحسين عليه السلام شرعاً وعرفاً أن يبايعُ مثل هذه البيعة، ولذا قالها صريحةً واضحةً كوضوح الشمس «وَمِثْلِي لَا يُبَايِعُ مِثْلَهُ» وكأنّها حكمٌ بديهيّ مسلَّمٌ عند الجميع، إذ لم يكن أحدٌ منصف يتوقّع من الحسين عليه السلام أن يبايع يزيد أبداً.

وكانت هذه النتيجة منطقيّة ثبَّتها الحسين عليه السلام بعد أن ذكر موقعه في الأُمّة ومقامه في أهل البيت عليهم السلام.

نعم، ولو فرضنا أنّ كلّ المسلمين استسلموا للذُّلّ والمهانة وبايعوا يزيد بن معاوية، لم يكن من الحسين عليه السلام وهو صاحب الفضائل والمناقب الّذي ترنو إليه أبصار المسلمين، وتتوقّع من مثله بذل الجهد في خلاصهم وإنقاذهم من الزاوية الحرجة الّتي وضعوا أنفسهم بها بسوء فعالهم، لم يكن له أن يبايع محور الشرّ والقسوة وقطب الفسق والمجون يزيد. فمقام الحسين عليه السلام متميّزٌ عن سائر الصحابة فضلاً عن سائر المسلمين، فهو من أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة،

---

١. النساء، ٥٩.

ومهبط الوحي، ومختلف الملائكة، ومنزل الرحمة الإلهية، وهو من بعد أخيه الإمام الحسن عليه السلام الابن الوحيد لابنة سيّد المرسلين على وجه الأرض وسبطه، ولذا قال للفرزدق «إنَّ هؤلاء قوم لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد في الأرض، وأبطلوا الحدود، وشربوا الخمور، واستأثروا في أموال الفقراء والمساكين، وأنا أولى من قام بنصرة دين الله، وإعزاز شرعه، والجهاد في سبيله، لتكون كلمة الله هي العليا».[1]

فلم يكن للإمام الحسين عليه السلام خيارٌ وهو في موقعه ذاك، ويزيد في موقعه ذاك، إلّا أن يُعلن حالة الخطر والنداء بعدم شرعيّة حكومة يزيد وبيعته، إذ أنّ بيعة الحسين عليه السلام أو بيعةَ كلّ واحدٍ من الصحابة ليزيد تعدُّ إضفاء شرعيّة لحكمه وتنزيهاً له وتزكيةً، وإبطالاً لحقيقة الخلافة، وعدولاً عن كلّ شرائط الزعامة الإسلامية وخلافة النبيّ صلى الله عليه وآله وسوق المجتمع إلى الضلالة، وستكون هذه البيعة سلسلةَ قيودٍ لأسر وتعذيب أولياء الله، لا يوازي ثقلُ الجبال ثقلها.

لقد انتفض الحسين عليه السلام بهذا المنطق، وثبت عليه إلى النهاية وكان يقول:

«مَا الْإِمَامُ إِلَّا الْعَامِلُ بِالْكِتَابِ، وَالْقَائِمُ بِالْقِسْطِ، وَالدَّائِنُ بِدِينِ الْحَقِّ، وَالْحَابِسُ نَفْسَهُ عَلَى ذَاتِ اللهِ».[2]

---

١. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢١٧–٢١٨.

٢. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٦٢.

ويوم عاشوراء، وعندما صُبَّت عليه المصائب والبلايا والرزايا كان يكرّر نفس المنطق ويقول:

«أَمَا وَاللهِ لَا أُجِيبُهُمْ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا يُرِيدُونَ حَتَّى اَلْقَى اللهَ وَأَنَا مُخَضَّبٌ بِدَمِي».[1]

٤. فسادُ أجهزة الحكم

لا خلاف بين المفكّرين والعلماء في ضرورة كون الحكومة الإسلامية راعيةً لمصالح المسلمين ممثّلةً لأفكارهم وآرائهم ومجسّدةً لروح المجتمع الإسلاميّ ومحقّقةً لرسالة الإسلام.

ويعتقد الشيعة، أنَّ الحاكم هو القائد الإلهيّ الكامل، وهو النبيّ صلى الله عليه وآله. وبعد رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله والتحاقه بالرفيق الأعلى تعيّنت القيادة في أشخاص نصبهم الله على لسان الرسول صلى الله عليه وآله وكما كان النبيّ صلى الله عليه وآله متكفّلاً قيادة المجتمع دينياً وروحياً وأخلاقياً وسياسياً واجتماعياً، فكذلك الإمام يتمتّع بذلك الموقع، بفارق أنّ النبيّ يوحى له والإمام لا يوحى له، وإنّما يعتمد على الكتاب والسنّة في أداء وظائفه، أمّا النبيّ فيأخذ الشرائع والدين من عالم الغيب وهذا من مختصّات النبيّ صلى الله عليه وآله.

---

١. ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٤٥، ص١٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٢؛ العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص١١٨.

ومن الواضح، أنَّ هذا المنهج لإدارة المجتمع هو أفضل المناهج والطرق النافعة والصحيحة، ولا شكّ في أنَّ من يعيّنه النبيّ ﷺ بأمرِ الله تعالى، يكون لائقاً ومؤهّلاً لهذه القيادة، وكما يقول الفيلسوف الكبير الشيخ أبو عليّ ابن سينا:

«وَالْاِسْتِخْلَافُ بِالنَّصِّ أَصْوَبُ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يُؤَدِّي إِلَى التَّشَعُّبِ وَالتَّشَاغُبِ وَالْاِخْتِلَافِ».[1]

وبناءاً على مذهب أهل السنّة، فكذلك ينبغي على الحكومة أن تكون مَظهَر روح المجتمع الإسلاميّ، وإنّما تجب طاعة مقرّراتها فيما لو كانت ملتزمةً بحفظ شعائر الإسلام ورعاية مصالح المسلمين، وأن تكون مصدر قدرةِ المجتمع المسلم، فإن تخلّفت عن ذلك لم تكن شرعيةً ولا إسلاميةً.[2]

---

١. ابن سينا، الشفاء (الإلهيات)، ج٢، ص٤٥٢، الفصل ٥، المقالة ١٠.

٢. وعلى الرغم من أنّ ما ورد في الأخبار المرويّة بطرق أهل السنّة من عدم جواز إطاعة الحكومات الظالمة غير الملتزمة بأحكام الإسلام وحتّى تلك الروايات المطلقة في لزوم إطاعة الحاكم منصرفةٌ إلى الحاكم الحافظ للشرع ومصالح عامّة المسلمين، إلّا أنّه وللأسف لا نجد تطبيقاً لهذه القاعدة الشرعيّة عملياً، فأكثر أهل السنّة يطيعون الحكّام على علّاتهم كالوليد والحجّاج ويزيد وجبابرة بني العبّاس والفسّاق والظلمة، ويعتبرونهم خلفاء رسول الله ﷺ وأُمراء المسلمين ويوجبون طاعتهم. ولكن كبار المفكّرين المعاصرين من أهل السنّة، أنكروا هذا التسليم والانقياد والإطاعة وخرقوا تلك السيرة الّتي كانت قائمةً لقرون مديدة، وانتقدوها وأبطلوا هذا المُعتَقَد، وكشفوا فضاعة مثل هذا الفكر المنحرف، البعيد عن روح الشريعة والقرآن.

ومن أهمّ وظائف الخلافة وتعهّداتها هو تقويم الاعوجاج وتطبيق العدالة الاجتماعية وإجراء القوانين الإسلامية، فإذا ما أهملت الخلافة هذه الجوانب، لم يعُد لها أيّ اعتبار ولا قيمة، ويكون التمرّد على أوامرها واجباً، وإعانتها ذنباً، ولقد حارب الإسلام تسلّطَ الحاكم واستبداده، وأسقط الحكومات المستبدّة في أفريقيا وأُمراء ورؤساء قبائل نجد والحجاز وغيرها. وأدان الإسلام بشدّة إذلال البشرية بأيّ عنوان كان ذلك، ورَفع المستوى الثقافيّ والفكريّ للمجتمع، وكسر شوكة المستثمرين ولم يكن كلّ ذلك من أجل استبدال الحاكم الفارسيّ أو الأفريقيّ بحاكمٍ عربيّ وإنّما كان ذلك من أجل تثبيت أُسس كرامة الإنسان ونجاته من الاستغلال والاستعباد.

ولم يحارب الإسلام ملوك إيران ولم يهدم قصر كسرى الّذي بُني على أكتاف المزارعين المحرومين وبأموالهم، لكي يستبدله بقصر الخضراء في الشام، وقصور المنصور في بغداد، ولا أن يتغيّر اسم الحكم من كسرويّ إلى أُمويّ أو عبّاسيّ يضطهد الناس ويستعبدهم[1] بل كان هدف الإسلام من كلّ ذلك هو إنهاء

---

١. ومن نماذج استعباد بني العبّاس للنّاس، أنّهم كانوا قد نصبوا حجراً على باب أحد قصور الخليفة العبّاسي، مشابهاً للحجر الأسود، وقد غطّي بقطعة قماش ثمينة، فمن أراد من الرؤساء والملوك ورجال الحكم لقاء الخليفة عليه أن يمرَّ على ذلك الحجر ويقبّله!!

وعندما أراد أحد العلماء واسمه مجد الدين إسماعيل الفالي أن ينقل رسالة حاكم فارس إلى خليفة بغداد، امتنع عن تقبيل الحجر، ولـمّا ألزموه بذلك، اضطرّ إلى وضع قرآن على ذلك الحجر وتقبيل القرآن (ميرخواند، روضة الصفا).

الاستعباد والاستبداد، كي تتمكّن الشعوب من صيانة عزّتها وشرفها والحدِّ من الطاعة العمياء للملوك.

فالإسلام، لا يعتبر السلطة والقدرة ملكاً للحاكم يتصرّف بها كيف يشاء، فيجمع الغلمان والحريم، ويكنز الذهب والفضّة، ويبني القصور الفخمة، ويتباهى على الفقراء وسائر المسلمين بقدرته وملكه، وإنّما يرى الإسلام أنّ القدرة والسلطة هي تجلٍّ من تجليّات قوّة الشعب والمجتمع، والحاكم أحد أفراد ذلك المجتمع، وأنَّ كلّ فرد من أفراد الأُمّة له نصيب من هذه القدرة، فلا يمكن تحويل هذه القدرة العامّة إلى سلطة فرديّة يُساء استغلالها.

فالنظام الإسلاميّ قائم على أنَّ واضع الأحكام ومقنّن القوانين هو الله عزّ وجلّ وليس لأحدٍ من البشر حقّ التشريع:

﴿إِنِ الْـحُكْمُ إِلَّا للهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾.[١]

وقد أوجب الإسلام على الجميع رعاية قواعد الشرع وإقامة الحدود، ونهى عن الحكم بما لم ينزل الله:

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.[٢]

---

١. يوسف، ٤٠.

٢. المائدة، ٤٥.

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.[١]

ومن اختار غير حكم الله واتّبع غير منهج الإسلام وشريعة القرآن فهو ضالٌّ مضلٌّ:

﴿وَمَا كَانَ لِـمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَـهُمُ الْـخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً﴾.[٢]

فالإسلام يهدفُ إلى إنهاء حكومة البَشر وتسليم الأمر إلى حكومة الله عزّ وجلّ.

وعندما حمل النبيّ صلى الله عليه وآله راية التوحيد والدعوة إلى هداية البشريّة، وانتشر صدى ندائه في أقطار العالم فأيقظ المجتمعات النائمة على فراش الغفلة، وانتبه الجميع إلى أنغام هذه الأُنشودة الجميلة الّتي لم يسمعوا مثلها أبداً، فعرَّفهم بحقوقهم وكرامتهم وقدرهم وقيمتهم الروحيّة والمعنويّة وقال:

﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ﴾.[٣]

لقد كانت الحكومات في ذلك الوقت، وسائلَ لاستعباد واستثمار شرائح كبيرة من طبقات المجتمعات، فسلطنة البشر على البشر واسترقاقه كانت هي

---

١. المائدة، ٤٧.

٢. الأحزاب، ٣٦.

٣. آل عمران، ٦٤.

الرائجةَ، وكان للحكم سلطنةٌ مطلقة في الحروب والسلم والاتّحاد والتنازع، وكلّ القرارات العسكريّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة كانت من حقّ الحاكم فقط، ولم يكن للشعوب حول ولا قوّة في التدخّل باتّخاذ أيّ قرار، بل كان عليها التسليم والانقياد المطلق.

وكان احترام الناس للحاكم والأمير والوزير، ليس من جهة حبّهم وموافقتهم إيّاه، وإنّما كان في الأغلب باعتباره صاحب الحقّ في التصرّف وأنّه السلطة العليا الّتي ينبغي التسليم والخضوع لها، وتعظيمها تعظيماً لا يمتُّ إلى الأخلاق الإنسانيّة بأيِّ صلة، وتواضعاً فاق تواضع العبيد لأسيادهم.

في مثل هذا العالم الّذي كانت الشعوب فيه بمثابة مماليك للملوك وعبيد للأُمراء الّذين كانوا يعتبرون الناس خدماً وعبيداً لهم، وفي الوقت الّذي كانت البشريّة تمرّ بمرحلة انحطاط اجتماعيّ وأخلاقيّ كبير، ظهر نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله يحمل بشارة الحرّيّة وإلغاء الاستعباد والرقّيَّة والإذلال، ويعلّم الناس دروس العدالة والفضيلة والمساواة.

ذات يوم جاء أعرابيّ إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، ومع أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان في ذلك اليوم يعيش حياةً بسيطةً هو وأصحابه، فلا عرش ولا كرسيّ ولا سجّاد ولا خدم ولا قصر، لكن أخذت الهيبة والرهبة مأخذاً من ذلك الأعرابيّ فارتعش جسده، وكأنّه يقف أمام ملك من الملوك، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: على رسلك يا أخا العرب، ما أنا إلّا رجل

ولدتني امرأة من قريش تأكل القديد».[١]

إنّ مسؤوليّة الحكم والإمارة مسؤوليّة خطيرة، وإنّ عواقب وخيمة تتهدّد الأُمراء والحكّام، إلّا أنْ يقيموا الحقّ ويمحوا الباطل.

ولقد كان أولياء الله والأتقياء يتهرّبون من الإمارة والحكم ويفرّون من السلطة والزعامة فرارهم من الأُسود الكاسرة الوحشيّة، إذ قلَّ ما تجد إنساناً لم يغرَّه السلطان والقدرة ولم تؤثّر في روحه وأخلاقيّاته وسلوكه، فالحاكم واقفٌ على شفير جهنَّم إلّا أن يقيم الحقّ ويعمل بالصدق.

روى صاحب كتاب «الصفوة» عن أبي مطرف أنّه رأى عليّاً عليه السلام في السوق يسأل بزّازاً هل عنده قميص؟ فقال له البزّاز: نعم يا أمير المؤمنين. ولّما عرف عليّ أنّ البزّاز عرفه، تركه وذهب إلى آخر، ووصل إلى شابّ لم يعرفه فاشترى منه قميصاً بثلاث دراهم. فجاء أبو ذلك الشابّ فأخبره ابنه بذلك فعرف الرجل أنّ عليّ بن أبي طالب هو الّذي اشترى القميص فأخذ درهماً وذهب إلى عليّ عليه السلام وقال له: يا أمير المؤمنين إنّ قيمة الثوب درهمان. فأخبره عليّ عليه السلام أنّه اشترى الثوب من الغلام بثلاث دراهم وهو راضٍ بذلك.[٢]

---

١. الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص١٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج١٦، ص٢٢٩.

٢. الطبري، ذخائر العقبي، ص١٠٨؛ القندوزي، ينابيع المودّة، ج٢، ص١٩٦.

وقال عليّ عليه السلام لابن عبّاس ذات يوم وهو في ذي قار، بينما كان أمير المؤمنين عليه السلام يصلح نعل رجله: «**مَا قِيمَةُ هَذِهِ النَّعْلِ؟**».

فقال ابن عبّاس: «**لَا قِيمَةَ لَهَا**».

قال عليه السلام: «**وَاللهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقّاً أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلاً**».[١]

ونحن نعتقد أنّ من أهمّ الأُمور الدالّة على روح الإسلام العظيمة وتعاليمه وأهدافه، هو طريقة وأُسلوب الحكم وإدارة الأُمور سياسيّاً واجتماعياً في النظام الإسلاميّ.

ولكن وللأسف الشديد، إنَّ جهاز الحكومة بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وعروج روحه إلى الملأ الأعلى، ابتعد عن محتواه الشرعيّ شيئاً فشيئاً بسبب انحراف الخلافة عن مسيرها الواقعيّ، وكلّما ابتعدنا عن عصر النبيّ صلى الله عليه وآله زاد ذلك الانحراف، وزاد التشبّه بالحكومات والأنظمة الّتي حاربت الإسلام، وهيمن شبح الجاهليّة على أجهزة الحكم، وزادت الهوّة بين السياسة والدين، وانفصلت الحكومة عن الشريعة.

وهذه الفاصلة وإن كانت قليلةً في زمن الخليفة الأوّل والثاني بسبب قرب الناس من التجربة المحمّديَّة وأُنسهِم بالحكومة العادلة للنبيّ صلى الله عليه وآله، وهذا ما منع من تبديل الحكم الإسلاميّ إلى كسرويّة وقيصريّة علنيّة، فوجود كبار الصحابة كان

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٣٣ (ج ١، ص٨٠) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢، ص١٨٥؛ ابن ميثم البحراني، شرح مائة كلمة، ص٢٢٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٢، ص٧٦.

رادعاً للانحراف الكبير، ولذا وجدنا بعض الفتوحات واتّساع ربقة الدولة الإسلامية، إذ ما كان بالإمكان نشر الإسلام وتوسيع الحكومة الإسلامية إلّا بالمنهج الّذي نهجه النبيّ صلى الله عليه وآله ولذا كان الخلفاء يتقيّدون برعاية الظواهر الشرعيّة والإسلاميّة، ويتظاهرون بحمل لواء العدالة الاجتماعية لكسب تأييد المسلمين للحكم، ومع أنّهم ارتكبوا الكثير من الخروقات الشرعية، ولكن وفي الجملة كان ظاهر الحكم والمنهج المتّبع في إدارة الدولة وسياستها يختلف كثيراً عن ظاهر الحكومات الْـمَلكِيّة الموجودة في ذلك الزمان وكان المسلمون يتحسّسون هذه الفرق وهو ما كان يجعلهم يغضّون الطرف عن التجاوزات والمخالفات الإداريّة للحكم الإسلاميّ القائم.

ولكن هذا الوضع لم يَدُم طويلاً، ففي زمن عثمان تغيَّر المنهج رسميّاً وبشكل سافر، ولذا تعالت أصوات الاعتراض والانتقاد ضدّ سياسة عثمان خاصّة في نصب الولاة والعمّال الّذين لم يراعَ في نصبهم وعزلهم ملاك الصلاح والأهليّة والأمانة، بل كان عثمان ينصب الولاة المتَّهمين بالفساد والانحراف الأخلاقيّ والشرعيّ، لمجرّد قرابتهم منه.

يقول سيّد قطب في كتابه ***العدالة الاجتماعية***: إنَّ من أسوأ المصادفات هي تقديم عثمان بن عفّان على عليّ بن أبي طالب عليه السلام حيث جعل عثمان مقاليد الحكم بيد رجال متّهمين من بني مروان، ولو أنّ حسن الطالع قد حالف عليّاً وصار

خليفةً لاستمرّت تعاليم الإسلام.[١]

ويقول: إنّ سوء طالع المسلمين هو الّذي سلّط رجلاً ضعيفاً غير كفوء كعثمان على الخلافة.[٢]

ثمّ ينتقد سيّد قطب سياسة عثمان الماليّة ومنهجه في غارة أموال المسلمين وتسليطه بني معيط وبني أُميّة والحَكَم طريد رسول الله صلى الله عليه وآله على رقاب الناس، وهباته اللامعقولة واللا مسؤولة من مال الفقراء ويقول:

إنَّ عثمان أهدى لصهره ليلة زفافه مائتا ألف درهم من بيت المال. وكان زيد بن الأرقم خازن بيت المال فحزن واهتمّ واغتمّ لذلك الإسراف وسرقة بيت مال المسلمين ممّا دعاه إلى الاستعفاء من عمله، فقال له عثمان: يا ابن أرقم أتبكي لأنّي أصل الرحم؟! فقال له زيد: والله لو أنّك أعطيته مائة درهم لكان كثيراً. فغضب عثمان وقبل استقالة زيد بدلاً من أن يتوب إلى ربّه.[٣]

و في صفحة ١٨٧ من الكتاب يقول: «إنَّ أمثلة ذلك في تاريخ عثمان كثيرة، ومن جملتها أنّه أعطى للزبير ستّمائة ألف درهم، ولطلحة مائتا ألف

---

١. سيّد قطب، العدالة الاجتماعية، ص١٨٢.

٢. سيّد قطب، العدالة الاجتماعية، ص١٨٢.

٣. سيّد قطب، العدالة الاجتماعية، ص١٨٧.

درهم، ووهب مروان بن الحكم خمس خراج أفريقيا، مع أنّ كبار الصحابة نهوه عن ذلك».[١]

و في صفحة ١٩٠ يقول: «من الواضح أنّ سياسة عثمان في توزيع بيت المال وطريقة مستشاره مروان وتعيينه الولاة من بني أُميّة أثّر في سير تأريخ الأُمّة الإسلاميّة».[٢]

وفي نفس الصفحة يقول: ليس قليلاً أن يرى الناس أنّ الخليفة قد استأثر بالخلافة لنفسه وعشيرته، وأنّه يقسّم بيت المال بينهم طارداً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، مولّياً أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله المناصب والمقامات.

وفي صفحة ٢٠٩ يقول: إنَّ عثمان قُتل يوم قُتل وهو يملك مائةً وخمسين ألف مثقال ذهب ومليون درهم، وبلغت قيمة ضياعه وأراضيه مائة ألف دينار ذهب، أضف إلى ذلك جياده وإبله الكثيرة.[٣]

وفي صفحة ١٥٧ يقول: «لقد كان عليّ عليه السلام هو الخليفة الحقيقيّ لرسول الله صلى الله عليه وآله والّذي كان يرتعش في الشتاء من البرد القارص، لأنّه لم يكن يملك ثوباً

---

١. سيّد قطب، العدالة الاجتماعية، ص١٨٧.

٢. سيّد قطب، العدالة الاجتماعية، ص١٩٠.

٣. سيّد قطب، العدالة الاجتماعية، ص٢٠٩.

شتويّاً مع أنّ بيت المال كان بيده، ولم يكن يمنعه من التصرّف ببيت المال إلّا يقظة الضمير.[١]

كان خالد بن معمّر السدوسي يدعو العلباء بن هيثم إلى ترك عليّ عليه السلام والاتّصال بمعاوية، وكان يُمنّيهِ بالجوائز وأموال معاوية ويقول: يا علباء إنّك لن تصل إلى المال مع عليّ وكيف تحصل المال من رجل لا يزيد عطاء ولديه الحسن والحسين درهماً يخفّف عنهما وطأة العيش.[٢]

ونفذ صبر المسلمين الأحرار من سوء أوضاع الدولة زمن عثمان بعد أن أهمل عثمان الاستماع إلى نُصحهم واعتراضاتهم على ولاته، فلم يعزل أحداً من أُولئك المفسدين الّذين تصدّوا لنهب أموال المسلمين وإهانة الصحابة وهضم الناس حقوقهم، حتّى انجرَّ الأمر إلى خلع عثمان عن الحكم وقتله[٣].

ولكن هذا الانقلاب والثورة جاء بعد فوات الأوان قليلاً، فقد ضيّع المسلمون الفرصة على أنفسهم، إذ كان الولاة والعمّال قد أحكموا قبضتهم على

---

١. سيّد قطب، العدالة الاجتماعية، ص١٥٧.

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٢٥٠.

٣. ولقد استغلّت الأطراف والفئات هذه الحادثة لصالح إمرار مخطّطاتها الشيطانيّة، أمثال معاوية وطلحة والزبير وعائشة مع أنّهم كانوا من المحرّضين على قتله. ولا مجال في هذا الكتاب لشرح تفاصيل هذا البحث.

المناطق الّتي كانوا يحكمونها وكانوا قد اشتروا الضمائر والذمم بالأموال، وأسكتوا الأصوات بالإرهاب والتنكيل، ومسخوا الشخصيّة الإسلاميّة الرساليّة، وخاصّةً معاوية ابن أبي سفيان والي عمر وعثمان على الشام الّذي اقتدى بقيصر الروم في طراز الحكم والسياسة وحاول قتل الروح الإسلامية عند المسلمين وقد نجح في ذلك إلى حدٍّ بعيد.[1]

وفي خضمِّ هذا الجوِّ السياسيّ والاجتماعيّ الملتهب والحسّاس، استلم أمير المؤمنين عليه السلام زمام الخلافة، وبَدَت في الأُفق طليعة تشكيل حكومة إسلاميّة أصيلة.

فكان الجميع يطمع ويأمل أنَّ عليّاً سيحقّق الأهداف الإسلاميّة وأنّه سيعيد عصر النبيّ صلى الله عليه وآله الذهبيّ، وأنّه قد ولّى زمن الظلم والجور والتمييز القوميّ والعنصريّ

---

١. لقد نجح معاوية بانتهاجه منهج ملوك الروم والفارس في الحكم، في استعباد الناس وغسل أدمغتهم وتأصيل حبّ الدنيا وزخارفها في نفوسهم، ولقد كان موكب معاوية في سفره وتنقّلاته مشابهاً لموكب الملوك والقياصرة، ولقد نقل ابن سعد في ***الطبقات***؛ عندما قدم عمر بن الخطّاب إلى الشام، اعترض على معاوية في ملابسه حيث وجد أنّه يرتدي جبّة خزٍّ ولباس ديباج، ولكنّه قبل عذر معاوية وإن كان ذلك العذر سخيفاً لا يمتّ إلى روح الشرع بأيّ صلة، فأجازه عمر على ذلك!! (ابن عقيل العلوي، النصائح الكافية، ص٢٠٨) وفي ***أُسد الغابة*** (ابن الأثير الجزريّ، ج٤، ص٣٨٦) ذكر أنّ عمر بن الخطّاب قال في حقّ معاوية: هذا كسرى العرب!! راجع أيضاً: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٩، ص١١٤-١١٥؛ الذهبيّ، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص١٣٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص١٣٤.

ونهب بيت مال المسلمين وقتل المستضعفين، وأنَّ عليّاً عليه السلام سيعزل الولاة الفاسدين الفاسقين، وأنَّ العدالة والمساواة والأُخوّة الإسلامية ستحقّق بشكل تامّ وكامل.

وكلّ هذه التطلّعات والآمال في عليّ عليه السلام إنّما جاءت لسابق معرفة المسلمين بسيرة عليّ عليه السلام وصلابته في الله وغزير علمه وورعه وتقواه وزهده وارتباطه الروحيّ والأخلاقيّ بالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ومعرفته التامّة بروح التعاليم الإسلامية الخالصة، ولم يكن ظنُّ المسلمين بعليّ عليه السلام جزافاً أبداً، ولا مجاملةً ولا مبالغةً.

فلا يُنتظر من حاكم مثل عليّ عليه السلام إلّا ترويج العلم والشريعة وتطبيق العدالة ونصرة المظلوم وإعمار البلاد الإسلامية وإرساء أقوى وأمتن أُسس النظام الإسلاميّ الصحيح، وحتّى أعداءُ عليّ عليه السلام لم يتوقّعوا غير ذلك، ولذا نجد أنَّ المسلمين كانوا يقولون: لقد ذكّرنا عليّ عليه السلام بأيّام رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولكن... أسفي على المسلمين إذ أنّهم تأخّروا كثيراً في الالتجاء إلى عليّ عليه السلام، فقد كانت الفاصلة الزمنيّة بينهم وبين عهد النبيّ صلى الله عليه وآله تقرب من خمسة وعشرين عاماً، وكان الفاسدون والطامعون أمثال مروان ومعاوية والوليد بن عقبة وعمرو بن العاص قد تغلغلوا في أجهزة الدولة الإسلامية، إلى درجة تمكّنهم من التأثير في القرارات وإثارة الانشقاقات والتمرّد على منهج أمير المؤمنين عليه السلام خاصّةً وأنّهم كانوا قد انتشروا في بقاع متفرّقة من أرجاء الدولة كالشام ومصر وأفريقيا والبصرة وغيرها من ولايات الحكم.

فالموانع والعقبات الكأداء الّتي كانت تعترض سبيل تشكيل حكومة إسلامية قويّة، كانت متعدّدة، ولم يكن مع عليّ عليه السلام ممّن يمكن الاعتماد عليه من تلامذة مدرسة النبيّ صلى الله عليه وآله إلّا عدّة قليلة أمثال عمّار بن ياسر والّذين بقوا على ارتباطهم الروحيّ والسياسيّ مع عليّ عليه السلام.

ولو أنَّ عليّاً عليه السلام كان قد تقلّد زمام الأُمور بعد النبيّ صلى الله عليه وآله مباشرةً، كما كان التخطيط الإلهيّ مقرّراً، وكما يقول المفكّر المصريّ سيّد قطب لو أنّه كان قد استلم الخلافة قبل حكومة عثمان وتسلّط بني أُميّة، ولم تكن الخلافة قد انحرفت ذلك الانحراف الكبير، ولم يكن لأمثال معاوية ذريعة قميص عثمان، لأمكن إجراء بعض الإصلاحات وإرجاع الأمر إلى سابق عهد الخلافة الإسلامية بما يقرب من عهد النبيّ صلى الله عليه وآله، لكن مخطّط الشورى السداسية قد أثمر ثماره، وكان منْ أسَّس تلك الشورى قد خطّط مسبقاً تنحية عليّ عليه السلام وتنصيب عثمان توخّياً لتحقّق تلك التغييرات الأساسية في نمط الحكم الإسلاميّ.

ومع كلّ ذلك، فقد حقّق عليّ عليه السلام وخلال مدّة خلافته القصيرة وبذل كلّ ما بوسعه من أجل إعادة الشريعة إلى مسارها الصحيح، حقّق الكثير من الإنجازات وعلى كافّة الأصعدة حتّى صارت خلافة عليّ عليه السلام مضرب المثل في العدالة والمساواة والعلم والورع واحترام الإنسان، ولكن تلك الأوضاع المضطربة والموانع والصعاب ووجود الأشقياء أمثال ابن ملجم المراديّ، حرمت

الأُمّة الإسلامية بل البشرية جميعاً من تحقّق عصر إسلاميّ نورانيّ شامل.[١]

وكما يقول توماس كارل المسيحيّ في كتابه «الأبطال»:

«إنّ عليّاً عليه السلام قد قُتل وطويت صفحة خلافته لعدالته وشدّة اهتمامه بإجراء هذه العدالة ولكنَّ تلك السنوات الخمس، وعلى الرغم من كثرة ابتلاءات عليّ عليه السلام وشدّة المعارضة له وقسوتها، قد أيقظت المسلمين، فبساطة عيش عليّ عليه السلام وزهده وتواضعه وورعه وتقواه وعلمه وحلمه ورجولته وبطولته، كانت قد تركت أثراً عميقاً في أعماق نفوس الناس فصارت مضرباً للمثل في المثل العليا، وكلّما مرَّ الزمان وتجدّد الحكّام، ازداد إيمان الناس وتجليلهم وتعظيمهم لعليّ وآله عليهم السلام، وما زالوا يترنّمون ويتغنّون بمآثر عليّ عليه السلام وفضائله وعدله وحكمته وعرفانه، وفي نفس الوقت يتأسّفون على تفريطهم بعليّ عليه السلام وبعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، اضطرّ الإمام الحسن عليه السلام ورعايةً للمصالح الإسلاميّة العُليا، ولمعالجة بعض الشبهات الفكريّة، أن يصالح معاوية، وما قلناه وما سنقوله في شأن معاوية

---

١. فلو لم يسقط عليّ عليه السلام في محرابه، لحمل الناس على *المحجّة البيضاء* ولسار بالإسلام في المسار الصحيح السليم، ولنحّى بني أُميّة ومنعهم من التدخّل في الشؤون السياسية، لكن شقاوة ابن ملجم غيّرت مسيرة التاريخ الإسلامي وبدّلت مصير الأُمّة الإسلامية، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وخبثه وخسَّة عنصره، قليل جدّاً، ومن أراد الوقوف على بعض حقائق شخصيّة هذا الرجل فليراجع كتاب «النصائح الكافية» وكتب التاريخ.

يقول الكاتب المعاصر محمّد الغزالي:

وقد أجمع أئمّة المسلمين على أنّ تقاليد الإسلام في الحكم قد تحوّلت عن مجراها الرشيد على عهد معاوية وأُسرته ثمّ التأث أمر الدين واضطربت مصالح الناس ووجد من حكّام المسلمين من سبق ملوك الكفر في سكرتهم وعمايتهم وذلك من سوء حظّ البشر قبل أن يكون من سوء حظّ المسلمين. وحكم الإسلام في دفع أُولئك الجبّارين لا يحتاج إلى مزيد من البيان والتكرار.[1]

ويقول السيّد قطب:

فلمّا جاء الأُمويّون وصارت الخلافة الإسلامية ملكاً عضوضاً في بني أُميّة لم يكن ذلك من وحي الإسلام إنّما كان من الجاهلية الّذي أطفأ إشراقة الروح الإسلاميّ.

ويكفي أن نثبت هنا صورةً من البيعة ليزيد لنعلم على أيِّ أساس قامت:

دعا معاوية الوفود ليتكلّم في اجتماع عقده لأخذ البيعة ليزيد، فتقدّم يزيد بن المقفّع فقال: أمير المؤمنين هذا. ثمّ أشار إلى معاوية. ثمّ قال: فإن هلك فهذا.

١. الغزاليّ، الإسلام والاستبداد السياسيّ، ص٤٣.

وأشار إلى يزيد. ثمّ قال: فمن أبى فهذا، وأشار إلى السيف. فقال معاوية: اجلس فإنّك سيّد الخطباء.

ثمّ يذكر سيّد قطب كيفيّة أخذ البيعة ليزيد في مكّة وأنّها تمّت بالتهديد والسيوف والرماح.[١]

وبعد أن يذكر مخازي يزيد كمعاقرته للخمرة وتركه الصلاة وارتكابه الزنا، يقول:

فإذا كانت هذه مقالة خصم ليزيد فإنّ تصرّفات يزيد العملية الواقعية في ما بعد من قتل الحسين عليه السلام على ذلك النحو الشنيع إلى حصار البيت ورميه... إلخ تشهد بأنّ خصوم يزيد لم يبالغوا في ما قالوه. ثمّ يقول:

وأيّاً ما كان الأمر فإنّ أحداً لا يجرأ على الزعم بأنّ يزيد كان أصلح المسلمين للخلافة وفيهم الصحابة والتابعين، إنّما كانت مسألة وراثة الملك في البيت الأُمويّ، وكان هذا الاتّجاه طعنةً نافذةً في قلب الإسلام ونظام الإسلام واتّجاه الإسلام.[٢] ففي زمن معاوية كان أُسلوب الحكم قد ابتعد كثيراً عن نمطه الإسلاميّ وبدأ التحوّل الكبير في شكل إدارة الدولة، وكانت البيعة ليزيد هي القشّة الّتي قصمت ظهر البعير، وكما يقول سيّد قطب:

---

١. سيّد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، ص١٨٠ - ١٨١.

٢. سيّد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، ص١٨١.

إنَّ بيعة يزيد كانت الضربة القاضية في قلب الإسلام ونظامه، فوجب على الحسين عليه السلام أن يتلافى ذلك، ويضمّد الجراح الّتي أصابت جسد الإسلام، وأن يُنبِّه المسلمين إلى عدم شرعيّة هذه البيعة والحكومة، وأنَّ الخلافة الراشدة قد استحالت إلى ملكيّة.

كان على الإمام الحسين عليه السلام أن يُعلم الجميع، أنَّ قيادة الأُمّة الإسلامية من قبل رجل كيزيد، أمرٌ مستحيل، وأنَّ يزيد وأمثاله قد غصبوا الخلافة وأنّ منهجهم مغايرٌ تماماً لمنهج الحكومة الإسلامية.

ولقد أوضح الحسين عليه السلام رأي الدين في حكومة يزيد، وأنقذ المسلمين من مغبّة اشتباهاتهم الّتي كادت أن تبعدهم عن حقيقة الإسلام وأحكامه.

فلو أنَّ الحسين عليه السلام كان قد سكت على سياسة يزيد أو بايع يزيد، لاختلطت الأوراق على عامّة المسلمين، واندثر النمط الإسلاميّ الصحيح للحكم، ولصار منهج يزيد وبني أُميّة هو المصداق الأوضح للحكم الإسلاميّ.

يقول المستشرق الأُستاذ نيكلسون:

«كان الأُمويّون في نظر الدين طغاةً، وإن كانوا كذلك فلا يحلّ لهم أن يقتلوا المؤمنين الّذين امتشقوا الحسام ضدّ الغاصبين لسلطانهم، وأمّا حكم التاريخ في هذا الموضوع إذا ما تصدّينا لبحثه فلن يعدو أن يكون حكم الدين ضدّ الملوكيّة أو قضاء الحكومة الدينية ضدّ الإمبراطوريّة، وعلى هذا الأساس يحكم التاريخ

بحقٍّ بإدانة الأُمويّين (أي في مصرع الحسين عليه السلام) على أنّه يجمل بنا أن نذكر أنّ انفصال الدين عن الحكومة لا وجود له في نظر المسلمين.[١]

ويبيّن الأُستاذ محمّد الغزالي، بعض مفاسد نظام الحكم في عهد يزيد ويقول: وإليك بعض المآخذ على نظام الحكم في العهد الأُمويّ:

١. تحوّل الخلافة الراشدة إلى ملك عضوض واحتكرت زعامة المسلمين أُسَرٌ معيّنة.

٢. ضعف إحساس الأُمّة بأنّها مصدر السلطة وأنَّ أميرها نائب عنها أو أجير لديها، وأصبح الحاكم الفرد هو السيّد المطلق النفوذ والناس أتباع إشارته.

ترى الناس إن سرنا يسيرون حولنا وإنْ نحن أومأنا إلى الناس وقّفوا

٣. تولّى الخلافة رجال ميّتو الضمائر، وشباب سفهاء جريئون على معصية الله واقتراف الإثم وليس لثقافتهم الإسلامية قيمة.

٤. اتّساع نطاق المصروفات الخاصّة للحاكم وبطانته ومتملّقيه وتحمّل هذه المغارم بيت مال المسلمين. وأثر هذا السرف الحرام على حاجات الفقراء ومصالح الأُمّة.

٥. عادت عصبيّة الجاهلية الّتي هدمها الإسلام فانقسم العرب قبائل متفاخرة، ووقعت الضغائن بين العرب والفرس وغيرهم من الأجناس الّتي

---

١. العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص٧٣.

دخلت في الإسلام قبلاً، وكان الحكم المستبدّ يثير هذه النزعات الضالّة ضارباً بعضها بالبعض ومنتصراً بإحداهما عن الأُخرى.[١]

٦. هانت قيم الخلق والتقوى بعد ما تولّى رئاسة الدولة غلمان ماجنون، وبعد ما لعن السابقون الأوّلون على المنابر «يقصد عليّ بن أبي طالب» حتّى أنّ شاعراً مسيحيّاً مدح يزيد بن معاوية فقال:

ذهبت قريش بالسماحة والندى … واللؤم تحت عمائم الأنصار

٧. ابتذلت حقوق الأفراد وحرّياتهم على أيدي الولاة والنصرين للملك العضوض، فاسترخص القتل والسجن، حتّى يروي الترمذي عن هشام بن حسّان قال: أُحصي ما قتل الحجّاج صبراً فوجد مائة ألف وعشرين ألفاً.

ثمّ يقول الغزالي: والواقع أنّ الهزّة الّتي أصابت الإسلام من هذه الفتن

---

١. لقد اتّبع معاوية سياسة التفرقة بين الأُمّة، وكان يثير الفرقة بين المسلمين، ولم يرق له أن يرى الصفاء بين رجلين من رجال الإسلام، فلقد ميّز بين العرب والعجم وبين الأنصار والمهاجرين وبين اليمانيّين والمصريّين، وفرّق بين القبائل، حتّى أنّه بثّ روح الفرقة بين بني أُميّة إلّا بني سفيان، وكما يقول العقّاد: ينبغي تسمية معاوية بمفرِّق الجماعات، وأنّ يوم استقلاله بالحكم والّذي يسمّى خطأ بعام الجماعة، يستحقّ أن يُسمّى بعام الفرقة. راجع كتاب: ***معاوية بن أبي سفيان في الميزان***.

المترادفة كانت من العنف بحيث لو أصابت دعوةً أُخرى لهدمتها.[١]

كان هذا، مختصراً من مضارّ آفةٍ خطيرة إسمها يزيد وحكم بني أُميّة هجمت على جسد الأُمّة الإسلامية بشراسة، وغيّرت صورة الحكم الإسلاميّ الرائعة إلى صورة حكم ملكيّ منفورة كريهة.

ولو لم ينهض الحسين عليه السلام لكشف الحقائق وإزاحة قناع التزييف عن وجه الحكم الأُمويّ، لكانت تلك الحقبة من تاريخ الإسلام، أكبر وصمة عارٍ في جبين الأُمّة الإسلامية، ولتلطّخت سمعة نظام الحكم الإسلاميّ.

«فَصَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ أَحْيَيْتَ نِظَامَ الدِّينِ، وَأَظْهَرْتَ قَوَاعِدَ الْحُكْمِ».

٥. خَطرُ التقهقُر

كان خطر التقهقر والارتداد إلى حكم الجاهلية والشرك وعبادة الأوثان، من أكبر الأخطار الّتي تهدّد المجتمع الإسلاميّ أيّام حكم بني أُميّة وبدت ملامح العودة إلى ماوراء عصر الرسالة، وبدأت وسائل القمع والترهيب والترغيب والمخطّطات الأُمويّة بإتيان أُكلها في إضعاف المباني الدينية الإسلامية، وإلغاء الأحكام الشرعية، وتحقير الشعائر العظيمة والاستخفاف بها، وكان العالم

١. الغزالي، الإسلام والإستبداد السياسيّ، ص١٨٧ – ١٨٨.

الإسلاميّ وخاصّة مراكزه الحسّاسة كالكوفة والبصرة ومكّة والمدينـة، بكـلّ مـا فيها من ثقل الصحابة ورجالات الإسـلام، تغـطُّ في سـبات عميـق، وسـكوت فضيع، وخنوع مريع.

وقد لعب إرعاب الناس وسياسة التقتيل والنفي وهـدم البيـوت ومصـادرة الأموال، الّتي كان يمارسها عمّال الدولة أمثال زياد ابن أبيه وسـمرة بـن جنـدب والمغيرة بن شعبة، دورهـا الفعّـال في خنـق الأصـوات المعارضـة أو المعترضـة، فعمَّت حالة اليأس والخوف في قلب المجتمع الإسلاميّ في كلّ أطرافه ونواحيه.

فلقد بذل بنو أُميّة جُهدَهم وجَهيدهم من أجـل إرجـاع النـاس عـن سـلوك طريق الإسلام، ومخالفة نصوص الكتاب الكريم وسنّة نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله، وكانـت لمعاوية مبتكرات في مهاجمة الإسلام والصحابة والأنصار وأهل البيت عليهم السلام.

وكانت اهتمامات بني أُميّة منصبَّةً على تضعيف وقتل الروح الإسلامية في شعائر المجتمع المتديّنة والملتزمة بآداب وشعائر الدين. فمضافاً إلى قتل سـبط رسـول الله صلى الله عليه وآله والإغارة على حرم النبيّ صلى الله عليه وآله وهدم وإحراق الكعبة المعظّمة قبلة المسلمين، والتجـاهر بالمعـاصي والـذنوب وتعطيـل الحـدود، حوّلـوا مكّـة والمدينـة إلى مرتـعٍ للمغنِّـين والمطربين والمطربـات والمخنّثـين والـمُردان والشـعراء الخليعـين الأراذل والقتلـة والمفسدين، رغبةً منهم في كسر شوكة هذين المركزين الروحية والدينيـة، ممّـا يُجرِّئ باقي المدن والأقاليم الإسلامية على انتهاج نفس المنحى والطريق.

فبنو أُميّة، مضافاً إلى شهر سيوفهم بوجه أهل البيت عليهم السلام وقتلهم لـردع النـاس عن التفكير في الالتفاف حول زعامة آل محمّد صلى الله عليه وآله، ومن أجل إخلاء الأرض مـن كلّ ما يُذكِّر المسلمين بالنبيّ والإسلام، قاموا بصبِّ جام غضبهم وحقدهم عـلى الأنصار بجرم نصرتهم للنبيّ صلى الله عليه وآله والمسلمين عندما هاجروا مـن مكّـة إلى المدينـة، والّـذين أفشـلوا مخطّطـات أبي سـفيان والمشرـكين الراميـّة إلى إجهـاض دعـوة النبيّ صلى الله عليه وآله، ولذا فقد حرم الأنصار من أبسط حقوقهم زمن بنـي أُميّـة وأخـذوهم بوحشية ليس لها نظير إلّا في أعمال نيرون الطاغية.[١]

ولقد بدأ تعطيل الحدود ودفع الشهود منذ زمن عـثمان، ولـو لم يكـن عـليّ عليه السلام وهو الوحيد من بين الصحابة، يطالب مصرّاً بإجراء الحدود، لتعطّلـت الحـدود كلّياً منذ زمن عثمان.[٢]

قال العلايلي:

الّذي ثبت لمفكّري المسلمين أنَّ بني أُميّة أداة فساد وفي طبيعتهم بعـث الحيـاة الجاهلية بكلّ أشيائها وألوانها.[٣]

---

١. العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص٢٧- ٢٨.

٢. المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٣٣٥-٣٣٦.

٣. العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص٢٨.

وقال السبط ابن الجوزي:

«و قد ذكر جدّي في كتاب «التبصرة» وقال: إنّما سار الحسين عليه السلام إلى القوم لأنّه رأى الشريعة قد دُثرت فجدَّ في رفع قواعد أصلها.[1]

ولو ترك يزيد بلا معارضة يفعل ما يشاء، لتحقّقت أُمنيّات معاوية وبني أُميّة في محو ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله ومنع الأذان والشهادة بالتوحيد والنبوّة، ولم يبق من الإسلام إلّا اسمه، ولعمري لو بقي منه الإسم لما كان له مسمّى غير منهج بني أُميّة وسيرة يزيد.

ولو لم تواجه خلافة يزيد بثورة وانتفاضة قويّة من قبل الأُمّة الإسلامية، لاعتبر يزيد خليفةً للنبيّ صلى الله عليه وآله ولأصبحت الدولة الإسلامية منتدى الفحشاء والمنكر، والقمار والخمرة، والرقص والغناء، واللعب بالكلاب والقرود، إذ أنّ الناس على دين ملوكهم، ولانعكست هذه الصورة الخليعة للدولة الإسلامية على العالم.

ولذا كان من الضروريّ لحفظ الإسلام ودفع المخاطر المحدقة به خاصّةً خطر الارتداد والقهقرى إلى الجاهلية والشرك، أن ينبري رجال للانتفاض على يزيد وبني أُميّة، لتمييزهم عن الإسلام الحقيقيّ وفضح أُكذوبتهم وكشف انتسابهم إلى الجاهلية.

---

١. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢٤٥.

مضافاً إلى ضرورة تهييج مشاعر وأحاسيس الناس ضدّهم لتقوية شوكة مخالفتهم والتشكيك في استحقاقهم الملك والحكم، وتعريف الناس بخيانتهم وعدائهم للإسلام.

ولتحقيق هذين الهدفين، كانت ثورة الحسين عليه السلام ضرورةً مُلحَّة، أي كان من الضروريّ كشف القناع عن ماهيّة حكومة بني أُميّة من جهة، وتعبئة المشاعر وشحذها ضدّهم، وكسب عواطف المسلمين نحو آل البيت عليهم السلام من جهة أُخرى، ليستحيل على بني أُميّة اختراق قلوب الناس والتحكّم بها، ومنع الشعائر الدينية كالأذان وذكر محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله.

يقول الشيخ محمّد محمود المدنيّ، أُستاذ ورئيس كليّة الشريعة في جامعة الأزهر: إنّ الحسين مثال بارز للمجاهدين في سبيل الله، وقد رأى أنّ جناح الحقّ مكسور، وأنّ الباطل قد أحاط به من جهاته الأربع، لقد رأى نفسه وهو فرع شجرة النبوّة وابن ذلك الإمام الضرغام الّذي ما حنى رأسه يوماً خوفاً... رأى نفسه وأنّه قد أُحيل عليه إنقاذ الدين وإزاحة الظلمات والمظالم، لقد سمع الحسين نداءاً من أعماقه يناديه أن قم يا أبا عبد الله! فأنت لها لا غيرك، لقد أزاح الله بجدّك الظلمات وأزهق الباطل وأظهر الحقّ حتّى نزل عليه ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً﴾،[1] ولقد كان أبوك ذلك السيف القاطع الّذي لم ينم حتّى أذلّ المشركين... قم

١. النصر، ١ـ٢.

يا أبا عبد الله كأبيك وجدّك، وجاهد ودافع عن دين الله وادفع الظالمين، وطهّر الأرض من الفساد والبغي والظلم... إنّ أهل بيتك وأصحابك قد استخفّ بهم وإنّ النساء والأطفال والفقراء يستصرخون بك... فمن لكلّ هذه المظالم والجور غيرك؟ ومن الّذي ينهض بهذا الحمل الثقيل إلّا أنت يا ابن عليّ وفاطمة؟

أجل، لقد سمع الحسين هذا النداء من أعماقه ليلاً ونهاراً، فلم يكن له إلّا أن يستجيب لهذا النداء والاستصراخ، ولم يكترث لأُولئك الّذين حاولوا أن يثنوه عن النهوض، ولم يثنه علمه بقساوة أعدائه معه وعدم احترامهم لنسبه الشريف عن القيام والثورة. فهو المجاهد الّذي قام لأمر الله، فلا فرق عنده أن يغلب أو يغلب. إذ أنّ كلا الحالين شرف له ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْـحُسْنَيَيْنِ﴾.[1]

فالحسين عليه السلام استشهد في طريق الله والحقّ وقد ابتلي قاتلوه باللعنة الأبديّة من الله والملائكة والناس أجمعين وأمّا هو فقد فاز بأعلى المراتب عند ربّه «مَعَ الَّـذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِـحِينَ».[2]

وفي ختام هذا الفصل، نتمثّل بهذه الأبيات الّتي تترجم خطر يزيد على الإسلام والتوحيد، وتشيّد بتضحيات سيّد الشهداء عليه السلام:

---

١. التوبة، ٥٢.

٢. مجلّة العدل، السنة ٢، العدد ٩، ص٦، طبعة النجف الأشرف.

لَإِنْ جَـرَتْ لَفْظَـةُ التَّوْحِيـدِ فِي فَمِـهِ ... فَسَـيْفُهُ بِسِـوَى التَّوْحِيـدِ مَـا فَتَكَـا
قَدْ أَصْبَحَ الـدِّينُ مِنْـهُ يَشْـتَكِي سَـقَماً ... وَمَا إِلَى أَحَدٍ غَـيْرَ الْـحُسَيْنِ شَـكَا
فَمَا رَأَى السِّبْطُ لِلدِّينِ الْـحَنِيفِ شَـفاً ... إِلَّا إِذَا دَمُــهُ فِي كَــرْبَلَاءَ سُــفِكَا

٦. الدفاع عن النفس[١]

يجوز لكلّ إنسان، عقلاً وشرعاً الدفاع عن نفسه في حالة مواجهـة الأخطـار، بل إنَّ الفطرة تدفع الإنسان لا إراديّاً إلى اجتناب المخاطر لحفظ حياته، وإلّا كـان الإنسان مسؤولاً ومستحقّاً للذَّمِّ والتوبيخ.

فإذا ما تعرّض الإنسان لخطر القتل من قبـل حكومـة جـائرة، ولم يـأمن عـلى حياته، جاز له الانتفاض والثورة لحفظ حياته والدفاع عـن نفسـه، وهـذا الحـقّ ثابت لكلّ الناس، بلا أدنى شكّ.

---

١. لا يخفى أنّ السبب الرئيس في ثورة الحسين عليه السلام هو امتثال الأمر الإلهيّ ودفـع المخـاطر عـن الإسـلام والتوحيد والإصلاح في الأُمّة، وكما ورد في زيارة الأربعين: «بَذَلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ لِيَسْتَنْقِذَ عِبَـادَكَ مِـنَ الْـجَهَالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلَالَةِ». الطوسي، مصباح المتهجّد، ص٧٨٨؛ الطوسي، تهـذيب الأحكـام، ج٦، ص١١٣؛ الكفعمي، المصباح، ص٤٨٩؛ ابن المشـهدي، المـزار الكبـير، ص٥١٤. وأمّـا بيـان العلّـة السادسة فإنّما هو لكشف حقيقة أنّ الحسين عليه السلام حتّى لو كانت حركته لعدم وجود أمان على روحه في المدينة ومكّة، فحركته مشروعة أيضاً بل هي دليل على شجاعة وبطولة الحسين عليه السلام وإبائه وعزّته.

وبعد اتّضاح هذه المقدّمة نقول: إنَّ الحسين عليه السلام خرج بعد أن عرف أنّ حياته مهدّدة بالخطر، فكان يعلم جيّداً أنَّ بني أُميّة يترصّدون به الدوائر وأنهّم استأجروا من يقتله حتّى لو كان متعلّقاً بأستار الكعبة، ولذا فإنّه ثار للحفاظ على حياته الواجب شرعاً وعقلاً، ولتحاشي الاستسلام الّذي يجرُّه إلى الذلّة وحاشاه من الذِّلة.

فإن قيل: إنَّ هذا الخطر الّذي توجّه إلى الحسين عليه السلام إنّما كان نتيجة عدم بيعته ليزيد، فلو أنّه بايع يزيد بن معاوية لكان آمناً؟!

قلنا: لا شكّ في امتناع الحسين عليه السلام عن البيعة ليزيد، لكن هذا الامتناع والرفض لا يمكنه أن يرقى إلى درجة تجويز قتله، إذ أنّ النظام الإسلاميّ يقتضي أخذ البيعة طوعاً، فالبيعة اختياريّة لا بالإكراه خاصّةً إذا كان الشكّ والترديد قائماً حول شخصيّة الخليفة أو من نصبَ نفسه خليفة المسلمين، وهذا مُسلَّمٌ إلّا عند أهل العامّة والسنّة خاصّةً في عصر بني أُميّة وبني العبّاس، ومراحل الإرهاب السياسيّ والفكريّ وأزمنة القمع الثقافيّ المظلمة.

ولقد رأينا في زمن خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وعلى الرغم من أنّ خلافته كانت ثابتة بالنصّ والإجماع، لكنّه لم يتعرّض بأيّ أذًى لأُولئك الّذين تخلّفوا عن بيعته، بل حتّى أُولئك الّذين أعلنوا صراحةً عدم رغبتهم بالبيعة لأعذار واهيةٍ غير معقولة ولا مشروعة، وحتّى أُولئك الّذين تخلّفوا عن جهاد القاسطين والمارقين

والناكثين، لم يُلزمهم عليّ‌عليه السلام الاشتراك في القتال، فكان الامتناع عن بيعته حقّاً يحتفظ به المسلمون خاصّةً لوجود بعض الشبهات السياسيّة والفكريّة عندهم.[١]

فلم يتتبّعهم أمير المؤمنين‌عليه السلام مادام الإسلام والمسلمون في مأمن من مكرهم وغدرهم.

ومن هنا وجدنا أنَّ الحسين‌عليه السلام ـ كما جاء في بعض كتب المقاتل ـ كان قد اقترح على بني أُميّة أن يتركوه يذهب إلى أحد ثغور المسلمين ويكون «لَهُ مَا لَـهُمْ وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ».

إذن، فالتخلّف عن البيعة في الفكر الإسلاميّ، لا يكون سبباً كافياً لتجويز إهراق الدم وإباحة مصادرة الأموال، وكان من حقّ الحسين‌عليه السلام أن يمتنع عن البيعة وخاصّةً:

---

١. ومن جملة المظالم الّتي ارتكبها الحكّام الّذين جاءوا بعد وفاة النبيّ‌صلى الله عليه وآله مباشرة، هو أنّهم أجبروا أمير المؤمنين وجمعاً من بني هاشم والأنصار الّذين امتنعوا عن البيعة لأبي بكر، على البيعة مع أنّ الممتنعين عن البيعة لم يظهروا أيّ شكل من أشكال العداء للدولة، فكان همُّهم التريّث ودراسة الأمر من كلّ جوانبه وحسب، ممّا حدى بالسلطة وجلاوزتها إلى ارتكاب الجرائم الفضيعة في حقّهم، وهتك حرمة بيوتهم وترويع عوائلهم، وكلّ ذلك غير جائز في قاموس الحكومة الّتي تدّعي أنّها قامت على أساس الشورى واحترام الآراء.

١. إنَّ محض الامتناع عن البيعة إذا لم يكن توأماً مع معارضة الحكومة والخروج عليها، جائزٌ، وهو حقّ مسلَّمٌ للمسلمين، خاصّةً مع الاعتقاد بعدم صلاحية المرشّح للخلافة. نعم في عقيدة الشيعة أنَّ الإمام يعيَّن وينصب من قبل الله تعالى بنصّ النبيّ عليه، وأنَّ الإمامة منصبٌ إلهيّ، ولذا لا يجوز التخلّف عن بيعة الإمام المنصوب من قبله تعالى.

٢. إنَّ التخلّف عن البيعة جائز لمن كان نفسه من أهل الحلِّ والعقد ومراجع الأُمور، وإنَّ عدم بيعته يوجب عدم انعقاد الإجماع، وطبقاً لمذهب أهل السنّة لا تكون الخلافة شرعية بدون بيعته، بل هي باطلة، ففرضها على المسلمين يُعدُّ سلباً لحرّية الرأي وقهراً للمسلمين، كما أنَّ الامتناع عنها لا يُعدُّ تمرّداً يستوجب العقاب.

٣. إنَّ البيعة المبتنية على التطميع والترهيب والوعد والوعيد، تعتبر بيعةً لاغيةً باطلةً، والمنتخب على أساسها لا يمثّل المجتمع تمثيلاً واقعيّاً، ومن ثمّ يجوز الخروج على الحكومة القائمة على مثل هذه البيعة.

ولذلك كلّه، لو حاول عمّال الحكومة، التعرّض للمسلمين لمجرّد أنّهم امتنعوا عن البيعة للمرشّح للخلافة، حقّ للمسلمين الثورة ضدّهم؛ حفظاً لحياتهم وصوناً لدمائهم وأموالهم، كما يحقّ لهم تأليب الناس ودعوتهم إلى مخالفة ذلك الحكم.

وأمّا البيعة ليزيد:

أوّلاً: لقد كان الحسينعليه السلام نفسه من أهل الحلّ والعقد ومن رجالات الإسلام ومن الصحابة فضلاً عن أنّه سبط رسول اللهصلى الله عليه وآله وريحانته، وسيّد شباب أهل الجنّة، فإذا كان البناء في تعيين الخليفة على المشورة والرجوع إلى آراء عموم المسلمين وإجماع أهل الحلّ والعقد، فالحسينعليه السلام هو أوّل من يكون لرأيه الأثر الكبير في مشروعية الانتخاب وشرعية الحكم، إذ مع كونه في ذلك المقام السامي الّذي يعترف به جميع المسلمين حتّى أمثال الوليد بن عقبة ومروان بن الحكم ونفس معاوية، فيكون رأي الحسينعليه السلام مقدّماً ومحترماً ومؤثّراً، كما أنَّ توجّه أنظار عامّة المسلمين إلى رأي الحسينعليه السلام في البيعة، يجعل رأيه هو الميزان والمقياس في شرعية هذه البيعة وعدمها.

فامتناع الحسينعليه السلام عن البيعة مساوق لبطلانها وعدم شرعيّتها، ونتيجة ذلك عدم شرعيّة كلّ النظام الحاكم والّذي يسمّى بالخلافة!!

ولو فُرض أنَّ ضغوطاً مورست على مثل هذه الشخصيّة فاضطرّت إلى البيعة، لم يعد هناك أيُّ مصداقية للإجماع والشورى وتبقى فقط ألفاظٌ خاوية لا تحمل معاني سليمةً وراءها.

وثانياً: لو فرضنا ـ جدلاً ـ أنَّ الإمامعليه السلام لم يكن من طبقة أهل الحلّ والعقد، بل كان من عامّة المسلمين، فمن قال: إنَّ التخلّف عن البيعة يُبيح هتك حرمته والتعرّض إلى نسائه وإباحة إراقة دمه وحرق بيوته ونهب أمواله؟ إذ لو فرضنا

صحّة بيعة يزيد لم يكن ليزيد على الحسين عليه السلام إلّا عدم المخالفة والمعارضة، فلا يحقّ ليزيد ولبني أُميّة هدر دم أيّ مسلم لمجرّد الامتناع عن البيعة.

ناهيك عن أنّ بيعة يزيد وباتّفاق كلّ التواريخ والمفكّرين، كانت بيعةً مستندةً إلى الإكراه والجبر والترغيب والترهيب، وأنَّ أكثر من بايع يزيد، بايعه تحت بوارق السيوف والأسنّة المشهرة المتهدّدة المرعبة.

ومن بايع طيِّعاً، فأُولئك الّذين انشدَّت أبصارهم إلى المناصب والامتيازات والطامعين في جوائز معاوية وهداياه وعطاياه والمتزلّفين والمتملّقين للحكم الأُمويّ.

ولعمري، كم صُرِفَ من أموال المسلمين وحقوق الفقراء والمعوزين لأخذ البيعة ليزيد! وكم من الدماء الزاكيات قد أُريقت بلا ذنب، وما أفضع الجرائم والظلم الّذي مورس لأخذ هذه البيعة المشؤومة، وكم من الولايات قد جعلت سَوماً للبيعة لأمثال المغيرة بن شعبة وزياد ابن أبيه وعمرو بن العاص وغيرهم.

إذن، لقد كان من حقّ الإمام الحسين عليه السلام وسائر أصحابه والشخصيّات الإسلامية أن تمتنع عن البيعة لئلّا تتلوّث وتتلطّخ أيديها بدماء الأبرياء، وتشترك في تلك المظالم، ولم يكن لأحدٍ حقّ الاعتراض على المتخلّفين وإلزامهم بها، فنفس امتناع هؤلاء، خير دليل على جواز التمرّد والامتناع عن البيعة إذ أنّ امتناع هؤلاء يُعدُّ امتناعاً لأهل الحلّ والعقد، فتكون البيعة باطلةً، مضافاً إلى أنَّ الجميع كانوا يعتقدون بعدم أهلية يزيد للخلافة، وعليه تكون بيعته محرَّمةً شرعاً.

وبعد كلّ هذه الأدلّة على جواز التخلّف عن البيعة، نعود إلى أصل الموضوع وهو الخطر المتوجّه إلى حياة الحسين وعدم الأمن له، فإنّه علّة واضحة ومقنعة لجواز نهوضه وثورته للدفاع عن حياته.

وقد نقلت كلّ التواريخ الإسلاميّة أنَّ حياة الحسين كانت في خطر، وأنّه لم يأمن على حياته من كيد بني أُميّة وحكومة يزيد، وكانوا يترصّدونه لقتله سواء بايع أو لم يبايع.

وواضح أنَّ أُسلوب حكومة بني أُميّة ويزيد كان بحيث لا يمكن الاطمئنان حتّى بوعودهم، فما أكثر من قتله بنو أُميّة من زعامات المسلمين لمجرّد سوابقهم الجهادية والرسالية، مع أنّهم كانوا جلساء بيوتهم ولم يكن لهم أيُّ نشاط معادٍ للدولة الأُمويّة.

ولم يكن بنو أُميّة ممّن يرعون حرمة العهود والمواثيق، ولم يكن لهم إلٌّ ولا ذمّة ولا حُرمة للأمان في قاموسهم، فهم الّذين قتلوا سعد بن أبي وقّاص، وهم الّذين قتلوا عبد الرحمن بن خالد على يد ابن أثال المسيحيّ، مع أنَّ ابن خالد كان أُمويّ الهوى والميول تخوّفاً من معارضته لتنصيب يزيد على الحكم، وولّوا قاتله المسيحيّ ولاية حمص مكافأةً له على قتله!! ضاربين بعرض الجدار قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِلْمُشْرِكِينَ عَلَى الْـمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾، ومعاوية وبنو أُميّة هم الّذين اغتالوا سبط رسول الله الحسن بن عليّ بأفضع أساليب القتل تخوّفاً من

معارضته لبيعة يزيد، لأنّ معاوية كان قد تعهّد في معاهـدة الصـلح أن لا يرشّـح أحداً للخلافة من بعده، وأنَّ الخلافة تكون للإمام الحسـن عليه السلام. فـأراد معاويـة أن يزيل هذه العقبة من طريق يزيد.

وعندما أراد معاوية استخلاف ابنه يزيد استشار بعـض السيّاسـين فلـم يجـد الموافق على ذلك حيث اعترض عليه أمثال الأحنف بن قيس بأنّ يزيد لا يقـاس بأمثال الحسن والحسين، وأنّ محبوبيّـة الحسـن عليه السلام في قلـوب المسـلمين قـد تفـوق محبوبيّة أبيه عليّ بن أبي طالب. فاستخلاف صبيّ نزق مشهور باللعب والطـرب وشرب الخمور كيزيد يعدّ خيانةً للمسلمين.

إنَّ معاوية وبني أُميّه استخفّوا بكلّ الشـروط والمواثيـق الّتـي قطعوهـا عـلى أنفسهم في معاهدة الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام فلم يكن حبر المعاهدة قـد جـفّ بعدُ حتّى خطب معاوية في الكوفة قائلاً:

يا أهل الكوفة أتراني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحجّ وقـد علمـت أنّكـم تصلّون وتزكّون وتحجّون، ولكنّني قاتلتكم لأتأمّر علـيكم وعـلى رقـابكم وقـد آتـاني الله ذلـك وأنـتم كـارهون. ألا إنَّ كـلّ مـال أو دمٍ أُصـيب في هـذه الفتنـة فمطلول، وكلّ شرط شرطته فتحت قدميَّ هاتين.[1]

---

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص١٥؛ الأميني، الغدير، ج١٠، ص٣٢٦؛ ج١١، ص٧.

هكذا (كُلُّ شَرْطٍ شَرَطْتُهُ فَتَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ) والله يقول: ﴿**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً**﴾.[١]

فهؤلاء هم الّذين أمّنوا مسلم بن عقيل﷤ ولم يفوا بأمانهم له وقتلوه بتلك الوحشيّة.[٢] ولذا فإنّ الإمام الحسين﷤ قال لقيس بن الأشعث يوم عاشوراء: «أنت أخو أخيك أتريد أن يطلبك بنو هاشِم بأكثر من دَم مسلم؟»، جواباً له حينما قال له قيس: انزل على حكم بني عمِّك فإنّك لا ترى منهم إلّا ما تحبّ!!».[٣]

فكيف يطمئنّ الحسين﷤ إلى أمان هؤلاء الأوغاد الّذين عجنت طينتهم بالغدر والختل، فإنّ ذلك محال في حقّ عامّة الناس فكيف بالحسين﷤ المطّلع الضليع بأحوال وأخلاقيّات بني أُميّة ومكرهم وغدرهم وفسقهم، وهو العالم بعلم الإمامة والولاية والّذي أطلَعَه الله على أسرار حوادث المستقبل؟

إذن، فحتّى لو كان الحسين﷤ قد بايع يزيد، لم يكن يأمن على حياته، لخطورة موقعه في الأُمّة وشرف مقامه في قلوب المسلمين ولأنّه مظهر الإيمان ومجسّد الإسلام الّذي أراد بنو أُميّة محوه وطمس معالمه وآثاره.

---

١. الإسراء، ٣٤.

٢. سيّد قطب، العدالة الإجتماعية، ص١٩٩.

٣. محمّد رضا، الحسن والحسين سبطا رسول الله، ص١١٠.

ولكي نقف على حقيقة المخاطر الّتي كانت تهدّد حياة وأمن الحسين عليه السلام وأنّه لم يكن أمامه سوى الخروج والدفاع عن نفسه، يكفي قراءة ما قاله الحسين عليه السلام لكبار الصحابة في المدينة ومكّة، فلا أحد أعرف بحقيقة الأمر من الحسين عليه السلام نفسه، فالدفاع والثورة كان تكليفاً شعر به الحسين عليه السلام، وأمّا إحراز الموضوع والشرائط فالحسين عليه السلام أعرف بها، فكان الحسين عليه السلام يصرّح بأنَّ بني أُميّة قد صمّموا على قتله، ولم يكن من الصحابة إلّا تصديق الحسين عليه السلام بذلك، لأنّ حقائق الأُمور كانت واضحةً جليّةً، ومن جملة مقولاته عليه السلام قوله لابن الزبير في مكّة:

«وَأَيْمُ اللهِ لَوْ كُنْتُ فِي جُحْرِ هَامَّةٍ مِنْ هَذِهِ الْهَوَامِّ لَاسْتَخْرَجُونِي حَتَّى يَقْضُوا بِي حَاجَتَهُمْ، وَاللهِ لَيَعْتَدُنَّ عَلَيَّ كَمَا اعْتَدَتْ الْيَهُودُ فِي السَّبْتِ».[1]

يقول صاحب «الدرّ النظيم»: روى جعفر بن سليمان قال: حدّثني يزيد الركسي، قال: حَدَّثَنِي من شافه الحسين عليه السلام بهذا الكلام قال: حججت فأخذت ناحيةً من الطريق أتعسّف الطريق، فدفعت إلى أبنية وأخبية فأتيت أدناها فسطاطاً فقلت: لمن هذه الأخبية؟ فقالوا: للحسين بن عليّ. فقلت: ابن فاطمة بنت رسول الله؟ فقالوا: نعم. قلت: في أيّها هو؟ فأشاروا إلى فسطاطٍ. فأتيت الفسطاط فإذا هو قاعد عند عمود الفسطاط وإذا بين يديه كتب كثيرة يقرأها، فسلّمت عليه فقلت:

---

١. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٨٩؛ ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٨.

بأبي أنت وأُمّي ما أجلسك في هذا الموضع الّذي ليس فيه أنيس ولا منفعة؟ قال: إنَّ هؤلاء (يعني السلطان) أخافوني وهذه كتب أهل الكوفة إليّ وهم قاتليَّ. فإذا فعلوا ذلك لم يتركوا لله حرمةً إلّا انتهكوها. فيسلّط الله عليهم من يذلُّهم حتّى يتركهم أذلّ من قرم الأمة (قال جعفر: فسألت الأصمعيّ عن ذلك فقال: هي خرقة الحيض الّتي تلقيها النساء، وقد فعل الله ذلك بأهل الكوفة حين خذلوا الحسين عليه السلام وأسلموه حتّى قُتل، فسلَّط الله عليهم الحجّاج فأذلّهم وأهانهم.[1]

وقال له أبو هرّة الأزديّ: لماذا تركت حرم الله وحرم جدّك؟

فأخبره الإمام عليه السلام بأنّ بني أميّة أخذوا أمواله فصبر، وجرّعوه الغصص وصبر، وهم الآن يريدون قتله وإهراق دمه وانتهاك حرمة البيت وإنّه لن يصبر على ذلك.[2]

وأمثال هذه الكلمات الّتي تدلّ على إحساس الإمام الحسين عليه السلام بالخطر الجدّي المتوجّه إلى حياته وإلى هتك حرمة المدينة ومكّة المعظّمة، كثيرة وقد وردت في عدّة مناسبات على لسانه عليه السلام وهي مدوّنة في كتب التاريخ.[3]

---

١. ابن حاتم العاملي، الدرّ النظيم، ص٥٤٧.

٢. معتمد الدولة، القمقام الزخّار، ج١، ص٣٤٧.

٣. راجع: الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٨٩-٢٩٠؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواصّ، ص٢١٧؛ ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٨؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج١، ص٢١٩.

بين الحكومة والسياسة

قد يقال: لـمّا كان هدف الحسين عليه السلام هو إقامة حكومة إسلامية وإسقاط حكومة يزيد، فهذا يعني أنّه ثار لأغراض سياسيّة أيضاً، إذ كيف نفسّر ـ قبوله لدعوة أهل الكوفة بقلب الحكم؟ ولماذا أرسل ابن عمّه مسلم بن عقيل إليهم؟

الجواب:

أوّلاً: إنَّ الثورة لتشكيل حكم قائم على أساس العدالة الإسلامية وضمان حسن تنفيذ أحكام الدين والقوانين الاجتماعية والاقتصادية والعمل بكتاب الله المجيد وإصلاح المجتمع والأُمّة، إذا كان من مثل الحسين عليه السلام فإنّه عين السياسة الرسالية بمفهومها السليم والمعقول والواقعيّ، ففرقٌ بين هذا النمط من السياسة وبين سياسة الاحتيال والفتن والغدر والمكر والكذب، تلك السياسة الّتي يقصد منها الأعداء التفرّد بالسلطة والحكم واستعباد الناس ولا مجال للمقايسة بينهما.

فالسياسة الهادفة إلى إرساء قواعد حكومة إيمانية تحفظ حقوق كافّة أفراد المجتمع وتؤمّن لهم الحرّيّات والمساواة، لهي سياسة إلهية والحكومة المنبثقة عنها هي حكومة إلهية شأنها شأن حكومة النبيّ صلى الله عليه وآله.

وأمّا السياسة المعروفة في عصرنا الحاضر والّتي تعني السعي للسلطة من أجل التسلّط على رقاب الناس ونهب خيراتهم واستغلالهم، فواضح بطلانها وقبحها.

إنَّ السياسة السليمة هي سياسة عليّ عليه السلام، فهل تقارن سياسته على سياسة معاوية؟! فكلاهما كان يحارب، وكان لكليهما جيش، لكن أين الثرى من الثريّا؟

لقد كان عليّ عليه السلام يجاهد لكي تكون «كلمة الله هي العليا» ويقاتل لتحكيم أحكام الله على الجميع، وليقيم العدل والمساواة والحرّيّة.

وأمّا معاوية فكان يقاتل -كما كشف هو عن نواياه مراراً- من أجل السيطرة والهيمنة على مقدّرات الأُمّة الإسلامية ومن أجل السلطان والجاه والتسلّط على الناس وأموالهم وأرواحهم وناموسهم، وليدير الأُمور كما يحلو له لا كما يريد الله و تريده الشريعة.

إذن، إن كان المراد من السياسة، سياسة معاوية وعمرو بن العاص ويزيد، فهي سياسة مذمومة منكرةٌ، والخوض فيها محرّمٌ وممارستها ممنوعة لسوق العبد إلى هاوية جهنّم، وإن كان المقصود منها سياسة النبيّ صلى الله عليه وآله ومنهجه في تشكيل الحكم، وسياسة عليّ عليه السلام، فإنّها من أعلى مراتب صفات الكمال الإنسانيّ.

فاشتراك الأُمّة ونظارتها على إدارة الحكم وتنفيذ المقرّرات وإجراء العدالة والنظم الصحيح، وصياغة مجتمع مترقٍّ وتشكيل حكومة صالحة تتوزّع فيها المسؤوليّات بعدل وكفاءة، يعدُّ من أولويّات المنهج الإسلاميّ الراقي، ولم تكن مثل هذه السياسة منفصلةً يوماً مّا أبداً عن الدين، وما يشاع على بعض الألسن الجاهلة والمغرضة من «ضرورة فصل الدين عن السياسة» إنّما هو مبتغى

الاستعمار وأعداء الإسلام الّذين يسعون إلى تجزئة الإسلام وإضعافه وحصره في دائرة التعبّد والطقوس الفارغة من المحتوى والمعنى، والّذين يحاولون الحدَّ من وحدة المسلمين وإعادة هيبة الدولة الإسلامية وعظمة الإسلام، وتطبيق الأحكام الإسلامية، وإبدالها بقوانين الغرب والشرق الكافرة وترويج الأخلاق الفاسدة المنحرفة بين المسلمين.

فلو أنَّ مسلماً ظنّ أنّ حدود الإسلام تنتهي بالطقوس والمراسم الروحية والمعنوية، وينكر أهليّة الإسلام لخوض الإدارة والإعمار والقضاء والحرب والسلم ـ مطابقاً للموازين الشرعية المقرّرة في الفقه ـ فهو ليس بمسلم، بل يُحكم بكفره؛ لإنكاره ضرورةً من ضروريّات الدين.

إنَّ الاعتقاد بأنّ الإسلام شاملٌ لكلّ مسائل الحياة الاجتماعيّة والفرديّة وأنّه دينٌ وعقيدة، ووطن وحكومة، وقانون وروحانية وسياسة، وصلحٌ وحربٌ، وأنّه ليس منفصلاً عن أيّ جانب من جوانب الحياة، هذا الاعتقاد يجب ترسيخه في النفوس وإفهامه لكلّ مسلمي العالم.

فعلى كلّ مسلم (وخاصّةً كوادر المجتمع الإسلامي) أن يلتفت إلى وجوب رعاية تقدّم الإسلام وإجراء الأحكام وعزّة المسلمين، في كلّ حركاته وسكناته، في سكوته ونطقه وفعله ولفظه.

وبناءاً على هذا، فلا شكّ في أنّ تشكيل حكومة إسلامية في الظرف الّذي عاصره الحسين عليه السلام واستلام زمام أُمور الدولة الإسلامية وإجراء أحكام الشريعة كان يمكن أن يتحقّق من خلال إسقاط حكومة جائرة كحكومة يزيد، ولو أنّ شخصيّةً كالإمام الحسين عليه السلام وهو إمام منصوص على إمامته ويتمتّع بكفاءة في أعلى مراتبها وذو صلاحية وصلاح متّفق عليه من قبل كلّ المسلمين، قامت بتشكيل حكومة إسلامية، لكانت تلك الحكومة قادرةً على القضاء على كلّ المفاسد الاجتماعية والسياسية الموجودة في ذلك الوقت، ولأرجعت الإسلام إلى مسيره الأصيل وتقدّمت بالمجتمع الإسلاميّ خطوات سريعة وراسخة إلى التطوّر والرقيّ.

إذن، في حالة استجابة الناس وتفاعلهم مع دعوة الحسين عليه السلام ونصرتهم له، تكون إزاحة يزيد وتشكيل حكومة إسلامية، واجباً شرعيّاً مقدّسيّاً، وأنّ هذا الهدف والغرض لا يُعرِّي الثورة من حقيقتها وخلوصها ونزاهتها وإسلاميّتها وكونها ثورةً إصلاحيّةً، ولا يتّهمها بالأنانية والسلطوية والفئويّة.

فهذا الأصل، أي أصل تأسيس حكومة إسلامية في حالة اشتراك عامّة المسلمين كان يستحقّ من الحسين عليه السلام أن يثور من أجله ولعلّه كان أقرب الطرق إلى تحقيق أهداف الحسين عليه السلام، ولكن ولأنّ الحسين عليه السلام كان يعلم بعلم الإمامة ومن خلال الظروف والأحوال السياسية والاجتماعية المحيطة به، أنّ الاستجابة من

الناس لدعوته ستكون ضعيفةً، لذلك قرّر إيصال صوته عن خلال مظلوميّته وردّه فعل المصائب الّتي سيتحمّلها على المجتمع، فأراد أن يوقظ ضمير الأُمّة السابت من خلال تضحياته وفدائه ومظلوميّته ومظلوميّة أهل بيته وأصحابه.

وثانياً: إنَّ الاستجابة لدعوة أهل الكوفة وإرسال مسلم بن عقيل إليهم إنّما كانت بعد موت معاوية واستخلافه ليزيد المعروف بفسقه وانحرافه وفجوره، وكان الأحرار من المسلمين في حيرة وضياع، ولم يتحمّلوا فضاعة عواقب هذه البيعة القهريّة، وكان العالم الإسلاميّ بنظر الناس (إلّا من شذّ من مرتزقة الحكم الأُمويّ والمنتفعين والانتهازيّين) بلا خليفة وإمام، إذ أنّ وجهة نظر أتباع أهل البيت عليهم السلام هو أنّ الإمام الحسين عليه السلام إمام قد نُصَّ على إمامته من قبل النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ومن وجهة نظر غيرهم فإنّ حكم يزيد لم يكن مشروعاً، إذ أنَّ استخلافه من قبل معاوية لم يكن مبتنياً على رعاية مصلحة المسلمين، كما أنّ أهل الحلّ والعقد لم يمضوا هذا الاستخلاف مع أنَّ رأيهم كان ميزاناً ومقياساً يُرجع إليه في مثل هذه الحالات، وأمّا من بايع يزيد منهم فبين ساكت عن الحقّ خوفاً من سيوف أمثال زياد ابن أبيه ومسرف بن عقبة، وبين طامع طمعاً بالجوائز والهبات والأموال والمناصب، فقد أحسَّ معاوية الامتعاض من بيته قبل أن يحسَّه من الغرباء عنه، وحتى مروان بن الحكم ـ وهو أقرب الأقرباء إلى معاوية ـ حيث بلغته دعوة العهد ليزيد اشتدّت نقمته وخالف تلك البيعة وكتب إلى معاوية: «أنَّ قومك قد

أبوا إجابتك إلى بيعتك» فعزله معاوية عن ولاية المدينة وترضّاه ما استطاع وجعل له ألف دينار كلّ شهر ومائة دينار لمن كان معه من أهل بيته.[١]

وبنحو عامّ، كان عامّة الناس (إلّا من تخوّف من حدِّ السيف أو الّذين استهوتهم أموال معاوية) ناقمين على هذه البيعة، وغير مقتنعين بوجوب الطاعة وحرمة الخروج على يزيد.

ومن جهة أُخرى فلقد كان الحسين عليه السلام أبرز شخصيّة عرفها المسلمون توفّرت فيها كلّ الكفاءات والمؤهّلات للخلافة وقيادة الأُمّة، فلقد كانت الأنظار متّجهةً إليه، والأعناق ممتدّة نحوه لتأسيس حكومة شرعية ولقيادة الأُمّة وهدايتها، فلو امتنع الحسين عليه السلام عن أخذ حقّه الّذي يعترف له به الجميع، ولو أنّه رضي بذلك الوضع المؤسف والاضطراب الاجتماعيّ والسياسيّ وقبل بذلك الفراغ الإداريّ، لأعطى الحجّة للجميع في سكوتهم وخنوعهم ولأضفى مشروعية على حكم يزيد وشهادة منه له أنّه نعم الخليفة المأمول.

إذن، ما كان ينبغي على الحسين عليه السلام فعله أوّلاً هو الامتناع عن البيعة وفسح المجال للمسلمين للإقدام على انتخاب الحكومة الإسلاميّة وإتمام الحجّة عليهم، وفي المرحلة الثانية أن يدعوهم إلى بيعته، هو لتشكيل الحكومة الإسلاميّة.

---

١. ابن قتيبة الدينوريّ، الإمامة والسياسة، ج١، ص١٩٧-١٩٩؛ العقّاد، أبو الشهداء، ص٢٠١-٢٠٣.

ولذلك، قبل الحسين عليه السلام دعوة أهل الكوفة بعد أن توالت كتبهم ورسلهم إليه تدعوه إلى تولّي الأُمور بنفسه، وأظهروا الانقياد والانصياع لأوامره، وأعلنوا الطاعة والاستعداد للفداء والتضحية للخلاص من الضياع الّذي تركه فراغ السلطة، وكأنّهم بذلك قد ألقوا الحُجَّة عليه وأتمّوها، ممّا دعا الحسين عليه السلام إلى الاستجابة وإرسال ابن عمّه مسلم بن عقيل لتقصّي الحقائق ودراسة الأُمور.

ومن الواضح، أنَّ كلّ هذا الإصرار وإعلان الاستعداد من قبل أهل العراق كان فرصةً تاريخية لإعادة الأُمور إلى مجاريها وإصلاح ما فسد منها، ممّا اضطرّ الحسين عليه السلام إلى العزم على الخروج إلى العراق فلو لم يستجب الحسين عليه السلام لتلك الصرخات والاستغاثات، لترك الناس في حيرة وضياع، فلم يكن للحسين أن يمتنع عن الإجابة مع كلّ تلك التأكيدات من قبلهم، ولم يكن له أن يستند إلى خذلانهم لأبيه وأخيه في مرحلة سابقة اختلفت فيها الظروف والأوضاع عن مرحلته.

ولم يكن بمقدور الحسين عليه السلام أنْ يطلب من أهل الكوفة ـ كما اقترح البعض أن يطردوا حاكمها ويسيطروا على إدارة البلد، ثمّ يسير إليهم!! فإنّ الحسين عليه السلام كان يعلم بأنّ أهل الكوفة سيقولون له: إنَّ كلّ حركة وثورة ونهضة تحتاج إلى قائد ميدانيّ وإلّا فشلت تلك الحركة، مضافاً إلى أنّه لم يكن من شيم الحسين عليه السلام أن يطلب منهم الثورة والقتال والتضحية والفداء، حتّى يأتي هو ويحكم على أنقاض أجسادهم!! فإنّ كلّ ذلك كان يُعدُّ عرفاً، تهرّباً من الجهاد والوظيفة الرسالية.

لقد كان لسان حال أهل الكوفة والّذين كتبوا للحسين عليه السلام: «أنّنا بلا إمام وبلا قائد، وأنَّ العالم الإسلاميّ في حيرة وضياع، وأنَّ الأخطار تحدق بالأُمّة الإسلامية بعد استخلاف يزيد» ووضعوه أمام المسؤولية الشرعية.

فكان على الحسين عليه السلام أن يستجيب حتّى لو كانوا من أهل السوابق في الخِدَع والخذلان، وكان الإمام الحسين عليه السلام يقول كما ورد في بعض كتب المقاتل: «مَنْ خَادَعَنَا فِي اللهِ انْخَدَعْنَا لَهُ».

إنَّ استجابة الحسين عليه السلام لدعوة أهل الكوفة وتشكيل الحكم الإسلاميّ وإرسال مسلم بن عقيل، لم يكن من نوع السياسة المذمومة وبمعنى طلب الزعامة والسلطة، بل هو من نوع الامتثال للتكليف الشرعيّ والسياسة المحمّدية الأصيلة الصحيحة.

ولذا، ومع أنَّ الحسين عليه السلام، وبعلمه الخاصّ كان متيقّناً من النتيجة، استجاب لأهل الكوفة لإلقاء الحجّة عليهم، فأرسل مسلم بن عقيل.

وجاء مسلم إلى الكوفة، جاء ولم يحمل معه الهدايا والجوائز والرشا إلى رؤساء قبائلها وزعمائهم،[1] ولم يَعِد أحداً بوزارة أو إمارة أو ولاية، ولم يتهدّد أحداً بقتل

١. كان مسلم بن عقيل قد اقترض مبلغ ٧٠٠ درهم لمخارجه الخاصّة، وقد أوصى عند استشهاده بدفعها من ثمن سيفه ولامته (العقّاد، أبو الشهداء، ص٢١٥).

أو تشريد أو سجن، بل بدأ نشاطه في جوٍّ من الحرّية والاختيارية، وكما نعلم فإنّه استقبل بحفاوة وتكريم يكشفان عن تلك الأحاسيس والعواطف الجيّاشة الّتي عبّروا عنها في كتبهم إلى الإمام الحسين عليه السلام وعن تفأّلهم بقدومه، ونفرتهم الشديدة من بني أُميّة هذا، وقد بايعه أكثر من ثمانية عشر ألفاً منهم وفي بعض التواريخ: أنَّ العدد وصل إلى ستّين ألفاً، باختيار ورغبة وشوق، فصارت قيادة الإمام الحسين عليه السلام رسميّةً شرعيةً، إذ لم يبايع أهل الحلِّ والعقد أحداً غير الحسين عليه السلام ناهيك عن عامّة المسلمين، وحتّى على مقياس من يرى البيعة بالإجماع، صارت البيعة للحسين عليه السلام شرعيّةً وأصبح هو الخليفة الشرعيّ، فلقد كانت بيعة واقعية اختيارية بكلّ ما للكلمة من معنى.

ولكن وللأسف الشديد، كان حبُّ الدنيا والمال والذهب من جهة، والخوف من الفداء والتضحية من جهة أُخرى، قد أخذ مأخذهما من نفوس الناس، فعاقهم ذلك عن الصمود ساعة الشدَّة والامتحان، فابتلوا بخيانة العهد و نكث البيعة والخذلان ممّا أورثهم ذُلّاً وعاراً يصعب التخلّص منه على مدى الأجيال.

ومن الطبيعيّ، أنّ ما قام به الحسين عليه السلام من استجابة لدعوة المستغيثين والملهوفين كما جاء في كتبهم وعلى لسان رسلهم إليه، وإرسال مسلم إليهم ثمّ خروجه بنفسه على العراق، إنّما كان بحسب الظاهر لتشكيل حكومة إسلامية وإغاثة المستغيثين، ولكن لمّا كان واقع الأمر وباطن الحقيقة معلوماً للحسين عليه السلام

ولأنّه كان ينفِّذ ما نفَّذه الأنبياء والأولياء، قَبِل دعوتهم وأتمَّ الحجّة عليهم، عملاً بمفاد الآية الشريفة: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾،[١] بالضبط كفائدة دعوة الأنبياء ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾،[٢] كذلك كانت فائدة ثورة الحسين عليه السلام واستجابته، لئلّا يكون للناس حجّة يوم القيامة على الله وعلى الإمام.

لقد أثبت خذلان أهل الكوفة وأحداثها أنَّ تشكيل حكومة إسلامية غير متيسّرٍ في ذلك الظرف، وأنّ طريق دفع المخاطر عن الإسلام ينحصر في الامتناع عن البيعة وبالتسليم والاستقامة والإعداد لثورة فكريّة عقائديّة، وبتهييج المشاعر، والتضحيات من أجل إفشاء مخطّطات بني أُميّة.

والحاصل: أنَّ الجواب على ذلك هو أنْ يقال: إنَّ حفظ الإسلام كان منحصراً في أحد طريقين:

الأوّل: تشكيل حكومة إسلامية عادلة وإسقاط حكومة بني أُميّة ويزيد.

الثاني: التضحية في طريق الامتناع عن البيعة والاستسلام، وخوض طريق الشهادة والمظلوميّة.

---

١. الأنفال، ٤٢.

٢. النساء، ١٦٥.

ولـمّا لم يمكن سلوك الطريـق الأوّل لعـدم وفـاء النـاس وخـذلانهم، اختـار الإمام عليه السلام ومنذ البداية الطريق الثاني، مستفيداً من المشتركات بين الطريقين مادام خذلان الناس له لم يصل إلى العلن والتحقّق.

إذن، فتشكيل الحكومة الإسلامية، وإن كان هدفاً مقدّساً وطلبُه لا يُخِلُّ بمقام الحسين عليه السلام وقداسته بل كان عين الصواب والحقّ، لكن ولأنّ الحسين عليه السلام كان يعلم منذ البداية بعدم تحقّقه، لا يمكننا أن نقول بأنّ تشكيل الحكومـة كـان مـن جملـة أسباب ودواعي ثورة الحسين عليه السلام.

دفعُ توهُّم

إنَّ من يطالع تاريخ الثورة الحسينية ينجـذب بشـدّة إلى روح الفـداء وطلـب الحقّ الّذي جسَّده الإمام الحسين عليه السلام ولا يشكُّ أحد أبداً في نزاهة الثورة وتجرّدهـا من المكاسب الدنيويّة، بل سيتّضح جليّاً له أنَّ الحسـين عليه السلام الّـذي ضـحّى بنفسـه وأولاده وأصحابه، إنّما ثار من أجل تصحيح القيم وإصلاح الأُمّة.

وقد عجز كلّ من حاول المساس بقدسيّة هذه النهضة، من أعداء الإسلام وأعداء أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله ومن أُولئك المتنكّرين للحقّ، وأذناب المسـتعمرين وبعض المستشرقين والمأجورين مثل «لامنس» الّذين دافعـوا مسـتميتين عـن بني أُميّة ويزيد، سعياً منهم لإضلال واسـتغفال البسـطاء مـن عامـّة النـاس

والسذَّج والهامشيّين، مفترين على قائد هذه النهضة للانتقاص من شخصيّته الرسالية الفريدة.

ولا ريب في فشلهم وعجزهم ذاك، إذ أنَّ سلاح الافتراء والتّهم إذا كان قاطعاً في بعض الموارد، فإنّه كالٌّ في هذا المورد بالذات، بعد وضوح تضحيات الحسين عليه السلام الخاصّة الّتي كشفت عن الحقائق ودفعت كلّ إبهام وخلل محتمل.

ولقد وصل الحسين عليه السلام إلى درجة من الكمال عَجز معها حتّى بنو أُميّة من التجاسر قطّ على المساس بورعه وتقواه ورعايته لأحكام الدين في أصغر صغيرة يباشرها المرء سرّاً وعلانية وحاولوا أن يعيبوه بشيء غير خروجه على دولتهم فقصرت ألسنتهم وألسنة الصنائع والأُجراء دون ذلك، فاضطرّ كلّ منهم إلى التبرّي من عار وشنار قتله الفجيع وإنكار مشاركته في ذلك، وكان كلّ منهم يُلقي باللائمّة على غيره، ولكنّهم لم يفلحوا في إقناع الأُمّة الإسلامية ببراءتهم.

وحاول بعض المؤرّخين وضعاف الفهم ولأغراضٍ خبيثة أن يقلّل من أهميّة هذه النهضة وقداستها، ومن جملة هؤلاء ولعلّه الوحيد من القدماء في إنحرافه الفكري والضلال هو أبوبكر ابن العربيّ الّذي ينسب إليه قول:

«إِنَّ حُسَيْناً قُتِلَ بِسَيْفِ جَدِّهِ».[١]

---

١. العلايلي، سموّ المعنى في سموّ الذات، ص٧١.

وهذا القول، وإن كان ظاهراً في الدفاع عن قتلة الحسين عليه السلام الّذين ارتكبوا ـ بإجماع الأُمّة- أفضع الجرائم والجنايات واشتروا غضب الله والرسول والشقاء في الدنيا والآخرة وخسرانها، ولكن ما هو وراء هذا الدفاع أعظم، ألا وهو إساءة الأدب والتجاسر على مقام النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله الشامخ.

لقد ظنّ ابن العربيّ أنّ سيف الرسالة والنبوّة، هو سيفُ الضحّاك وجنكيز خان، وقد قُتل الحسين عليه السلام به!!

إنَّ ابن العربيّ يريد أن يقول: إنَّ سيف الظلم والجور الّذي كان بيد بني أُميّة، هو سيف النبيّ صلى الله عليه وآله!!

إنّه يقول: إنَّ السيف الّذي شهره معاوية وأراق به دماء الأبرياء وأجلَّة الصحابة والتابعين هو سيف النبيّ صلى الله عليه وآله!!

إنّه يقول: إنَّ السيف الّذي قُتل به عمّار بن ياسر وأُويس القرنيّ وخزيمة وابن التيّهان وحجر بن عديّ وسائر شهداء مرج راهط، ورشيد الهجريّ وميثم التمّار، هو سيف رسول الله صلى الله عليه وآله!!

إنَّ ابن العربيّ يقول: إنَّ السيف الّذي قام بمذبحة المدينة في الحرّة وأراق دماء الصحابة في حرم النبيّ صلى الله عليه وآله وهتك المقدّسات الإسلامية وتعرّض لنواميس المسلمين وأعراضهم العفيفة، هو سيف النبيّ!!

فهو يقول: إنَّ السيف الّذي كان بيد يزيد وابن زياد ومسلم بن عقبة وبسر بن أرطاة والحصين بن النمير والحجّاج بن يوسف والوليد وأمثالهم من الجلّادين والقتلة، هو سيف محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله!!

«لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله وَإِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ».

ويحقّ لنا أن نبكي بدل الدموع دماً على مثل هذه البليَّة حين يكون في المسلمين مثل ابن العربيّ الّذي يصل به العداء للنبيّ وأهل بيته إلى هذا الحدِّ.

فهل هناك تجاسر وإهانة وشتيمة للنبيّ والإسلام أكبر من جسارة ابن العربيّ؟!

لا، يا ابن العربيّ! إنَّ الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته وكلّ من هبَّ لنصرة الحقّ والدين، لم يقتل بسيف رسول الله صلى الله عليه وآله.

إنَّ الحسين عليه السلام قُتِلَ بسيف عتبة وشيبة والوليد والمشركين الّذين حاربوا الإسلام.

لقد قُتل الحسين عليه السلام بسيف الكفر والجاهلية، بسيف أبي سفيان وأبنائه، ذلك السيف الّذي شهر في بدر وأُحد والأحزاب ضدّ المسلمين، إنّ السيف الّذي قتل الحسين عليه السلام هو نفس السيف الّذي قتل حمزة عمِّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، إنّه سيف معاوية وعمرو بن العاص ومروان الطريد، إنَّ السيف الّذي قتل الحسين عليه السلام هو سيفكم أيّها الكتّاب المتملّقون المتلوّنون.

وأحد هذه الأقلام الخبيثة المغرضة هو محمّد خضري بيك صاحب كتاب «محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية» الّذي خان الإسلام في كتابه المشؤوم هذا.

هذا الرجل الناصبيّ المستميت في الدفاع عن بني أُميّة عامّةً ومعاوية ويزيد خاصّةً، يعتبر ثورة الحسين عليه السلام تطرّفاً وانتحاراً سياسيّاً، وبعيدةً عن الحزم وبُعد النظر، وانخداعاً بالعراقيّين!!

ويستمرّ هذا الكاتب بتسطير جملات الاعتراض والانتقاد لثورة الحسين عليه السلام بدلاً من توبيخ ومحاسبة بني أُميّة وخاصّةً معاوية الّذي تسبّب في فرقة المسلمين واختلافهم، والّذي خرج على خليفة زمانه الحقّ، واستخلف ولده يزيد الفسق والمجون، متّبعاً طريقةً كسرويّة قيصريّة في ولاية العهد!!

وليت خضري بيك سكت ولم يوبّخ، وإنّما نراه يحمل بشدّة على النهضة الحسينيّة ضدّ يزيد.

وفي خاتمة مقاله يتخبّط ويقول: لقد ثار الحسين عليه السلام على يزيد قبل أن يصدر عنه أيّ ظلم وجور!![1]

ونقول لهذا المتملّق: إنّ مثل الحسين عليه السلام الّذي عرف المسلمون والعالم الإسلاميّ كلُّه، فضائله ومناقبه من خلال ما وصلهم من أخبار وأحاديث متواترة عن النبيّ صلى الله عليه وآله، يكون احتمالُ خطأه معدوماً تماماً، كما أنَّ صوابه وسلامة موقفه، هو المرتكز الراسخ في الفكر العامّ عند المسلمين، وفي زمننا المعاصر،

١. خضري بيک، محاضرات تاريخ الأُمم الإسلامية، ج٢، ص١٢٩-١٣٠.

أطبق العقلاء وروّاد المجتمع العالميّ على ضرورة مقارعة الظلم والجور والاستغلال والاستعباد، وأنَّ حياة وبقاء الأُمم مرتهن بمقاومتها للظالمين، وأنَّ طريق الحسين عليه السلام ونهجه هو الطريق الأصحّ فهم يعتبرونه عليه السلام إمام الأحرار وسيّد المضحِّين في سبيل خلاص وإنقاذ البشرية والداعين إلى الاستقلال والحرّيّة والإصلاح، ولا يعتني أحدٌ بسفسطائية الخضريّ الناصبيّ، بل يلعنون أمثاله من الكتّاب الّذين يروّجون الهَراء.

ورغم ذلك، ومع أنّ الأُستاذ محمّد رضا رشيد قد ردَّ في كتاب «الحسن والحسين سبطا رسول الله» على «خضري بيك»، لكنّنا سنجيب على تخرّصاته ببعض الأجوبة:

١. إنّه خضري بيك، ظنَّ أنَّ الإمام الحسين عليه السلام خرج من أجل السلطان واعتبر أنَّ عدم تحقّق هذا الهدف المزعوم، دليلٌ على قلّة الحزم والتخطيط، وعدم إعداد العدَّة والعدد، ولذا اعتبر حركة الإمام الحسين عليه السلام حركةً إفراطيةً متسرّعةً غير مدروسة.

ولكن وكما أشرنا مراراً؛ إنَّ ثورة الحسين عليه السلام - بشهادة أرباب القلم الحرّ ومفكّري العالم الإسلاميّ- لم تكن حركةً سياسيةً محضةً من أجل السلطان والزعامة، وقد كان الحسين عليه السلام مطّلعاً على عواقب حركته وخواتمها، وكان قد أطلع الآخرين على تلك الخاتمة، فالحسين عليه السلام كان يرى أنّ واجبه الشرعيّ يدعوه للخروج والثورة وأنّ البيعة ليزيد محرَّمة وأنّ التخلّف عنها واجبٌ مقدّميّ وإن كلّفه حياته.

فالإمام الحسين عليه السلام هو الشخصيّة الأُولى في الأُمّة الإسلاميّة، وكان يتمتّع بكلّ مؤهّلات زعامة وإمامة الأُمّة، فهو من بيت النبوّة والرسالة، وهو العارف بصلاح الأُمّة والحريص على مستقبلها، فكيف يرضى باستخلاف شابّ فاسق وجاهلٍ متجاهر بالإثم والمعاصي؟

وإذا وجب الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر، كان الحسين أولى من غيره بالقيام بهما، وأوّل من يجب عليه العمل على محو الفساد والظلم من المجتمع الإسلاميّ حتّى لو كلّفه ذلك غالياً.

فمن أولى من الحسين عليه السلام بالجهاد والفداء في سبيل الحفاظ على الدين والدفاع عن الشرع؟

والحسين عليه السلام كان يرى التضحية والشهادة واجبةً في طريق إقامة الحقّ وإحيائه وإماتة الباطل وإزهاقه، ولذلك قال:

«لَا أَرَى الْـمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً، وَلَا الْـحَيَاةَ مَعَ الظَّالِـمِينَ إِلَّا بَرَماً».[1]

وقال عليه السلام:

«لَا أُجِيبُ ابْنَ زِيَادٍ فَهَلْ هُوَ إِلَّا الْـمَوْتُ فَمَرْحَباً بِهِ».[2]

---

١. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٠٥؛ الطبري، ذخائر العقبي، ص١٤٩-١٥٠؛ الزرندي، نظم درر السمطين، ص٢١٦.

٢. الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٠٤.

لقد أُخِذَ الخضري بيك من جهة مقايسته ما بين ثورة الحسين عليه السلام وبين حركات السياسيّين الطامعين بالزعامة والملك، فاعتبرها انتحاراً سياسياً، وحركةً عشوائية متسرّعة، مع أنّنا أوضحنا في الفصل الأوّل لهذا القسم من الكتاب، أنّ ثورة الحسين عليه السلام كانت أمراً إلهياً، وأداءاً للتكليف الشرعيّ، ومأموريةً سماويةً، لا تُقاس إلّا بحركات ونهضات الأنبياء والأولياء، الّتي لا تستند إلى القوّة المادّية والظاهريّة.

لقد قام نبيّ الله إبراهيم عليه السلام الأعزل من السلاح والجيش والناصر والمعين، ضدّ أعتى جبّار في زمانه وهو نمرود، فاستخفَّ بآلهتهم وكسَّر أصنامهم وجعلها جُذاذاً.

وهذا موسى كليم الله عليه السلام، الراعي الفقير، يقف أمام جبروت فرعون مصر ودعواه الربوبية، ويأمره بأن يتخلّى عن هذا الادّعاء، وأن يترك استعباد الناس، وأن يخلّي بينه وبين بني إسرائيل، واعتبره ضالّاً، ولم يكن مع موسى جيش ولا عدّة، إلّا هارون أخوه.

وهذا رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله ولوحده قد حمل راية الدعوة إلى التوحيد إلى جبابرة ومستكبري العرب والعجم، والقبائل المشركة المتوحّشة الّتي كانت تسجد لثلاثمائة وستّين صنماً! وأرسل الرسل إلى ملوك فارس وقياصرة الروم يدعوهم إلى دين الله.

وهذا يحيى بن زكريّا النبيّ عليه السلام دعا الناس إلى الله، فقتل وأُهدي رأسه إلى بغيٍّ من بغايا بني إسرائيل.

والحسين عليه السلام دعا الناس إلى الحقّ والعدل وإلى دين جدِّه فقُتل وأُهدي رأسُه إلى يزيد الطاغية.

وهكذا زكريّا وسائر الأنبياء الّذين قُتلوا أو كُذِّبوا، لم يعتمدوا الأسباب الظاهريّة المادّيّة في دعوتهم.

فهؤلاء جميعاً ما قاموا إلّا امتثالاً لأمر الله والتكليف الشرعيّ، ولم يدفعهم حبُّ الغلبة والسلطان، فسواء عليهم النصر أو الهزيمة الظاهريَّين، ماداموا يؤدّون تكليفهم.

ولقد كان في أزمانهم مَنْ يتّهمُهم ويفتري عليهم بالإفراط والعجلة وعدم الحزم والتخطيط، والإقدام على التهلكة والقتل، بل أنّ الناس استهزؤوا بهم وآذوهم واتّهموهم بالجنون والتخبّط!!

ذلك لأنّ الجهّال لا يميّزون بين طالب حقّ وطالب سلطان، ويظنّون أنّ الحركات التمرّدية الإصلاحيّة المستندة إلى وجوب الامتثال لله وأوامره، والداعية إلى الفضيلة والعدالة والحقّ وإتمام الحجّة، هي مماثلة للحركات الدنيوية السياسية القائمة على أساس حبِّ الدنيا والسلطان والزعامة والنفع الشخصيّ.

٢. ما قاله الخضري بيك من أنَّ الحسين عليه السلام لم يعط يزيد الفرصة الكافية لإثبات جدارته، وأنّه عليه السلام خرج عليه قبل أن يصدر أيُّ ظلمٍ وجور من يزيد، وكان الأفضل أن يسكت الحسين ويصبر ويُمضي حكومة يزيد، ليعتلي يزيد دفّة حكمٍ جائرٍ ليعمَّ العالم جورُه وظلمه وجرائمه وفساده، ثمّ ينهض ضدَّه؟!

هذا الّذي تشدَّق به الخضري ناجم عن ظنّه الخاطئ بجهل الإمام الحسين عليه السلام لشخصيّة يزيد وصفاته، وأنّ المسلمين لم يكونوا يعرفون من هو يزيد بن ميسون.

إنَّ يزيد بن معاوية كان مشهوراً بفساد أخلاقه وقبائح فعاله، ومعاقرته الخمرة ولعبه بالقردة والكلاب وتجاهره بالفجور والمعاصي، مستحلّاً لحرم الله، ولم يمتنع من امتنع عن بيعته زمن أبيه ـ على رغم مخاطر التمرّد ـ إلّا بعد أن عرفوا من هو يزيد بن معاوية، وأنّه لا يصلح لإدارة قرية من قرى بلاد المسلمين لفساده، فضلاً عن خلافة الأُمّة الإسلامية.

إنَّ يزيد بن معاوية، لم يتورّع عن شرب الخمر والسكر حتّى في المدينة المنوّرة عندما سافر إليها زمن أبيه، مع علمه بأنّه سيكون بمرأى ومسمع صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله ورجالات الإسلام.[1]

إنَّ الحسين عليه السلام قد عرف يزيد منذ اللحظة الأُولى لاستخلافه من قبل معاوية فقال لمعاوية:

واعلم أنّ الله ليس بناسٍ لك قتلك بالظنّة، وأخذك بالتهمة، وإمارتك صبيّاً يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب، وما أراك إلّا وقد أوبقت نفسك، وأهلكت دينك، وأضعت الرعيّة.[2]

---

١. ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣١٧.

٢. ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، ج١، ص٢٠٨-٢٠٩؛ الأميني، الغدير، ج٣، ص٢٦٠؛ ج١٠، ص٢٤٨.

٣. لو كان يزيد قد أحسن التصرّف بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وعمل بكتاب الله وسنّة نبيّه، وتخلّى عن شرارته وفساده ومجونه، لاحتُمل ـ ظاهراً ـ أنّ الحسين عليه السلام قد لا يكون واقفاً على مساوئ يزيد وأنّه تسرَّع في نهضته، ولكنَّ أفعاله الشنيعة يوم عاشوراء وأسرِ بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وتسييرهنَّ في البلدان وبعد واقعة الحرَّة وهدم الكعبة وحرقها، والاستمرار في التجاهر بالفسق والمعاصي الكبيرة، كشفت ما بقي خافياً على الناس من قبائح أفعاله، لا يَبقى لظنِّ خضري بيك أيّ مصداقية إلّا عداوته ونصبه لأهل البيت عليهم السلام.

٤. إنَّ كلام الخضري بيك ناشئ إمّا عن التعصّب الأعمى، وإمّا عن جهله بأهداف الإسلام، فظنَّ أنّ كلّ من قام ضدّ حكومةٍ مّا وفي أيِّ ظرف كان، فهو شاقٌّ لعصا المسلمين، ومفرّق لجمعهم، وباعث على اختلافهم وفرقتهم، وأنّه ينبغي علينا تمكين الظلمة والحكومات وإعانتهم وطاعتهم ومهادنتهم والتملّق لهم، كي لا يتفرّق المسلمون!! وأنَّ الوحدة والاتّحاد ممدوحٌ حتّى في ظلّ الظالمين وإعانتهم على ظلمهم، وأنّه كان على الجميع مدَّ يد العون ليزيد والحجّاج والوليد ومعاوية وجبابرة التاريخ ومهادنتهم وشرعيّة أنظمتهم وإمضاء سلوكهم، حفظاً للأُمّة من الفُرقة!!

كلّا يا خضري بيك، لقد ضَلَلت وتُهت وذهبتْ بك المذاهب، فإنّ الاختلاف بين أهل الحقّ والباطل لا زال قائماً منذ قابيل وهابيل، ولا نعهد شريعةً من

الشرائع السماويّة ولا الأرضيّة السليمة، تبيح لأهل الحقّ السكوت والاستسلام لأهل الباطل بحُجَّة الحفاظ على وحدة المجتمع، فعلى مقياس الخضري يكون إبراهيم خليل الله عليه السلام الّذي وقف مقابل جبروت نمرود، ويكون محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله الداعي إلى نبذ عبادة الأوثان، وسائر الأنبياء، أدعياء تفرقة واختلاف، نعوذ بالله من هذه المقالة.

كلّا يا خضري بيك! إنَّ جذور اختلاف المسلمين وتفرّقهم تعود إلى أمثال حكومة معاوية مفرِّق الجماعات ويزيد ومن لفَّ لفَّهم الّذين حاربوا التعاليم الإسلامية وقوانين الدين سعياً وراء السلطة والملك.

٥. يا خضري بيك، إنَّ الحسين عليه السلام كان عارفاً بكلّ خطوة خطاها، عارفاً بعللها وأهدافها ونتائجها، وكان يخطو الخطوات بكلّ حزم ودراسة وحكمة نحو هدف واضح مدروس ومخطّط له، وكان مطّلعاً على ماوراء الزمن، متنبّئاً بعواقب الأُمور، متيقّناً من يقظة الأُمّة وانتباهها من غفلتها، متوقّعاً ثورتها وانتفاضتها ضدّ يزيد وبني أُميّة، موعوداً بزوال هذه الحكومة الجائرة ومحوها من سجلِّ الحكومات الإسلامية، مستَتْبعةً بلعنة أبديّةٍ.

إنَّ الحسين عليه السلام كان يسير نحو زعزعة بني أُميّة عامّةً ومعاوية ويزيد خاصّةً، ونحو كشف بواطن هذا الحكم العَفنِ، وأن يضمَّ أصوات عامّة المسلمين إلى صوته في إدانة هذا الحكم وإسقاطه وتخليص المجتمع من شرِّه، ولذا عبّأ الإمام

الحسين عليه السلام كلّ القوى ودرس كلّ المحتملات ولم يتجرَّد عن الحزم والدقّة لحظةً واحدةً طوال مسيره وحركته ونهضته، فكان قد حسب لكلّ شيء حسابه وأعدَّ عدَّتَه وأوجد المقدّمات توخّياً لتحقّق النتائج كاملةً وليملأ صوتُ مظلوميّته أسماع العالم كلّه، ويعلو صوت الاعتراض العامّ والملامة والنفرة والكراهية ضدّ عدوّه، فيُخذل العدوّ وتفشل مخطّطاته المشؤومة لمحو الإسلام، وهذا ما حصل بالفعل وهو خير دليل على بطلان مزاعم خضري بيك، إذ ما مرَّت إلّا أيّام قلائل حتّى ارتقى معاوية بن يزيد (معاوية الثاني) المنبر في دمشق فاضحاً جرائم أبيه وجدِّه وبني أُميّة عامّةً، معلناً أحقيَّة عليّ عليه السلام وآله بالخلافة والإمامة.

بَينَ الفداء والانتحار

إذا قال قائل: إنَّ الإنسان إذا كان يهدف من ثورته مقتلهُ ومقتل أولاده وأنصاره وأسرَ أهل بيته وعيالاته، فإنّ ذلك بمثابة إلقاء النفس إلى التهلكة، وهو غير جائز عقلاً وشرعاً بنصّ الآية الكريمة: ﴿**لَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾،[١] فكيف يصحّ من الحسين عليه السلام أن يَخرج للشهادة والقتل والسبْي، وأن يَعدَّ ويستعدَّ لذلك؟

---

١. البقرة، ١٩٥.

فإنّ قتل الحسين عليه السلام وأسر بنات النبوّة، من أعظم الجنايات وهو مبغوض عند الله تعالى، ولا يجرُّ على صاحبه غير الضرر؟

أجبناه قائلين:

١. إنَّ قتل النفس موضوع تشكيكيّ يختلف باختلاف الأحوال والعناوين، فتارةً يكون موضوعاً لحكم تحريميّ وأُخرى يصير موضوعاً لحكم وجوبيّ إلزاميّ، وليس محرّماً على الإطلاق كما توهّم المستشكل، وحتّى لو كان هناك إطلاق، فإنّه مخصَّصٌ بالأدلّة الأُخرى. فلو فرضنا أنّ الإسلام يواجه تهلكةً وخطراً قاتلاً، ويقال إنقاذ الإسلام وخلاصه من الخطر يتوقّف على إلقاء النفس في التهلكة، فهل يقال أيضاً بعدم جواز التضحية وإلقاء النفس إلى التهلكة حفاظاً على الإسلام؟

ألا يُلام ويُوبِّخ من يمتنع عن التضحية بنفسه في سبيل الحفاظ على بيضة الإسلام وشرف المسلمين؟ أليس الدفاع عن الدين، والجهاد في سبيل الحقّ، أولى بوجوب التضحية والفداء؟

إنَّ فلسفة الجهاد والدفاع هي الدعوة إلى التوحيد وتحرير البشرية من العبودية لغير الله وحفظ الإسلام وتخليص الدين من المحو والتهلكة، أو حفظ الدولة الإسلامية من استيلاء الأجانب والكفّار والأشرار، وهو واجب على كلّ المسلمين طبقاً لأحكام الجهاد والدفاع مع تيقّن القتل وإلقاء النفوس في التهلكة.

فالدفاع عن خنادق وثغور الإسلام، إذا توقّف على استشهاد عدد من جنود المسلمين، ووُجدت ضرورة لحفظ الدولة الإسلامية من المخاطر، وَجَب تحمّل التلفات والتضحيات الكبيرة، ومثل هذه التضحيات والفداء جائزة بل واجبة.

٢. إنَّ هذا الحكم (حرمة إلقاء النفس إلى التهلكة) حكم إرشاديّ، ومؤيّد لحكم العقل بقبح «إلقاء النفس إلى التهلكة»، ومن الواضح أنّ إنكار العقل لذلك إنّما هو في حالة عدم وجود مصلحة أهمّ من الحفاظ على النفس، فإن توقّفت مصلحة أهمّ من ذلك عليه، حَكَم العقل بالجواز بل بالوجوب والإلزام أحياناً.

٣. إنَّ الهلاك متصوّرٌ بعدّة أنحاء من جملتها، الفناء والمحو والانعدام، وقد يكون هذا النحو هو المقصود في الآية الشريفة، وهذا المعنى إنّما يتحقّق فيما لو لم يكن هناك غرض شرعيّ صحيح أو عقليّ سليم، فإن وجد مثل هذا الهدف والغرض وكان ذلك امتثالاً للتكليف الشرعيّ وللأمر الإلهيّ وللدفاع عن أحكام الدين وعزَّة المسلمين، لم يكن الفداء والتضحية إلقاءاً للنفس في التهلكة ولا فناءاً وانعداماً.

فمن ضحّى من أجل الدين وفي سبيل الله لم يكن مُعدِماً لنفسه، ولا فانياً، بل هو حيٌّ بصريح القرآن، قد باع نفسه بأغلى الأثمان.

إذن، ففي حالة تحقّق مصلحةٍ أهمّ من الحفاظ على النفس، أو دفع مفسدةٍ أهمّ من ذلك، لم يكن بذلُ الأنفس والسباقُ إلى الموت والشهادة، إلقاءاً للنفس

في التهلكة، نظير بذل المال، فتارةً يبذل المال بلا عوض، فهو الإسراف والتبذير، وأُخرى يبذل المال للحفاظ على الشرف والكرامة والربح الأوفر، فلا يكون إسرافاً، بل هو ممدوحٌ ومستحبٌّ، وقد يجب في بعض الأحيان.

٤. إنَّ الصبر والثبات حتّى الشهادة، في ميادين الجهاد والدفاع عن الدين، وخاصّةً فيما لو تسبّب الإدبار عن القتال في هزيمة جيش الإسلام وغلبة الكفّار، وكان الفداء والتضحية محمساً ومحفزاً جند الإسلام على الصمود، أمرٌ ممدوح، بل هو واجب مقدّس، ولا نظنّ وجود أحد يدّعي أنّ مثل هذه التضحية إلقاءٌ بالنفس إلى التهلكة وأنَّه محرَّم، بل كان في صدر الإسلام ولازال يعدُّ من افتخارات وعزَّة وبطولة جند الإسلام وبالأخصّ قادتهم وأُمرائهم، كاستقامة وثبات وفداء وتضحية جعفر الطيّار عليه السلام التاريخية في حرب مؤتة، فإنّ مثل هذا الجهاد والإيثار والتضحية واستقبال الشهادة هو دركٌ للسعادة العظمى وتقرّب إلى الله عزّ وجلّ، لا أنّه إلقاء النفس في التهلكة والانتحار.

٥. إنّ الآية الكريمة وإن دلَّت على حرمة الإلقاء بالنفس إلى التهلكة، لكن لـمّا كان متعلّق النهي هو عنوان الإلقاء في التهلكة وليس مثل تعلّق النهي بالموضوعات الخارجية كشرب الخمر أو القمار، فإنّ تحقّق مصداقه وفرده يدور مدار تحقّق العنوان المذكور، فقد يكون الفعل في ظرفٍ معيّن ولشخص معيّن، إلقاءاً في التهلكة، ولا يكون كذلك بالنسبة لشخص آخر وفي حالٍ آخر، وكما

يقول أحد علماء التفسير بأنّ هذا العنوان له مصاديق متعدّدة، فتارةً يكون الإلقاء في التهلكة متحقّقاً في ترك الإنفاق، وتارةً يتحقّق في نفس الإنفاق، وتارةً يتحقّق في ترك الجهاد، وتارةً يتحقّق في الدفاع، كما أنَّ الإلقاء في التهلكة تارةً يكون فرديّاً وأُخرى جماعيّاً وعامّاً، فلابدّ من ملاحظة المفاسد والمصالح والمناسبات والموارد، فقد يصدق الإلقاء في بعض الموارد ولا يصدق في بعضها الآخر.

وفي بعض الموارد، وحتّى لو صدق العنوان، يكون تركه سبباً للابتلاء في التهلكة الدنيويّة والأُخرويّة الأعظم والّتي لا يمكن جبرانها.

وبعد بيان هذه الإجابات، ينبغي إضافة هذا التوضيح:

أوّلاً: إنَّ الحسين عليه السلام وهو صاحب مقام الإمامة والعصمة، هو أعلم أفراد الأُمّة بالأحكام الشرعية، وهو معصوم عن الخطأ والاشتباه، وما يصدر منه إنّما يصدر موافقاً للأمر الإلهيّ وامتثالاً للتكليف الشرعيّ.

وثانياً: إنَّ بني أُميّة، كانوا سيقتلون الإمام الحسين عليه السلام سواء خرج إلى العراق أو بقي في مكّة. وقد لاحظ الإمام عليه السلام كلّ المصالح الموجودة في القضيّة، فخرج عن مكّة صوناً لحرمة الحرم من الهتك، وكلُّ من تابع خطوات حركة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته، سيعي تماماً أنَّ الحسين عليه السلام أراد أن يوظّف استشهادَه ومقتله ومظلوميّته بأكبر قدرٍ ممكن من أجل بقاء الإسلام وإحياء الدين، فكان مراعياً لأدقّ الدقائق والنكات لضمان نجاح هذا التوظيف.

و ثالثاً: إنَّ هدف الحسين عليه السلام من الثورة والامتناع عن البيعة والاستسلام والسكوت، وتحمّل المصائب العظيمة، هو نجاة الدين، ولقد كان هذا الهدف مستحقّاً لكلّ تلك التضحيات بوُلده وأصحابه وبنفسه الشريفة، ومن ثمّ اختار الشهادة واستقبل تلك البلايا والمصائب.

إنَّ الداعي الأوّل والأخير لخروج الحسين عليه السلام هو امتثال الأمر الإلهيّ وحفظ الدين وطلب الحقّ، وإبطال مشروعيّة حكم بني أُميّة وإفشال مخطّطاتهم وتفويت الفرصة عليهم لتحقيق أهدافهم المشؤومة، ومقدّمة الوصول إلى هذه الأهداف هو عدم السكوت والاستسلام، والاستقامة والثبات إلى درجة الشهادة وتحمّل كلّ تلك المصائب. ولقد كان هدف الحسين عليه السلام محبّباً لله ورسوله صلى الله عليه وآله وموافقاً للعقل ووجدان الإنسانيّة.

فمن المغالطة القول: بأنّ قتل الإمام الحسين عليه السلام إذا كان مبغوضاً لله، فكيف زجَّ الحسين عليه السلام نفسه إلى القتل؟

إذ أنَّ الإمام عليه السلام لم يشأ أن يُقتل على يد الآخرين، ولقد بقي يدافع عن نفسه إلى آخر ساعة من حياته، ولكي يُتمَّ الحجَّة على أعدائه، كان يعظهم وينصحهم ويجادلهم في فداحة قتله وسفك دمه، ولكن كانت الشهادة في سبيل الله، محبوبته الّتي تمنّاها، والّتي اعتبرها من أعظم وسائل كمال القرب والفلاح، وعلى كلّ مؤمن مسلم أن يتمنّى الشهادة ويشتاق إليها.

نعم، إنَّ قتل الإمام وأسر أهل بيته، مبغوض عند الله ومن أكبر الجنايات والكبائر، ولقد أوضح الإمام السجّاد عليه السلام في خطبته في المدينة الطيّبة بأنّ قتل الحسين عليه السلام «كان ثلمةً عظيمةً» وأنَّ نتائجها السلبيّة ومضارّها على العالم الإسلاميّ تفوق حدَّ التصوّر، وكان ينبغي على أُولئك الأشقياء أن لا يقدموا حتّى على التفكير في مثل تلك الجناية حتّى لو قطعوهم إرباً إرباً، ولكن لم يكن لينبغي على الحسين عليه السلام ولدفع هذه الثلمة العظيمة أن يستسلم لهم ويبايع يزيد، فإنّ الضرر الناشئ من هذا الاستسلام والسكوت والبيعة هو أكبر بمراتب، فالحسين عليه السلام يرى أنَّ مصلحة حفظ الدين والامتناع عن البيعة ليزيد، كبيرة عظيمة تستحقّ منه التضحية بنفسه وولده وأعزّته، وأن يفتدي إحياء الإسلام وإبقاء كلمة التوحيد بكلّ ما يملك.

وبعبارة أُخرى: كان الناس مكلّفين بطاعة الإمام الحسين عليه السلام ونصرته والدفاع عن وجوده المقدّس وترك التعرّض لحرمته، وكان الحسين عليه السلام مكلّفاً بالاستقامة والثبات في طريق العقيدة والهدف، والتضحية وتحمّل المصائب لحفظ الإسلام. فإذا لم يمتثل الناس تكليفهم فهل على الحسين عليه السلام أن لا يمتثل هو الآخر تكليفه وأن يستسلم للذُلّ والهوان وأن يتراجع ويترك الدين والقرآن والشريعة في غربتها؟

اقرأوا قصّة أصحاب الأُخدود، أُولئك الرجال والنساء المؤمنون الّذين ذكر الحقّ عزّ وجلّ في قرآنه صبرهم وبصيرتهم وامتدحها، طالعوها بدقّة لتجدوا كيف

رجّحوا الاحتراق بالنار المؤجَّجة، على الاحتراق بنار الكفر والردَّة عن الإيمان.[١]
وبذلك نجحوا في ذلك الامتحان وتخرَّجوا بدرجة المنزَّهين عن الغلِّ والغشّ.

وعليه، فالثبات والصبر في طريق العقيدة والإيمان والدعوة إلى الله وحفظ الدين وحماية الأهداف الإنسانيّة السامية ببصيرة ومعرفة وقصد، شيءٌ، وإلقاء النفس إلى التهلكة شيءٌ آخر، وأنَّ الفداء والتضحية ونصر الله والدين من العارف الملتفت العالم بأحكامه، لَعزَّةٌ وفخرٌ يتمنّاها كلّ مؤمن، وهو أمرٌ خارج تخصُّصاً أو تخصيصاً عن الإلقاء بالنفس إلى التهلكة.

ومن البديهيّ أنَّ دفع هذا الاشتباه في خصوص أفعال النبيّ أو الإمام عليه السلام، لا يحتاج إلى كلّ هذا البيان والتوضيح، فإنّنا قلنا مراراً: إنَّ فعل وقول وتقرير (سنّة) الإمام عليه السلام يعدُّ من أدلّة الأحكام الشرعيّة كما في سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وليس من شأننا أن نجتهد لتعيين وظيفة الإمام عليه السلام.

أجل، إنَّ تتبّع هذا البحث مفيد من وجهة النظر الفقهيّة والاستنباطيّة لتعيين تكليفنا نحن.

وعلى أيّ حال، فإنَّ في أفعال وسيرة الأنبياء والأئمّة عليهم السلام أسراراً وحِكماً لامتحان العباد وإتمام الحجَّة عليهم وتكميل النفوس وإصلاح العباد و... إلخ.

---

١. البروج، ٤-٨.

والتعرّف على تلك الحِكَم والمصالح يحتاج إلى غور وتدقيق كبيرين في الآيات والروايات وسيرة هؤلاء العظام، ومع ذلك فكلّ ما سنحصل عليه ونكتبه هو قليل من كثير وقطرة من بحر غزير.

لماذا سكت الإمام الحسن عليه السلام؟

دواعي سكوت الإمام الحسن عليه السلام

قد يتبادر إلى أذهان بعض قرّاء الفصول السابقة من هذا الكتاب، تساؤل واستفهام عن أسباب عدم ثورة الإمام الحسن عليه السلام ودواعي صلحه مع معاوية، في الوقت الّذي كان معاوية هو نفس معاوية، وإنَّ الإمام الحسن عليه السلام لم يكن أقلّ شجاعةً ومعرفةً وحزماً وبأساً من أخيه الحسين عليه السلام، وما كان فداءُ وتضحية وإيثار الحسين عليه السلام وصبره وتحمّله وطلبه للحقّ وإحياء الدين أكبر ممّا هو عند الإمام الحسن عليه السلام، فلماذا سلك الإمام الحسن عليه السلام طريق الحلم والصبر والهدنة، واختار الحسين عليه السلام طريق الجهاد والثورة والشهادة؟

و المحقّقون والعلماء والمطّلعون على أحداث التاريخ الإسلاميّ وإن كانوا قد تناولوا هذه القضيّة[1] وشرحوا أسرار ومصالح صلح الإمام الحسن عليه السلام لكن

---

١. كالعلّامة الشيخ راضي آل يس، في كتابه *صلح الحسن عليه السلام*.

ورغبةً منّا في عدم إهمال هذا التساؤل بلا إجابة، سنبيّن بعض علل وحِكَم وأسرار هذا الصلح، موضحين الفرق بين عصر الإمام الحسن‰ وعصر الإمام الحسين‰ بحسب اجتهادنا العلميّ والتاريخيّ ومحيلين القاري العزيز إلى تلك المصنّفات للوقوف على مزيدٍ من الاطّلاع، فنقول:

١. إنَّ طول أمد المعارك الداخليّة والّتي لم يسبق لها مثيل في تلك الفترة، وكثرة القتلى والجرحى والمتضرّرين من الحرب، كانت قد أضعفت الرغبة في الاستمرار في القتال عند الناس، إن لم نقل أنّها قد أعدمتها تماماً، إلّا عند بعض الأفراد الّذين لا يتجاوز عددهم عدد الأصابع، كانوا قد قرأوا مستقبل الإسلام في ظلّ حكم بني أُميّة ووقفوا على الصورة لهذا المستقبل، أمثال قيس بن سعد من ذوي الإيمان الكامل والبصيرة النافذة من تلامذة أهل البيت‰، وأمّا سائر الناس، فقد كانت الحرب قد أنهكت قواهم الروحيّة قبل الجسديّة، وتلاعبت بهم الشبهات فسلبتهم روح الجهاد والقتال.

وكان أمير المؤمنين‰ في أواخر حياته، كلّما حثَّهُم ورغَّبهم بالجهاد، لم يَلقَ الآذان الصاغية والقلوب المطيعة والحضور الفاعل، بل كان يواجَه بالتهرّب والخذلان، حتّى شكاهُم مراراً وتكراراً.

وبعد استشهاد أمير المؤمنين‰، ازدادت عزلة الناس عن الأحداث وتضاءلت استجابتهم لنداءات الجهاد، خاصّةً تلك العوائل المفجوعة بأعزائها،

فلقد بلغ عدد القتلى في حرب صفّين -على ما نقل المسعودي- مائةً وعشرة آلاف قتيل من الطرفين،[1] وعدد القتلى في نهروان أربعة آلاف قتيل،[2] وطبقاً لما نقله اليعقوبي فإنّ قتلى حرب الجمل وهي أُولى الحروب الّتي خاضّتها أمير المؤمنين عليه السلام، كان قد بلغ أكثر من ثلاثين ألف قتيل.[3]

إنَّ كثرة عدد القتلى في هذه الحروب الداخليّة شوّه صورة الجهاد، ودعا أهل الدّعة ـ وهم الأكثرية ـ إلى الهروب من القتال، ولذا عندما صمّم الإمام الحسن عليه السلام على القتال وحثّ الناس على الجهاد وأرسل جيشاً إلى الحدود والثّغور وخرج بنفسه بعد أن استخلف على الكوفة ابن عمّه المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب تخلّف عنهم خلق كثير ولم يخرجوا معه بعد أن كانوا قد وعدوه بالقتال ضدّ عدوّه، فغرّوه كما غرّوا أباه من قبل، وبقي معسكراً بالنّخيلة عشرة أيّام وليس معه إلّا أربعة آلاف، ورجع إلى الكوفة يستنفر الناس وخطب فيهم يقول: قد غررتموني كما غررتم من كان قبلي.[4]

---

١. المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٣٩٣-٣٩٤.

٢. المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٤٠٦.

٣. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١٨٣.

٤. المغنية، الشيعة والحاكمون، ص٦٢.

٢. وعندما اتّضح للإمام الحسن عليه السلام ضعف الروح الجهادية عند الناس، وأنّهم أسلموه لمصيره وحيداً، أتمَّ الحجَّة عليهم وخطب فيهم خطبةً بليغةً تناول فيها فلسفة الحرب والصلح وطلب منهم إبداء رأيهم، فما سمع منهم إلّا كلمات الخذلان والتهاون، فكانوا يصيحون «البُقيا البُقيا يا ابن رسول الله».[١]

٣. وطائفة من الناس، كانوا يَرونَ في استمرار القتال، إضعافاً لقوّة المسلمين العسكريّة، واستنفاداً للذخائر القتالية، عُدَّةً وعَدداً، ممّا يؤدّي إلى زيادة أطماع الكفّار بالهجوم على بلاد المسلمين واحتمال التمرّد في الولايات الحديثة العهد بالإسلام، وانقلابها على الحكم المركزي.

ولا شكّ، أنَّ هذا الاحتمال وجيهٌ، فمن الطبيعيّ أنّ الحروب الداخلية تسبّب ضعف القوى الإسلامية، ممّا يعجز أيَّ طرف غالب فيها، عن مواجهة الأخطار المحدقة بالدولة الإسلامية، ومن الواضح أنّ معاوية الّذي ارتكب كلّ تلك الجرائم، وخرج على خليفة المسلمين المنتخب وقتل خيرة صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله للاستيلاء على الخلافة، لم يكن لتهمُّه مصالح المسلمين ومصير الأُمّة كي يتراجع عن القتال. فإنّه خطّط لسنوات عديدة وارتكب فضائع الجرائم ليتسلّط على رقاب المسلمين، فكيف يُنتظر منه الخضوع للحقّ؟ ولو كان معاوية يحمل ذرَّةً

---

١. ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج٢، ص١٣-١٤.

من الغيرة على الدين ويهتمّ لعـزّة الإسـلام والمسـلمين، لمـا خـالف حكـم أمـير المؤمنين وأشعل نار الفتنة.

ولم يكن إلّا الإمام الحسن عليه السلام الّذي يرى لزاماً على نفسه الحفاظ عـلى المصـالح العامّة للأُمَّة وأنْ يتخلّى ظاهريّاً عن حقّه حِقناً لدماء المسـلمين وحفظـاً للـدين، فصالح معاوية وتحمّل تلك الشدائد والملامة في سبيل الله، كما فعل أبوه عليّ بـن أبي طالب عليه السلام في زمن أبي بكر وعمر وعثمان.

٤. وطائفـةٌ مـن المسـلمين لم يتوقّعـوا أنَّ مكائـد معاويـة ومظـالم بنـي أُميّـة والأضرار الّتي ستلحق بالأُمّة الإسلامية بسببهم، ستصل إلى هذا المسـتوى مـن الفداحة، فعلى الرغم من معرفتهم بأنّ بني أُميّة ليسوا كبني هاشـم في حرصـهم على الإسلام والمسلمين وفي معتقداتهم الروحيّـة والنفسـيّة والخلقيّـة، لكـنّهم لم يكونوا يظنّون أنّ أساليبهم ستختلف كثيراً عن أساليب الحكم ونهجه زمـن أبي بكـر وعمـر وحتّـى لـو اختلفـت ولم يكـن معاويـة كالخليفـة الأوّل والثـاني في تظاهرهما بالإسلام، لكنّهم لم يتوقّعوا أن يبلغ التفاوت إلى درجة الولوغ في دمـاء الصحابة والأبريـاء مـن المسـلمين، وأنّـه سيشـعل حربـاً داخليـةً تجـزّئ العـالم الإسلاميّ وتضعّفه إلى هذا الحدّ.

ولقد أخطأ هؤلاء، إذ أنَّ بني أُميّة كانوا يتحيّنون الفُرص لهدم أُسس الإسلام وإعادة الجاهلية وسلب الحقوق واستعباد الناس.

ولم يظنّ هؤلاء أنّ حكم بني أُميّة سيبتعد جدّاً حتّى عن صورة حكم عمر وأبي بكر، وأنّهم سيغيّرون ظواهر المجتمع وعاداته، وأنّ الخلافة ستتحوّل إلى ملكية موروثة، ففي بداية الأمر كان الخليفة مضطرّاً إلى رعاية ظواهر الشرع، وكان المسلمون قريبين من عصر النبيّ صلى الله عليه وآله ويتذكّرون منهج حكومته الإلهية، خاصّةً مع وجود كبار الصحابة الّذين اعتادوا على رعاية مظاهر الورع والابتعاد عن مظاهر الملكيّة والبذخ والتجمّلات الزائدة إلى درجة الإسراف، فلم تكن الأرضيّة ممهّدةً لاستعجال إرجاع الجاهلية وتشكيل حكومة مستبدّة، والتفرّد بالسلطة و... إلخ.

أمّا في زمن معاوية، فقد تغيّر مزاج المجتمع، وتعوّد الناس على المظالم والانحراف خاصّةً زمن عثمان، وتغلغل المتملّقون والانتفاعيّون والانتهازيّون إلى مرافئ السلطة والحكم، ولم تَعُد الكفاءةُ والتقوى والزهد والإيمان شرطاً في التصدّي لإدارة أجهزة الدولة، ولم يكن القصد من قبول المناصب، أداء التكليف وامتثاله ولا خدمة الإسلام والمسلمين.

إنَّ هذه الأُمور كانت خافيةً على عامّة المسلمين تقريباً، ولذلك رفضوا الاستمرار في الحرب وقتال معاوية وإراقة الدماء، بل إنّ بعضهم كان يعتبر ذلك خطراً على مستقبل الأُمّة!

٥. إنَّ ملامح الصورة القائمة في ذلك الوقت، كانت توحي إلى غلبة معاوية في الحرب، وأنّ جيش الإمام الحسن عليه السلام سيواجه الهزيمة ـ ولو ظاهراً ـ وحينئذٍ،

سيتضرّر شيعةُ أهل البيت عليهم السلام أكثر من غيرهم، وستعلو صيحات الاعتراض على الإمام عليه السلام لعدم استجابته لاقتراح الصلح من قبل معاوية، خاصّةً وإنَّ الأكثرية كانت مؤيّدةً للصلح، وبعبارة أُخرى: كان هؤلاء سيتّهمون الإمام الحسن بالتسبّب في جرأة معاوية على التجاسر على المقدّسات وتنفيذ مخطّطاته المشؤومة، ولولا ذلك لاضطرّ إلى احترام مقرّرات الصلح الّتي ستُملى عليه والالتزام بما تعهّد به من الوفاء بالشروط والعهود.

وأمّا في زمن الإمام الحسين عليه السلام فلم يكن أحدٌ يحتمل أدنى احتمال أنَّ بني أُميّة وخاصّةً يزيد الفسق والفجور، سيفون بالعهد والمواثيق، والتزام شروط الصلح.

فالكلُّ على ثقةٍ تامّة من غدر يزيد وخيانته ونكثه للعهد والمواثيق وقتله الأبرياء واغتياله الصلحاء بلا تحرّج وحياء، والكلُّ على ثقةٍ من وجوب الثورة ضدّهم وإسقاط حكمهم.

إذن، كما كانت ثورة الحسين عليه السلام منبثقةً من الحرص على الإسلام وكانت نافعةً ومثمرةً في تحقيق هذا الهدف، فكذلك ما قام به الإمام الحسن عليه السلام صار باعثاً لبقاء الدين وحفظ مصالح المسلمين، وكشف الأقنعة المزيّفة لمعاوية وبني أُميَّة، ولو أنَّ الإمام الحسن عليه السلام كان قد استمرّ بأنصاره القلائل، في محاربة معاوية وفي تلك الظروف المعروفة، لقُتلَ ولم تُثمر ثورته وحربهُ أيَّ ثمرة ولم تعُد أيُّ فائدة، ولذهب دمُه هدراً، وفسُح المجال لبني أُميّة أكثر فأكثر في محو الإسلام وإعادة الجاهليّة.

٦. إنَّ قادة الدين وأولياء الله كعليّ والحسن والحسين عليهم السلام يسلكون طريق الحقيقة والأمانة في حروبهم وصلحهم، وحبِّهم وعداوتهم، ولا يتوسّلون بالخدع والألاعيب السياسية، والمكر والحيلة وإغواء الناس، لنيل مقاصدهم وتحقيق أهدافهم، وأمّا أبطال السياسة الباطلة وطلّاب السلطة فإنّهم يلتمسون كلّ الوسائل لكسب الأنصار وتعبئة الناس، حتّى الاحتيال والخداع والتضليل والخيانة، فيبذلون الأموال والرُشا ويَعِدُون بالمناصب والوزارات، ويشترون الذمم الرخيصة ويبتاعون دين وضمائر عبدة الهوى وعشّاق الدنيا ولذائذها لنيل مآربهم وتحقيق نواياهم.

وقادة الأديان، يجتذبون الناس عن طريق الدعوة إلى الحقّ والحقيقة والفضيلة والإيمان، وأمّا السياسيّون المخادعون فإنّهم يدوسون بأقدامهم على الحقيقة، ويزيِّفون الحقائق، ويسخّرون بيت مال المسلمين لأغراضهم الشخصيّة، ويشترون الأصوات المساندة، ويهبون الحقائب الإدارية لمن يعينهم على باطلهم، إذ ليس في قاموسهم معنى لمفهوم العدالة والكفاءة ومراعاة مصالح المسلمين والإصلاح والتقوى واجتناب الظلم والشرور.

وإذا رجعنا إلى تاريخ الإسلام، وطالعنا الوضع الروحيّ للمجتمع زمن خلافة الإمام الحسن عليه السلام وأيّام تمرّد معاوية عليه، لوجدنا قلّة أنصار الإمام الحسن عليه السلام إن لم نقل بانعدامهم، وكان أكثر المحيطين به من قادة جيشه وجُنده، مهزورين لا يمكن الثقة بهم، وكان المجتمع يغوص في انحطاطة الخلقيّ بسبب

القيادات الضعيفة والتربية الخاطئة.

فلم يكن أدعياء خلافة النبيّ صلى الله عليه وآله سائرين على نهج النبيّ صلى الله عليه وآله في تربية النفوس وصقل الأرواح وتهذيب الناس وحثّهم على الزهد في الدنيا؛ مضافاً إلى أنّهم منذ البداية سلكوا طريق هتك النفوس والأعراض، والسعي إلى محو الروح الرسالية، فعزلوا الصلحاء عن الإدارة، وولّوا الأشرار التابعين لهم، ومسخوا شخصيّة المسلم الّذي كان في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله يعتزُّ بهمَّته العالية وزهده في الدنيا، وتضحيته رغبةً في الثواب والقرب الإلهيّ وإعلاء كلمة الإسلام إلى شخصيّة سطحيّة هامشية منكبَّة على زخارف الدنيا ولهوها، مستكينةٍ للراحة والدعةِ، متلهِّفة على جمع الثروة والمال.

ولقد استفاد معاوية من هذا الخلأ الروحيّ والأخلاقيّ، وعرف أنَّ الوقت المناسب لتشكيل حكومته المحقّقة لأهدافه قد حان، إذ أنَّ شراء الذمم والضمائر والدين بالرُشا والوعود بالمناصب والولايات كان قد شاع في المجتمع، فنفذ معاوية من هذه الثغرة، فاستأجر أمثال عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة لإثارة الهَرَجِ والمَرج متآمّراً على المجتبى عليه السلام وقد نجح في تمزيق جيش الإمام عليه السلام باستقطاب بعض قادة الجيش بعد أن منّاهم ورَشاهم، ووصل الأمر إلى أنّ أحد أكبر قادة جيش الإمام قد التحق بمعاوية طمعاً بحطام الدنيا.

وقد كان معاوية قد وَعَد عمرو بن حريث، الأشعث بن قيس، حجّار بن أبجر وشبث بن ربعي بمائة ألف درهم والزواج من إحدى بناته، إذا قتلوا الإمام الحسن

بن عليّ عليهما السلام وأن يستأمرهم في جيشه،[١] واتّهم بعض أصحاب الإمام عليه السلام بأخذ الرشا، وغير ذلك من حيلة واللاعيبة الماكرة الّتي استغفل بها السُّذَّج من الناس.

ولذا، فإنّ أكثر أفراد جيش الإمام عليه السلام والّذين كانوا من الجيل اللاحق للجيل المعاصر لرسول الله صلى الله عليه وآله ولم يتلقّوا تربية أخلاقية صحيحة، لم يتمكّنوا من مقاومة الإغراءات، فباع الكثير من قادتهم نفسه ودينه لمعاوية، ومن الواضح أنَّ القتال بمثل هذا الجيش الّذي لا يأنف عن بيع ذمَّته ودينه بحفنة دراهم ووعود كاذبة، لن يؤدّي إلّا إلى الهزيمة وإراقة الدماء، وأنّ الاستعانة بمثل هذا الجيش أمرٌ عارٍ عن الحكمة والعقل، كما أنَّ شراء الذمم بالمال والوعود وإغرائهم بالمناصب والحقائب الإدارية، ليس من شيم آل عليّ؛ لأنّ ذلك يجرُّ إلى ترويج الظلم وفسح المجال للخائنين والظالمين لإشاعة الفساد.

وفي مثل هذا الحال، لو لم يصالح الإمام الحسن عليه السلام، فمضافاً إلى هزيمة هذا الجيش المهزور الضعيف، كان احتمال اغتيال الإمام عليه السلام على يد الخونة والعملاء أمثال الأشعث بن قيس الّذي كان ومنذ زمن خلافة عليّ عليه السلام يمدُّ جسور الارتباط مع معاوية ويتآمّر معه ضدّ أهل البيت عليهم السلام وضدّ الإسلام، احتمالاً قويّاً، بل وكان من المحتمل أن يلقى القبض على الإمام عليه السلام ويُسلّم مكتوفاً إلى معاوية، ليغتنم معاوية الفرصة للانتقاص منه ومن ثمّ إطلاق سراحه متظاهراً بالحلم والعفو، مانّاً

---

١. المغنية، الشيعة والحاكمون، ص٦٢ – ٦٣.

على أهل بيت النبيّ وبني هاشم، لتحطيم شخصيّة الإمام الحسن عليه السلام ومحبوبيّته في النفوس وهيبته وجلالته ومقامه في المجتمع ومن ثمّ تصفيته جسديّاً.

ومن الطبيعيّ، فإنّ الضربة الّتي ستُوجّه نتيجة لذلك إلى أهل الحقّ ستكون قاصمةً موجعةً، وسيمنع ذلك من تمهيد الأرضيّة لثورة الإمام الحسين عليه السلام.

٧. إنَّ الإمام الحسن عليه السلام لو كان قد بَقي حيّاً بعد هلاك معاوية، لكان قد ثار كما ثار الإمام الحسين عليه السلام إذا فُرض تحقّق نفس الظرف، ولامتنع عن بيعة يزيد كما امتنع الحسين عليه السلام، بل لو كان الحسن عليه السلام حيّاً وشهد استخلاف معاوية ليزيد، لثار ضدّ معاوية وما تسنّى ذلك لمعاوية، ولذا وكما ورد في المصادر التاريخية أنّ معاوية عندما جاء إلى المدينة واستشار العبادلة في ولاية عهد يزيد، تيقّن أنَّ هذا الأمر مستحيل مع وجود الإمام الحسن عليه السلام ومن ثمّ أخفى معاوية ذلك العهد والاستخلاف إلى أن قتل الإمام عليه السلام بدسّ السُّم إليه، وبعد ذلك أعلن للناس استخلافه ليزيد وأخذ البيعة منهم بالقوّة والإكراه.

٨. روى ابن شهر آشوب أنّ أهل القبلة قد أجمعوا على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: **«الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ إِمَامَانِ قَامَا أَوْ قَعَدَا»**.[1]

وهذا الحديث دالّ على سلامة وشرعيّة كلّ عمل يصدر من الإمامين عليهما السلام باعتبارهما إمامين تجب إطاعتهما، وأنَّ ما يقومان به إنّما هو امتثال للتكليف

---

١. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب عليه السلام، ج٣، ص٣٩٤.

الإلهيّ الخاصّ بهما لاقتضاء المصلحة ذلك، وأنّهما في حربهما وصلحهما وثورتهما وسكوتهما وسائر أحوالهما مأموران بالأمر الإلهيّ، وأنَّ كلاًّ منهما في عصره حامٍ للدين والشريعة وإمام للناس وسفينة نجاتهم.

إنَّ الإمام الحسن عليه السلام قام بما قام به جدُّه رسول الله صلى الله عليه وآله أيّام وجوده في مكّة، وقام به أبوه أمير المؤمنين عليه السلام أيّام حكومة أبي بكر وعمر وعثمان، وأنَّ الإمام الحسين عليه السلام قام بما قام به جدُّه رسول الله أيّام وجوده في المدينة المنوّرة وما قام به أبوه عليه السلام في السنوات الخمس الّتي جاهد فيها الناكثين والقاسطين والمارقين.

وفي الرواية، أنّ جابر بن عبد الله الأنصاريّ، اقترح على الحسين أن يهادن كما هادن أخوه الإمام الحسن عليه السلام، فأخبره الحسين عليه السلام أنَّ الحسن عليه السلام صالح بأمر الله ورسوله، وأنّه أيضاً يقوم بأمر الله ورسوله صلى الله عليه وآله.[1]

ومثل هذه الأُمّة، لا يُتوقّع منها أن تقف إلى جنب المصلحين والرساليّين وأولياء الله، ولا يرتجى منها الفداء والتضحية من أجل المبادئ والمثل السامية، وإنّ مثل هذه الأُمّة الميّتة تحتاج إلى حركة إصلاحيّة قويّة كحركة الإمام الحسين عليه السلام تهزُّ ضميرها وتوقظها من سبات الخنوع والذلّ.

---

١. ابن حمزة الطوسي، الثاقب في المناقب، ص٣٢٢؛ البحراني، معاجر الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، ج٣، ص٧٤، ٣٨٢؛ المغنية، المجالس الحسينية ص٢٢.

المبحث الرابع

نتائج الثورة الحسينيّة

نتائج الثورة الحسينيّة

كلّ حركة ونهضة تهدف تشكيل مؤسّسة جديدة وتبديل نظام بنظام أو إيجاد إصلاحات روحية أو اجتماعية أو اقتصادية، أو أيّ هدف آخر، سيكون لها تأثير خاصّ في الفكر الاجتماعيّ العامّ وحتّى في حياة الناس الميدانيّة، وسواء كانت تلك الحركات تحريريةً إصلاحيةً حقّةً، أو كانت ضيّقةً محدودةً بحدود المنافع وكسب الامتيازات الشخصيّة والمادّية والطموحات السياسية.

وطبيعيٌّ أنّ نجاح وانتصار حركة سياسية تهدف إلى نيل المكاسب الدنيوية السلطويّة الضيّقة، إنّما يكون بقهر الخصم وإبعاده عن مراكز القرار، وبالسيطرة على المقام المقصود، وإلّا كانت تلك الحركة فاشلةً مندحرةً. وفي حالة الفوز

والغلبة يكون انتصاره محدوداً بالحدود الفردية، وبتلك البرهة الزمنية الّتي يتزعّم بها ذلك المنصب والمقام.

وأمّا نجاح وظفر المصلحين الحقيقيّين، والثائرين من أجل الحقّ والمثل والمصالح العُليا، فهو في إقرار الحقّ وتحكيمه، وتأمين العدالة الاجتماعية ومحو الظلم والفساد، واستبدال الفوضى بالنظام، والتمرّد على القوانين بتطبيقها.

وهؤلاء المصلحون وحتّى لو خسروا المعركة مادّياً وفشلوا في إبعاد الخصم وإزالته، وحتّى لو كلّفهم قيامُهم بذلَ أنفسهم في سبيل الحقّ، لا يُفشلون روحيّاً، وسيكون لإقدامهم أثرٌ في جذب النفوس السليمة إلى أهدافهم، والقلوب إلى مبادئهم.

فتضحياتهم وفداؤهم وعلوُّ همّتهم يبعث الأنظار إلى الاتّجاه صوبهم وإلى الخير والصلاح وطلب الحقّ والعدالة، فيصيرون أُسوةً ومثالاً يُحتذى به في مستقبل الأجيال، ويتسبّبون في إعلاء كلمة الحقّ وتضعيف وإزهاق كلمة الباطل وأهله.

ولأنّ هؤلاء ينتفضون من أجل الحقّ والمصالح العليا للمجتمع ونجاة البشرية، فإنّهم لن ينكسروا ولن يُهزموا أبداً في معركتهم الّتي بدأوها وحتّى لو لم يتحقّق لهم النصر الآنيّ، فإنّهم هم المنتصرون حقيقةً، لأنّ قيامهم للحقّ، والحقُّ باقٍ وثابت وخالد، فتخلُد حركاتهم بخلوده، بخلاف المنتفضين من أجل المنافع

والمصالح الخاصّة الضيّقة، فإنَّ أعمارهم القصيرة إذا انتهت انتهت معها تلك الانتصارات المحدودة.

فظفر المصلحين الحقيقيّين، دائميٌّ خالد، وغلبة الدنيويّين عمرها قصير مؤجّل.

إذن، فمن الناحية النفسانية ومن الناحية التاريخية أيضاً، لا يمكن إنكار حقيقة أنّ نتائج وآثار الحركات الإصلاحيّة والتحرّرية، هي آثار إيجابية خالدة، وكذلك كانت تأثيرات ثورة سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام في الأُمّة بل المجتمع العالميّ، وأنَّ ما قام به كان منسجماً ومحقّقاً لأهدافه، وأنّه ليس فقط لم يخسر المعركة بل أنّه حقّق مكاسب عظيمة وكثيرة لا يُحصيها إلّا الله تعالى، كما أنَّ الثابت في مواجهات الحقّ ضدّ الباطل، إنَّ الناس يرون أنّ أهل الحقّ هم المنتصرون، وإنّهم يتمنّون أن يكونوا في جملة طلّابه وفي سجلّهم.

ومنذ حادثة كربلاء الأليمة، لم نعهد أحداً تمنّى أن يكون من أنصار شمرٍ وحرملة وابن زياد، أو أنّه قبِل بفعالهم ولم يشمئزّ من ذكرهم.

وفي المقابل، تجد ملايين الناس تمنّوا أن يكونوا ممّن قاتل في صفّ الحسين عليه السلام وأنصاره.

وبإمكاننا وبمقايسة بسيطة وبضرب مثلٍ واحدٍ أن نُثبت أنَّ المنتصر في عاشوراء هو الحسين عليه السلام وأنَّ الخاسر هو يزيد وحزبُه.

والتاريخ يحدّثنا أنّ رجلين جاءا معاً لقتال الحسين عليه السلام وكلاهما من بلد واحد ولهما سوابق وشهرة قتالية، أحدُهما تخلّى في وسط الطريق عن كلّ امتيازاته

وألقابه ومناصبه والجوائز والهبات الّتي كانت بانتظاره، وأدار ظهره للدنيا وزخارفها و زبارجها، وباع نفسه لله. والثاني ازداد في تعلّقه بالدنيا، وبقي على عدائه لأهل البيت عليهم السلام واستمات في الدفاع عن ظلم بني أُميّة وباطلهم وقساوتهم، اسمُ الأوّل هو الحرّ بن يزيد الرياحيّ واسم الثاني هو شمر بن ذي الجوشن.

فالحرُّ كان قد انخرط في صفوف بني أُميّة وجاء لحرب الحسين طمعاً بالجائزة وإمرة الجيش والارتقاء في المراتب العسكرية، ولو فُرض أنّه بقي على إصراره لعدّة ساعات أُخَر ولم يتخلَّ عن عمر بن سعد، وارتكب أفعال حرملة وشمر وسنان، لما حصل من ذلك إلّا على لعنة التاريخ والملائكة والناس أجمعين كشمرٍ وحرملة ومن لفّ لفّهم. ولكنَّه، كان معهم بجسمه فقط، وأمّا روحه فلم تكن من سنخ أرواحهم، وهذه الروح العالية هي الّتي جعلته من أصحاب الحسين عليه السلام، فلقد أدبر عن الدنيا والمنافع المادّية واهتزَّ هزَّةً عَرَجت به من الدنيا إلى الآخرة، ومن الظلمة إلى النور، ومن الباطل إلى الحقّ، ومن الكفر إلى الإسلام، فأوصل نفسه إلى السعادة الأبديّة، وأجبر التاريخ على تسجيل اسمه في الخالدين أمثال زهير وحبيب ومسلم بن عوسجة ورفاقهم.

ولو كان الحرّ قد أصرَّ على حرب الحسين عليه السلام كما أصرّ الشمر وغيره، لما حصل إلّا على دراهم وحطام ينتهي ويفنى بموته أو قبل موته، ولكنّك اليوم إذا سألت

عن المنتصر، هل هو الحرّ أم الشمر؟ لقيل لك بلا تأمّل: إنّه الحرّ، انتصر ونال العزّ والفخر، وأمّا الشمر فهو الخاسر المبتلى بالذلّ والعار والشنار واللعنة الأبديّة.

وقس على ذلك سائر أصحاب الحسينعليه السلام بمقارنتهم بقادة جيش الكوفة، فستجد أنَّ المنتصر هم أصحاب الحسينعليه السلام وأنَّ الخاسر هم أهل الكوفة الّذين لازالت اللعنة تلاحقهم أبداً.

فأين مسلم بن عوسجة وأين شبث بن ربعي؟ وأين حبيب بن مظاهر وأين عمرو بن الحجّاج؟ وابن عمرو بن قرظة الأنصاريّ وأين أخوه الّذي كان في جيش ابن سعد؟ إنّها مقايسة الخلد بالفناء، والنور بالظلمة، والطُّهر بالرجس.

فاسم حبيب ومسلم وعمرو بن قرظة وسائر أصحاب الحسينعليه السلام هي أسماء حبيبة إلى القلوب، وأمَّا أسماء أُولئك الملعونين فهي في عداد أسماء أبي جهل وأُميّة والكفّار والأشقياء.

فلا شكّ إذن، في تحقّق نتائج تضحيات أولياء الله ولا في ظفرهم وموفّقيتهم، وهذا حكمٌ فطريّ وعقليّ وشرعيّ مسلَّم، لا يمكن إنكاره بحال من الأحوال، وبذلك نال هؤلاء الفوز في الدنيا والآخرة:

﴿**إِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْـمُحْسِنِينَ**﴾.[1]

---

١. التوبة، ١٢٠.

ونحن وإن كنّا قد أشرنا إلى بعض نتائج الثورة الحسينية، ولكن، ولكي يتّسق هذا البحث مع هيكليّة هذا الكتاب، نذكر بعض نتائج الثورة محاولين بقدر استطاعتنا وقصورنا إكمال البحث، ولأنّه يرتبط بالمطالب السابقة، فنعتذر مسبقاً عن التكرار في بعض الموارد:

١. التقرّب والارتقاء

إنَّ من أهمّ نتائج ثورة الحسين عليه السلام هو ثمرة القرب وارتقاء الدرجة العالية الّتي نالها الحسين عليه السلام عند الله عزّ وجلّ.

فقد ورد في الأحاديث والأخبار، أنَّ تضحيات وفداء الحسين عليه السلام وتحمّله للرزايا والمصائب في سبيل الله وإحياء دينه، كان لها بركات وثمرات كثيرة يعجز القلم واللسان عن بيانها وتعدادها، ونفضّل أن يتتبَّعها القارئ العزيز في كتب الحديث والمقاتل ككتاب «العوالم»، «البحار»، «نفس المهموم» وغيرها من الكتب المدوّنة في عدّة لغات، ليقف على تلك الأخبار الّتي تتضمّن فضيلة الثورة وبركاتها والثواب الجزيل الّذي يناله الحسينيّون وزوّار الحسين عليه السلام والباكون في مصيبته وإنشاد الشعر في رثائه، وحتّى استذكار عطشه وعطش عياله وأطفاله وأصحابه حين شُرْب الماء، وكلُّ ذلك الثواب هو من بركات الثورة الحسينية وللتبرّك والتيمّن نذكر واحداً من تلك الأحاديث:

روى الشيخ الصدوق بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان النبيّ صلى الله عليه وآله في بيت أُمّ سلمة فقال لها: لا يدخل عليّ أحد. فجاء الحسين عليه السلام وهو طفل فما ملكت معه شيئاً حتّى دخل على النبيّ صلى الله عليه وآله فدخلت أُمّ سلمة على أثره فإذا الحسين عليه السلام على صدره وإذا النبيّ صلى الله عليه وآله يبكي وإذا في يده شيء يقلّبه، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا أُمَّ سلمة إنَّ هذا جبرئيل يخبرني أنّ هذا مقتول، وهذه التربة الّتي يقتل عليها، فضعيه عندك فإذا صارت دماً فقد قتل حبيبي، فقالت أُمّ سلمة: يا رسول الله! سل الله أن يدفع ذلك عنه.

قال: قد فعلت، فأوحى الله تعالى: أنّ له درجةً لا ينالها أحد من المخلوقين وأنّ له شيعةً يشفعون فيشفّعون، وأنّ المهديّ عليه السلام من ولده، فطوبى لمن كان من أولياء الحسين عليه السلام، وشيعته هم والله الفائزون يوم القيامة.[1]

٢. نجاة الإسلام

ومن أهمّ نتائج الثورة الحسينية، إنقاذ الإسلام من مخالب مخطّطات بني أُميّة.[2]

---

١. الصدوق، الأمالي، ص٢٠٣؛ ر.ك: المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٢٥؛ البحراني الأصفهاني، عوالم العلوم، ص١٢٨-١٢٩؛ المحدّث القمّي، نفس المهموم، ص٦٥-٦٦، ح ٢٤.

٢. قد يقول قائل: إنّ بني أُميّة أقلّ قدراً من محو الإسلام، لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ (الحجر، ٩) وقوله تعالى: ﴿**يَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ (التوبة، ٣٢)، فكيف يدَّعى أنّ الدين كان في معرض الزوال وأنّ الحسين عليه السلام هو الّذي حفظه؟

ولكي نقف على أنَّ حفظ بقاء الإسلام والشريعة واستمراريّتها وتكريم القرآن الكريم، مرهونٌ بتضحيات الحسين عليه السلام لابدّ من أن نُذكّر المخاطر الّتي كانت تهدّد الإسلام من جهة بني أُميّة، ومن خلال مطالعة سيرة هذه العائلة والشجرة الخبيثة.

فكلُّ من طالع تأريخ الإسلام متتبّعاً مخطّطات بني أُميّة في الجاهلية والإسلام، سيُذعن بأنَّ الإسلام كان في طريقه إلى الزوال والطمس والاضمحلال بفعل بني أُميّة.

فمنذ بداية البعثة النبويّة إلى حين اجتماع دار الندوة[1] وهجرة النبيّ صلى الله عليه وآله، ومروراً

والجواب: أنّ اللهَ سبحانه وتعالى أبى أن تجري الأُمور إلّا بأسبابها والحسين عليه السلام من تلك الأسباب لإجراء مشيئة الحقّ جلّ وعلا، كما كان النبيّ صلى الله عليه وآله باني أساس التوحيد بأمر اللهِ ومؤسّس الدولة الإسلامية وهكذا فإنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام هو حافظ الدين والمدافع عنه والذابّ عن حريمه، ولو لم يكن سيف عليّ عليه السلام لما كان هذا الدين قائماً، وكذلك الحسين عليه السلام بمظلوميّته وفدائه حمى هذا الدين، فكلّهم أسباب لإجراء المشيئة الربّانية لحفظ الدين.

١. وخلاصة القصّة: أنَّ قريشاً اجتمعت في دار قصيّ بن كلاب وهو محلّ المشورة واتّخاذ القرارات السياسية المهمّة ويسمّى بدار الندوة، وقرّروا تصفية النبيّ صلى الله عليه وآله جسديّاً للتخلّص من الإسلام إلى الأبد، فأخبر الله عزّ وجلّ نبيّه بذلك وأمره بالهجرة إلى يثرب وترك عليّاً ليبيت تلك الليلة في فراشه فاديا له بنفسه، ولذلك مكر اللهُ واللهُ خير الماكرين. ودَفع شرّ المشركين عن النبيّ صلى الله عليه وآله وكان أبو سفيان وعتبة وشيبة من جملة المتآمرين في دار الندوة على النبيّ صلى الله عليه وآله. (ابن هشام، السيرة النبويّة، ج٢، ص٩٣).

بحرب أُحد وغزوة الأحزاب وفَتح مكّة، تجد أنَّ لبني أُميّة دوراً فاعلاً في إيجاد المخاطر المحدقة بحياة النبيّ ﷺ، ورسالة التوحيد ودين الإسلام، سواءٌ بشكل مباشر أو بواسطة، ولقد كانت دارُ أبي سفيان مركز قيادة العمليّات التخريبيّة السياسيّة والعسكريّة ضدّ الدعوة والإسلام.

ولقد كان أبوسفيان وزوجته هند وأُخته حمّالة الحطب، وأولاده حنظلة ويزيد ومعاوية، وأبو زوجته عتبة وعمُّ زوجته شيبة، وأخو زوجته الوليد، وابنُ عمِّه الحكم ومروان وباقي أفراد هذه العائلة الملعونة، ليس لهم همٌّ في الجاهلية وفي عصر الإسلام إلّا إيجاد المخاطر لدين الله، وإنَّ حقدَهم الجاهليّ الدَّفين لم يخرج من صدورهم أبداً حتّى بعد الإسلام.

فالنبيّ الأكرم ﷺ كان يعرف أخطار بني أُميّة على الإسلام والدين، من خلال معاشرته لهم أيّام حياته وإبّان دعوته الناس إلى الإسلام، مضافاً إلى ما كان يُوحى إليه من السماء بمخاطر هذه الشجرة الملعونة وعواقب أُمورها وهو ما كان يُخبر به مراراً وتكراراً كما أنّ الله عزّ وجلّ قد أخبر في كتابه الكريم بخطر هؤلاء عندما وصفهم بالشجرة الملعونة.[١]

---

١. العيّاشي، تفسير، ج٢، ص٢٩٧-٢٩٨؛ القمّي، تفسير، ج٢، ص٢١؛ المغربي، شرح الأخبار، ج٢، ص١٤٩؛ الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل، ج٢، ص٤٥٧؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٩، ص٢٢٠؛ ج١٢، ص٨١؛ ج١٥، ص١٧٥؛ ج١٦، ص١٦.

ولقد أفشَل النبيّ صلى الله عليه وآله بعون الله ولطفه، كلّ دسائس هؤلاء وتجييشهم الجيوش وتحزيبهم الأحزاب لدفن الإسلام، ولم تمرّ إلّا أيّام قلائل حتّى تهدّمت كلّ قلاع الكفر والشرك وانتصر جند الله على قوى الشرِّ والضلال، وتلاحقت الفتوحات الإسلاميّة، فتيقّنَ بنو أُميّة بضعفهم وعجزهم عن مواجهة الإسلام وجهاً لوجه، وعرفوا أنَّ حمل راية الشرك لم تَعُد نافعةً ولا ناجعةً، وأنَّ عهد الوثنيّة قد ولّى وأنَّ الدعوة إلى التوحيد والأُخوّة والمساواة قد شَغفت العالمَ بحبِّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وأنّه يستحيل عكفُ القلوب من التوحيد إلى الشرك، ومن الأُخوّة والعدالة والمساواة والحرّية إلى التسلّط القبَليّ والفئويّ والفرديّ، فلم يجدوا سبيلاً للنيل من الإسلام إلّا ارتداء عباءة النفاق والتظاهر بالإسلام.

فلم يَعُد للدعوة إلى الشرك ومواجهة النبيّ صلى الله عليه وآله أُذنٌ صاغية إذ كان الناس قد ذاقوا حلاوة دعوة التوحيد فلم يعُد بالإمكان استبدالها بعلقم الكفر والتمايز الطبقيّ، ولم يعد بالإمكان استبدال الآمال الرائعة للإيمان بكوابيس عصر الجاهلية الموحشة.

فالقائدُ الرَّبانيّ، متواضعٌ، حرٌّ شريف، رؤوفٌ عطوف، بسيط في عيشه، يواسي أبسط الرعيّة، والقوانين السماوية للدين الجديد، تطبَّق على الجميع بلا استثناء، والنبيّ الأعظم يجالس الفقراء والمساكين ويُصاحبهم، وكانت أخلاقه الرفيعة قد اجتذبت القلوب إليه وإلى كتابه السماويّ، وأنساهُمُ اللات والعزّى ومناة الثالثة الأُخرى، وأنساهم أبا سفيان وملأ قريش.

لقد وعى بنو أُميّة هذه الحقيقة جيّداً، وعرف أبو سفيان وبطانته أنَّ فكرهم ومبادئهم قد قُضيَ عليها إلى الأبد، وأنَّ الفكر التوحيديّ قد غزاهُم في عُقْر دارهم، فَلم يشأ أبو سفيان تضييع الوقت لئلّا يتأخّر عن قافلة رفاقه الّذين سبقوه في الوصول إلى هذه الحقيقة بثمانية أعوام، ولذا أظهر إسلامه مُكرهاً مضطرّاً.

وما أن وضع أوّل قدمٍ له في هذا العالم الجديد، حتّى بدأ يَحيك المؤامرات والدسائس، ويُشعل الفتن ويحاول إحباط العزائم والهمم، مُتحيّناً الفرصة لطعن الإسلام من الخلف، وقلع جذور شجرة التوحيد الغضَّة.

وما أسرع ما فُجعَ العالمُ الإسلاميّ برحيل النبيّ الأعظم محمّدﷺ، وأظلّت المجتمع غمامَة تشنّجٍ فكريّ كاد معها البعض أن يرتدّ، واختلف القوم في الخلافة، وأُقصي بنو هاشم الّذين كانوا يرون في عليّ الخليفة المنصوص عليه والمعيَّن من قبل النبيّﷺ، واستولى آخرون على سدّة الحكم.

وهنا حاول أبو سفيان التصيُّد في الماء العكر، سعياً في إشعال الفتنة والقضاء على الإسلام وإعادة الجاهلية إلى الجزيرة العربيّة.

ولو أنَّ أبا سفيان كان قد نجح في ذلك اليوم في إثارة الفتنة والحرب الداخلية وكانت السيوف قد شهرت في المدينة وقاتل المسلمون بعضهم البعض، لارتدَّ الناس بأبشع صور الارتداد، إذ أنَّ أكثر الناس كانوا حديثي عهد بالإسلام ولم تكن الشريعة والإيمان قد تركّزا في نفوس أهل القرى والبوادي والقبائل العربيّة

البعيدة عن المدينة، أضف إلى ذلك أنَّ نفس رحيل النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله قد هزَّ القلوب، وشكّك ضعفاء الإيمان، بمستقبل الإسلام.

وفي مكّة بلغ الوضع حدّاً من التوتّر جعل عتاب بن أُسيد والي مكّة يتوارى عن الأنظار، وراح البعض يفكّر في تحصيل الإمارة والحكم لو لا خوف تقسيم الدولة الإسلاميّة وهدم وحدة المسلمين وردّة المجتمع إلى الكفر.

في تلك اللحظات الحسّاسة، كان سلُّ السيف مساوقاً لسقوط الإسلام، وكانت أبواب الفتنة والامتحان مفتوحةً على مصراعيها بوجه المسلمين.

ولمّا كان أبو سفيان واقفاً تماماً على دقائق هذه المسائل، فكّر جادّاً في استغلال الظرف لإشعالها فتنةً داخليةً، ومن الواضح أنّه في الحالة تلك يلتمس بني هاشم وأنصارهم وخاصّةً عليّ بن أبي طالب عليه السلام لقربه من رسول الله صلى الله عليه وآله ولمحبوبيّته وشهرته، ولأنّه الأحقّ بالخلافة من غيره، وقد أُقصي عنها، مضافاً إلى عدم اعتراف فاطمة الزهراء وبنت رسول الله وسيّدة نساء العالمين عليها السلام، بحكومة أبي بكر، ممّا حَدى ببني هاشم إلى الامتناع عن البيعة والتجمهر للاحتجاج في المسجد ودعوة أبي بكر إلى التراجع والتخلّي عن الخلافة لعليّ عليه السلام.

فجاء أبو سفيان إلى عليّ عليه السلام وقال: «مُدَّ يدك لأُبايعك فو الله لو شئت لأملئنّها عليهم خيلاً ورجلاً».[1]

---

١. المفيد، الإرشاد، ج١، ص١٨٩-١٩٠؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٦، ص٤٠؛ ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٣٢٥-٣٢٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٢، ص٥٢٠؛ ج٢٩، ص٦٣٢.

وقد لا يكون أبوسفيان مبالغاً في عرضـه بتجيـيش الخيّالـة والرجّالـة، إذ أنَّ مكّاراً مثله، كان قادراً على إعداد ذلك لعليّ عليه السلام الّذي له مـن السـوابق في الإيـمان والجهاد والعلم ما يسهل مهمّة أبي سفيان.

ولكنّ عليّاً عليه السلام لم يكن لـيرضى بـذلك، خاصّـةً مِـن أبي سـفيان الّـذي حـزّب الأحزاب لحرب النبيّ صلى الله عليه وآله والإسلام، فكيـف يـرضى عـليّ عليه السلام أن يسـتعين بجـيش يقوده أبو سفيان لضرب المسلمين بعضهم ببعض، ولقد أراد أبو سـفيان بـذلك أن يُعيد الأحزاب ثانيةً بثوبٍ جديد ولكنّ عليّاً وهو إمـام أهـل الحـقّ وعشّـاق الحقيقة، لم يكن طيلة حياته مائلاً إلى الدنيا وحبّ السلطان والانتفـاع الشخصيّ ـ ولو بمقدار ذرّة أو مثقال ذرّة، فما كان منه إلّا أن يصفع أبا سفيان بكلمات أعادته خائباً إلى إدراجه.

لقد كان عليّ عليه السلام مأموراً من قبل النبيّ صلى الله عليه وآله باتّخاذ موقفٍ ما حادَ عنه قيد أنملة.

كـان عـليّ عليه السلام يعلـم جيّـداً أنّ شَـهر السيف بوجـه أُنـاسٍ لا يعبـأون بالفتنـة الداخليّة، ولا تَهمُّهم المصلحة الإسلامية العليا، لا يُثمر إلّا هدم الإسلام وكـان عليّ عليه السلام يعلم جيّداً أنَّ أُولئك القوم سيحاربونه بكلّ ما أُوتوا من قوّة ولن يتنازلوا عن مخطّطهم وأنَّ النتيجة مهما كانت فهي على ضرر الإسلام.

ولذا، ولّما كان عليّ عليه السلام عارفاً بأخلاقية الخصم وحرصه عـلى الزعامـة وطمعـه بالملك، أظهر حلماً وغَمَدَ سيفه، وجلس في داره، وطرد أبا سـفيان وخـاب أمـلُ

أبي سفيان في توجيه ضربة قاصمة للإسلام، وبقـي يتحـيَّن الفرصـة، حتّـى وَلِيَ عثمان الحُكم واعتلى بنو أُميّة (أعداء رسول الله) سـدّة الحكومـة والإدارة، ولـذا دخل إلى مجلس عثمان وقال قولته الكافرة المعروفة.

ولم يكن ما قام به عثمان طيلة مدّة خلافته إلّا ما يُقرُّ عينَي أبي سفيان وموافقـاً لمقاصده وخطوه في طريق تحقيق مخطّطه، فلقد فسح عثمان المجـال لبنـي أُميّـة في التدخّل بكلّ شؤونات الخلافة، وفتح لهم بيـت المـال يغترفـون منـه مـا شـاؤوا وولّاهم الولايات، واستوزر مروان بن الحكم، طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وولّى الوليـد الفاسق السكّير، الكوفة، واستقلّ معاوية على الشام بلا رقيب ولا حسيب.

وعندما قتل عثمان بعد الثورة عليه، رفع معاوية قميص عثمان واستشـعر بـه، مع أنّ المنتفع الأوّل من قتل عثمان هو معاوية ابن أبي سفيان الّذي خلّى بين عثمان وبين الثائرين عليه، ولم يحاول إيصال المدد إليـه ونصرـته، وخـرج عـلى الخليفـة المنتخب الحقّ، وأشعل نار تلك الفتنة، وقتل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وثأر لقـتلاه ببدر وغيرها، من المهاجرين والأنصار.

وعندما اغتصـب الخلافـة بـالمكر والاحتيـال، اسـتهان بالأحكـام الشرـعيّة والتعاليم الإسلاميّة، وروّج سبَّ أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر الّتي أشادها عـليّ عليه السلام بسيفه، وسلّط زياد ابن أبيه على الكوفة فعاث الفسـاد بأهلهـا وهتـك الحرمـات ونهب الأموال، ولكي يبقي الحكم في دائرة عائلته الضيّقة المشـؤومة، اسـتخلف

ولده يزيد الرجس والمعاصي والفجور، ولقد كان يزيد بارّاً بأبيه حينما أتمَّ ما بقي ناقصاً من جرائم معاوية وهتكه لشعائر الله.

تُرى كيف سيكون مصير الإسلام، إذا اتّكى على مسند الخلافة صبيٌّ متهتّك فاسق، سكّيرٌ كيزيد بن معاوية؟

هذا الغلام الّذي يتّهم علناً وبكلّ وقاحة نبيَّ الإسلام العظيم باللعب بالملك، وبالكذب خاصّةً، وإنَّ الإسلام لا يفصل بين الحكم والدين وأنَّ القائد السياسيّ هو نفسه القائد الدينيّ.

فمن الواضح أنَّ الإسلام سيضيّع ويندثر وتُقرأ فاتحته، ولا شكّ في أنَّ هذه الفعال القبيحة سيكون لها أثر داخل وخارج الدولة الإسلامية ممّا يؤدّي إلى ضعف إيمان الناس وتزلزل اعتقاداتهم.

فإذا كان الخليفة يحتسي الخمرة علناً، ويقيم مجالس اللهو والطرب والمجون، ويلعب بالقردة والكلاب، ويرتكب الكبائر، ويستهزئ بدين الله، ويستخفُّ بالأحكام، فعلى الإسلام السلام.

فأراد الحسين عليه السلام أن يحدَّ من تحقّق كلّ تلك الآثار السلبيّة لهذا الاستخلاف المشؤوم وأن يمنع الانحراف الأخلاقيّ والعقائديّ عند الناس، وأن يُفهم العالم معنى الدين والخلافة والحكم الإسلاميّ وأهداف دعوة جدّه الأكرم صلى الله عليه وآله.

لقد قرّر الحسين عليه السلام تعظيم الدين وإعلام الناس بأنّ الإسلام هو الأغلى وأنّه يستحقّ التضحية بكلّ غالٍ ونفيس من الأموال والأولاد والأصحاب والنفس وأنّه أعزُّ من كلّ شيء.

وقرّر أن يلفت أنظار الناس عمليّاً إلى ضرورة تعظيم الفرائض والواجبات الدينية ورعايتها وإلى أهميّة الذنوب والمعاصي.

وقرّر أن يعلِّم الناس درساً في التديُّن والاستقامة والثبات ومقارعة الظالمين والكفر والكافرين.

وقرّر حفظ الإسلام من الاندثار، وإحياء الكتاب والسنّة ولم يكن هناك طريق لذلك، إلّا الثورة، والامتناع عن البيعة، وسلب اعتبار أفعال يزيد المنكرة، وسلوكه المنحرف، وذنوبه الكبيرة، دليلاً على بطلان خلافته وحرمة مبايعته، ولقد ثبت وأصرَّ الحسين عليه السلام على ذلك حتّى استُشهد وفدى الدين بنفسه.

ولقد كان المجتمع يعلم جيّداً أنَّ الدين وأحكام الإسلام الّتي صارت لعبة بِيَد يزيد يلعب ويهزأ ويستخفّ بها، لَهي عزيزةٌ إلى درجة أنّ شخصاً كالحسين عليه السلام يضحّي بنفسه وأهله من أجل حفظها وإعزازها.

لقد زعزع الحسين عليه السلام يزيد وحكمه، وفضح شخصيّته المتهتّكة الإجراميّة، وأنّه بعيدٌ كلّ البعد عن القرآن والدين والقيَم والمُثل، وأنّه عنصر الخبث والشرّ، المتلوّث بلوث الفحشاء، والغارق في بحر الفجور، وأنّه عدوّ للإسلام ونبيّه وأهلِ بيته.

ولقد عجز بنو أُميّة بعد استشهاد الحسين عليه السلام من توجيه ضربة قاصمة للإسلام وطعنة في ظهره، فلقد اتّضح للجميع أنَّ بني أُميّة لا يمتثلون للإسلام، وأنّهم ثلَّة مجرمة مستبدّة، تسلّطت على رقاب الأُمّة الإسلاميّة بالقوّة وبريق السيوف والرُّشا وأنَّها خائنة للإسلام ومتربّصة به الدوائر.

لقد أثارت قضيّة كربلاء أحاسيس وعواطف الناس إلى درجة أنّهم ازدادوا تعلّقاً بالدين وأحكامه، وكبر التزامهم بالشريعة على الرغم من سياسة بني أُميّة المحاربة للدين.

ومن هنا فلا نبالغ إذا ما قلنا -كما قال الشاعر الهنديّ الكبير «معين الدين الإجميري»- بأنّ الحسين عليه السلام هو المؤسّس الثاني للدين، وباني قصر الإسلام العظيم، ومجدِّد هيكل التوحيد والوحدانيّة.

٣. إيقاظ الشعور الدينيّ

كان الشعور الدينيّ عند عامّة المسلمين قد ضعف نتيجةً لإعلام معاوية ومنهجه وخطط ولاته، وابتعاد الناس عن عصر الرسالة وتعطيل الأحكام ومنع نشرها ومنع التبليغ الدينيّ الصحيح، وإقصاء الأخيار والنُخب والعلماء. وقد وصل انحطاط الشعور بالمسؤوليّة إلى درجة الخنوع والخضوع والاستسلام لسياسة الحكم الأُمويّ.

فلقد سرى الإحساس بالذُّلِّ والمَهانة والظليمة في المجتمعات الإسلاميّة، سريان السرطان المنتشر، وعمَّ الاسترخاء والضعف والخواء الفكريّ في هيكل المجتمع، فأقعده عن التأثّر بالمنكرات والمظالم فضلاً عن التأثير لإصلاح الأُمور فأصبحوا يُساقون كما تُساق الأنعام، وكما قال عبد الله بن همّام السلولي:

فَإِنْ تَأْتُوا بِرَمْلَةَ أَوْ بِهِنْدٍ نُبَايِعْهَا أَمِيرَةَ مُؤْمِنِينَا[1]

فكان بنو أُميّة يولّون من يشاؤون على رقاب الناس، ولو أنّهم ولَّوْا نساءهم وجواريهم وقرودهم، لما اعترض عليهم أحد خوفاً من السجن والقتل ومصادرة الأموال.

إنَّ صفات الكمال الّتي كان يتحلّى بها المسلمون أيّام رسول الله، كالخلوص والفداء والشجاعة والإقدام وعدم الخوف من الموت، أصبحت كلّها في خبر كان الناقصة، ولم يبق من أبطال الإيمان وروّاد الفضيلة الّذين كانوا يتسابقون إلى الشهادة في سبيل نصرة الدين، إلّا عدّة قليلة استشهدت مع الحسين عليه السلام في كربلاء، أو بقيت بعيدةً عن ساحة الأحداث، أو زُجَّ بها في غياهب السجون.

١. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص٦٤؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٤، ص٣٣٠؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٢٨؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٣، ص٣٥٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥، ص٤٧٠؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٣١؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٦، ص٣٢.

إنَّ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه البررة، أيقظَ ضمير الأُمّة السابت، وأحيى الخصال الإنسانيّة عندها، وعلّم المسلمين دروس البطولة والإباء والاستقامة والفداء، إلى درجة أنَّ بني أُميّة كلّما أخمدوا ثورةً من الثورات الّتي اندلعت ضدّهم ببركة دماء الحسين عليه السلام وأهله، لم تخمُد تلك الروح الرسالية الاستشهادية المتأجّجة عند المسلمين حتّى عاد القتل في سبيل القيم والحقّ فخراً يعتزّ به المسلمون.

لمّا نظر مصعب بن الزبير إلى حليلته سكينة عليها السلام مكتئبةً حزينةً قال لها: «لَم يُبْقِ أَبُوكِ لِابْنِ حُرَّةٍ عُذْراً».

وأنشد قائلاً:

وَإِنَّ الْأُولَى بِالطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمِ   تَأَسَّوْا فَسَنُّوا لِلْكِرَام التَّأَسِّيَا[1]

٤ . ازدياد محبّة أهل البيت عليهم السلام وبقيّة السيف

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾.[2]

ذكرنا آنفا أنَّ الله سبحانه وتعالى أودع قلوب الناس محبّة أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله فلا

---

١. الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣١١؛ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٦؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٨، ص٢٤٠؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٣، ص٢٤٩، ٢٩٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥، ص٣٠٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٣٤٦.

٢. مريم، ٩٦.

تجدُ مسلماً مؤمناً يحبُّ نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله ولا يحبُّ عزيزته فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين عليها السلام وريحانتيه الحسن والحسين وأخيه وابن عمّه عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، وقد أكّد هذا المعنى الإمام السجّاد عليه السلام في خطبته في مسجد الشام عندما عدَّ ما خصّهم الله به من الخصائص الّتي من جملتها: «وَالْـمَحَبَّةَ فِي قُلُوبِ الْـمُؤْمِنِينَ».

وكان من جملة بركات النهضة الحسينيّة وآثارها، ازدياد تلك المحبّة وترسيخها في القلوب، ولاغرو في أنّ الشجاعة وصدق الحديث، والثبات على المبادئ، والبطولة، والمظلومية ومقارعة الظلم والظالمين تُعدُّ من الصفات الحبيبة والّتي تقرّب المتّصفين بها إلى القلوب.

ومن خلال قراءة اللوحات الشعرية الّتي أُنشدت بعد استشهاد أبي عبد الله الحسين عليه السلام في رثائه ومدحه ومدح آل عليّ، يظهر لنا بوضوح مدى عمق التأثير الّذي تركته مظلوميّة الحسين عليه السلام في قلوب المسلمين، فإنَّ بعض تلك الأشعار تتضمّن معاني الحبّ والولاء الصادقَين بدرجة الهيام والذوبان.

ومهما أسهبنا في شرح ذلك الحبّ والارتباط الروحيّ للمسلمين بالحسين عليه السلام، فهو قليلٌ في جنب الواقع. فهذه المراسم والشعائر الّتي تقام في الهند وباكستان والعراق وإيران ولبنان وسورية والبحرين والأحساء وأفغانستان ومصر وفي دول عديدة في أُوربا وحتّى في أمريكا وأُستراليا، خاصّةً في بعض الليالي والأيّام

الخاصّة كيوم عرفة والنصف من رجب وشعبان والعشرة العاشورائية والأربعين، كلّ ذلك يدلُّ بوضوح على أنَّ الحسين عليه السلام قد مَلَك القلوب إلى درجةٍ تحيّرُ العقول، ودخل عشقُه وحبّه حتّى في قلوب الأجانب من غير المسلمين، فلا تنحصر هذه المراسم في مرقد الحسين عليه السلام الطاهر وحواليه، بل تقام في كلّ المقامات المنسوبة إليه أو إلى أحد أبنائه أو إخوته أو بناته.

وإذا ما حضرت إلى البقعة المنسوبة إلى رأس الحسين الطاهر في القاهرة، يوم عاشوراء، وليالي الاثنين في «مشهد السقط» بالقرب من حلب، ومشهد السيّدة رقيّة بنت الحسين عليه السلام في دمشق عاصمة الحكم الأُمويّ، ومشهد السيّدة زينب ومقام رأس الحسين في مسجد دمشق، ومقام السيّدة زينب في مصر، لوقفت على عمق الحبّ الّذي تركه استشهاد الحسين عليه السلام في قلوب مسلمي تلك البقاع، فإنّ المراسم في بعضها لا يقلُّ كثافةً وحماساً عن المراسم الّتي تقام في كربلاء وبالقرب من مضجعه الطاهر.

حجَّ هشام بن عبد الملك فلم يقدر على استلام الحجر الأسود من الزحام، فنُصبَ له منبر فجلس عليه وأطاف به أهل الشام فبينما هو كذلك إذ أقبل عليّ بن الحسين عليه السلام وعليه إزار ورداء من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم رائحةً، بين عينيه أثر السجود فجعل يطوف فإذا بلغ إلى موضع الحجر تنحّى الناس حتّى يستلمه، هيبةً له، فقال شاميٌّ: من هذا يا أمير؟

فقال هشام: لا أعرف (غَضَباً وحَنَقاً على أهل البيت عليهم السلام) لئلّا يرغب فيه أهل الشام.

فقال الفرزدق وكان حاضراً: لكنّي أنا أعرفه، فقال الشاميّ: من هو يا أبا فراس؟

فأنشأ الفرزدق قصيدةً طويلةً في مدح أبي الحسن عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام، منها:

يَا سَائِلِي أَيْنَ حَلَّ الْجُودُ وَالْكَرَمُ عِنْدِي بَيَانٌ إِذَا طُلَّابُهُ قَدِمُوا
هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ، وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ

هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ الله كُلِّهِمُ هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ

إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ
هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ بِجَدِّهِ أَنْبِيَاءُ الله قَدْ خُتِمُوا
مِن مَعْشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ وَبُغْضُهُمُ كُفْرٌ، وَقُرْبُهُمُ مَنْجَى وَمُعْتَصَمُ
يُسْتَدْفَعُ الضُّرُّ وَالْبَلْوَى بِحُبِّهِمُ وَيُسْتَزَادُ بِهِ الْإِحْسَانُ وَالنِّعَمُ[1]

---

١. الفتّال النيشابوري، روضة الواعظين، ص١٩٩ـ٢٠١؛ المفيد، الاختصاص، ص١٩١ـ١٩٣؛ القمّي، الأربعين، ص٣٨٥ ـ ٣٨٦؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤١، ص٤٠١ـ٤٠٢؛ المزّي، تهذيب الكمال، ج٢٠، ص٤٠٠ ـ ٤٠٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص١٢٦ ـ ١٢٧.

ومنه يُعرف مَدى حبِّ الناس وتعلّقهم بأهل البيت عليهم السلام وعزّة وعظمة الإبن الوحيد للحسين عليه السلام وبقيّة السيف الأُموي الّذي لم يرحم حتّى الرُضّع من أولاد أبي عبد الله يوم عاشوراء.

كما يستفاد من هذه الحكاية، شدَّة عطش الناس إلى ذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام فالفرزدق كان يعلم أنَّ إنشاء تلك القصيدة في ذلك المجمع وبمحضر هشام الغاضب، سيكلّفه غالياً، فلم يمنعه ذلك من الإعلان عن مقام وفضل أهل البيت عليهم السلام.

وهذه هي الحقيقة الّتي عبَّر عنها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بكلمة قصيرة حينما قال: «**بَقِيَّةُ السَّيْفِ أَبْقَى وَأَكْثَرُ وَلَداً**».[١]

فموجبات البقاء والكثرة والعزّة والعظمة، توفّرت لأهل البيت عليهم السلام من خلال تضحياتهم وصبرهم وجهادهم وصدقهم مع الله، بعكس أُولئك الخانعين الأذلّاء للظلمة.

وطبقاً لما رواه حمد الله المستوفي، فإنَّ يزيد بن معاوية كان له ثلاثة عشر ولداً،[٢] ولكنّك اليوم لا تجد أحداً ينتسب إلى يزيد!! ولو وُجد ذلك الأحد، فإنّه سيستنكف عن نسبه الوضيع هذا، ولا يصرّح به خوفاً من العار، ويُخفيه خوفاً من أن تلحقه لعنة اللاعنين.

---

١. نهج البلاغة، الحكمة ٨٤ (ج٤، ص١٩).

٢. المستوفي، تاريخ گزيده، ص٢٦٢؛ راجع: حجّة السعادة، ج٢، ص٣.

ولم يبق للحسين عليه السلام من أولاده الذكور، يوم عاشوراء إلّا عليّ بن الحسين عليه السلام ولكنّك اليوم تجد عشرات الملايين من السادات والشرفاء من أولاد زين العابدين عليه السلام، مشهورين ومعروفين ومنتشرين في الأصقاع والممالك الإسلاميّة، والّذين يُكنُّ لهم المسلمون -بسنَّتهم وشيعتهم- كلّ احترام وتجليل وتبجيل، ويتبرّكون بهم.

٥. مدرسة عاشوراء

ومن جملة ثمرات استشهاد الحسين عليه السلام الّتي لازالت الأجيال وعلى مرِّ العصور تنتفع بها، تلك المراسم والشعائر الّتي تقام لإحياء ذكراه، وذكر مصائبه ونوائب أهله وعيالاته، وعلى طول أيّام السنة.[١]

---

١. للمستشرق الفرنسي المعروف، الدكتور رينو (جوزيف)، بيانٌ وافٍ في كتابه «الإسلام والمسلمون» تناول فيه بعمق فلسفة الشعائر الحسينيّة بكلّ أشكالها من الناحية السياسية والأخلاقية وتربية النفوس وتكميلها مشيراً إلى تمركز هذه الشعائر عند الشيعة في ايران، معتبراً أنّه السرَّ في بقاء وقوّة شوكة الشيعة في المستقبل وتنامي نهجهم وتزايد عددهم. وأشار المستشرق المذكور إلى الأوقاف الشيعية والحقوق الشرعيَّة الّتي يصرفها الشيعة في إحياء مراسم عاشوراء وإقامة مجالس العزاء على الحسين عليه السلام وقال: إنّ ما سوى الشيعة من المذاهب الإسلامية، لا يبذلون ما يبذله الشيعة من الأموال في الدعوة إلى الدين، وقد يعادل بذل الشيعة ثلاثة أضعاف بذل الآخرين في نفس السبل، ولو أنَّ

شيعيّاً كان يعيش بعيداً عن أهل ملّته وفي أبعد نقاط العالم، فإنّه سيقيم لوحده مجلس إحياء ذكر الحسين ﷺ وينفق على الفقراء ويُطعم الطعام، ويكون بذلك داعياً في الواقع إلى الدين.

وللمنبر والوعظ والارشاد والخطابة، دور مهمّ في تربية الخطباء والوعّاظ والمتحدّثين الأكفّاء لتعريف الناس وتعليمهم المعارف والأخلاق الرسالية. فالمنبر يتناول مختلف المسائل الدينيّة والعقائديّة والفكريّة والأخلاقية، بالبحث والدراسة، بنحو يكون الفرد الشيعيّ أعلم من أقرانه من سائر المذاهب، في تلك العلوم والمعارف. ولو ألقينا نظرةً إلى الأقطار الإسلامية، لم نجد كالشيعة سبّاقاً في الميادين العلمية والصناعية والاقتصادية، فالاستعداد للإبداع والترقّي وكسب العلوم الحديثة، أوضح عند الشيعة من غيرهم، كما أنّ اليد العاملة الشيعية أقدر من مثيلاتها من سائر الفرق، وأكثر عدداً بالقياس إلى نسبة نفوسهم.

وإنّ الشيعة لم ينشروا مبادئ مذهبهم وفكرهم، عن طريق القوّة والسلاح، بل فعلوا ذلك بقوّة التبليغ والفكر والأخلاق.

إنّ اهتمام الشيعة بإحياء هذه الذكرى وما يظهر من كرامات في تلك المجالس أدّى إلى أن يشترك ثلثا المسلمين بل والهنود والمجوس أيضاً، في تلك المراسم.

ومن هنا، يمكننا الحكم بأنّ عدد الشيعة سيزداد في المستقبل القريب وقد يفوق عدد أتباع المذاهب الأُخرى، وقد استطاع التشيّع من النفوذ إلى الملل وأهل المذاهب الأُخرى، وتمكّن الشيعة من تبليغ وإيصال أُصول مذهبهم إلى الآخرين، وقد حقّقوا ما يحلم ساسة الغرب به، بما يبذلونه من أموال طائلة لنشر المسيحية.

ثمّ يتطرّف المستشرق إلى «مواكب الحسينية والرايات وعلائم العزاء، ويشرح بالتفصيل تأثيراتها

ونتائجها وفلسفتها، وعلاقة الشعائر بالاتّحاد والوحدة الشيعية والاستقلالية وروح التحرير، ويقول: من الأُمور الفطرية والطبيعية الّتي تدعم فكر الشيعة هو أنّ الطبع البشريّ والفطرة الإنسانيّة ميّالة إلى نصرة المظلوم وكراهية الظالم».

إنّ هؤلاء الكتّاب والمفكّرين، يذعنون لحقيقة مظلومية الحسين عليه السلام وأصحابه، وطغيان ووحشية قتلتهم، ولا يذكر قتلة الحسين عليه السلام إلّا بأقبح الأسماء والألقاب، إذ لا شيء، يكبح الشعور الفطريّ والإدراك الوجدانيّ، ويقف حائلًا دون تقدّم المذهب الشيعيّ ورُقِيّه.

وهذه المقالة، طويلة مفصّلة، ومن أراد المزيد فليراجع كتاب *ذكرى الحسين* (ج ٢، ص٢٠٤-٢٠٨). تأليف العلّامة مهاجر العاملي.

ولقد نقلنا ملخّصاً مضغوطاً لبعض تلك المطالب هنا ليعلم القارئ العزيز أنَّ المستشرقين المنصفين والمفكّرين وأهل النظر من علماء الملل الأُخرى قد أقرّوا بنتائج وثمرات هذه المراسم الحسينية، وتأثيراتها في المبادئ الوطنية والاستقلال والحرّيّة.

وليس هذا المستشرق هو الوحيد الّذي التفت إلى هذه الحقائق، بل هناك العديد منهم ممّن يعتقد بدور ثورة الحسين عليه السلام الكبير في تثبيت دعائم الإسلام ونشره في العالم، من جملتهم المستشرق الألماني (ماربين) الّذي يعتقد بنفس الشيء في سياسة الحسين عليه السلام وطلبه للحقّ، ويمتدح معتقدات الشيعة.

ولكن بعض أعداء الإسلام ومرتزقة الاستعمار وذوي الأقلام المأجورة، الّذين يخافون من وقوف الشعائر والمراسم المذهبية في وجه أطماعهم الاستعمارية في الدول الإسلامية والحدّ من نفوذهم وتحكّمهم برقاب المسلمين، خلافاً للمذاهب الأُخرى ومن هنا فإنّهم يحاولون التقليل من أهمّيّة الثورة الحسينية، بل ويتجرّأ بعضهم على اتّهامها بالفشل وعدم الفائدة.

وعلى العموم فأنّ هؤلاء يحاولون الاستخفاف بكلّ ظاهرة من شأنها أنَّ تقوّي شوكة المسلمين وترفّع شأنهم وتوحّد صفوفهم، ويحاولون تعطيل ومنع هذه الشعائر والظواهر، أو الحدِّ من انتشارها على أقلّ التقادير، كما نرى ذلك بوضوح في دولة مصر، حيث حاولت الحكومة المصريّة منع الشعائر الحسينية الّتي كانت تقام في عدّة أرجاء من مصر وبشكل مهيب ورائع حتّى زمان الملك فؤاد الّذي كان تحت رعاية وحماية الإنجليز، حيث منعها.

وفي العراق، وإن حاول الحكّام منع تلك الشعائر بين فترة وأُخرى ولكن، ولعلوّ همّة الشيعة وعزمهم وغيرتهم على الدين، وتضحياتهم بقيت مراسم عاشوراء والأربعين تقام بشكل رائع ومهيب يشترك فيها كلّ طبقات المجتمع.

وقد تشرّفتُ بزيارة كربلاء المقدّسة قبل أعوام، وفي أيّام عاشوراء، فلفت انتباهي هيبة عزاء شكّلها أساتذة وطلّاب الجامعات العراقيّة جاءوا من بغداد والموصل والبصرة، فكان مشهداً رائعاً لينُمُّ عن عمق تأثير الثورة الحسينيّة في ضمائر المثقّفين. فلقد كانت تلك الهيئة موكباً مميّزاً من بين المواكب الحسينية، فإنّ إقامة الشعائر الحسينية من خلال نافذة العلم والمعرفة، يكون أوقع في التأثير والتأثّر، فلقد أثبت هؤلاء بقصائدهم هتافاتهم وراياتهم السوداء والحمراء الّتي رفعوها، إنّ الطريق الأنجح لنشر مبادئ الحسين عليه السلام وتحقيق أهدافه هو سبيل الشعائر المبتنية على اليقين والمعرفة، وفي الوقت الّذي أثبتوا فيه اشتراكهم مع الهيئات والمواكب الأُخرى، أعلنوا عن استقلالهم ورشدهم الفكريّ ودركهم لحقيقة وفلسفة الشعائر الإسلامية وتعظيمها، وعدم تأثّرهم بالإعلام الاستكباريّ الساعي إلى تسخيف هذه الشعائر والانتقاص من دورها.

أجل، نحن نرى اليوم، وفي المجتمعات الّتي تدّعي التحضّر والمدنيّة أنّ مراسم تقام وفي مناسبات

عديدة، لا تمتُّ إلى الروح الإنسانيّة وإلى العقل والسيرة العقلائية، ومع ذلك لا ينتقدها أحدٌ، لأنّ أُولئك الّذين يقيمون هذه المسابقات هم من أهل القدرة والمال والّذين يشجّعون الناس على حضور مسابقة الملاكمة ويجبرون رجلين أو امرأتين ينتميان إلى النوع البشريّ الكريم، على ضرب أحدهما الآخر حتّى الإدماء والطرح أرضاً، بلا فائدة روحية أو جسدية مرجوّة من مثل هذا النزال.

فكم من عين قد فقئت، وأُذن قد صمَّت، بل وكم من إنسان مات في هذه المسابقات الفارغة، والعجب أنّهم يفتخرون بذلك ويهدون الجوائز للأشدِّ قسوةً ووحشيةً، ويصفقون له فرحاً بنصره!!

إنْ التبذير والإسراف والبذخ اليوم يعمُّ العالم الغربيّ، بدءاً من أعياد كانون وانتهاءاً بوصايا الأموات ومراسم التجهيز والدفن. والّتي تدلّ مضافاً إلى الإسراف والتبذير، على السخف والسفاهة وخفّة العقل وقلّة التدبير.

سبق وأن قرأت في إحدى الجرائد المشهورة، أنّ شجرةً في أميركا، يُقدِّسها الناس ويفدون لزيارتها، وذكر المقال: أنّ عدد زوّار هذه الشجرة في تلك السنة قد بلغ ثمانية ملايين زائر.

والمبالغ المالية الّتي تصرف في فرنسا وإيطاليا ودول أُخرى، على الرمّالين والفوّالين والكهنة وقرّاء الكفّ والفنّاجين والسحرة، كبيرة قد تعدل ميزانية إحدى الدول الشرقية!!

ومع كلّ هذا، لا تجد عاقلاً ينقض عليهم ويردعهم.

وبعض المغتربين المبهورين بحياة الغرب، يصرف على تجهيز ودفن كلبه، أموالاً تكفي لتأسيس مستوصفٍ في قرية نائية، ويبذّر المال في مراكز القمار والطرب والرقص، ويعتبر ذلك تمدّناً وحضارةً وثقافةً!! في حين أنّ أبناء قريته في وطنه بأمسِّ الحاجة إلى القنوات المائية وماء الشرب وإشباع بطونهم من الجوع.

وقد يتصوّر البعض خطأً، أنَّ الشيعة يبذّرون الأموال حينما يصرفونها في إقامة مثل هذه الشعائر؛ ولكنّ الواقع يُشير إلى غير ذلك، فالاستفادة المعنويّة من هذه المراسم، وتأثيرها في تربية وتهذيب المجتمع واضحة إلى درجة القطع بخطأ

ونفس هؤلاء، ولعدائهم للإسلام وشعائره، يستخدمون أقلامهم وألسنتهم المأجورة للنيل من اهتمام المسلمين بتعظيم شعائر الدين والالتزام بالآداب والأحكام الشرعية، منتقدين مراسم إحياء ذكرى الحسين عليه السلام.

ولكن، ولله الحمد، لم يعُد لهؤلاء المستعمرين هُواة، فضلًا عن الأنصار وأنّ الجيل الجديد من شباب الإسلام، وعى تلك الأحابيل وعرف تلك الحيل والخدع الإعلامية المسمومة، وعرف أنّ إقامة هذه الشعائر والاقتداء بسيّد الشهداء، يُحيي المجتمع ويبعث روح التضحية والفداء من أجل المبادئ الفاضلة.

إنَّ إقامة عزاء الحسين عليه السلام أضحى معجوناً بدماء الشيعة ورمزاً لهويّتهم واستقلالهم، وأنّه يستحقّ البذل منّا بكلّ غالٍ ونفيس، وعلى الجميع أن يساهموا في ذلك، ويشتركوا، كما أنّ على الخطباء والمبلّغين أن يعرّفوا الشباب والجامعيّين المثقّفين، على فلسفة ثورة الحسين عليه السلام ومبادئه ليحصّنوهم من الإعلام المضادّ، ويحفظوا استقلاليّة العالم الإسلاميّ.

وإذا ما رامَ الشيعة والمسلمون عامّة، أن يطووا مراحل الترقّي والتطوّر، فعليهم أن يتتلمذوا في مدرسة العشق والشهادة الحسينية فهذه المراسم العاشورائية، ليست مضادّةً للتطوّر العالميّ والتكنلوجيّ والاكتشافات والاختراعات وغزو الفضاء وسائر مظاهر المدنية الحديثة، بل هي موافقة تماماً وأنّها من جملة السبل الكفيلة بالوصول بالإنسان إلى مدارج الرقيّ والتقدّم.

هذه المقولة، بل هذه المراسم والطقوس هي من أفضل وأنجح سبل الإصلاح وأنّها مدارس تربية وتعليم للقيم والمبادئ الإسلامية الرفيعة، وأنّها وسائل إحياء أمر أهل البيت، ورمز بقاء التشيّع وفكره الأصيل، بل بقاء الإسلام والدين.

ولو خصِّصت آلاف الملايين من الأموال وعائدات الأوقاف لترويج التعاليم الأخلاقية والاجتماعية، وكانت صفوفها دائرةً عامرةً على طول أيّام السنة، لما حقّقت ما حقّقته المجالس الحسينيّة، ولما استطاعوا المحافظة على استمراريّتها لكلّ هذه القرون المتمادية.

ولكنَّ الحسين عليه السلام وبرأسمال الفضيلة والخُلق الرفيع وبتضحياته في سبيل الحقّ، أسّس مدرسةً منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً من الزمان لازالت صفوفها دائرةً عامرةً على طول أيّام السنة، متزايدةً شعبها وتشعّباتها، وفنونها وعلومها، يرتادها الرجال والنساء والشباب والشيوخ والأطفال وكلّ طبقات المسلمين الفكرية والاجتماعية، ليتعلّموا دروس الحقيقة والفداء.

إنَّ قراءة واستماع تاريخ تضحيات الحسين عليه السلام، ونهضته وثباته وثبات أصحابه، يقوِّي إيمان الإنسان ويرسِّخ معتقداته الصحيحة ويعلو بهمَّته وإرادته.

إنَّ هذه المراسم الّتي تقام كلّ سنة في المساجد والحسينيّات والبيوت والمنتديات، لَهِيَ أدوات المبارزة مع الظلم والظالمين والوقوف بوجه سلاطين الجور، والكفر والشرك، وإعلان انتصار الحسين عليه السلام!

إنَّ أحد أنجح الوسائل والسُبل لترغيب الناس بالمبادئ والقيم، هو ضرب الأمثلة الحيّة الواقعية لهم، وحكاية تاريخ المتميِّزين في هذه المجالات، وأيُّ تاريخ وأيُّ نموذج وأيُّ قدوة أفضل من الإمام الحسين عليه السلام على مرِّ التاريخ؟

إنَّ مجالس عزاء الحسين عليه السلام هي أفضل مجالس التبليغ والدعوة إلى الإسلام. ففي تلك المجالس، يتعرّف روّادها على المعارف القرآنية وأُصول وفروع الدين والتفسير والحديث وسيرة النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة والصحابة، والمواعظ والحكم والأخلاق وعلوم الاجتماع والتربية مضافاً إلى الحقائق الكونية والطبيعيّة.

وفي مجالس الحسين عليه السلام يتعلّم الفرد منهج التربية الأُسريّة والاجتماعية والأواصر الّتي تربط الإنسان ببني نوعه.

ولا شكّ في أنَّ ذلك من أفضل السُّبل لتحقيق هذا الغرض، فالحسين عليه السلام قوّة مغناطيسيّة تجذب الجميع إليها، وأنَّ محبوبيّة الحسين عليه السلام في القلوب تدفع الجميع للارتباط والاقتداء به وتسجيل أسمائهم في سجلِّ أنصاره وذرف قطرات الدموع الساخنة على مُصابه.

ولو أنّك اقترحت على الناس أن يبذلوا شيئاً من المال للأُمور الخيريّة وإعانة الفقراء، فإنّك ستحصّل على مبالغ لا تُعدُّ شيئاً بالقياس إلى المبالغ الّتي يصرفونها تطوّعاً وبلا اقتراح من أحدٍ، في إقامة مجالس الحسين عليه السلام فما أعظم الحسين عليه السلام وسيلةً للإصلاح وتقويم شؤون المجتمع الحياتية وهداية الشبيبة ينبغي أن

نستفيد منها وأن نترجم تلك الأحاسيس والمشاعر وعواطف الملايين من المسلمين، إلى موقفٍ موحّدٍ لنصرة الدين والحقّ.

إنَّ الأُمّة الّتي تمتلك مثل الحسين عليه السلام رمزاً وقدوةً ومثالاً، أُمّةٌ ينبغي أن يُحتَذى بها في طريق الحرّية والعدالة الاجتماعية.

وإنَّ أُمّة أعلن قائدها:

«**لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً وَلَا الْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرَماً**»، وبقيت كلمته هذه خالدةً في مسامع التاريخ، لا ينبغي لها أن تستلم لظالمٍ وتُعينَ لطاغٍ.

وإنَّ أُمّة تلعن يزيد بن معاوية وتعدُّ خيانته ومهادنته الكفّار، ذنباً وخيانةً للإسلام، عليها أنْ تجتنب مهادنة الكفّار والتذلّل لهم.

وليس في زمننا الحاضر، منبرٌ تبليغيٌّ أفضل من منبر الحسين عليه السلام فإذا ما استفدنا منه وأحسنّا استغلاله، فسنصل إلى أفضل النتائج والمغانم.

ونعتقد أنَّ مجالس الحسين عليه السلام في إيران، أفغانستان، باكستان، الهند، العراق، لبنان، سورية، البحرين، القطيف، قطر، اليمن، مصر وباقي أرجاء العالم، هي أكثر فائدةً من سائر المؤسّسات الثقافية والإرشادية العامّة الّتي أُسّست للإصلاح والتغيير.

وكمثال لذلك: الخطباء والمدّاحون الّذين ينتشرون في البلدان ويدورون على مدار السنة في البيوت والمنتديات ويحتكون بالناس وينشدون الأشعار والمراثي

والمدائح، ولو أمكن جمعهم وتنظيمهم ومنهجةِ براجمهم من قبل العلماء والحوزات العلميّة ومراجع الدين وتعبئتهم وزرقهم بالمعلومات وتوعيتهم سياسياً واجتماعياً وتحليل الأوضاع السياسية وما يهمُّ الناس والمجتمع لهم، لأمكن الوصول إلى الأهداف بشكل أشرع وأنجع. إذ يمكن التأكيد في كلّ فترة على واحدةٍ من الحالات الاجتماعية والأخلاقية وتناولها من قبل الجميع بإسهاب ودقّةٍ وتخصُّص، فإنّ ذلك سيؤدّي إلى ارتفاع المشاكل والأمراض الاجتماعية والحالات المعوَّجة في المجتمع، الواحدة بعد الأُخرى للوصول إلى المجتمع المثالي.

وفي السنوات الأخيرة، ازداد عدد الطلّاب وفضلاء الحوزات العلميّة الّذين ينتشرون في المدن والمحافظات والقرى والأرياف، أيامّ شهر محرّم وصفر وشهر رمضان المبارك والمناسبات الأُخرى، لإقامة الجماعات والوعظ والإرشاد والخطابة والتوجيه الدينيّ والسياسيّ والاجتماعيّ، ممّا حَدى بالناس إلى تقديرهم وشكرهم.

وهؤلاء، أيَّدهم الله يقومون إضافة إلى الإرشاد والتبليغ وردّ الشبهات وتعليم الأحكام الشرعية، بالأُمور والفعّاليّات الاجتماعية والخدماتية كعمارة المساجد وتأسيس المؤسّسات الخيرية الاجتماعية.

وأُكرّرُ ثانيةً: إنَّ الإنصاف، هو أنّنا لم نستفد بَعدُ كلّ الاستفادة من مائدة الحسين عليه السلام، فإنّ أحد أهمّ عوامل انتشار مذهب التشيّع والإسلام في الهند، وباعتراف المطّلعين، هو إقامة شعائر الحسين وكما يقول «ماربين»: إنَّ عدد

الشيعة لم يكن يتجاوز عدد الأصابع ولكنّهم اليوم وببركة مجالس الحسين عليه السلام يعتبرون من الطوائف المعتدّ بها عدداً في الهند.

إذن، يمكننا القول:

كما أنَّ استشهاد الحسين عليه السلام ساهم في الحفاظ على الدين من الانحراف، فإنَّ مجالس عزاء الحسين عليه السلام هي الأُخرى لها الدور الكبير في بقاء الدين واستمراريّته وهداية المجتمع إلى الحقّ.[1]

فسلام الله عليك يا أبا عبد الله

٦. إدانَة بني أُميَّة

لقد حفر بنو أُميّة قبورهم بقتلهم الحسين عليه السلام وأزاحوا الستار عن شنائع أفعالهم ومقاصدهم المشؤومة، واشتروا بذلك غضب ونِفرة المجتمع الإسلاميّ ضدَّهم.

وكما أشرنا في فصل سابقٍ (انعكاسات مقتل الحسين عليه السلام) فإنَّ المجتمع

---

١. إنَّ رثاء الحسين والبكاء عليه، وزيارته قد ابتدأت في نفس سنة ٦١ ه. ق واستمرّ إقامة تلك المجالس عليه في العصور المختلفة من قبل الأئمّة وأتباعهم وعامّة المسلمين. فقد أنشد كبار الشعراء القصائد في ثورة الحسين عليه السلام ومصائبه وتضحياته ومن جملتهم شاعر أهل البيت دعبل الخزاعي.

و للاطّلاع على تاريخ عزاء الحسين عليه السلام راجع: *الدلائل والمسائل* (شهرستاني، ج١، ص٧٣-٧٧)؛ *ذكرى الحسين* (ص ٥ - ٨).

الإسلاميّ استقبل حادثة كربلاء بحزنٍ وألمٍ عميقين وقد أدان كلّ المسلمين هذه الجريمة النكراء في حقّ سبط رسول الله ﷺ ورهطه وآل بيته، وتوالت الاعتراضات والانتقادات من أقرباء بني أُميّة أنفسهم قبل أعدائهم.

يقول المستشرق الألماني «ماربين»: إنَّ من أكبر أخطاء بني أُميّة الّتي محت إسمهم من صفحة العالم، هو قتلهم الحسين ؑ.

وهذه حقيقة يذعن لها كلّ مورّخ ومطّلع على تاريخ الإسلام، ولقد كان لذلك الاستنكار والاعتراض العامّ على حكم بني أُميّة فوائده الكبيرة والكثيرة. إذ يئس بنو أُميّة من محاربة الإسلام وطعنه في ظهره، بعد أن عرف الناس حقيقة هذه العائلة الخبيثة ومخطّطاتهم الإجرامية وانكشف زيفهم وكفرهم للجميع، فقد فضح قتل الحسين ؑ بتلك البشاعة والشناعة وسبي بنات رسول الله ﷺ، حقيقة بني أُميّة.

وعاد التعاون مع بني أُميّة والدخول بسلكهم وسلطانهم، عاراً يفرُّ منه الناس.

ولولا بريق السيوف ورؤوس الأسنّة والرماح الّتي يُهدِّد بها بنو أُميّة الناس، لهدم الناسُ على رؤوس بني أُميّة دورهم ولقطعوهم إرباً إرباً، ومثّلوا بجثثهم كلّ تمثيل.

وإنَّك لتجد في شعر عبد الله بن همّام السلولي، ترجمةً لتلك الأحاسيس الغاضبة عند عامّة المسلمين، حين يقول:

حُشِينَا الْغَيْضَ حَتَّى لَوْ شَرِبْنَا دِمَاءَ بَنِي أُمَيَّةَ مَا رُوِينَا[١]

ويقول أحد علماء مصر الّذي صنّف فهرست كامل ابن الأثير:

«إنّ الجيش الّذي تولّى محاربة الحسين وقتله لهو أقسى قلوب العالم وليس فيه آثار الرحمة والإنسانيّة بل هم جمادات متحرّكة شرّيرة سجّلوا لأنفسهم في التأريخ أكبر العار وأسوأ الأعمال وأفضع الأفعال عاملهم الله بجرائمهم أشدّ العقاب».[٢]

ويقول الشيخ عبد الوهّاب النجّار، أُستاد قسم التخصّص في الأزهر، في ملاحظاته على الكامل:

«لعن الله الفسق والفسّاق لقد سوّدوا صحائف التاريخ وسجّلوا على أنفسهم الجرائم الكبرى الّتي لا تغتفر ولا تنسى مدى الدهر، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم».[٣]

٧. توالي الثورات على بني أُميّة

من جملة نتائج نهضة الحسين عليه السلام ومظلوميّته، تلك الحركات التحرّرية والانتفاضات والثورات الّتي توالت لإسقاط الحكم الأُمويّ، وفي عدَّة أرجاءٍ من العالم الإسلاميّ.

---

١. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص٢٩٣؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٢٨.

٢. فهرست الكامل، ج٣ صح وط.

٣. ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٩٧ (الحاشية).

ومن أبرز عوامل تلك الثورات هو الدعوة إلى الأخذ بدم الحسين والثأر من بني أُميّة.

إنَّ ثأر الحسين عليه السلام أصبح شعاراً يرفعه المظلومون والمقهورون من حكم بني أُميّة.

وهذه الثورات، وإن أُخمد أكثرها وقضي عليها على يد السفّاحين أمثال مسلم بن عقبة والحصين بن نمير والحجّاج، دفاعاً عن أركان الحكم الأُمويّ المتزلزلة، ولكن توالي تلك الثورات، يحكي عن شدّة نفرة المسلمين من هذا الحكم، ويسيرُ بالحكم نحو الزوال والانقراض تدريجياً ويضعّف مخطّطات بني أُميّة.

ومن الواضح، أنّ مثل هذه الحكومة الّتي لا تستند في قوامها وقوّتها إلّا إلى بعض الأراذل من المرتزقة والمأجورين، بينما يعتبرها سائر الشعب حكومةً غاصبةً جائرةً، لا يمكنها أن تدوم طويلاً في الحكم بالحديد والنار، فنفس إخماد تلك الثورات بالقمع، كان يبعث الروح القتالية الاستشهادية من جديد في نفوس الناس.

وأوّل ثورةٍ حدثت (بعد عدّة حركات صغيرة مثل حركة الكوفة وحركة عبد الله بن عفيف) بعد نهضة الحسين عليه السلام هي ثورة المدينة، الّتي أشرنا إليها سابقاً، والّتي قضى عليها مسرف بن عقبة بأمر يزيد، بتلك الوحشية والقساوة وهتك حرمة المدينة الطيّبة.

يقول الطبري: بعد مقتل الحسين عليه السلام قام نجدة بن عامر الحنفيّ في اليمامة، وإبن الزبير في مكّة.[1]

---

١. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٦٧.

ومن أكبر الثورات المهمّة الّتي اندلعت بعد ثورة الحسين عليه السلام هي ثورة التوّابين بقيادة الصحابي «سليمان بن صُرد الخزاعيّ» والّتي اشترك فيها عدد من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومن أعيان الشيعة، وكان شعارهم «يا لثارات الحسين» ولقد أبلَو بلاءاً حسناً وكانوا من الصادقين في شعورهم بالندم والأسى على استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بين ظهرانيهم.

ولقد كانت خُطب وأشعار وكلمات هؤلاء الجماعة تدلّ بوضوح على استقامتهم وثباتهم وروحهم الاستشهادية، ومضافاً إلى أنَّ هذه الثورة كانت من عجائب التاريخ ونموذجاً لهيجان الروح الطاهرة والزكيّة وليقظة الضمير، فهي تعكس بجدٍّ تأثيرات ثورة الإمام الحسين عليه السلام ومظلوميّته واستشهاده، وندم الناس على عدم الالتحاق بركبه.

عندما، نودي بشعار «يا لثارات الحسين» كان عبد الله بن حازم جالساً مع زوجته وابنته وكانت زوجته جميلةً وعندما سمع النداء قام وحمل سلاحه وامتطر جواده وقالت له زوجته أجننت يا ابن حازم؟ قال: لا، لكنّ منادي الله ينادي ولا يجوز القعود ولابدّ من الانتقام لدم المظلوم بكربلاء أو أن أُقتل في هذا الطريق، فقال له زوجته: وماذا عن ابنتك؟ قال: أُوكلها إلى الله، ثمّ التفت إلى السماء وقال: إلهي أودعتك أهلي وأولادي فاحفظني لهم، واغفر لي تقصيري في نصرة ابن بنت نبيّك.[١]

---

١. معتمد الدولة، القمقام الزخّار، ج٢، ص٦٨٨.

وأوّل ما قام به التوّابون بعد خروجهم هو التوجّه إلى قبر الحسين عليه السلام لزيارته وتجديد البيعة له، وباتوا ليلتهم عند مرقده الطاهر، محيين الليل بالبكاء والعويل، والاعتذار والوعد بالسير على نهجه، والتوبة من خذلانهم له، وكانوا يقولون:

«اَللّهُمَّ ارْحَمْ حُسَيْناً الشَّهِيدَ ابْنَ الشَّهِيدِ الْـمَهْدِيَّ ابْنَ الْـمَهْدِيِّ الصِّدِّيقَ ابْنَ الصِّدِّيقِ اَللّهُمَّ إِنَّا نُشْهِدُكَ أَنَّا عَلَى دِينِهِمْ وَسَبِيلِهِمْ، وَأَعْدَاءُ قَاتِلِيهِمْ، وَأَوْلِيَاءُ مُحِبِّيهِمْ، اَللّهُمَّ إِنَّا خَذَلْنَا ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّنَا فَاغْفِرْ لَنَا مَا مَضَى مِنَّا، وَتُبْ عَلَيْنَا فَارْحَمْ حُسَيْناً، وَأَصْحَابَهُ الشُّهَدَاءَ الصِّدِّيقِينَ، وَإِنَّا نُشْهِدُكَ أَنَّا عَلَى دِينِهِمْ وَعَلَى مَا قُتِلُوا عَلَيْهِ وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْـخَاسِرِينَ».[١]

والحقّ، أنَّ التوّابين قد أثبتوا وفاءهم وبطولتهم وبأسهم ومحبّتهم وولايتهم لأهل البيت عليهم السلام بقتالهم بني أُميّة في «عين الوردة» وبذلك سجّلوا إسمهم في صفحة الفخر والعزّ من تاريخ الأُمّة الإسلامية. ولقد كانت قصّتهم عبرةً حقيقيةً ودرساً تربويّاً لكلّ الناس.

نسأل الله أن يقبل توبتهم، ويحشرهم في زمرة أنصار الحسين عليه السلام.

وبعد هذه الثورة، اندلعت ثورة المختار الثقفيّ. وبقيت الثورات تتوالى حتّى انقراض حكم بني أُميّة.

---

١. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٥٦-٤٥٧؛ ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٧٨.

ولم تمرّ الأيّام طويلةً حتّى عوقب كلّ من اشترك في جريمة كربلاء على يد الثوّار، أو ابتلاه الله بما أخزاه دنياً وآخرةً.

يقول الزهري: لم يبق أحد ممّن اشترك في قتل الحسين عليه السلام إلّا نال عقابه في الدنيا قبل الآخرة.[1]

٨. التحوّر الفكريّ

من جملة الأمراض الفكرية الخطيرة الّتي ابتلي بها المجتمع الإسلاميّ بعد رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله والتحاقه بربّه، هو ضعف الإرادة، واللامبالاة وعدم الانفعال بما يجري حولهم، حتّى لو كان ما يجري مخالفاً لخير ومصلحة الأُمّة ولتعاليم الإسلام وأحكامه، وكانوا يعتبرون كلَّ من يستلم الحكم هو الخليفة المفروض عليهم طاعته!

وهذا الاستسلام، فسح المجال لكثيرين في استغفال المسلمين والقفز إلى السلطة والمراكز الإدارية في الدولة، وتمرير مخطّطاتهم، والاستبداد بقراراتهم، ولم يكن إلّا السيف والقوّة أساساً لاستلام الحكم.

١. الشرباصي، حفيدة الرسول، ص٥٣؛ الشبلنجي، نور الأبصار، ص٣١٣؛ الصبّان، إسعاف الراغبين ص١٦١.

وهذا الأُسلوب في الاستيلاء على الحكم، كان هو المحكم في زمـن الجاهليـة، وفي بعض البلدان المتخلّفة، وحتّى في بعض الدول الّتي تدّعي التطوّر والمدنيـة، بنسبٍ متفاوتة.

وأمّا في المجتمع الإسلاميّ الّذي أُسّس على أساس أرقى التعاليم والمقـرّرات السماوية، فقد كان مثل ذلك المنهج غريبـاً وعجيبـاً، ذلـك أنّ هـذه الحكومـات المستبدّة، ليس فقط لا يمكنها هداية المجتمع إلى الأهداف الّتي رسمها الإسلام، وإنّما يتسبّب ذلك في إساءة فهم الإسـلام وإتّهامـه مـن قبـل الأجانـب بـالخواء وفقدان الأنظمة الاجتماعيّة والسياسيّة.

فالممارسـات المسـتبدَّة للحكومـات الواصـلة إلى السـلطة عـن طريـق القـوّة والإرهاب، وحتّى لو أبدت بعض الليونة، لا يستطيع المسلم الحقيقيّ والإنسـان الواعي والمتمدّن الواقعيّ، أن يتحمّلهـا ويسـكت عليهـا، وإنّ اسـتحقار الأُمـم والشعوب بهذه الطريقة أمرٌ يستحيل قبوله ممّن له أدنى إدراكٍ بشريّ.

وأكثر أتباع مدرسة اللاأُبالية والخنوع، هم من ضعاف النفـوس والمـأجورين والمغرضين أمثال عبد الله بن عمر[1] الّذين يعتذرون على سـكوتهم بـأنّ مخـالفتهم

---

١. نقل أنّ الحجّاج بن يوسف، عندما جاء إلى مكّة المكرّمة وقضى على عبد الله بن الزبير، جـاءه عبـد الله بن عمر وقال له: مدَّ يدك لأُبايعك! فإنّي سمعت رسول الله يقول: من مـات ولم يعـرف إمـام

للحكم يوجب التفرّق وشقّ عصا المسلمين واختلال النظام، وقد يلتمس هؤلاء أحياناً اعتذارهم من خلال بعض الروايات الداعية إلى وجوب إطاعة ولاة الأمر، لذا فهم يسكتون عن كلّ الجرائم والانحرافات الأخلاقية والسياسية والاجتماعية ويعتبرون أنّ السكوت أولى من المواجهة!!

إنّ مؤيّدي الحكّام الغاصبين وأبواقهم الإعلامية ومن أجل إسكات مخالفيهم واستغفال المجتمع وإحكام قبضهم، يقولون باتّهام الناصحين والإصلاحيّين بإثارة القلاقل والفتن وبالإخلال بالنظام وشقِّ عصا المسلمين.

ومن الواضح، أنَّ طلّاب الدَّعة والراحة من ضعاف القلوب وممّن يضحّي بالمصلحة العامّة من أجل مصالحه الشخصيّة ولا يأبه للدين وشرف الأُمّة وعزّتها، كانوا يستسلمون لهذه الأحابيل الموافقة لمزاجهم، تهرّباً من المسؤوليّة.

ونتيجة ذلك، فسح المجال للظلمة يفعلون ما يشاؤون، بلا رادع ولا رقيب، وينتهي الأمر إلى وجوب تقديم الطاعة ليزيد والحجّاج والوليد كما

زمانه مات ميتةً جاهليةً. فمدَّ له الحجّاج رجله وقال له: إنّ يدي مشغولة. فقال له ابن عمر: أتهزأ بي؟ قال الحجّاج: يا أحمق بني عديّ، أين كنت يوم بيعة عليّ بن أبي طالب؟ ألم يكن عليّ إمام زمانك؟ والله إنّك لا تبايع امتثالًا لقول رسول اللهَ وإنّما تبايع خوف هذا الجذع الّذي صُلب عليه ابن الزبير: المحدّث القمّي، الكنى والألقاب، ج١، ص٣٦٣.

تجب طاعة الإمام العادل الصالح، ويكون الخروج على الظالم، إشعالاً للفتنة وشقّاً لعصا المسلمين!!

إنَّ نسبة هذا الحكم إلى الإسلام زوراً وبهتاناً وافتراءاً، أتاح للظلمة ارتكاب جرائمهم وتصفية القوى المعارضة لهم.

صحيح أنَّ الآيات والروايات توجب إطاعة أُولي الأمر وتحرِّم مخالفتهم والخروج عليهم، ولكنّ الأدلّة تقصد أُولي الأمر الّذين يطبّقون الشريعة بحذافيرها ويدعون الناس إلى الصلاح ويسعون إلى تحقيق الأهداف الإسلامية ويظهرون عزّة الإسلام. فكيف تكون إطاعة حكومة كحكومة يزيد الفاسق وأمثاله من الظلمة واجبةً على عامّة المسلمين؟!

لو أنَّ مظلوماً جُلد جلدَةً واحدةً ظلماً، كان كلّ المسلمين الّذين يعينون تلك الحكومة مسؤولين، «اَلْعَامِلُ بالظُّلْمِ وَالْمُعِينُ لَهُ وَالرَّاضِي بِهِ شُرَكَاءُ ثَلَاثٌ».[١]

وفي منطق الإسلام ومدرسة الأنبياء عليهم السلام، لا يعدُّ الخروج طلباً للحقّ، والأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر ونصيحة الحكّام والدعوة إلى الخير والصلاح، إخلالاً بالنظام ولا تفريقاً للمسلمين، بل إنَّ ذلك عينُ النظام ووحدة المسلمين.

إنَّ زوال النُّظم القائمة على أساس الظلم والباطل والتعدّي على حقوق الناس

---

١. المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٢، ص٣٧٧؛ المحدّث النوري، مستدرك الوسائل، ج١٣، ص١٢٥-١٢٦.

والاستبداد وخنق الحرّيات وتكبيل المجتمع، أفضل من بقائها، والنظام القائم على التمييز الطبقي والاستعلاء وإذلال المجتمع ونهب ثروات وخيرات الشعب، هو عينُ اللانظام وإنَّ النظم الّذي يسمح ليزيد وابن زياد وشمر والحجّاج بأن يكونوا هم مصدر التشريع والتقنين، ويزجّ بالمفكّرين والعلماء والصلحاء في غياهب السجون، ليس نظماً بل هو فتنةٌ واضطراب، وإنَّ الخروج على مثل هذا النظم وحَلَّه، هو خروج لإحلال النظم الواقعيّ الصالح، قال تعالى:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لله﴾.[١]

فطبقاً لهذه الآية الشريفة، تكون كلّ النظم، شرّاً وفتنَةً إلّا النظام المرتبط بالسماء، وتكون الحكومات كلّها ، انفلاتاً وهرجاً ومرجاً وبلاءاً على الناس، إلّا الحكومة الإسلامية الصالحة.

فإنّه إذا كان ما قام به بنو أُميّة في المدينة الطيّبة من سفك الدماء وهتك الأعراض وإهانة المقدّسات نظماً، فسيكون ما قام به فرعون ونمرود وجنكيز خان وسائر الظلمة والمستبدّين، نظماً أيضاً!

وعلى هذا الحساب الخاطئ جدّاً، سيكون نبيُّ الله إبراهيم وموسى بل وكلّ الأنبياء وروّاد الإصلاح، مشاغبين! نعوذ بالله.

---

١. البقرة، ١٩٣.

إنَّ الاعتقاد بوجوب إطاعة كلّ حاكم ولّى زمام أُمور المسلمين ولو بالقوّة والإرهاب، هو أسخفُ رأي ومعتقدٍ يثير العجب والدهشة من أُولئك الّذين يؤيّدون هذا المسلك الباطل.

لقد حارب الحسين عليه السلام هذا الفكر الخاطئ الخطير، ونبّه الناس إلى حرمة إطاعة الحكومات الجائرة كحكم يزيد وبني أُميّة قاطبةً، وأفهمهم أنَّ القيام والخروج على مثل هذه الحكومات، واجبٌ شرعيّ وإنْ لزم تقديم التضحيات والفداء.

وبعد ثورة الحسين عليه السلام، اتّضح للناس، أنَّ الحكومة الّتي يجب على عامّة المسلمين إطاعة مقرّراتها ونظمها هي الحكومة الّتي تجسِّدُ العدالة الإسلاميّة شكلاً ومضموناً، وتطبّق القوانين والأحكام الشرعية تطبيقاً صادقاً دقيقاً.

٩. الأثر الخالد

إنَّ أثر ثورة الحسين عليه السلام بقي خالداً في صفحات التاريخ وكان ولازال الدافع والمحفِّز لأبطال الإصلاح ومجاهدي طريق الحقّ والحقيقة وحماة العدالة والفضيلة.

إنَّ جهاد الحسين عليه السلام لم يكن لشخص يزيد اللئيم بشمائله النحسة وشكله القبيح، وإنّما كان جهادُ الحسين عليه السلام للمنهج الّذي تجسّد في يزيد عصر الحسين عليه السلام بفساده واستبداده ورذالته وإراقته للدماء البريئة وفسقه ومجونه وعدائه للإسلام والإيمان وطغيانه وتمرّده على الله والرسول وخطره على الدين والقرآن.

والحسين عليه السلام جاهد ذلك المنهج أينما كان وفي يزيد أيِّ عصر وزمان تجسَّد.

وعلى الشيعة والأحرار في كلّ العالم أن يتعلّموا هذا الدرس من الحسين عليه السلام ويعلموا أنّ ثورة الحسين عليه السلام لازالت قائمةً مستمرّةً على اليزيديّين في كلّ عصر ـ ومكان، فما دام هناك شركٌ وكفرٌ وجهلٌ وباطلٌ وظلمٌ واستبدادٌ واستعبادٌ للناس وغصبٌ للحقوق الإنسانيّة، فهناك حسين عليه السلام يترصّد تلك الانحرافات ويقف بوجهها بنفس العزم ونفس الصمود ونفس الإباء ونفس البأس.

وعلى كلّ شخصٍ أنْ يميّز طريقه ويختار جبهته، جبهة الحسين أم جبهة يزيد؟

وهل هو في صفّ الظلمة وأعداء الإسلام، أم أنَّه في صفِّ الحسين عليه السلام وأصحاب الفضيلة وأنصار الحقّ والعدالة؟

وكم من الناس، ظاهرهم أنَّهم من موالي الحسين عليه السلام وأنصاره، ولكن باطنهم يدلُّ على أنَّهم من حزب يزيد وبني أُميّة.

وأقولها آسفاً، كم من قلمٍ ولسانٍ وفعال وخصال، تركت الحسين عليه السلام والإسلام غريباً وحيداً والتحقت بمعسكر قتلة الحسين عليه السلام ومخالفي منهجه وأهدافه.

ولو لم يكن في الدنيا، رجالٌ أبطال حقّ وفداء كالحسين عليه السلام وأصحابه الّذين فدَوْا آخرتهم بدنياهم وروحهم بأموالهم والحقَّ بالباطل والحقيقة بالمجاز، لضعفت القيم الإنسانيّة، وبَهت ضياؤها، وخبت جذوتها، ولساد حبُّ الدنيا على حبِّ الآخرة، والغرائز الحيوانية على الكمالات الإنسانيّة، ولتحقّق مصداق قوله تعالى:

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْـحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾.[١]

وأمّا شهادة الحسين‰ وتضحيات أصحابه وأسرِ أهله وعياله فقد عكس جمال الحقيقة الإنسانيّة، وساق الأنظار إلى عالم السموّ والمعنى وأفهَم الجميع أنّ الإنسانيّة معنى سامٍ لا يتحدَّد بهذا القالب الجسمانيّ الظاهريّ، فليست الإنسانيّة لحماً ودماً وعظاماً، فلو سار الإنسان في وادي الآدمية ووصل إلى مملكة الإنسانيّة فسوف يتجلّى فيه الشرف والرفعة والكرامة إلى درجةٍ لا تتمكّن معها أيَّة قوّة مادّيّة من السيطرة والتسلّط عليه، ولا يمكن استبدالها بكلّ الحظوظ الحيوانية والمقامات الدنيوية.

وهذا الأثر، خالدٌ ومستمرّ، وكلّما كثرت مجالس عاشوراء ومراسم ذكر الحسين‰ ومصائبه، وكلّما ازداد التأمّل والغور في أسرار النهضة الحسينية، ازداد تأثيرها في القلوب وكبر شوق الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترسّخت المفاهيم الإصلاحية وحماية المظلومين ونصرة الضعفاء والمحرومين والإيثار بالمال والمتاع الدنيويّ من أجل المصالح العليا.

ولو أنَّ القوى المستعمرة وأعداء الإسلام، قلّلوا من عدائهم للمنهج الحسينيّ وخلّوا بين المسلمين وبين هذه الحقائق السامية، وقام الوعّاظ والعلماء والخطباء

---

١. الروم، ٧.

ببيان أسرار النهضة وأهدافها، لاقتلعت جذور الظلم والفساد واستبدلت بشجرة الإيمان والتوحيد والعدالة والفداء والاقتداء بالحسين عليه السلام وأهدافه.

إنّ الشعراء الّذين أنشدوا في الحسين عليه السلام كالكميت ودعبل وابن الروميّ وحتّى أبي العلاء المعرّي، وفي الأزمنة الصعبة الّتي حكم فيها أعداء الحسين عليه السلام، الّذين بذلوا الأموال والهدايا والهبات لمتملّقي السلطان، أنشدوا تلك القصائد البليغة الساحرة، لأنّ ذوقهم الرقيق وشعورهم المرهف قد لَمَس جمال الإنسانيّة الكريمة في تاريخ حياة الحسين عليه السلام وأولاده. مثلهم كمثل الشاعر المسحور بجمال الطبيعة الخلّابة والطيور والرياحين والصحارى والسماء والنجوم، ولكن شعراء الطفّ، سُحروا بجمال فضيلة وحقيقة الحسين عليه السلام وأصحابه البررة، فأنشدوا بالبداهة تلك القصائد الرائعة.

نعم، لقد كان الحسين عليه السلام من أعظم آيات الله، وإنَّ تجلّي الإيمان والعبودية للحقّ تعالى والحقيقة والشجاعة والشهامة والفداء في شخصيّته، كان أوضح من تجلّي الشمس والقمر.

فمن وصف من الشعراء الحسين عليه السلام كان شعره هو الأوفر حظّاً في الروعة والجمال واللطافة وهذه التأثيرات لشهادة الحسين عليه السلام في النفوس، وانفعال الأرواح وتفاعلها معها، سيبقى خالداً على مرّ التاريخ. ولذا وجدنا كيف فشل الجبّارون كالمتوكّل العبّاسي، حينما أرادوا الحدّ من تأثيرات ثورة الحسين عليه السلام في

نفوس الناس فازداد إقبال الناس على تعظيم الشعائر الحسينيّة وازداد إخلاصهم للحسين عليه السلام.

فتحقّق بذلك مصداق هذا البيت:

لَقَدْ وَقَفُوا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَوْقِفاً　　إِلَى الْحَشْرِ لَا يَزْدَادُ إِلَّا مَعَالِيَا

فسلام الله وصلواته عليك، وعلى أولادك، وأهل بيتك وأصحابك، وأنصارك يا سيّد الشهداء، ويا أبا الأحرار، ويا سفينة النجاة، ويا منقذ الإسلام، تقبَّل منّي هذا القليل، ولا تُؤاخذني بما فرّطت في خدمتك، فما في هذا الكتاب مِن الحسنات والكلمات اللائقة بجنابكم فمنكم، وما فيه ممّا هُو دون مقامكم الرفيع فهو منّي ومن جهلي، وقصور معرفتي، فانظر إليه يا مَولاي بعين العناية والقبول فإنّكم أهل البيت لا تُخَيِّبُونَ مَن رجاكم، ولا تَحْرِمُونَ مَنْ أَتَاكُمْ.

وأسأل الله تعالى بحقّ النبيّ وأهل بيته أن يصلّي عليه وعليهم، ويغفر لي ولوالديّ، ولأساتذتي ولجميع المؤمنين والمؤمنات، وأن يحشرني في زمرة سيّدي ومولاي الحسين عليه السلام إنَّه قريبٌ مجيبٌ.

مصادر التحقيق

* **القرآن الكريم**

٢. **نهج البلاغة**، الإمام عليّ بن أبي طالبعليه السلام، الشريف الرضي، تحقيق وشرح محمّد عبده، بيروت، دار المعرفة، ١٤١٢ق.

٣. **أبو الشهداء الحسين بن عليّ**، العقّاد، عبّاس محمود، طهران، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ١٤٢٥ق.

٤. **ابصار العين في أنصار الحسين**عليه السلام، السماوي، محمّد بن طاهر، ١٤١٩ق.

٥. **الإتحاف بحب الأشراف**، الشبراوي، عبد الله بن محمّد، قم، الشريف الرضي، ١٣٦٣ش.

٦. **الاحتجاج**، الطبرسي، أحمد بن عليّ (م. ٥٦٠ق)، النجف الأشرف، دار النعمان، ١٣٨٦ق.

٧. **إحياء الميّت بفضائل أهل البيت** عليهم السلام، السيوطي، جلال الدين (م. ٩١١ق)، طهران، مؤسّسة أنصار الحسين عليه السلام الثقافية، ١٣٦٩ش.

٨. **الأخبار الطوال**، ابن داوود الدينوري، أحمد (م. ٢٨٢ق)، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٠م .

٩. **الاختصاص**، مفيد، محمّد بن محمّد (م. ٤١٣ق)، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٤ق.

١٠. **اختيار معرفة الرجال**، الطوسي، محمّد بن حسن (م.٤٦٠ق)، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤٠٤ق.

١١. **الأدب المفرد**، البخاري، محمّد بن إسماعيل (م. ٢٥٦ق)، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٦ق.

١٢. **الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد**، مفيد، محمّد بن محمّد (م. ٤١٣ق)، بيروت، دارالمفيد، ١٤١٤ق.

١٣. **أسباب النزول**، الواحدي، عليّ بن أحمد (م. ٤٦٨ق)، طهران، نشر ني، ١٣٨٣ش.

١٤. **الاستبصار**، الطوسي، محمّد بن حسن (م. ٤٦٠ق)، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٩٠ق.

١٥. **الاستذكار**، ابن عبد البرّ، يوسف بن عبد الله القرطبي (م. ٤٦٣ق)،

بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.

١٦. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ابن عبد البرّ، يوسف بن عبد الله القرطبي (م. ٤٦٣ق)، بيروت، دار الجيل، ١٤١٢ق.

١٧. **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**، ابن الأثير الجزري، عليّ بن محمّد (م. ٦٣٠ق)، طهران، منشورات إسماعيليان.

١٨. **إسعاف الراغبين في سيرة المصطفي وفضائل أهل بيته الطاهرين**، الصبّان، محمّد بن علي، حضرموت يمن، دار الميراث النبوي.

١٩. **الإسلام بين السنّة والشيعه**، دفتردار المدني، هاشم، زعبي، محمّد عليّ، بيروت، دار الإنصاف، ١٣٦٩ق.

٢٠. **الإسلام والاستبداد السياسي**، الغزالي، محمّد، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٣٨٠ق.

٢١. **الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن عليّ (م. ٨٥٢ق)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ق.

٢٢. **إعلام الورى بأعلام الهدي**، الطبرسي، فضل بن الحسن (م. ٥٤٨ق)، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، ١٤١٧ق.

٢٣. **أعيان الشيعة**، أمين العاملي، السيّد محسن (م. ١٣٧١ق)، بيروت، دارالتعارف، ١٤٠٣ق.

٢٤. **الأغاني**، أبو الفرج الأصفهاني، عليّ بن الحسين (م. ٣٥٦ق)، بيروت، دار الفكر.

٢٥. **إقبال الأعمال**، ابن طاووس، سيّد عليّ بن موسى (م. ٦٦٤ق)، قم، مكتب الأعلام الإسلامي، ١٤١٤ق.

٢٦. **الإكليل في استنباط التنزيل**، السيوطي، عبد الرحمن (م.٩١١ق)، بيروت، دار الكتب العلمية

٢٧. **الإكمال في اسماء الرجال**، الخطيب التبريزي، محمّد بن عبد الله (م. ٧٤١ق)، قم، مؤسسة أهل البيت^.

٢٨. **الأمالي**، الصدوق، محمّد بن علي (م. ٣٨١ق)، قم، مؤسسة البعثة، ١٤١٧ق.

٢٩. **الأمالي**، الطوسي، محمّد بن الحسن (م. ٤٦٠ق)، قم، دار الثقافة، ١٤١٤ق.

٣٠. **الإمامة والسياسة**، ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم (م. ٢٧٦ق)، قم، الشريف الرضي، ١٤١٣ق.

٣١. **أنساب الأشراف**، البلاذري، أحمد بن يحيى (م. ٢٧٩ق)، بيروت، دار الفكر، ١٤١٧ق.

٣٢. **الآحاد والمثاني**، ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو (م. ٢٨٧ق)، دار الدراية،

١٤١١ق.

٣٣. **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**عليهم السلام، المجلسي، محمّد باقر (م. ١١١١ق)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣ق.

٣٤. **البدء والتاريخ**، المقدسي، مطهر بن طاهر (م. ٣٥٥ق)، مكتبة الثقافة الدينيه.

٣٥. **البداية والنهاية**، ابن كثير، إسماعيل بن عمر (م. ٧٧٤ق)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨ق .

٣٦. **بصائر الدرجات في فضائل آل محمّد**صلى الله عليه وآله، الصفّار، محمّد بن حسن (م. ٢٩٠ق)، طهران، مؤسّسة الأعلمي، ١٤٠٤ق.

٣٧. **البلد الأمين والدرع الحصين**، الكفعمي، إبراهيم بن عليّ (م. ٩٠٥ق)، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤١٨ق.

٣٨. **بنات النبيّ**صلى الله عليه وآله، بنت الشاطي، عائشة عبد الرحمن، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٦ق.

٣٩. **تاج العروس من جواهر القاموس**، الزبيدي، سيّد محمّد مرتضى الحسيني (م. ١٢٠٥ق)، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤ق.

٤٠. **تاريخ الأُمم والملوك**، الطبري، محمّد بن جرير (م. ٣١٠ق)، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٣ق.

٤١. **تاريخ گزيده**، المستوفي ، حمد الله (م. ٧٥٠ق)، طهران، دنياى كتاب، ١٣٦١ش.

٤٢. **تاريخ مدينة دمشق**، ابن عساكر، عليّ بن حسن (م. ٥٧١ق)، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥ق.

٤٣. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، الذهبي، محمّد بن أحمد (م. ٧٤٨ق)، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ق.

٤٤. **تاريخ الخلفاء**، السيوطي، جلال الدين (م. ٩١١ق)، قم، الشريف الرضي، ١٤١١ق.

٤٥. **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**، الدياربكري، حسين بن محمّد (م. ٩٦٦ق)، بيروت، دار صادر.

٤٦. **التاريخ الكبير**، البخاري، محمّد بن إسماعيل (م. ٢٥٦ق)، تركية، المكتبة الإسلامية.

٤٧. **تاريخ اليعقوبي**، اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (م. ٢٩٢ق)، قم، مؤسسة فرهنگ أهل البيت عليهم السلام.

٤٨. **تجارب السلف در تاريخ خلفا و وزراى ايشان**، النخجواني، هندوشاه بن سنجر، طهران، مكتبة الطهورى، ١٣٥٧ش.

٤٩. **تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله**، ابن شعبة الحراني، حسن بن عليّ (م.

قرن٤)، قم، النشر الإسلامي، ١٤٠٤ق.

٥٠. **تذكرة الخواصّ**، سبط ابن الجوزي، يوسف بن حسام الدين (م. ٦٥٤ق)، قم، الشريف الرضي، ١٤١٨ق

٥١. **التعجّب من أغلاط العامّة في مسألة الإمامة**، الكراجكي، محمّد بن عليّ (م. ٤٤٩ق).

٥٢. **تفسير القرآن الحكيم** (تفسير المنار)، رشيد رضا، محمّد (م. ١٣٥٤ق)، بيروت، دار المعرفة، ١٤١٤ق.

٥٣. **تفسير القرآن العظيم** (تفسير ابن أبي حاتم)، ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمّد (م. ٣٢٧ق)، بيروت، مكتبة العصرية، ١٤١٩ق.

٥٤. **تفسير القمي**، القمي، عليّ بن إبراهيم (م. ٣٠٧ق)، قم، دار الكتب، ١٤٠٤ق.

٥٥. **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، النيشابوري، حسن بن محمّد (م. ٧٢٨ق)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦ق.

٥٦. **تفسير الصافي**، الفيض الكاشاني، محسن بن مرتضى (م. ١٠٩١ق)، طهران، مكتبة الصدر، ١٤١٦ق.

٥٧. **تفسير العيّاشي**، العيّاشي، محمّد بن مسعود (م. ٣٢٠ق)، طهران، المكتبة العلمية الإسلامية.

٥٨. **التفسير الكبير**، الفخر الرازي، محمّد بن عمر (م. ٦٠٦ق)، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٣ق.

٥٩. **التمهيد**، ابن عبد البرّ، يوسف بن عبد الله القرطبي (م. ٤٦٣ق)، مغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧ق.

٦٠. **تهذيب الأحكام**، الطوسي، محمّد بن الحسن (م. ٤٦٠ق)، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٤ش.

٦١. **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، المزّي، جمال الدين يوسف (م. ٧٤٢ق)، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦ق.

٦٢. **الثاقب في المناقب**، ابن حمزه الطوسي، محمّد بن عليّ (م. ٥٦٠ق)، قم، منشورات أنصاريان، ١٤١٢ق.

٦٣. **الثقات**، ابن حبّان البستي، محمّد (م. ٣٥٤ق)، حيدرآباد دكن هند، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٣٩٣ق.

٦٤. **الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير**، السيوطي، جلال الدين (م. ٩١١ق)، بيروت، دار الفكر، ١٤٠١ق.

٦٥. **جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب** عليه السلام، ابن دمشقي، محمّد بن أحمد الدمشقي (م. ٨٧١ق)، قم، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٤١٥ق.

٦٦. **الحاوی للفتاوي**، السيوطي، جلال الدين (م. ٩١١ق)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١ق.

٦٧. **الحسن والحسين سبطا رسول الله**صلى الله عليه وآله، محمّد رضا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٥ق.

٦٨. **الحسين وبطلة كربلاء** (المجالس الحسينية)، المغنيه، محمّد جواد (م. ١٤٠٠ق)، بيروت، دار مكتبة التربية، ١٩٧٣م.

٦٩. **حفيدة الرسول** (لمحات من سيرة السيّد ة زينب)، الشرباصي، أحمد، مطابع الدار القومية.

٧٠. **حلية الأولياء و طبقات الأصفياء**، أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله (م. ٤٣٠ق)، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥ق.

٧١. **حياة الحيوان الكبرى**، الدميري، كمال الدين (م. ٨٠٨ق)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ق.

٧٢. **خصائص الوحي المبين**، ابن بطريق، يحيى بن الحسن (م. ٦٠٠ق)، قم، دار القرآن الكريم، ١٤١٧ق.

٧٣. **خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب**عليه السلام، النسائي، أحمد بن شعيب (م. ٣٠٣ق)، طهران، مكتبة نينوى الحديثة.

٧٤. **خصائص الأئمّة**، الشريف الرضي، محمّد بن الحسين (م. ٤٠٦ق)، مشهد،

آستان قدس رضوي، ١٤٠٦ق.

٧٥. **الخصائص الكبرى**، السيوطي، عبد الرحمن (م. ٩١١ق)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ق.

٧٦. **دائرة معارف القرن العشرين**، فريد وجدي، محمّد (م. ١٣٧٣ق)، بيروت، دار المعرفة.

٧٧. **الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور**، السيوطي، جلال الدين (م. ٩١١ق)، قم، مكتبة المرعشى النجفي ، ١٤٠٤ق.

٧٨. **الدرّ النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم**، ابن حاتم العاملي، يوسف بن حاتم (م. ٦٦٤ق)، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٠ق.

جاح **الدلائل والمسائل**، الشهرستاني، هبة الدين، مطبعة النجاح، ١٩٢٦م.

٨٠. **ديوان الأزري الكبير**، الأزري، محمّد كاظم (م. ١٢١١ق)، بيروت، دار التوجّه الإسلامي، ١٤٠٠ق.

٨١. **ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى**، الطبري، أحمد بن عبد الله (م. ٦٩٤ق)، القاهرة، مكتبة القدسي، ١٣٥٦ق.

٨٢. **الذرّية الطاهرة النبوّية**، الدولابي، محمّد بن أحمد (م. ٣١٠ق)، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٧ق.

٨٣. **ذكر أخبار أصبهان**، أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله (م. ٤٣٠ق)

ليدن المحروسة، مطبعة بريل، ١٩٣٤م.

٨٤. **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**، الزمخشري، محمود بن عمر (م. ٥٣٨ق)، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤١٢ق.

٨٥. **روضة الواعظين وبصيرة المتعظين**، الفتّال النيشابوري، محمّد بن الحسن (م. ٥٠٨ق)، قم، الشريف الرضي، ١٣٧٥ش.

٨٦. **زاد المعاد**، المجلسي، محمّد باقر (م. ١١١١ق)، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤٢٣ق.

٨٧. **إلزام النواصب بإمامة عليّ بن أبي طالب**، الصيمري، مفلح بن حسن (م. قرن٩)، ١٤٢٠ق.

٨٨. **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، الصالحي الشامي، محمّد بن يوسف (م. ٩٤٢ق)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٤ق.

٨٩. **سموّ المعنى في سموّ الذات أو أشّعة من حياة الحسين** عليه السلام، العلايلي، عبد الله، مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٥٨ق.

٩٠. **سنن ابن ماجة**، ابن ماجة القزويني، محمّد بن يزيد (م. ٢٧٥ق)، دار الفكر.

٩١. **سنن أبي داوود**، أبو داوود السجستاني، سليمان بن أشعث (م. ٢٧٥ق)، بيروت، دار الفكر، ١٤١٠ق

٩٢. **سنن الترمذي**، الترمذي، محمّد بن عيسى (م. ٢٧٩ق)، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٣ق.

٩٣. **السنن الكبرى**، البيهقي، أحمد بن الحسين (م. ٤٥٨ق)، بيروت، دار الفكر، ١٤١٦ق.

٩٤. **السنن الكبرى**، النسائي، أحمد بن شعيب (م. ٣٠٣ق)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١ق.

٩٥. **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، محمّد بن أحمد (م. ٧٤٨ق)، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣ق.

٩٦. **السير والمغازى** (سيرة ابن إسحاق)، ابن إسحاق، محمّد بن إسحاق (م. ١٥١ق)، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف.

٩٧. **السير الحلبية**، الحلبي، عليّ بن برهان (م. ١٠٤٤ق)، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٠ق.

٩٨. **السيرة النبوية**، ابن كثير، إسماعيل بن عمر (م. ٧٧٤ق)، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٦ق.

٩٩. **السيرة النبوية**، ابن هشام، عبد الملك الحميري (م. ٨ ـ ٢١٣ق)، القاهرة، مكتبة محمّد عليّ صبيح وأولاده، ١٣٨٣ق.

١٠٠. **السيرة النبوية**، الزيني دحلان، سيّد أحمد (م. ١٣٠٤ق)، بيروت، دار

الفكر.

١٠١. **شرح مائة كلمة لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب**عليه السلام، ابن ميثم البحراني، ميثم بن عليّ (م. ٦٩٩ق)، قم، مؤسسة النشر الإسلامي.

١٠٢. **شرح نهج البلاغة**، ابن أبي الحديد، عزّ الدين (م. ٦٥٦ق)، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٨ق.

١٠٣. **شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار**عليهم السلام، المغربي، القاضي نعمان بن محمّد التميمي (م. ٣٦٣ق)، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٤ق.

١٠٤. **شرف النبي** (شرف المصطفى)، أبو سعيد واعظ الخركوشي النيشابوري، عبد الملك بن محمّد (م. ٤٠٦ق)، مكة، دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٤ق.

١٠٥. **الشفاء** (الإلهيات)، ابن سينا، حسين بن عبد الله (م. ٤٢٨ق)، قم، مكتبة المرعشي النجفي، ١٤٠٤ق.

١٠٦. **شواهد التنزيل**، الحاكم الحسكاني، عبيد الله بن عبد الله (م. ٥٠٦ق)، طهران، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١١ق.

١٠٧. **الشيعة والحاكمون**، المغنية، محمّد جواد (م. ١٤٠٠ق)، بيروت، دار التعارف.

١٠٨. **صحيح ابن حبّان بترتيب ابن بلبان**، ابن بلبان الفارسي، علاء الدين عليّ (م. ٧٣٩ق)، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤ق.

١٠٩. **صحيح مسلم**، مسلم النيشابوري، مسلم بن الحجّاج (م. ٢٦١ق)، بيروت، دار الفكر.

١١٠. **صحيح البخاري**، البخاري، محمّد بن إسماعيل (م. ٢٥٦ق)، بيروت، دار الفكر، ١٤٠١ق.

١١١. **الصواعق المحرقه في الردّ على أهل البدع والزندقة**، ابن حجر الهيتمي، أحمد (م. ٩٧٤ق)، القاهرة، مكتبة القاهرة، ١٣٨٥ش.

١١٢. **الطبقات الكبرى**، ابن سعد، محمّد بن سعد (م. ٢٣٠ق)، بيروت، دار صادر.

١١٣. **العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل**، ابن عقيل العلوي، محمّد (م.١٣٥٠ق)، منشورات هدف.

١١٤. **العدالة الاجتماعية في الإسلام**، سيّد قطب، قطب بن إبراهيم (م. ١٣٨٦ق).

١١٥. **العقد الفريد**، ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمّد، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٢ق.

١١٦. **علل الشرائع**، الصدوق، محمّد بن عليّ (م. ٣٨١ق)، النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، ١٣٨٥ق.

١١٧. **عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار**، ابن بطريق، يحيى بن

حسن (م. ٦٠٠ق)، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٧ق.

١١٨. **عوالم العلوم والمعارف والأحوال** (الإمام الحسين عليه السلام)، البحراني الأصفهاني، عبد الله بن نور الله (م. قرن ١٢)، قم، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، ١٤٢٥ق.

١١٩. **الغدير في الكتاب والسنة والأدب**، الأميني، عبد الحسين (م. ١٣٩٢ق)، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٧ق.

١٢٠. **الفائق في غريب الحديث**، الزمخشري، محمود بن عمر (م. ٥٣٨ق)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧ق.

١٢١. **الفتن**، ابن حمّاد المروزي، نعيم بن حمّاد (م. ٢٢٩ق) بيروت، دار الكفر، ١٤١٤ق.

١٢٢. **الفتوح**، ابن أعثم الكوفي ، أحمد بن عليّ (م. ٣١٤ق)، بيروت، دار الأضواء، ١٤١١ق.

١٢٣. **فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمّة من ذرّيتهم** عليهم السلام، الحمويني، إبراهيم بن محمّد (م. ٧٣٠ق)، بيروت، مؤسسة المحمودي، ١٣٩٨ق.

١٢٤. **فرهنگ فارسى**، عميد، حسن، طهران، منشورات أميركبير، ١٣٧٦ش.

١٢٥. **الفصول المهمّة في أُصول الأئمّة**، الحر العاملي، محمّد بن حسن (م.

١١٠٤ق)، مؤسسة المعارف الإسلامي إمام رضا عليه السلام، ١٤١٨ق.

١٢٦. **فضائل الخمسة من الصحاح الستة**، فيروزآبادي، سيّد مرتضى الحسيني (م. ١٤١٠ق)، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٨ق.

١٢٧. **فلاح السائل ونجاح المسائل**، ابن طاووس، سيّد عليّ بن موسى (م. ٦٦٤ق)، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٦ق.

١٢٨. **قاموس الرجال**، التستريّ، محمّد تقي (م. ١٣٢٠ق)، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٩ق.

١٢٩. **قمقام زخار وصمصام بتار**، معتمد الدولة، فرهاد ميرزا (م.١٣٠٥ق)، طهران، مكتبة الإسلامية، ١٣٧٧ق.

١٣٠. **الكافي** ، الكليني، محمّد بن يعقوب (م. ٣٢٩ق)، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٣ش.

١٣١. **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير الجزري، عليّ بن محمّد (م. ٦٣٠ق)، بيروت، دار صادر، ١٣٨٦ق.

١٣٢. **الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، الزمخشري، محمود بن عمر (م. ٥٣٨ق)، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده، ١٣٨٥ق.

١٣٣. **الكشف والبيان في تفسير القرآن** (تفسير الثعلبي)، الثعلبي، أحمد بن

إبراهيم (م. ٤٢٧ق)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢ق.

١٣٤. **كشف الغمّة في معرفة الأئمّه**، الاربلي، عليّ بن عيسى (م. ٦٩٣ق)، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٥ق.

١٣٥. **كفاية الطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب**عليه السلام، الگنجى الشافعي، محمّد بن يوسف (م. ٦٥٨ق)، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٣٩٠ق.

١٣٦. **كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال**، المتقي الهندي، عليّ (م. ٩٧٥ق)، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩ق.

١٣٧. **كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق** (بهامش الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير)، المناوي، محمّد بن عليّ (م. ١٠٣١ق)، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٣ق.

١٣٨. **الكنى والألقاب**، المحدّث القمي، عبّاس (م. ١٣٥٩ق)، طهران، مكتبة الصدر.

١٣٩. **لسان العرب**، ابن منظور، محمّد بن مكرم (م. ٧١١ق)، قم، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥ق.

١٤٠. **اللهوف في قتلى الطفوف**، ابن طاووس، سيّد عليّ بن موسى (م. ٦٦٤ق)، قم، منشورات أنوار الهدى، ١٤١٧ق.

١٤١. **مثير الأحزان**، ابن نما الحلي، محمّد بن جعفر (م. ٦٤٥ق)، النجف

الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٣٦٩ق .

١٤٢. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، الهيثمي، عليّ بن أبي بكر (م. ٨٠٧ق)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ق.

١٤٣. **المحاسن والمساوي**، البيهقي، إبراهيم بن محمّد (م. ٣٢٠ق)، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٣٢ق.

١٤٤. **محاضرات تاريخ الأُمم الإسلامية والدولة الأُمويّة**، خضري بيك، محمّد، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٧٦ق.

١٤٥. **المختصر** (تاريخ أبي الفداء)، أبو الفداء، إسماعيل بن عليّ (م. ٧٣٢ق).

١٤٦. **مدينة معاجز الإئمّة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر**، البحراني، سيّد هاشم الحسيني (م. ١١٠٧ق)، قم، مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١٣ق.

١٤٧. **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، المسعودي، عليّ بن حسين (م. ٣٤٥ق)، قم، دار الهجرة، ١٤٠٩ق.

١٤٨. **المزار الكبير**، المشهدي، محمّد بن جعفر (م. ٦١٠ق)، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٩ق .

١٤٩. **المستدرك على الصحيحين**، الحاكم النيشابوري، محمّد بن عبد الله (م. ٤٠٥ق)، بيروت، دار المعرفة.

١٥٠. **مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل**، المحدث النوري، ميرزا حسين (م. ١٣٢٠ق)، بيروت، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤٠٨ق.

١٥١. **مسند أبو يعلى الموصلي**، أبو يعلى الموصلي، إسماعيل بن محمّد (م. ٣٠٧ق)، دمشق، دار المأمون للتراث.

١٥٢. **مسند أبي داوود الطيالسي**، الطيالسي، سليمان بن داوود (م. ٢٠٤ق)، بيروت، دار المعرفة.

١٥٣. **مسند أحمد بن حنبل**، أحمد بن حنبل (م. ٢٤١ق)، بيروت، دار صادر.

١٥٤. **مشكاة الأنوار في غرر الأخبار**، الطبرسي، عليّ بن حسن (م. قرن ٧)، قم، دار الحديث، ١٤١٨ق.

١٥٥. **مصابيح السنّة**، البغوي، حسين بن مسعود (م. ٥١٦ق)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩ق.

١٥٦. **المصباح**، الكفعمي، إبراهيم بن عليّ (م. ٩٠٥ق)، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٣ق.

١٥٧. **مصباح المتهجد**، الطوسي، محمّد بن الحسن (م. ٤٦٠ق)، بيروت، مؤسسة فقه الشيعة، ١٤١١ق.

١٥٨. **المصنّف في الأحاديث والآثار**، ابن أبي شيبة الكوفي ، عبد الله بن محمّد (م. ٢٣٥ق)، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩ق.

١٥٩. **مطالب السؤول في مناقب آل الرسول** صلى الله عليه وآله، ابن طلحة الشافعي، محمّد بن طلحة (م. ٦٥٢ق).

١٦٠. **معاوية بن أبي سفيان في الميزان**، العقّاد، محمود عبّاس.

١٦١. **المعجم الأوسط**، الطبراني، سليمان بن أحمد (م. ٣٦٠ق)، دار الحرمين، ١٤١٥ق.

١٦٢. **المعجم الصغير**، الطبراني، سليمان بن أحمد (م. ٣٦٠ق)، بيروت، دار الكتب العلمية.

١٦٣. **المعجم الكبير**، الطبراني، سليمان بن أحمد (م. ٣٦٠ق)، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٠٤ق.

١٦٤. **معرفة السنن والآثار**، البيهقي، أحمد بن حسين (م. ٤٥٨ق)، بيروت، دار الكتب العلمية.

١٦٥. **المعيار والموازنة في فضائل الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب** عليه السلام، الإسكافي ، محمّد بن عبد الله (م. ٢٤٠ق)، ١٤٠٢ق.

١٦٦. **مفاتيح الجنان**، **المحدّث القمي**، عبّاس (م. ١٣٥٩ق)، مؤسسة قدر الولاية الثقافية، ١٣٩٠ش.

١٦٧. **مفردات ألفاظ القرآن**، الراغب الأصفهاني، حسين بن محمّد (م. ٥٠٢ق)، نشر الكتاب، ١٤٠٤ق.

١٦٨. **مقاتل الطالبيّين،** أبو الفرج الأصفهاني، عليّ بن الحسين (م. ٣٥٦ق)، قم، دار الكتاب، ١٣٨٥ق.

١٦٩. **مقتل الحسين**عليه السلام، أبو مخنف، لوط بن يحيى (م. ١٥٧ق)، قم، مطبعة العلمية.

١٧٠. **مقتل الحسين**عليه السلام، الخوارزمي، موفّق بن أحمد (م.٥٦٨ق)، قم، مكتبة المفيد.

١٧١. **مكارم الأخلاق،** الطبرسي، حسن بن الفضل (م. ٥٥٤ق)، الشريف الرضي، ١٣٩٢ق.

١٧٢. **من أخلاق الإمام الحسين**عليه السلام (دروس في السلوك والتربية وقيم الحياة الطيّبة)، البحراني، عبد العظيم المهتدي، قم، الشريف الرضي، ١٤٢١ق.

١٧٣. **مناقب آل أبي طالب،** ابن شهرآشوب، محمّد بن عليّ (م. ٥٨٨ق)، النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، ١٣٧٦ق.

١٧٤. **مناقب عليّ بن أبي طالب**عليه السلام، ابن مردويه الأصفهاني، أحمد بن موسى (م. ٤١٠ق)، قم، دار الحديث، ١٤٢٤ق.

١٧٥. **المناقب،** الخوارزمي، موفق بن أحمد (م. ٥٦٨ق)، قم، مؤسسة النشر الأسلامي، ١٤١١ق.

١٧٦. **منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر**عليه السلام، الصافي الگلپايگاني، لطف الله،

قم، مؤسسة السيّدة المعصومة عليها السلام، ١٤٢٧ق.

١٧٧. **المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك**، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن عليّ (م. ٥٩٧ق)، بيروت، دار الكتب العملية، ١٤١٢ق.

١٧٨. **منتهى الأرب في لغة العرب**، صفي پور، عبد الرحيم بن عبد الكريم، مكتبة السنائي.

١٧٩. **ناسخ التواريخ**، سپهر، ميرزا محمّد تقي، طهران، المكتبة الإسلامية، ١٣٤٣ش.

١٨٠. **النزاع والتخاصم بين بني أُميّة وبني هاشم**، المقريزي، أحمد بن عليّ (م. ٨٤٥ق)، المطبعة العلمية، ١٣٦٨ق.

١٨١. **نزهة الناظر في الجمع بين الأشباه والنظائر**، الحلي، يحيى بن سعيد (م. ٦٨٩ق)، النجف الأشرف، مطبعة الآداب، ١٣٨٦ق.

١٨٢. **النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية**، ابن عقيل العلوي، محمّد (م. ١٣٥٠ق)، قم، دار الثقافة، ١٤١٢ق.

١٨٣. **نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين عليهم السلام**، الزرندي، محمّد بن يوسف (م. ٧٥٠ق)، الأصفهان، مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامّة، ١٣٧٧ق.

١٨٤. **نفس المهموم في مصيبة سيّدنا الحسين المظلوم عليه السلام**، المحدّث القمّي، عبّاس

(م. ١٣٩٥ق)، قم، منشورات دليل ما، ١٣٩٠ش.

١٨٥. **نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار**صلى الله عليه وآله، الشبلنجي، مؤمن بن حسن (م. قرن١٤)، قم، الشريف الرضي.

١٨٦. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، مبارك بن محمّد (م. ٦٠٦ق)، قم، منشورات إسماعيليان، ١٣٦٤ش.

١٨٧. **نهاية الارب في معرفة أنساب العرب**، القلقشندي، أحمد بن عليّ (م. ٨٢١ق)، بيروت، دار الكتب العلمية.

١٨٨. **وسائل الشيعة**، الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن (م. ١١٠٤ق)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣ق.

١٨٩. **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**صلى الله عليه وآله، السمهودي، عليّ بن أحمد (م. ٩١١ق)، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م.

١٩٠. **وقعة صفّين**، المنقري، نصر بن مزاحم (م.٢١٢ق)، القاهرة، مؤسّسة العربية الحديثة، ١٣٨٢ق.

١٩١. **ينابيع المودّة لذوي القربى**، القندوزي، سليمان بن إبراهيم (م. ١٢٩٤ق)، دار الأُسوة، ١٤١٦ق.

الفهرس

المقدّمة ٧

يومُ الحسين عليه السلام ٧

دواعي اهتمام الكتّاب والخطباء ١٢

جهات ما كتب في الحسين عليه السلام ١٥

البحث الأوّل: شخصيّة الحسين عليه السلام وفضائله ١٩

شخصيّة سيّد الشهداء عليه السلام ٢١

سمات الحسين عليه السلام اللامعة في كتاب الله ٢٢

١. آية المودّة ٢٢

٢. آية التطهير ٢٤

٣. آية المباهلة ٢٨

سِماتُ الحسين عليه السلام في أحاديث النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ٢٩

١. الحُسين عليه السلام سيّد شباب أهل الجنّة ٢٩
٢. الحسين حبيب رسول الله صلى الله عليه وآله ٣١
٣. الحُسَين ريحانة النبيّ صلى الله عليه وآله ٣٧
٤. الحُسين عليه السلام أشبهُ أهل البيت بالنبيّ صلى الله عليه وآله ٣٩
٥. النبيّ صلى الله عليه وآله يُقَبِّل الحسين عليه السلام ٤٠
٦. النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله يحملُ الحسين عليه السلام على كتفه ٤٧
٧. حبُّ الحُسين عليه السلام فرضٌ ٤٨
٨. فضلُ حُبِّ الحسين عليه السلام وعقابُ من أَبْغَضَهُ ٤٩
٩. النظر إلى سيّد شباب أهل الجنَّة ٥٠
١٠. محبّو الحسين عليه السلام في الجنّة ٥١
١١. دَرَجَةُ الوَسيلَة ٥٢
١٢. الحسين عليه السلام مع النبيّ في دَرَجتِهِ ٥٢
١٣. وُجوبُ نُصرَة الحسين عليه السلام ٥٣
١٤. أوّل من يَدخُل الجَنَّة ٥٦
١٥. القائم عجل الله فرجه من وُلدِ الحَسين عليه السلام ٥٦
١٦. القائم عليه السلام هو التاسع مِنْ وُلدِ الحسين عليه السلام ٥٧
١٧. ثمرةُ شجرة النبوّة ٥٧
١٨. وديعة الرسول صلى الله عليه وآله ٥٩
١٩. دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّ الحسين عليه السلام ٦٠
٢٠. اشتقاق اسم الحسين عليه السلام من اسم الله تعالى ٦٠
٢١. إرث الحسنين عليهما السلام من النبيّ صلى الله عليه وآله ٦٢
الإخبار باستشهاد الحسين عليه السلام ٦٥

معاجز الإمام الحسين عليه السلام ٨٥

انعكاسات مقتل الحسين عليه السلام ١٢١

مكانة الحسين عليه السلام عند الصحابة والتابعين ١٣٥

أخلاقية الإمام الحسين عليه السلام ١٤٣

مكارم أخلاق سيّد الشهداء عليه السلام ١٤٩

١. علمُ الإمام الحسين عليه السلام ١٥٥

٢. عبادة سيّد الشهداء عليه السلام ١٦٥

٣. سخاء الحسين عليه السلام ١٦٧

٤. أَدَبُ الـحُسين عليه السلام ورأفته ١٧١

٥. طلبُ الحقّ ١٧٣

٦. زهد الإمام الحسين عليه السلام ١٧٧

٧. تواضع الحسين عليه السلام ١٨٠

٨. خلوص الإيمان والثبات ١٨٣

٩. شجاعة الحسين عليه السلام ١٨٨

١٠. تجلّيات عظمة الحسين عليه السلام ١٩٧

عظمة المضاء ١٩٧

عظمة الإباء ١٩٩

عظمة البطولة ٢٠١

اللهُ، رسُوله، القُرآن ٢٠٣

١١. صبر الحسين عليه السلام ٢٠٣

الصبر على الجهاد ٢٠٦

الصبر على فقدان الأحبّة ٢٠٨
ضبط النفس ٢١٠
الصبر على العطش ٢١٢
الصبر على الطاعة ٢١٣
البحث الثاني: بنو هاشم وبنو أُميَّة ٢١٥
بنو هاشم وبنو أُمَيَّة ٢١٧
بنو اُميّة ٢٢٧
بنو اُميّة في ميزان الخُلق ٢٢٧
نسب بني اُميّة ٢٢٨
بنو اُميّة في القرآن والحديث ٢٢٩
بنو الحَكَم ٢٣١
آل أبي سفيان ٢٣٦
هند آكلة الأكباد ٢٤١
معاوية أبو يزيد ٢٤٢
نسب معاوية ٢٤٤
معاوية في ميزان السنّة والحديث ٢٤٦
معاوية والخمرة ٢٤٨
نفاق معاوية ٢٥٠

وَصمَةُ عارٍ على جبين التاريخ ٢٥٣
المستشارون المسيحيّون ٢٥٦
تجاهر معاوية بالفسق ٢٥٨
أهداف معاوية ٢٦٠
من هو يزيد؟ ٢٦٤
نشأة يزيد ٢٦٥
مَيسون ٢٦٦
يزيد في أحضان بني كلب ٢٦٧
أخلاق يزيد ٢٦٩
جنايات يزيد ٢٧٣
كفر يزيد ٢٨٠
الحالة الاجتماعية في عصر يزيد ٢٨٣

البحث الثالث: دواعي ثورة الحسين عليه السلام ٢٨٩

دواعي الثورة ٢٩١
١. امتثال التكليف الإلهي ٢٩١
ألف: التنبّؤ بالقتل ٣٠١
ب: الإخبار باستشهاده ٣٠٧
ج: الهجرة من مكّة ٣١٠
د: حَلُّ البَيعَة ٣١٤

٢. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر........ ٣١٨
فإن قيل ٣٣٠
قلنا........ ٣٣٠
٣. دواعي الثورة من لسان قائدها ٣٣٧
٤. فسادُ أجهزة الحكم........ ٣٤٨
٥. خَطرُ التقهقُر........ ٣٦٩
٦. الدفاع عن النفس ٣٧٥
بين الحكومة والسياسة ٣٨٦
دفعُ توهُّم........ ٣٩٦
بَينَ الفداء والانتحار ٤٠٨
لماذا سكت الإمام الحسن عليه السلام؟ ٤١٦
دواعي سكوت الإمام الحسن عليه السلام ٤١٦

البحث الرابع: نتائج الثورة الحسينيّة........ ٤٢٩

نتائج الثورة الحسينيّة ٤٣١
١. التقرّب والارتقاء ٤٣٦
٢. نجاة الإسلام ٤٣٧
٣. إيقاظ الشعور الدينيّ ٤٤٧
٤. ازدياد محبّة أهل البيت عليهم السلام وبقيَّة السيف ٤٤٩
٥. مدرسة عاشوراء........ ٤٥٤
٦. إدانَة بني أُميَّة ٤٦٤
٧. توالي الثورات على بني أُميّة........ ٤٦٦

٨. التحوّر الفكريّ ٤٧٠
٩. الأثر الخالد ٤٧٥
المقدّمة ٧
يومُ الحسين عليه السلام ٧
دواعي اهتمام الكتّاب والخطباء ١٢
جهات ما كتب في الحسين عليه السلام ١٥

البحث الأوّل: شخصيّة الحسين عليه السلام وفضائله ١٩

شخصيّة سيّد الشهداء عليه السلام ٢١
سمات الحسين عليه السلام اللامعة في كتاب الله ٢٢
١. آية المودّة ٢٢
٢. آية التطهير ٢٤
٣. آية المباهلة ٢٨
سِماتُ الحسين عليه السلام في أحاديث النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ٢٩
١. الحُسين عليه السلام سيّد شباب أهل الجنّة ٢٩
٢. الحسين حبيب رسول الله صلى الله عليه وآله ٣١
٣. الحُسَين ريحانة النبيّ صلى الله عليه وآله ٣٧
٤. الحُسين عليه السلام أشبهُ أهل البيت بالنبيّ صلى الله عليه وآله ٣٩
٥. النبيّ صلى الله عليه وآله يُقبّل الحسين عليه السلام ٤٠
٦. النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله يحملُ الحسين عليه السلام على كتفه ٤٧
٧. حبُّ الحُسين عليه السلام فرضٌ ٤٨

٨. فضلُ حُبِّ الحسين عليه السلام وعقابُ من أَبْغَضَهُ ٤٩
٩. النظر إلى سيّد شباب أهل الجنَّة ٥٠
١٠. محبّو الحسين عليه السلام في الجنّة ٥١
١١. دَرَجَةُ الوَسيلَة ٥٢
١٢. الحسين عليه السلام مع النبيّ في دَرَجتِهِ ٥٢
١٣. وُجوبُ نُصرَة الحسين عليه السلام ٥٣
١٤. أوّل من يَدخُل الجَنَّةَ ٥٦
١٥. القائم عجل الله فرجه من وُلدِ الحَسين عليه السلام ٥٦
١٦. القائم عليه السلام هو التاسع مِنْ وُلدِ الحسين عليه السلام ٥٧
١٧. ثمرةُ شجرة النبوّة ٥٧
١٨. وديعة الرسول صلى الله عليه وآله ٥٩
١٩. دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّ الحسين عليه السلام ٦٠
٢٠. اشتقاق اسم الحسين عليه السلام من اسم الله تعالى ٦٠
٢١. إرث الحسنين عليهما السلام من النبيّ صلى الله عليه وآله ٦٢
الإخبار باستشهاد الحسين عليه السلام ٦٥
معاجز الإمام الحسين عليه السلام ٨٥
انعكاسات مقتل الحسين عليه السلام ١٢١
مكانة الحسين عليه السلام عند الصحابة والتابعين ١٣٥
أخلاقية الإمام الحسين عليه السلام ١٤٣
مكارم أخلاق سيّد الشهداء عليه السلام ١٤٩
١. علمُ الإمام الحسين عليه السلام ١٥٥

٢. عبادة سيّد الشهداء عليه السلام ١٦٥
٣. سخاء الحسين عليه السلام ١٦٧
٤. أَدَبُ الـحُسين عليه السلام ورأفته........................ ١٧١
٥. طلبُ الحقّ........................ ١٧٣
٦. زهد الإمام الحسين عليه السلام ١٧٧
٧. تواضع الحسين عليه السلام ١٨٠
٨. خلوص الإيمان والثبات........................ ١٨٣
٩. شجاعة الحسين عليه السلام ١٨٨
١٠. تجلّيات عظمة الحسين عليه السلام ١٩٧
عظمة المضاء........................ ١٩٧
عظمة الإباء ١٩٩
عظمة البطولة ٢٠١
اللهُ، رسُوله، القُرآن........................ ٢٠٣
١١. صبر الحسين عليه السلام ٢٠٣
الصبر على الجهاد........................ ٢٠٦
الصبر على فقدان الأحبّة ٢٠٨
ضبط النفس ٢١٠
الصبر على العطش ٢١٢
الصبر على الطاعة ٢١٣
البحث الثاني: بنو هاشم وبنو أُميَّة ٢١٥
بنو هاشم وبنو أُمَيَّة ٢١٧

بنو أُميّة ٢٢٧
بنو أُميّة في ميزان الخُلق ٢٢٧
نسب بني أُميّة ٢٢٨
بنو أُميّة في القرآن والحديث ٢٢٩
بنو الحَكَم ٢٣١
آل أبي سفيان ٢٣٦
هند آكلة الأكباد ٢٤١
معاوية أبو يزيد ٢٤٢
نسب معاوية ٢٤٤
معاوية في ميزان السنّة والحديث ٢٤٦
معاوية والخمرة ٢٤٨
نفاق معاوية ٢٥٠
وَصمَةُ عارٍ على جبين التاريخ ٢٥٣
المستشارون المسيحيّون ٢٥٦
تجاهر معاوية بالفسق ٢٥٨
أهداف معاوية ٢٦٠
من هو يزيد؟ ٢٦٤
نشأة يزيد ٢٦٥

مَيسون ٢٦٦
يزيد في أحضان بني كلب ٢٦٧
أخلاق يزيد ٢٦٩
جنايات يزيد ٢٧٣
كفر يزيد ٢٨٠
الحالة الاجتماعية في عصر يزيد ٢٨٣

البحث الثالث: دواعي ثورة الحسين عليه السلام ٢٨٩

دواعي الثورة ٢٩١
١. امتثال التكليف الإلهي ٢٩١
ألف: التنبّؤ بالقتل ٣٠١
ب: الإخبار باستشهاده ٣٠٧
ج: الهجرة من مكّة ٣١٠
د: حَلُّ البَيعَة ٣١٤
٢. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣١٨
فإن قيل ٣٣٠
قلنا ٣٣٠
٣. دواعي الثورة من لسان قائدها ٣٣٧
٤. فسادُ أجهزة الحكم ٣٤٨
٥. خَطرُ التقهقُر ٣٦٩
٦. الدفاع عن النفس ٣٧٥
بين الحكومة والسياسة ٣٨٦

دفعُ توهُّم.. ٣٩٦

بَينَ الفداء والانتحار ٤٠٨

لماذا سكت الإمام الحسن عليه السلام؟ ٤١٦

دواعي سكوت الإمام الحسن عليه السلام ٤١٦

البحث الرابع: نتائج الثورة الحسينيّة.. ٤٢٩

نتائج الثورة الحسينيّة ٤٣١

١. التقرّب والارتقاء.. ٤٣٦

٢. نجاة الإسلام ٤٣٧

٣. إيقاظ الشعور الدينيّ ٤٤٧

٤. ازدياد محبّة أهل البيت عليهم السلام وبقيَّة السيف ٤٤٩

٥. مدرسة عاشوراء.. ٤٥٤

٦. إدانَة بني أُميَّة ٤٦٤

٧. توالي الثورات على بني أُميّة.. ٤٦٦

٨. التحوّر الفكريّ.. ٤٧٠

٩. الأثر الخالد.. ٤٧٥

مصادر التحقيق ٤٨١

آثار سماحة آية الله العظمى الصافي الگلپايگاني قدس سره ٥١٩

آثار سماحة آية الله العظمى الصافي الگلپايگاني قدس سره

الرقم	اسم الكتاب	اللغة	الترجمة
القرآن والتفسير			
١	تفسير آيه فطرت	الفارسية	ـ
٢	القرآن مصون عن التحريف	العربية	ـ
٣	تفسير آية التطهير	العربية	ـ
٤	تفسير آية الانذار	العربية	ـ
٥	پيام‌هاى قرآنى	الفارسية	ـ
الحديث			
٦	منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر عليه السلام في ثلاث مجلّدات	العربية	الاردية/ الانجليزية
٧	منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر عليه السلام في سِتّ مجلّدات	الفارسية	ـ

الرقم	اسم الكتاب	اللغة	الترجمة
٨	فضائل العترة الطاهرة عليهم السلام في ثلاث مجلّدات	العربية	ـــ
٩	غيبة المنتظر	العربية	ـــ
١٠	قبس من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام (مأة وعشره أحاديث من كتب العامّة)	العربية	ـــ
١١	پرتوى از فضائل امير المؤمنين عليه السلام در حديث	الفارسية	ـــ
١٢	أحاديث الأئمة الاثني عشر عليهم السلام أسنادها وألفاظها	العربية	ـــ
١٣	أحاديث الفضائل	العربية	ـــ
الفقه			
١٤	توضيح المسائل	الفارسية	ـــ
١٥	منتخب الاحكام	الفارسية	ـــ
١٦	احكام نوجوانان	الفارسية	الانجليزية
١٧	جامع الاحكام	الفارسية	العربية
١٨	آيين قضاوت در اسلام (استفتائات قضايى)	الفارسية	ـــ
١٩	استفتائات پزشكى	الفارسية	ـــ
٢٠	مناسک حج	الفارسية	العربية

الرقم	اسم الكتاب	اللغة	الترجمة
٢١	مناسک عمره مفرده	الفارسية	العربية
٢٢	هزار سؤال پيرامون حج	الفارسية	ـــ
٢٣	پاسخ كوتاه به ٥٧٠ پرسش از احكام	الفارسية	ـــ
٢٤	احكام خمس	الفارسية	ـــ
٢٥	اعتبار قصد قربت در وقف	الفارسية	ـــ
٢٦	رساله در احكام ثانويه	الفارسية	ـــ
٢٧	فقه الحج في أربع مجلّدات	العربية	ـــ
٢٨	هداية العباد في المجلّدين	العربية	ـــ
٢٩	هداية السائل	العربية	ـــ
٣٠	حواشي على العروة الوثقى	العربية	ـــ
٣١	القول الفاخر في صلاة المسافر	العربية	ـــ
٣٢	فقه الخمس	العربية	ـــ
٣٣	أوقات الصلاة	العربية	ـــ
٣٤	التعزير (أحكامه وملحقاته)	العربية	ـــ
٣٥	ضرورة وجود الحكومة	العربية	الفارسية
٣٦	رسالة في معاملات المستحدثة	العربية	ـــ
٣٧	التداعى في مال من دون بينة ولا يد	العربية	ـــ

الرقم	اسم الكتاب	اللغة	الترجمة
٣٨	رسالة في المال المعيّن المشتبه ملكيته	العربية	ـــ
٣٩	حكم نكول المدعى عليه عن اليمين	العربية	ـــ
٤٠	ارث الزوجة	العربية	ـــ
٤١	مع الشيخ جاد الحقّ في إرث العصبة	العربية	ـــ
٤٢	حول ديات ظريف ابن ناصح	العربية	ـــ
٤٣	بحث حول الاستسقام بالأزلام (مشروعية الاستخارة)	العربية	ـــ
٤٤	الرسائل الخمس	العربية	ـــ
٤٥	الشعائر الحسينية	العربية	ـــ
٤٦	آنچه هر مسلمان بايد بداند	الفارسية	اذربيجان
٤٧	الرسائل الفقهية من فقه الإمامية	العربية	ـــ
٤٨	الإتقان في أحكام الخلل والنقصان	العربية	ـــ
٤٩	استفتائات محيط زيست	الفارسية	ـــ
	اصول الفقه		
٥٠	بيان الأُصول في ثلاث مجلّدات	العربية	ـــ
٥١	رسالة في الشهرة	العربية	ـــ
٥٢	رسالة في حكم الأقل والأكثر في الشبهة	العربية	ـــ

الرقم	اسم الكتاب	اللغة	الترجمة
	الحكمية		
٥٣	رسالة في الشروط	العربية	ـ
	العقائد والكلام		
٥٤	عرض دين	الفارسية	العربية
٥٥	به سوى آفريدگار	الفارسية	ـ
٥٦	الهيات در نهج البلاغة	الفارسية	ـ
٥٧	معارف دين	الفارسية	ـ
٥٨	پيرامون روز تاريخى غدير	الفارسية	ـ
٥٩	نداى اسلام از اروپا	الفارسية	ـ
٦٠	صبح صادق	الفارسية	ـ
٦١	نگرشى بر فلسفه و عرفان	الفارسية	ـ
٦٢	نيايش در عرفات	الفارسية	ـ
٦٣	سفرنامه حج	الفارسية	ـ
٦٤	شهيد آگاه	الفارسية	ـ
٦٥	امامت و مهدويت	الفارسية	ـ
٦٦	نويد امن و امان	الفارسية	ـ
٦٧	فروغ ولايت در دعاى ندبه	الفارسية	العربية

الرقم	اسم الكتاب	اللغة	الترجمة
٦٨	ولايت تكوينى و ولايت تشريعى	الفارسية	ـ
٦٩	معرفت حجّت خدا	الفارسية	ـ
٧٠	عقيده نجات‌بخش	الفارسية	ـ
٧١	نظام امامت و رهبرى	الفارسية	ـ
٧٢	اصالت مهدويت	الفارسية	العربية
٧٣	پيرامون معرفت امام	الفارسية	ـ
٧٤	پاسخ به ده پرسش	الفارسية	اذربيجان
٧٥	انتظار، عامل مقاومت و حركت	الفارسية	ـ
٧٦	وابستگى جهان به امام زمان	الفارسية	ـ
٧٧	تجلى توحيد در نظام امامت	الفارسية	ـ
٧٨	باورداشت مهدويت	الفارسية	ـ
٧٩	به سوى دولت كريمه	الفارسية	الانجليزية
٨٠	گفتمان مهدويت	الفارسية	العربية
٨١	پيام‌هاى مهدوى	الفارسية	ـ
٨٢	توضيحات پيرامون كتاب عقيده مهدويت در تشيّع اماميه	الفارسية	الانجليزية
٨٣	گفتمان عاشورايى	الفارسية	ـ

الرقم	اسم الكتاب	اللغة	الترجمة
٨٤	مقالات كلامى	الفارسية	ـ
٨٥	صراط مستقيم	الفارسية	ـ
٨٦	إلى هدى كتاب الله	العربية	ـ
٨٧	ايران تسمع فتجيب	العربية	ـ
٨٨	رسالة حول عصمة الأنبياء والأئمّة عليهم السلام	العربية	ـ
٨٩	تعليقات على رسالة الجبر والقدر	العربية	ـ
٩٠	لمحات في الكتاب والحديث والمذهب في ثلاث مجلّدات	العربية	ـ
٩١	صوت الحقّ ودعوة الصدق	العربية	ـ
٩٢	ردّ أُكذوبة خطبة الإمام عليّ عليه السلام، على الزهراء عليها السلام	العربية	ـ
٩٣	مع الخطيب في خطوطه العريضة	العربية	الاردية/ فرنسا
٩٤	رسالة في البداء	العربية	ـ
٩٥	جلاء البصر لمن يتولّى الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام	العربية	ـ
٩٦	حديث افتراق المسلمين على ثلاث وسبعين فرقة	العربية	ـ
٩٧	مَن لهذا العالم؟	العربية	ـ

الرقم	اسم الكتاب	اللغة	الترجمة
٩٨	بين العلمين، الشيخ الصدوق والشيخ المفيد	العربية	ـــ
٩٩	داوری میان شیخ صدوق و شیخ مفید	الفارسية	ـــ
١٠٠	مقدّمات مفصّلة على «مقتضب الاثر» و «مكيال المكارم» و «منتقى الجمان»	العربية	ـــ
١٠١	أمان الأُمّة من الضلال والاختلاف	العربية	ـــ
١٠٢	البكاء على الامام الحسين عليه السلام	العربية	ـــ
١٠٣	النقود اللطيفة على الكتاب المسمّى بالأخبار الدخيلة	العربية	ـــ
١٠٤	پيام غدير	الفارسية	ـــ
١٠٥	بحوث حول العقائد والاخلاق و التفسير	العربية	ـــ
التربوية			
١٠٦	عالی‌ترين مكتب تربيت و اخلاق يا ماه مبارک رمضان	الفارسية	ـــ
١٠٧	بهار بندگی	الفارسية	ـــ
١٠٨	راه اصلاح (امر به معروف و نهی از منكر)	الفارسية	ـــ
١٠٩	با جوانان	الفارسية	ـــ

الرقم	اسم الكتاب	اللغة	الترجمة
التاريخ			
١١٠	سيرحوزه‌هاى علمى شيعه	الفارسية	ـ
١١١	رمضان در تاريخ (حوادث تاريخى)	الفارسية	ـ
السيرة			
١١٢	پرتوى از عظمت امام حسين عليه السلام	الفارسية	ـ
١١٣	آينه جمال	الفارسية	ـ
١١٤	از نگاه آفتاب	الفارسية	ـ
١١٥	اشک و عبرت	الفارسية	ـ
التراجم			
١١٦	زندگانى آيت‌الله آخوند ملا محمدجواد صافى گلپايگانى	الفارسية	ـ
١١٧	زندگانى جابر بن حيّان	الفارسية	ـ
١١٨	زندگانى بوداسف	الفارسية	ـ
١١٩	فخر دوران	الفارسية	ـ
الشعر			
١٢٠	ديوان اشعار	الفارسية	ـ
١٢١	بزم حضور	الفارسية	ـ

الرقم	اسم الكتاب	اللغة	الترجمة
١٢٢	آفتاب مشرقين	الفارسية	—
١٢٣	صحيفة المؤمن	الفارسية	—
١٢٤	سبط المصطفى	الفارسية	—
١٢٥	در آرزوی وصال	الفارسية	—
المقالات والمحاضرات			
١٢٦	حديث بيداری (مجموعه پيام‌ها)	الفارسية	—
١٢٧	ديدارها و رهنمودها	الفارسية	—
١٢٨	حديث خوبان	الفارسية	—
١٢٩	شب‌پرگان و آفتاب	الفارسية	—
١٣٠	شب عاشورا	الفارسية	—
١٣١	صبح عاشورا	الفارسية	—
١٣٢	با عاشوراييان	الفارسية	—
١٣٣	رسالت عاشورايی	الفارسية	—